

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه العلوم

التخصص : اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب :

الجمعي حميدات

عنوان الأطروحة :

**الأساليب الطلبية وأداءاتها الإبلاغية في الحديث التبوي الشّريف**

(مقاربة تداولية)

أعضاء لجنة المناقشة :

رئيسا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. كمال قادری
مشرفا و مقررا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. محمد بوادي
متحنا	جامعة منتوري - قسنطينة	أستاذ	أ.د. محى الدين سالم
متحنا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. الزبير القلي
متحنا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	أستاذ محاضر "أ"	د. محمد بن صالح

السنة الجامعية: 2015 / 2014

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين

تُعدّ اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل الإنساني ، فهي تمثّل اجتماعية الإنسان وتحسّن تفاعلاته مع غيره، مما يساعد على التعبير والتأثير و التأثير، فباعتبار طبيعتها التواصلية والتبلّغية كانت ولا تزال مدار اهتمام الباحثين في شتى الاختصاصات منذ عشرات القرون، لذلك عكفت الدراسات اللسانية -منذ نشأتها- إلى دراسة هذه الأداة، وعملت على وصفها بمختلف المناهج و الوسائل المتاحة لذلك.

كما كان لتطور اللسانيات الحديثة دورٌ كبيرٌ في إبراز حقيقة اللغة، و الكشف عن مناهجٍ جديدةٍ لتحقيق هذه الغاية، فتعدّ الدرس اللغوي حدود الكلمة إلى الجملة إلى ما بعد الجملة ، وصار لزاماً تجاوزُ حدود الوصف إلى مجال الاستعمال الفعلي للغة بين المخاطبين.

وهذا الانتقال كان سبباً في تعدد جوانب الدراسات والاتجاهات، واختلاف المدارس و المناهج و النتائج، منها الجانب الاجتماعي...، ومنها الجانب النفسي.. ومن هنا كان المجال مفتوحاً ليروز منهج جديد في دراسة اللغة عُرف بـ"التداوِلية" ، والتي أثارت اهتمام العديد من الباحثين، بما يتيح من إمكاناتٍ لحل مشاكلهم العالقة كما أنها فضاءٌ مفتوحة على مختلف المعارف الإنسانية، فهي تعرف من علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الاتصال... وغيرها.

فكان من نتائجها الأولية أن ارتبطت اللغة في المنظور التداوِلي بمقاصد المتكلّم وبوضعه الاجتماعي وأهدافه انطلاقاً من القصد و المهدّف الذي يسوق من خلاله خطابه ، و الذي يختلف تبعاً لاختلاف العناصر السياقية مما يفرض عليه أطراً معينة ينبغي عليه أن يحترمها من أجل تأسيس علاقةٍ ناجحةٍ بالخطاب مع الطرف الآخر في العملية التواصلية، سواءً كان هذا الطرف حاضراً حضوراً فعلياً أم مُتخيلًا .

وكما اهتممت التداوِلية "بالسياق" و "المقام" وبالمتكلمين ومقاصدهم وقدرات المتكلّمين على الاستيعاب وكفاءاتهم التواصلية و التداوِلية ، فإنّها وسّعت من اهتمامها ليشمل مقاربة النصوص الأدبية، لغاية الكشف عن مقاصد التواصل و التبليغ ، وتحديد معالم هذه النصوص اعتماداً على أغراضها التداوِلية ، وبذلك تكون التداوِلية قد فتحت آفاقاً جديدةً أمام الدرس اللساني المعاصر، لا سيما وأنّها قامت بتغيير خارطة المهام الإجرائية في مقاربة الخطابات و النصوص اللغوية ، مُعيدة الاعتبارات "الخارج لغوية" التي أقصيت على يد اللسانيات الشكلية بدعوى انعدام الترابط بين البنية اللغوية والسياسات الاجتماعية التي ترد فيها من جهة وبدعوى أنّ الاستعمال الفردي للغة ليس جزءاً من الدراسات اللغوية الأخرى من جهة أخرى ، وبذلك اعتبرت المعنى ذا مرتبة ثانوية على التركيب ، ودرست اللغة بعيدةً عن الاستعمال .

وهو دافع آخر كان وراء نشأة "التفكير التدابري" حين اهتم بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة، وذلك حين أدرك "التدابريون" تمام الإدراك أنّ اللغة شكلٌ من أشكال النشاط الإنساني القائم على وظيفة التواصل والإبلاغ، وما يَسْتَبِعُ ذلك من رهانات الاستعمال اللغوي في العملية التواصلية ، فكان الاهتمام مُنْصِبًا على دراسة اللغة، والعنابة بأقطاب العملية التواصلية ، فاهتمت التدابرية بالمتكلم و مقاصده ، بعدها محركاً لعملية التخاطب ومراوغة حال المخاطب أثناء الخطاب ، كما اعنت بالظروف و الأحوال السياقية المحيطة بالعملية التخاطبية ضماناً لتحقيق التواصل من جهة ، ولستغلهما في التوصل إلى معنى و "مقصدية" الخطاب بصفةٍ عامة من جهة أخرى .

لقد ظهرت التدابرية إلى الوجود وشكّلت قطب رحى العلوم اللسانية، وزاد اهتمام اللسانيين بها بعد أن وصلت النظريات السابقة للتحليل اللساني إلى الطريق المسدود ، لا سيما في الوقت الذي هيمنت فيه "اللسانيات البنوية" على الدراسة اللغوية في النصف الأول من القرن العشرين بدءاً من "دوسوسيير" إلى "تشومسكي" وأمنت بأنّ اللغة نظامٌ من العلاقات والعلاقات ، وجاءت بمناهج جديدة لدراسة اللغة بذاتها ولذاتها دراسة شكلية خالصة، مُقصِّيَةً بذلك الكلام والسياقات الثقافية و الاجتماعية التي ينتج فيها ، واعتبرت الجملة أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة ، وبذلك أهملت الجانب الاستعمالي للغة ومقاصد المتكلمين...

لتظهر نداءات من داخل البنوية ذاتها تدعوا إلى دراسة وظائف اللغة ، وضرورة الأخذ بعين الاعتبار "السياق المقامي" الذي تنتج فيه من لدن الوظيفيين أمثال "جاكسون" و "أندري مارتيني" ، والسيaciين من أمثال "مالينوفسكي" و "فيرث".

من جهة أخرى ركّزت المدرسة التوليدية التحويلية على الملكة الإبداعية للغة ، وقدرة المتكلم / السامع المثالي على إنتاج وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل ، وذهب علماء اللغة الاجتماعيون إلى أنّ الكفاءة اللغوية ليست كفاءة نحوية فحسب ، بل كفاية تبليغية تواصلية ، فنادي "هاريس" ، "هالبدي" و "فان ديك" بضرورة الاهتمام بوحدة أكبر من الجملة وهي "النص" أو "الخطاب" .

وبالموازاة مع هذه النداءات و الدراسات كان فلاسفة "اللغة العادية" وعلى رأسهم "أوستن" يناقشونرأي المناطقة في وظيفة اللغة ، وبحثوا في استعمالاتها، والوظائف التي تؤديها المنطوقات و الأفعال التي تنجز بواسطتها فتوصلّوا إلى أنّ اللغة لا تصف العالم فقط ، وإنما تعّيره أيضا ، وأنّ اللغة ذات استعمالات متعددة ، فالمنطق الواحد وفي سياقات وملابسات مختلفة قد يُنجز أفعالاً مختلفة ، ومن هذا جاءت فكرة "الأفعال الكلامية" والتي غدت مركز الدراسات التدابرية ، باعتبار هذه الأخيرة تدرس علاقة العلامات بمستعملتها وبظروف

استعمالها، وبأثار هذا الاستعمال على البُنى اللغوية للنصوص و الخطابات، فهي منهج يسعى لفهم وتحليل الخطاب.

وبالرغم من أنّ التداولية مبحث لسايِّد حديد، لكنَّ البحث فيه يمكن أن يؤرخ له منذ القدم، حيث عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة "التداولية" بمفهومها العلمي الحديث، وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراثهم، فهم وإن لم يوصّلوا لمصطلح التداولية بلغتهم، إلاّ أكّهم توافروا على كلِّ ما تحدّث به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب العقلي، كما ترجموا مباحث كثيرة متصلة بها في باب "الخبر والإنشاء"، ولم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب، بل اعنى بها عنایة شديدةٌ كلُّ من علماء المنطق، والفلسفه والأصوليين والفقهاء.

وإذا كان القرآن الكريم -بوصفه خطاباً لفظياً متعالياً قد لاقى العناية والاهتمام منذ نزوله، وتوسّل العلماء إلى قراءته بما تهيأ لهم من أدوات النظر فيه، فكشفوا ما ينطوي عليه من معانٍ دلالاتٍ، باعتباره يمثل قمة البلاغة وذروة البيان -، فإنَّ ما لا شك فيه أنَّ السنة النبوية في جانبها القولي تأتي في المرتبة الثانية - من حيث الاهتمام - فصاحةً وبلاعنةً، ويأتي البيان النبوبي في الذروة لما امتاز به من خصائصٍ كثيرةٍ تميّزه عن بيان البشر وبلاعنتهم، وتسمو به عن مستوى كلِّ بيان.

كما أنَّ الناظر في "تراث الحديثي" يرى أنَّ اهتمام الدارسين -نحوهم وبلاعنتهم- قد يمتدّ وحديثاً بموضوع "البلاغة النبوية" يتّسم بكثير من القصور ، وكانَ الموضوع ثانويّ ، تكفي فيه الإشارةُ العابرةُ عن بسط القول باعتباره وسيلة لا غاية ، هذا الأمر بقدر ما هو لافت للانتباه، فهو باعثٌ على التّطلع إلى معرفة هذا الغزوغير المقصود، لأنَّ علماءنا بقدر ما اهتمّوا بإعجاز القرآن ومعانيه وإعرابه، بقدر ما قصرّوا في الحديث النبوي الشريف ، عدا ما نسجله -استثناءً- من لفتات رائعةٍ تُشكّل إلى حدٍ بعيد سنداً قوياً ، ومرجعاً متيناً لمن يرغب وبهوى البحث في هذا المجال.

من هذا المنطلق كانت البداية لسلوك طريق مُغایر في النظر إلى الخطاب النبوي باعتباره ظلّ محوراً للدراسات الكلاسيكية التي لم تتجاوز حدَّ : "الرواية و الرواية في الشكل" و "المحتوى البلاغي في المضمون" ، خاصةً وأنَّ المنطلق يجمع بين "الحداثة و التراث" ، ويُوظف اللسانيات الحديثة بنظریاتها المختلفة ، والأفكار النقدية المعاصرة في الكشف عن خبايا التراث وإمكانياته.

في هذا الإطار يندرج موضوع البحث على نحو ما هو مجسّد في العنوان : "الأساليب الطلبية وأداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف "مقارنة تداولية" ، وقد وقع الاختيار على النّص النبوي إضافة إلى أنه من

أعرق النصوص العربية وأقدسها بعد القرآن الكريم من جهة ، وأنه التّص الأقرب للاحتجاج عند النحويين والبلاغيين بسبب كثرة أساليب الطلب فيه و تنوعها و اختلافها ، بوصفها تمثّل مجالاً ثرياً يتّناسب وطبيعة الدراسة التداولية ، والذي يعتمد على استقراء هذه الأساليب ووصفها و تحليلها ، ثم إبراز مدى تأثيرها ودورها في عملية التواصل والإبلاغ ، من جهة أخرى.

وقد كان اختيار "ال التداولية" منهجاً في "تحليل الخطاب النبوى" لكونه يعُد مستوى تصنيفياً إجرائياً في الدراسات اللغوية المعاصرة، يتجاوز المستوى الدلالي ليبحث في علاقة العلامات اللغوية بمسؤوليتها ، وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه ، من خلال دراسة ما يعني الخطاب في سياق معين ، ومعرفة هذا السياق وأثره على لغة الخطاب عند إنتاجه ، مع إلقاء عناصر هذا السياق أهمية، مُتمثّلة في مقاصد المرسل، وظروف الخطاب الخارجية (المكانية و الزمانية) ، والعلاقة بين طرق الخطاب ، ومدى استحضار طبيعة المتكلّي الأولى في الذهن عند إنشاء الخطاب.

في ضوء هذا التّصور ، وأمام هذه الرغبة تتراءى إشكاليةٌ سعي الباحث إلى الوقوف عندها على أمل إيجاد إجابة عن تساؤل رئيسيٍّ يعُد إشكال الدراسة ونقطة الجمال فيها ، متمثلاً في : ما هي جملة الأغراض البلاغية التي خرج إليها الخطاب النبوى من خلال توظيف أساليبٍ طلبيةٍ مختلفةٍ في صورتها الحقيقة و المجازية؟ ، سعياً منه عليه الصلاة و السلام إلى تبليغ ما أمره به ربّه ، أو على حدّ تعبير"التداوليين": "فيَمْ تكمنْ مجموع الأفعال "المنجزة بالقول" مباشرةً أو غير مباشرةً في تحقيق قوى انجازية حرفية أو مستلزمة مقامياً ، ولدتها علاقة الرسول "ص" بمحاطيه مقاماً ومقالاً؟.

لتكتنف البحث - شأنه شأن البحوث التداولية الأخرى - مجموعةً من التساؤلات والإشكالات تحاول الإجابة عنها من قبيل : ما طبيعة التداولية؟ وما أصولها الفلسفية و اللغوية؟ هل هي ثورة على اللسانيات البنوية وما بعد البنوية ، أم هي امتداد لها؟ ، ما المقصود بأفعال الكلام؟ و ما موقعها من اللسانيات التداولية؟ ، كيف عالج الدرس العربي القديم ظاهرة أفعال الكلام؟ ما مدى صلاحية المنهج التداولي لدراسة الخطاب النبوى؟ إلى أيّ مدى يمكن استئثار نظرية الأفعال الكلامية في الكشف عن الأدوات و الصيغ و الآليات التعبيرية المستعملة في الخطاب النبوى للدلالة على القوة الانجازية لهذا الخطاب؟.

ما الدور الذي يعكسه السياق العام المنجز فيه الخطاب النبوى؟ ، ما مفهوم الحاجاج وأهم مصطلحاته؟ ما هي علاقة الحاجاج بالتداولية عامة؟ وبالإفتتاح بصفة خاصة ، باعتبار أنّ الخطاب النبوى يقوم على بناءً لغويّاً مشحون

بسمات تواصيلية منها: "تحاور ، وسرد ، واستفهام ، وتقرير ، وتأكيد.... وكلّها تُعدّ أدواتٍ حجاجيّةً يمتلكُها الحديث النبوي بصفة عامة.

للإجابة على هذه الإشكاليات وبعد أن آثرت تخصيص الدراسة في مُدونة لها من الخصوصية ما لها ، وهي "الأحاديث النبوية الشريفة" ، وضبطها بكتاب " صحيح البخاري" نظراً لـ اجحاف الدراسات العربية الحديثة في دراسة الأحاديث النبوية " دراسة تداولية" تُوفّيّها حقّها ، في هيكلٍ تنظيميٍّ قوامه : " مقدمة" ، تليها "أربعة فصول" مع " خاتمة" .

ففي المقدمة عُرضت إشكالية البحث وتفرعاتها المعرفية وأبعادها المنهجية ، مع ذكر أسباب اختيار الموضوع والأهداف المرجو تحقيقها من هذا البحث .

كان الفصل الأول " تمهيدياً " يُشكّل بيليغرافي العنوان : وهو المجال الذي تجسّدت فيه العلاقات القائمة بين عناصر العنوان و مصطلحاته، وقوفا على "المصطلحات المفاتيح" ، بخطبة داخلية وزّعت عناصر البحث فيها على مباحث ثلاثة ، كان الأول منها مُوضّحاً لمفهوم الطلب في الدرس التحوي، وما تخلله من عناصر تمثّل في تعريفات الطلب في كتب النحو و البلاغة ، ونظرية اللّغوين و البلاغيين للإنسان ، واعتبارات كلّ طائفة في تقسيمه إلى طليبي وغير طليبي ، مع التركيز على أهم الأساليب الإنسانية الأكثر استعمالاً في البلاغة عموماً ، وفي الحديث النبوى الشريف خصوصاً، وتناولها بشكل نظريٍّ وفق عناصر تخدم كلّ أسلوبٍ ، بدءاً من التعريف إلى الأدوات ، إلى الأقسام ، وغيرها .

ليقف المبحث الثاني على المدونة بما فيها من خصائص وجماليات، بدءاً من التعريف اللغوي و الاصطلاحى "للحديث" ، مع تحديد معلم وأسباب فصاحة رسول الله "ص" وبلامته ، ليختتم المبحث بأهم ما ألف في ميدان علاقة الحديث النبوى بالبلاغة العربية قديماً وحديثاً.

أما المبحث الأخير في هذا الفصل فكان متعلقاً بمنهج الدراسة "التداولية" ، بالتعرض إلى ماهيتها ومفاهيمها المختلفة ، وجدورها الفلسفية التي قامت عليها في البلاغة العربية عند الغرب، وكذا مبادئها وعلاقتها بالتحولات ، والعلوم الأخرى "كعلم النفس" و "علم الاجتماع" وغيرها....

أمّا الفصل الثاني و المعون بالسياق التداولي وأثره في عملية التواصل من خلال نماذج من الحديث النبوى ، فكان ولوّجه من خلال الوقوف على حقيقة السياق في جذوره اللغوية ، ومعناه الاصطلاحى عند العرب والغرب ، خاصة مدرسة "فيرث" السياقية ، وأشهر من أرّخ لقواعد السياق عبر محطات مختلفة بين العرب والغرب.

أمّا الفصل الثالث والموسوم بالأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف ، وهو لب الدراسة و البحث ، فكان هو الآخر في مباحث أساسية ، أو لها نظري مختصر ،تناول الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية والمراحل التي مررت بها على يد كلٍ من "أوستن" و "سييل" و "جريس" ، مع السعي للتأصيل لنظرية الأفعال الكلامية في الدرس العربي القديم عند علماء البلاغة، وعلماء الأصول وغيرهم .

ليكون المبحث الآخر مشكلاً الجانب التطبيقي للأفعال الكلامية ، بدءاً من قراءة أولية في تداولية الخطاب النبوى ، وتحديد عناصر الخطاب من مرسل و مرسل إليه و سياق لغوى مقامى ، بالوقوف على مُناسبة الحديث وظروف إلقائه، وتحديد كتابه وبابه ، كما صُنف في المدونة ، ليتخدذ الحديث بعدها بمحالاً للتطبيق من خلال أدواتٍ منهجيةٍ مستخلصةٍ من الجانب النظري لدراسة الأفعال الكلامية، وذلك بتناول الأحداث الكلامية في شكل صيغ لأساليب طلبية حسب التقسيم الخماسي لـ"جون سيرل" و "اوستن".، مع التركيز على قسمين اثنين يخدمان الموضوع من جهة :

\*\*\*الإخباريات : وفيها يتعلق الأمر بالأساليب الخبرية ، كقسم أول من أقسام الكلام .

\*\*\*الطلبيات : ويتمثل في الأساليب الطلبية ، وهي الصورة الثانية للكلام في شقه الداعي إلى التنوع في الأساليب من: استفهام ، وأمر ، و نداء ، ونهي وغيرها.

وكان ذلك بالطرق إلى الأفعال الانجazية المباشرة ، وهي التي يكون فيها التوظيف للأساليب الطلبية توظيفاً حقيقياً وفق ما اتفق عليه علماء البلاغة " الغرض الحقيقى "، وإلى الأفعال الانجازية غير المباشرة، وذلك حين تخرج هذه الأساليب عن صورتها الحقيقة لتدلّ على أدءاتٍ إبلاغيةٍ مختلفةٍ وفق ما يميله السياق ويحدده المقام مع التمثيل للقوتين الانجازيتين الحرفية و المستلزمة ،بحسب ما اقترحه التداوليون في الفرضية الانجازية .

أمّا الفصل الرابع والأخير ، والموسوم بـ "الحجاج التداولي وآلياته في الحديث النبوى" ، فقد ارتأيناه كفصل يكمل نظرية الأفعال الكلامية وأثرها في استمالة المتلقى ، وتحقيق الإقناع ، بتطبيق آلية من آليات التحليل التداولي والمتمثلة في "الحجاج" ، وذلك باعتباره محاولةً واعيةً من المتكلم للتاثير في المتلقى على مستوى سلوكه أو على مستوى معتقداته وقناعاته ، لاسيما وهو الذي يبني وفق إستراتيجية معينة بتوظيف وسائل منطقية أو لغوية أو بلاغية أو جميعها معاً .

تناول هذا الفصل مباحث متعددة ،من منطلق أنّ غاية الحجاج الأساسية هي إقناع مُتلقيه و التأثير فيه ، فكان التقصي لمكوناته ، والبحث في طرقه التي جسدت البنى الحجاجية ، من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة

ما الحجاج ؟، وما دوافعه ؟، ما علاقة الحجاج بالإقناع ؟، ما الوسائل التي اعتمدتها الرسول "ص" في التأثير في متلقيه ؟، مع الإشارة إلى معنى الإقناع كهدفٍ أسمى متونٍ من وراء توظيف هذه الآلة .

كيف نظر العلماء العرب للحجاج ؟ انطلاقاً من العرب القدماء كالجاحظ ،وصولاً إلى المحدثين كطه عبد الرحمن ،محمد العمري ،أبي بكر العزاوي ،ما مفهومه عند الغرب القدماء "أرسطو"؟ وعند المحدثين الذين يمثلهم "بيرلان" والذي ربط الحجاج بالبلاغة البرهانية ؟ و"ديكرو" الذي يؤكد على وجود حجاج في كلّ لغة ؟.

كانت الإجابة عن هذه التساؤلات في جانبها النظري، لتجسد تطبيقياً وفق مباحث داخلية اتخذت الأحاديث النبوية الشريفة مجالاً لتطبيق أشهر الآليات الحجاجية بدءاً من اللغووية إلى البلاغية إلى المنطقية، مع التركيز - كلّ التركيز - على أهمّ عناصر هذه الآليات لما لها من دور في عملية الإقناع والتأثير .

ليختتم البحث بخاتمة عامة مثلت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث في بُعديه النظري والتطبيقي عبر فصوله جميعها .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على "المنهج التداولي" في تحسين آليات التداولية ، والتي كان يتكلّم فيها على آليات الوصف والتحليل وحتى الإحصاء .. لأنّه الأنسب لهذا النوع من البحوث القائمة على وصف الظواهر الأسلوبية واللغوية في الخطابات بصفة عامة ، و الحديث النبوي بصفة خاصة ، ورصد خصائص النظريات اللسانية والتداولية ، كما أنّه لابد من الاستعانة بالمنهج "التاريخي" في رصد نموّ الأفعال الكلامية وكذا فكرة الحجاج وببروز معالمها ، ونشأة النظريات الدارسة لها ، ليبقى المنهج التداولي أبشع أدلة إجرائية تُظهر أوجه الاستعمالات للآليات التداولية من أفعال الكلام وكذا الحجاج في الخطاب النبوي ، وتكشف جوانب العملية التواصلية بين المتكلم والمتلقي ، ومن ثم تسعى إلى إبراز مقاصد المتكلم وأثرها في سامعه .

ولاشك أنّ البحث استند إلى مجموعة من المصادر والمراجع ، ذات الصلة بالموضوع ، حديثة وقديمة ، عربية وأجنبية ، بدءاً من مدونة "صحيح البخاري" كمدونة للبحث أساسية ، كما كان الاعتماد على أمّهات الكتب البلاغية القديمة كـ"البيان و التبيين" للجاحظ ، "دلائل الإعجاز" للجرجاني ، "الخصائص" لابن جني ، "مفتاح العلوم" السكاكي ، إضافة إلى "نظريّة أفعال الكلام العامة" ، أو "كيف نجز الأشياء بالكلمات" لجون أوستن والمقاربة التداولية ، للكاتبة فرنسواز أرمينكو ، لتكون الاستفادة من المراجع الحديثة في العلمين معاً (ال التداولية والبلاغة وتحليل الخطاب) منها: "استراتيجيات الخطاب" مقاربة تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي ، "في اللسانيات التداولية" لخليفة بوجادى ، "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" لطه عبد الرحمن ، "تحليل الخطاب المسرحي" في ضوء النظرية التداولية ، لعمر بلخير ، "أساليب الطلب عند

النحوين والبلاغيين" للدكتور قيس إسماعيل الأوسى ، "التداویة والحجاج" لصابر الحباشة ، "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" ، لحمادي صمود ، مجموعة من المقالات عن التداویة والحجاج ضمن مؤلف: "الحجاج مفهومه و مجالاته" ، إعداد: حافظ إسماعيل العلوي ..... .

وسعياً منا إلى تتبع المفاهيم الجديدة في الحقل التداویي وضيّقها ، و الوصول إلى الجديد الذي أضافه هذا المنهج ودوره في تخليل الخطاب ، وإبراز إلى أيّ مدى كان العلماء العرب تداوليين في طروحتهم و دراستهم اللغوية نظرياً وتطبيقياً ، وعلى أمل تطبيق هذه المقاربة في الخطاب النبوی ، فإنّ محاولتنا هذه لم تخلُ من صعوبات تمثلت في كيفية التعامل مع المصطلحات في الجانب التطبيقي وضيّقها بسبب كثرة المفاهيم و تعدد المصطلحات في مصدرها الأصلي ، مع قلة الدراسات التطبيقية في هذا المجال الجديد نسبياً ، أضف إلى ذلك حداثة الآليات التداویة المستخدمة كوسائل للتخليل خاصة المتعلقة بالأفعال الكلامية و الحجاج في الحديث النبوی الشريف ، إلا أنّ عزاءنا الوحيد هو هذا الجهد . وهو جهد المقلّ . وحسبه أنه حظي بدراسة هذا الموضوع ، على أمل أن يتوفر له – مستقبلاً - جهدٌ أوفرُ ، لتوسيع ما أسفرت عنه هذه المحاولة .

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا البحث محققاً لأهمّ أهدافه، وأن يكون مفيداً في إعادة الاعتبار لتراثنا العربي في ميدان التداویة عامة ، وأفعال الكلام و الحجاج بصفة خاصة ، حيث يصبح الربط بين القديم و الحديث عادة حسنة يحصل بها التكامل المنشود بين أطراف المعرفة .

و أنا إذ أنهى عملي المتواضع هذا ، فإنّ الفضل لأصله عائدٌ ، والشكر لأهله واجبٌ ، فاعترف أنّ ما كان فيه من محسن ، فالفضل لله تعالى الموفق أولاً ، ثم للأستاذ الدكتور "محمد بوادي" ، والذي تعهد هذا البحث برعايته الطيبة وتوجيهاته السديدة الصائبة ، منذ أن احتضن البحث بين يديه ، وتحمّل عناء المتابعة و التوجيه ، لا أثر فيها للملل و الضجر ، طيلة ما لهذا البحث من أيام العمر . فلك مني أستاذى الكريم جميل معاني الشكر والتقدير . كما أتقدم بخالص شكري إلى كلّ من أعايني في مراحل انجاز هذا البحث حتى استوى على سوقه ، وأنا على أمل أن أكون قد حققت فيه ما كنت أصبو إليه ، وأدعو العلي القدير أن ينفعني بتوجيهات أساتذتي الكرام الذين شرفوني بقبول مناقشة مذكرتي هذه ، وتصويب فكرتها ، وتصحيح خطئها و إقالة عثرتها ، فللجميع مني الشكر و التقدير ، ومن الله السداد و التوفيق .

وما توفيقني إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب ، وله الحمد من قبل ومن بعد .

# الفصل الأول

تمهيدی مفاهیمی.



# مباحث الفصل

**أ- المبحث الأول:**

جملة الطلب في الدرس النحوي.

**ب- المبحث الثاني:**

البلاغة النبوية بين أسباب التّكوين وبلاغة التّمكين.

**ج- المبحث الثالث:**

التداولية بين النشأة و المفهوم.



## المبحث الأول : جملة الطلب في الدرس التحوي:

توطئة :

لقد كانت العناية فائقةً باللغة العربية حين اعتنى بها علماؤها -نحوهم وبلغتهم-، مدفوعين إليها بدوافع متعددة، فكان التحويون مدفوعين بمحاجس شیوع اللحن في القرآن الكريم، أمّا البلاغيون فكان لعنة كشف سر الإعجاز القرآني، وبذلك تعرضوا لظاهرة اللغوية في مستواها التركيبية، لتكتسي العناية نوعاً من التصرف في بناء الجملة أو التعبير، من منطلق فصاحة اللغة العربية وبلاستيتها، وبذلك أولوا التعبير أو "استعمالات اللغة في مجالاتها" المختلفة نوعاً من الأهمية البالغة مما جعل الأساليب المعتمدة من قبل ناطقها مُتباعدة ومختلفة.

إذا كان البلاغي يُيدع في طريقة تعبيره مُستعملاً للتشبيه والاستعارة حتى الكناية، ويتفنّن في إبراد صورها بأسلوب مُوجز ،مُقنع ،هو القمة في البلاغة، ترى من جهة أخرى آخرين يعتمدون على أساليب تنقل ما في نفوسهم من حالات مختلفة تتراوح بين الحيرة والشك والحنين والرجاء...

فيقدر ما تنوّعت الدراسات التي انصبّت حول القرآن الكريم، وكان للقرآن الكريم دورٌ في ظهورها "كعلوم التفسير، الفقه، الأصول" ،مبديّةً اهتمامها بهذا الجانب، ظهرت دراسات مماثلة لك"ال نحو" "والصرف" ،"البلاغة" ،مُتخذةً كلام العرب شعره ونشره مصدرًا للاهتمام لما يحتويه من أساليب تعبيرية نادرة.

وفي ظل التكامل الحاصل بين "ال نحو والبلاغة" عند علماء اللغة بصفة عامة ،نلحظ تلك العناية الكبيرة في دراسة "الجملة العربية" ،هذا الباب الذي ترجم تلاميذ العلمين معاً ،حين اعتنى الأول "بصحة التركيب" وهو "علم النحو" ،واهتم الثاني بما وراء هذه الصحة التراكيبية من "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وما تدلّ عليه القرائن من معانٍ تفهم من السياق أو التركيب، لأنّ ممّا لا شك فيه أنّ الجملة الصحيحة نحوياً تحتاج إلى أهم خصائص الصّحة فيها وهي "مطابقتها للمقام ولمقتضى الحال" ،وما يستفاد من القرائن حين خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، لذلك تظهر جهود البلاغيين مُكمّلةً لجهود النحويين حين يُنظر للجملة من هذين المنظورين معاً، ف(سيبوبيه) مثلاً لم يخل "كتابه" من الإشارات الإبلاغية حين جعلها تسير مع القواعد النحوية، والصرفية، والصوتية، و(الجرجاني) حين أسس "نظريّة النظم" علّق قيمتها في احترام معانٍ النحو وقوانينه، جاعلاً المدفأ من النظم هو "وضع الكلام حسب مقتضيات علمي النحو والبلاغة".

ولعلّها هي الفكرة ذاتها التي دأب على ترسّيخها كثيرون من اللغويين والبلاغيين – علاقة النحو بالبلاغة- سواء المتقدمين منهم أو المؤخرين، فعترروا عن هذا الارتباط ،مثل ما يعكسه الدكتور (قام حسان) حين جاهر بالقول: "... ومن هنا نشأت هذه الفكرة التي تتردد على الخواطر منذ زمان طويل أنّ النحو العربي أحوج ما يكون

إلى أن يدعى لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يُسمى "علم المعاني" ، حتى إنَّه ليحسن في رأيِّي أنَّ علم المعاني قمةُ الدراسة النحوية أو فلسفتها إنْ صَحَّ هذا التعبير...<sup>1</sup>.

لذلك حاول كثيرون من علماء العربية أن يفردوا للأساليب (علم المعاني) أبواباً مستقلةً، فنجدُ (أحمد بن فارس) في كتابه: "الصاجي في فقه اللغة" يتحدث في "باب معانِي الكلام" عن أساليب الاستخار، الأمر والنهي والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني، وقد حدَّد المعنى الاصطلاحي لهذه الأساليب، مُتَحدِّثاً عن بعض مسائلها وصيغها، وذكر المعاني المجازية التي تستعمل فيها..<sup>2</sup>. وحين استقلَّت (البلاغة) عن (النحو) حُصرت مسائلها، وضُبِطَت أصولُها وفصولُها وأُدخلَ علم المعاني فيها، استقلَّت أساليب الطلب بأبواب خاصة في كتب البلاغة..<sup>3</sup>.

### 1 مفهوم الإنشاء الظبي :

إنَّ الناظر في كتب النحو العربي وإن كانت قد خلَّت من وجود أبواب مُستقلة بدراسة أساليب الطلب، وذلك لخضوعها للمنهج المنطقي، واستنادها إلى فكرة(العامل) التي كانت محورَ الدراسة فيها، إلَّا أنها قد تضمنَت . ولاسيما كتب الأوائل - ملاحظاتٌ كثيرةً، لكنَّها متفرقةٌ تتعلق بطبيعة هذه الأساليب وأدواتها، والمعنى الدقيق الذي تُستعمل فيه كلَّ أداة، والزمن الذي يمكن أن تدلُّ عليه، والأوجه التي تُستعمل فيها.<sup>4</sup>.

وعلى الرغم مما حظيت به "الجملة" مثلاً في الدرس النحوِي اللُّغوي العربي القديم من بحوثٍ ودراساتٍ إلَّا أننا لم نجد قسماً ضمن ذلك الموروث اصطلاح عليه "باجملة الطلبية" لميل الكثير منهم إلى أنَّ الأهمَّ في الدراسات النحوية هو دراسة "التركيب" ، مثل ما دعا إليه(السكاكبي) حين قال: "اعلم أنَّ علم النحو هو أن تُنْخُو معرفة التركيب فيما بين الكلم...."<sup>5</sup>، و ذلك راجع إلى إدراكيهم أنَّ المفردات وحدَها لا تُوصِّف بالمعنى التكعيبي، ولا يُستغني بها في الكلام إلَّا إذا رَكِبتُ مع غيرها، فيحدث معنى ويستغني الكلام.

<sup>1</sup> تمام حسن، اللغة العربية معناها و مبناتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2 ، 1979، ص:18.

<sup>2</sup> الأوسي قيس إسماعيل ،أساليب الطلب عند النحوين والبلاغيين-، بيت الحكمة بغداد 1989،ص:15.

<sup>3</sup> المرجع نفسه.ص، ن.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ،ص. ن.

<sup>5</sup> السكاكبي أبو يعقوب ،مفتاح العلوم،تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط2 / 2001 ،ص: 125:

فحين تناولوا الجملة مقسمين إليها إلى "خبرية وإنشائية"، محدّدين غرضَ كلّ قسم وأضريبه، تجلّى للدارس أنّ الجملة الطلبية ليست قسمًا من أقسام الجملة العربية منفصلاً، لأنّ النّحاة لم يذكروا نوعاً للجمل سُمّوه "الجمل الطلبية" لذلك كان موضوعها أقرب إلى درس علماء المعانٍ.

وفي ثنايا الحديث عن "الجملة والكلام" كان الاتفاق حاصلاً على أنّ الكلام ضربان: سواء عند البلاغيين أو النحوين أو حتى عند علماء الأصول، أحدهما: أن يكون خبراً محتملاً الصدق أو الكذب لذاته فيدخل في ذلك كلٌّ خبرٍ ، سواء كان هذا الخبر واجب الصدق كأخبار الله تعالى وأخبار رسleه وأنبيائه، أم كان واجب الكذب كأخبار الملحدين في عقائدهم، وأخبار المتنبئين في دعوى الرسالة والنبوة...<sup>1</sup>، أو هو: "ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به"<sup>2</sup> كقولك "العلم نافع". فقد أثبتت صفة النفع للعلم، لأنّ نفع العلم أمرٌ حاصل في الحقيقة والواقع، والمراد بصدق الخبر أن يطابق الواقع، والمراد بالكذب عدم مطابقته للواقع.....<sup>3</sup>

في وقت حاول المهتمون خاصة من النحوين والبلاغيين رصدَ معلم ظاهرة الإنشاء في الكلام وهو الثاني منه، فسموا له صُوراً نحويةً إجرائيةً تطبيقيةً تبحث في القواعد، وحُللاً بلاغيةً منطقيةً تبحث في المعاني للتركيز على أهمية التعبير بالإنشاء في الكلام العربي من حيث القيمة الأسلوبية وحتى الدلالية منه.

وقبل الحديث عن مادة (الإنشاء) في الدرس النحوي، حُرِّي بنا تتبع مفهوم اللفظة في المعاجم اللغوية فـ(الإنشاء لغة): يتصل بمادة: (ن.ش.أ) ومفاده: الخلق، الابتكار، والابتداء والارتفاع<sup>4</sup>، فنقول: نشأ الشيء نشأناً ونشوءاً ونشأةً: إذا حدث وتجدد، والإنشاء بمعنى الإيجاد والاختراع من عدم، قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ... " الأنعام 98، أي "أوجدكم"، والنشأة بمعنى "الإيجاد والتربية" ،قال تعالى: " وَلَقَدْ عَلِمْنَا النَّسَاءَ الْأُولَى قَوْلًا تَذَكَّرُونَ " السجدة 47 ،ومنه قوله تعالى: " إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءٌ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُزُّبًا أَتْرَابًا .. " الواقعية 35، يعني خلقناهن خلقا بعد الخلق الأول ،ومثل هذا النوع من الكلام موجّه لأصحاب اليمين في الجنة..<sup>5</sup>. ولما

<sup>1</sup> الملاوي، أحمد مصطفى، علوم البلاحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط04، 2007 ص: 43.

<sup>2</sup> - الهاشمي، أحمد، *جوهرة اللالغة في المعانٍ والبيان*، تتح محمد التونجي، مؤسسة المعارف بيروت ط 04 2006 ص: 63.

المرجع نفسه، ص: 63.<sup>3</sup>

<sup>14</sup>-اين منظور ،لسان العرب ،دار صادر بيروت ،مادة نشأ .

<sup>5</sup>- ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ضبطه وخرج آياته محمد عبد الكريم الدمشقي دار صبح بيروت لبنان، ط 04، 2006، ج 4، ص 285.

ب/ أَمَّا في الاصطلاح: فالإنشاء كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، إذ ليس معناه قبل التلفظ به وجود خارجي أو لا يطابقه، وقد سماه (القرزيوني) "إنشاء"، وسماه (السكاكى)" طلبًا" ، و التسميتان تدللان على معنى واحدٍ، ف(السكاكى) يقول: "والطلب - إذا تأملت - نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"<sup>1</sup>، أمّا (الخطيب القرزيوني)" فيقول : "الإنشاء ضربان: طلبٌ و غير طلبٍ والطلب يستدعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"<sup>2</sup>، فهو بذلك يقصد الإنشاء الطلبى ، فمضمون الإنشاء يتوقف على النطق به ، و طريقته تحدّد نوع الطلب، واستدعاء ما هو غير حاصل ومن ثم يُنفّذه المخاطب ...

أمّا (أحمد الهاشمي) فيقول: " وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء هو: "ما لا يحصل مضمونه، ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به. فطلب الفعل في (افعل). وطلب الكف في (لا تفعل). وطلب المحبوب في "التمني" ، وطلب الفهم في "الاستفهام." ، وطلب الإقبال في "النداء". كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغة الملفظ بها".<sup>3</sup> ومن هنا فإنّ تعريف "الجملة الإنسانية": " هي كلّ كلامٌ لا يصحّ أن يُقال لصاحبـه. إنـه صادقـ فيـه أو كاذبـ... أو كلـ كلامٌ لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته": يقول (محمد نخلة): "أمّا الإنشاء فهو ما لا يصحّ أن يُقال لقائلـه: إنـه صادقـ فيـه أو كاذبـ. لأنـ المتكلـم لا يُخبر عن شيءـ، بل يطلب إيجـاد معدـوم".<sup>4</sup>

فالإنشاء قائمٌ على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب، فالكلام الإنساني في مثل هذه الحال مرتبـ بتصوـر المتكلـم ومشـاعره، وإنـ خرج عن أغـراضـ الحقيقةـ أحـيانـاً إلى أغـراضـ مجازـيةـ.. وقد يكونـ في وسـع المخاطـب تنـفيـذ ذـلـكـ. كماـ فيـ قولـهـ تعالىـ مخـاطـباـ موسـىـ وهـارـونـ عـلـيهـمـ السـلامـ: " اذـهـبـاـ إـلـىـ فـرـعـونـ إـلـهـ طـغـىـ. فـقـولـاـ لـهـ قـوـلـاـ لـئـنـاـ لـعـلـهـ يـتـذـكـرـ أـوـ يـخـشـىـ " طـهـ: 44/43ـ، فـتـحـقـقـ مـضـمـونـ هـذـهـ الجـملـةـ مـتـوقـفـ عـلـىـ النـطقـ بـهـاـ. ثـمـ يـتـمـ تنـفيـذـ ماـ تـدـلـ عـلـيـهـ. وقدـ يـكـونـ بـالـوـسـعـ دـلـلـ عـلـيـهـ السـيـاقـ الـقـرـآنـيـ (فيـ خطـابـهـ مـلـوسـيـ وهـارـونـ)ـ فيـ قولـهـ تـعـالـيـ بـعـدـ الـآـتـيـنـ السـابـقـتـيـنـ" قـالـاـ رـبـنـاـ إـنـنـاـ نـخـافـ أـنـ يـفـرـطـ عـلـيـنـاـ أـوـ أـنـ يـطـغـىـ ، قـالـ لـأـ تـخـافـاـ... " طـهـ: 45/46ـ، ثـمـ وـقـعـ الـفـعـلـ الـحـقـيقـيـ بـعـدـ الـطـلـبـ وـالتـوضـيـحـ " قـدـ جـنـتـكـ بـآـيـةـ مـنـ رـبـكـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ مـنـ

<sup>2</sup>-السكاكى أبو يعقوب ،مفتاح العلوم ، ص:414.

<sup>2</sup>-القرزيوني الخطيب ،الإيضاح في علوم البلاغة ،تح ،محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة السنة الحمدية القاهرة ،ص: 13

<sup>3</sup> - الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة ص: 84.

<sup>4</sup>-نخلة أحمد محمود ،علم المعاني ،دار العلوم العربية بيروت ،1990،ص:81.

اتّبع الْهَدَى " ط 47، وعليه فالإنشاء الطلي قسمان: ايجابي:(الأمر، التمني، الاستفهام، النداء...)، وسلبي يشمل:(النهي...).<sup>1</sup>

وهو بهذا المعنى يكون "الإنشاء" قسيم "الخبر"، وهو عندهم على قسمين: إنشاء طلي، وإنشاء غير طلي.<sup>2</sup> ومنه نخلص إلى أنّ الإنشاء عند البلاغيين خاصة هو صُورة الكلام يُنشئه صاحبه ابتداءً، دون أن تكون له نسبة خارجية تُطابقُه أو تُخالِفُه، فيكون كلاماً لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، بخلاف الخبر، مثل قولنا: "هل جاء زيد"، في هذا المثال نرى أنّ الجملة لها معنى ليس له وجودٌ خارجيٌّ، وهو الاستخبار عن المجيء، فيكتفي اللفظ فيها بذاته، وتكون له قيمة الحدث أو الفعل الذي يُنجز به شيءٌ ما، فالمتكلّم قد أنشأ كلاماً يفهم منه أنه يطلب جواباً يتعلق بمدلول اللفظ فيه، (مجيء زيد)، فالكلام إنشاء من نوع الاستفهام لا يتعلق بشيءٍ خارجه.

- عدم احتمال الأسلوب الإنساني للصدق والكذب، إنما هو بالنظر إلى الصيغة الموضوعة له: "كتسبة الكلام للمخاطب بلفظ (قم)، (لا تقم)، فإنما تُوجّدُها صيغة (افعل)، (لا تفعل)" مثلاً.
- مُعظم البلاغيين رَكَزُوا على عبارة "المقصود" في تعريفهم للإنشاء، وذلك لإخراج غير الطلي منه، الذي هو في الأصل إخبار عن طريق القصد إلى معنى الإنشاء، على نحو قول (عبد السلام هارون): "ولأنَّ أكثرَهُ في الأصل أخبارٌ نُقلَت إلى معنى الإنشاء".<sup>3</sup>

وإذا أردنا تتبع مفهوم الطلب وعلاقته بالأساليب الأخرى، وجدناه لا يكاد يخرج عن مفهوم واحد - باتفاق اللغويين - فهو من ناحية اشتراق الكلمة من مادة - طلب -، إذ يذكر(ابن فارس) في معجمه: "الطاء، اللام، الباء" أصل واحد، ويدلّ على ابتعاد الشيء، ويقال: طلبتُ الشيءَ أ طلبه طلباً، وهذا مطلبي، وهذه طلبي، وأطلبتُ فلاناً بما ابتغاه، أي: أسعفتُه به، و لمبا قالوا: أطلبتُه: إذا أحوجتهُ إلى الطلب، وأطلبَ الكلأ:

تباعدَ عن الماء حتى طلبه القومُ، وهو ماءٌ مطلُبٌ...".<sup>4</sup> وجاء في "المصباح المنير": "...وتطلُبُ الشيءَ تبعيَّةً وأطلبتُ زيداً بالآلف: أسعفتُه بما طلَبَ، وأطلبتُه: أحوجتهُ إلى الطلب...".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- حسن جمعة ،جماليات الخبر و الإنشاء ،دراسة جمالية نقدية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2005. ص:102.

<sup>2</sup>- نخلة أحمد محمود، علم المعانى، ص:81.

<sup>3</sup>- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنسانية في النحو العربي ،مكتبة الخانقى مصر ،ط 2. 1979 ،ص:17.

<sup>4</sup>- ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الجليل بيروت ط 1991/01 م 3 ص:417/418.

<sup>5</sup>- الفيومي أحمد بن محمد علي ، المصباح المنير ،تح:يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ط 03/1999 ،ص:194.

وقضية الطلب في النقد العربي - كما أسلفنا - تناولها الكثير من النقاد إضافة إلى النحاة والبلغيين ف(ابن قتيبة) في "أدبه" قسم الكلام أربعة أقسام: "أمر، وخبر، و اختيار، ورغبة" ، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر وال اختيار والرغبة، واحد يدخلها الصدق والكذب، وهو الخبر<sup>1</sup>.

فيبدو من حديث "ابن قتيبة" أنّ القسم الأوّل هو "قسم الطلب" ، وينحصر في الجانب العاطفي لأحاديث الإنسان وطلباته، لأنّ الأمر طلب حصول فعل ما، والاستخبار طلب خبر ما، والرغبة حبّ حصول فعل ما.

في وقت ذكر(ابن فارس) في باب الحديث عن معانِي الكلام، إذ جعلها عشرة: فيقول: "عند أهل العلم عشرة ويقصد معانِي الكلام، خبر واستخبار، وأمر ونفي ودعا وطلب، وعرض وتحضير، وغمٍّ وتعجب.." <sup>2</sup>

وقد تناول البلاغيون الحديث عن "الطلب" ، حين قسموا الكلام جميعاً قسمين، "خبر وإنشاء" ، ومقاييس ذلك هو "الصدق والكذب". فأما الخبر: فهو كلام يتحمل الصدق والكذب لذاته، "نحو العلم نور" ، أما الإنماء: "فكلّ كلامٍ لا يتحمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يُقال لقائله: إنه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به، يُسمى كلاماً إنسانياً"<sup>3</sup>.

وهي القضية ذاتها التي أشار إليها (درويش الجندي) معللاً قول العرب: "لا يتحمل الصدق لذاته" بـ: "لأنّه ليس مدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه، وذلك نحو قول بعض الحكماء لابنه: "يا بني تَعَلَّم حسَنَ الاستماعِ كما تَتَعَلَّمْ حسَنَ الحديث..." ، وأنّت لا تستطيع أن تقول ملن ينادي شخصاً أو يأمُرُه أو ينهاه: "إِنَّكَ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ" ، وذلك لأنّه لا يُعلمُنا بحصول شيء أو عدم حصوله، وليس مدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يمكن أن يقارن به، فإنْ طابقه قيل: إنه صادق، وإنْ خالفه قيل: إنه كاذب. إنّ من ينادي أو يأمر أو ينهي ليس لندائه أو أمره أو نفيه وجود خارجي قبل حصول النداء أو الأمر أو النهي يتحمل الصدق أو الكذب..".<sup>4</sup>

وقد نظر البلاغيون إلى الأساليب الإنسانية، فلم يجدوها على ضرب واحدٍ، فقسموها إلى قسمين: "طلبية وغير طلبية" ، مُعرّفين الإنماء الطلببي بأنّه: "ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، فإن استعمل الإنماء الطلببي مطلوب حاصل وقت الطلب امتنع إجراؤه على المعنى الحقيقي، وكان من الواجب تأويُله بما يناسب المقام كالأمر في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..." النساء 135، وفي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

<sup>1</sup>- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة مصر ، ط/4/1963 ، ص:04.

<sup>2</sup>- ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق مصطفى الشومي ، مؤسسة بدران للطباعة و النشر بيروت 1964/ص:179.

<sup>3</sup>- محمد عبد السلام هارون ، الأساليب الإنسانية في النحو العربي ، ص:13.

<sup>4</sup>- درويش الجندي ، علم المعاني ، مطبعة نخبة مصر ، د، ت، ص:13.

اتّق الله "الأحزاب 01، فالمعنى قائمٌ على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقي في مراتب الكمال فيما"<sup>1</sup> فإذا كان لفظه يدلّ على الطلب صراحة سمي "طلباً محضاً" ومنه: الأمر، النهي، الدعاء... وإن كان طلبه مفهوماً من خلال الكلام يسمى "غير محض"، ومنه الاستفهام، والعرض والتحضيض.<sup>2</sup>...، وأنواع الإنشاء الظلي تسعه أقسام: (أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتحضيض، وتن، وترجم، ونداء).<sup>3</sup>

أما القسم الثاني فهو **الإنشاء غير الظلي**: وهو الذي : "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. أو هو ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب".<sup>4</sup> فالإنشاء غير الظلي كلامٌ لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا لذاته ، ومن أساليبه: صبغ المدح والذم، والتعجب ،وصبغ العقود، والقسم ،والرجاء...،<sup>5</sup> ولا يهتمّ البلاغيون بهذه الأساليب الإنسانية غير الظليلة لقلة الأغراض المتعلقة بها، ولأنّ معظمها أخبار نُقلت من معانيها الأصلية، أمّا الإنشاء الذي يعتنون به : " فهو الظلي لما فيه من تفنّن في القول، بخروجه عن أغراضه الحقيقة إلى أغراضٍ مجازيةٍ تُفهم من سياق الكلام".<sup>6</sup>

ولهذا كلّه أخرج الإنشاء غير الظلي عند القدماء من جملة الإنشاء الظلي، لأنّه لا يستدعي مطلوباً بعد النطق به، (كالشرط ،والقسم ،والتعجب ، والمدح والذم ،وصبغ العقود).، ويمكن أن نلخص ما سبق في جملة نقاط أساسية هي :

- 1 - نظر البلاغيون إلى الإنشاء من خلال التعريف، فوجدوه على ضربين : إنشاء ظلي، وإنشاء غير ظلي.
- 2 - الإنشاء الظلي هو ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب، فتأخر وجودُ معناه عن وجود لفظه (أي التلفظ يسبق الامتثال له )، أمّا الإنشاء غير الظلي فهو ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب وهو بذلك يتحقق وجودُ معناه في الوقت الذي يتمُّ النطقُ به. (يتتحقق مدلوله في وقت التلفظ به).
- 3 - يمتاز الإنشاء الظلي عن غيره بخروجه إلى معانٍ جانبية (مجازية) تُفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال كخروج الاستفهام مثلاً عن معناه الأصلي (الاستخبار والسؤال) ليفيد عدداً من المعاني المختلفة في مقامات متباعدة يقصدها المتكلم : كالإنكار ،الالتماس ،والترير ، وغيرها.....

<sup>1</sup> - محمد عبد السلام هارون ،الأساليب الإنسانية في النحو العربي ،ص:13.

<sup>2</sup> - محمد سعيد اسبر ، بلال الجندي ، الشامل في علوم اللغة ،دار العودة بيروت ،ط2/1975 ،ص: 577/578.

<sup>3</sup> - محمد عبد السلام هارون ،الأساليب الإنسانية في النحو العربي ،ص:13.

<sup>4</sup> - الماشي أحمد ،جواهر البلاغة ،ص:84.-

<sup>5</sup> - عتيق عبد العزيز ،علم المعاني والبيان و البديع ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،1970 ،ص:67/66.

<sup>6</sup> - الماشي أحمد ، جواهر البلاغة ،ص: 75.

4- يهتم البلاغيون بالبحث في القسم الأول (الإنشاء الطليبي) لأنّ فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني (الإنشاء غير الطليبي)، لأنّ الكثير من الإنشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت إلى الإنشاء.  
من أهم الأساليب الإنسانية التي اهتم بها البلاغيون: الأمر، النهي، الاستفهام، ، النداء.

## 2: أنماط الجملة الطلبية:

إذا كان البلاغيون قد اخرجوا الإنشاء غير الطليبي من الإنشاء وأساليبه ،فالأجدر بالباحث أن يقف عند جماليات الأسلوب الإنسائي الطليبي سعيا منه لتحديد أنماط الجملة الطلبية في الدرس اللغوي بدءاً من الاستفهام، ثم النداء، ثم الأمر، فالنهي ...

### 1-2: أسلوب الاستفهام:

جاء في معاجم اللغة العربية كما في "السان": مادة (ف.ه.م) أن الفهم هو : "معرفتك الشيء بالقلب وفهمك فهماً وفهمتُ الشيءَ: عقْلُهُ وعِرْفُهُ، وأفْهَمْتُهُ الْأَمْرَ وفَهَمْتُهُ إِيَاهُ، جَعَلْتُهُ يَفْهُمُهُ، واستفهمه: سَأَلْتُهُ أَنْ يُفْهِمَهُ، وقد استفهمني الشيء فأفْهَمْتُهُ وفَهَمْتُهُ تفهيمًا".<sup>1</sup>

أما اصطلاحا: " فهو طلب ما ليس عند المستخبر"<sup>2</sup> ، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل.  
يُعد أسلوب الاستفهام أحد أساليب الإنشاء الطليبي في الجملة العربية ،سواءً كان لهدفٍ محدّدٍ ومباشر، أم كان لتصوّرٍ إيجائيٍّ جالٍ غير مباشر عند المتكلم، فالاستفهام "قد لا يبحث فيه المتكلم عن إجابة محددة وإنما يهدف إلى تصوّر ما يتحدّث عنه ،فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى" ، ويكون بواسطة أدوات سميت بأدوات الاستفهام، تستعمل في أقسامه...<sup>3</sup>.

و"قد درس أغلب النحاة الاستفهام موزعا على أبواب النحو المختلفة"<sup>4</sup> ، إذ لا مرأة في أنّ أسلوب الاستفهام "أسلوبٌ لغوي - قبل كلّ شيء - وأساسه طلب الفهم، والفهم صورة ذهنية تتعلق بشخصٍ ما، أو بنسبة، أو بحكمٍ من الأحكام على جهة اليقين أو الظن"<sup>5</sup> ،وله قسمان: حقيقيٌ ومجازيٌ.

### 01-القسم الأول: الاستفهام الحقيقي :

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب ،مادة: فهم ..

<sup>2</sup>- ابن فارس ،الصحي في فقه اللغة ،ص: 186.

<sup>3</sup>- حسن جمعة ،جمالية الخبر و الإنشاء ،ص: 136.

<sup>4</sup>- قطبي الظاهر ،بحوث في اللغة (الاستفهام النحوي) د م ج ،بن عكتون،الجزائر، 1994 ، ص:03.

<sup>5</sup>- حسن جمعة ،جمالية الخبر و الإنشاء ،ص: 136.

هو طلب العلم بالشيء اسمًا أو حقيقةً أو صفةً أو عدداً لم يكن معلوماً من قبل، أو هو الاستخبار الذي قيل فيه: "طلب خبر ما ليس عند المتكلم، أو هو ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم، فطلب فهمه من المخاطب فإذا سُئل عنه ثانياً كان استفهاماً"<sup>1</sup>، أي أنَّ المتكلم يطلب من المخاطب أنْ يحصل لديه فهمٌ دقيقٌ عن أمرٍ لم يكن حاصلاً قبل سؤاله عنه".<sup>2</sup>

ولم يكن الاستفهام ليُحيط بالدرس الموحد عند اللغويين إلاً من خلال الحديث عن أدوات الاستفهام، فلا يكاد يخلو مؤلف نحويٍّ من جمعٍ لأدوات الاستفهام في باب واحد، يضمُّها جميعاً..<sup>3</sup>، باعتبارها الدالة على المعنى في الجملة، ظاهرةً كانت أو مقدرةً.

**أ- أدوات الاستفهام:** أدوات الاستفهام هي أدواتٌ تلخص معنى الاستفهام الذي تدخل من أجله على الجملة، بدليل أنَّ الجملة الاستفهامية قد تُحذف، وتبقى الأداة دالةً عليها، كقولنا: "عم، لم، متى...." مُكتفين بذكر الأداة عن إعادة الكلام، و"لا تستغني جملة الاستفهام في العربية عن الأداة إلاً أن تُحذف الأداة وتدلّ عليها قرينة، بخلاف لغاتٍ أخرى..."<sup>4</sup>، والأدوات في الاستفهام قسمان:

**\*\* أدوات الاستفهام عن النسبة:** هما "الهمزة" و"هل"، شرط أن تكون الجملة معهما في نظامهما المألوف دون تقديم أو تأخير لأحد أجزاءها<sup>5</sup>، وهما "حرفان"، أما بقية الأدوات فهي "أسماء وظروف": "من، ما كم، أين، متى، وأي، وكيف، وأيان..." ومنه قوله تعالى: "أَيَّانَ يَوْمُ الْدِينِ" الذاريات (12)، وقوله: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِلْحَسَانُ" الرحمن 60 ، و"تخرج أدوات الاستفهام عن أصل وضعها، فيستفهمُ بها عن الشيء مع العلم به، لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الحديث، وبوجود قرائن تصرفها عن إرادة الاستفهام الحقيقي، ومن هذه الأغراض: "التعجب، والنفي، والوعيد، والاستبطاء، وغيرها..."، والأدوات فيها ما يختص بـ"الأسماء"، ومنها ما يختص بـ"الأفعال"، ومنها ما يدخل على "الأسماء والأفعال" وهي كثيرة في العربية، تُصنّف إلى مجموعات، كلّ مجموعة تشتراك في دلالةٍ عامَّةٍ، وتدلّ على معنى خاصٍ، من هذه المجموعات قسمٌ تجمع بين أدواته دلالة الاستفهام....<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ،ص: 181 .

<sup>2</sup>- حسن جمعة ،جمالية الخبر و الإنشاء ص:136.

<sup>3</sup>- قطبي الطاهر ،بحوث في اللغة ،ص:03.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ،ص:06.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه ،ص:07.

<sup>6</sup>- المرجع السابق ،ص:08.

## ب- حروف الاستفهام:

\*\*الهمزة: همزة الاستفهام حرفٌ من حروف المعاني، تدخل على الأسماء والأفعال وهي أمُّ بابِ الاستفهام ولها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام، يُستفهم بها عن النسبة، مثل "هل" (التصديق)، كما يُستفهم بها عن المفرد (التصور)<sup>1</sup>، وقد خُصّت الهمزة بأمورٍ وخصائص لم تُعرف بها بقية الأدوات وهي:

- تحذف، سواء تقدمت على "أم" أو لم تقدمها، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا \* \* بِسَبْعِ رَمِينَ الْحَجَرَ أَمْ بِشَمَانِ؟

أراد الشاعر: أسبع؟، ولم يتقدم "أم" في قول الكميـت الأـسيـدـي ..... .

طَرِيْتُ وَمَا شَوَّقًا إِلَى الْبِيْضِ أَطْرَبُ \* \* لَا لَعِبًا مِنِي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

ويقصد: أو ذو الشيب يلعب؟، استفهام على الإنكار الابطالي ، أي: "لا يلعب ذو الشيب" ، و تدخل الهمزة على الإثبات كما تدخل على النفي، نحو قوله تعالى: " أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدَرَكَ " الشرح 1.

- من خصائص الهمزة أنّ لها الصدارة أبداً، وذلك بتقدّمها على حروف العطف والاستئناف، نحو: " أَفَلَا تَعْقِلُونَ "؟ البقرة 44، " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ الرُّوم 09، ونحو: " أَنْتَ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنَثُ بِهِ "يونس 05، "إذ كان في الأصل تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنّها من الجملة المعطوفة، لكن راعوا الصدارة في الهمزة لأصالتها في استحقاق التصديق.

- تكون الهمزة للتصديق وللتّصور، بينما "هل" للتصديق فقط، وبقية الأدوات للتّصور، ومن الشواهد على ذلك قول عديّ بن زيد :

أَيَّهَا الشَّامِتُ الْمُغَيْرُ بِالدَّهْرِ \* \* \* أَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ؟

و "التصديق": هو طلب السؤال عن شيء حدث وقوعه أم لا، فتكون الإجابة "نعم" للإثبات، و "لا" للنفي نحو: (أنجح زيد)؟، وقوله تعالى: "أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء 62. فالتصديق إدراك نسبة الفعل بدقة، لأنّ المتكلّم مُتردّد بين إثبات الشيء ونفيه. أمّا "التصور" هو إدراك المفرد، والاستفسار عن حدوث فعل ما، ويتبّلو همزة التّصور المسؤول عنه، وتقتربن بـ: "أم" المعادلة (المتعلقة). وتكون الإجابة عن ذلك بتحديد الفعل، ومن قام به على وجه الدقة، لأنّ الحدث قد وقع، لكنه لا يعرف كيفيته، نحو قولنا: (أزيد قائم أم عمرو)، وقول الشاعر:

حُلْمٌ عَلَى جَنَبَاتِ الشَّامِ أَمْ عِيدُ \* \* لَا هُمْ هُمْ وَلَا التَّسْهِيدُ تَسْهِيدُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - قطبي الطاهر.بحوث في اللغة ص: 08

\*\* هل: و" هو حرف وضع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلي ، كما تختص بالاستقبال غالبا، لا تدخل على الشرط، ولا على "إن" ولا على "اسم بعده فعل الاختيار" ، وتقع بعد العاطف لا قبله ، وبعد "أم" كقوله تعالى: " هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلْمَاتُ وَالنُّورُ " الرعد 16، وقد يُراد بها النفي، فتدخل على الخبر "هَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " الرحمن 60، وتأتي معنى قد: " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ " الإنسان 01.<sup>2</sup>

وما تقدم كله يدخل في الاستفهام المجازي لـ: "هل" ، ولا يحتاج إلى إجابة، بينما الاستفهام الحقيقي الذي وضع للتصديق يحتاج إلى إجابة، وفيه تسمى "هل" (بسقطة)، لأنّه يستفهم بها عن وجود شيء في نفسه والجواب يكون "نعم" للإثبات، و"لا" للنفي. وبذلك لا يجوز أن يستعمل معها أم "المعادلة" ، وإذا استعملت تكون معنى "بل" ، كقولنا: "هل نجح زيد أم عمرو؟" ، فالسؤال عن عمرو لا عن زيد، فكان السؤال: "بل نجح عمرو" ، قال تعالى: " أَمْ لَهُ الْبَنَاثُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ " الطور 39، أي: بل "أله البنات" ...<sup>3</sup>.

#### ج- أسماء الاستفهام:

أسماء الاستفهام إما "مبنيّة أو مُعرِبة" ، وتستعمل "للتصوّر فقط" ، ويحدد فعل التصور ويوضّح بالإجابة حين يُعَيّن المسئول عنه، و "المبنيّة سبعة أسماء" ، و "المعرِبة اسم واحد" ، وهي:

\*\* من: اسم يستعمل للعامل غالبا، ويستفسر به عن الجنس (العقل)، كقوله تعالى: " مَنْ يُحِبِّي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " يس 78، وقولنا: من سافر اليوم؟، ومن فتح إفريقيا؟ ، وقول حافظ إبراهيم:

من المداوي إذا ما علّة عرّضت؟ \* \* من المدافع عن عرضٍ وعن نشب؟

وقد توصل "من" بـ "إذا" وعندتها تعامل ككتلة واحدة، أما اعتبار "من" استفهامية و"ذا" موصولة أو زائدة فقد اختلف اللغويون في ذلك، فمنهم من رأى زيادتها ، ومنهم من رأى: "إثنا موصولة" .

\*\* ما: تستعمل لغير العاقل، ويطلب بها السؤال عن معرفة حقيقة الشيء المستفهم عنه أو شرحه، فمن معرفة الحقيقة قولنا: "ما العسجد؟" ، ومن معرفة شرح حاله أو صفتة، قوله تعالى: " قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْنَهَا ... ما هي؟" البقرة 68/69.<sup>4</sup> ، ويجب حذف "ألف ما" الاستفهامية إذا جررت، وتبقى الفتحة دليلاً عليها

<sup>1</sup>- حسن جمعة.، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 137 - 138

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 139.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص: 139.

<sup>4</sup>- حسن جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 140.

وذلك نحو: "إلام؟؟، "فيم؟؟، "بم؟؟، حيث يقول (سيبويه): "وأماماً قوله: علامه، فيه، وليمه وله ، فالهاء في هذه الحروف أجود عند التوقف، لأنك حذفت الألف من "ما" ، فصار آخره كآخر: أرمـة أعزـه...".<sup>1</sup>

\*\*كم: يأتي هذا الاسم للاستفهام وغيره، فهو عند (ابن هشام) على وجهين، "استفهامية بمعنى أي عدد؟ وخبرية بمعنى كثير...".<sup>2</sup>، ووجه الخلاف بينهما أن:

- الخبرية: تحتمل التصديق والتکذیب، وذلك بخلاف الاستفهامية.

- لا يقتضي المتكلم في "الخبرية" جوابا، أمّا المتكلّم بـ"الاستفهامية" فيقتضي جوابا، لأنّها قائمة على الحوار بين السامع والمتكلّم.

- تمييز "كم" الخبرية مفرد، أو مجموع، نحو: "كم قلـم اشتريـت" ، وكقول "كم أقـلام اشتريـت" ، ولا يكون تمييز "الاستفهامية" إلا مفردا، وهي من أهم نقاط الفرق بين الخبرية والاستفهامية.

- تمييز "الخبرية" واجب الحفظ (الحر)، وتمييز "الاستفهامية" منصوب.<sup>3</sup>

\*\*كيف: اسم استفهام يستعمل للسؤال عن الحال، سواء وقع اسمـا صريحا يُخـبر به ، كقولنا: "كيف أنت؟؟، و"كيف كنت؟؟، أو وقع فعلة كقولنا: "كيف جاء زيد؟؟، ومنه قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ يَشْهِدُ" النساء 41، وقول الفرزدق:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِالْمَلْدِينَ حَاجَةً \* \* \* وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يَلْتَقِيَانَ؟

- قد تستعمل "كيف" في معنى الشرط، أو في أسلوب الشرط، فتقتضى فعلين مُتّفقيـي اللـفـظـ والـمعـنـ ، غير

مجزومين نحو: "كيف تصنع أصنـع" ، ولا يجوز: "كيف تخلـسـ أذهبـ".<sup>4</sup>

- وقد تقع "خبرـا" قبل ما لا يُستـغـيـ: نحو: "كيف أنت" ، "وكيف كنت" ، "كيف ظـنـتـ زـيـداـ" . و"كيف أعلـمـتـ فـرسـكـ" لأنـ ثـانـي مـفـعـولـيـ ظـنـ ، وـثـالـثـ مـفـعـولـانـ "أعلـمـ" خـيرـانـ "فيـ الأـصـلـ" ، وـ"حـالـاـ" قـبـلـ ما يـسـتـغـنـيـ نحو: "كيف جاء زـيـدـ؟؟ أيـ" علىـ أيـ حالـ جاءـ زـيـدـ؟؟"

\*\*أين: تـعـدـ إـحدـى ظـرـوفـ الاستـفـهـامـ ، وـالـتيـ يـسـأـلـ بـهاـ عـنـ مـكـانـ الـحـدـثـ ، نحوـ قولـهـ تعـالـىـ: "يـقـوـلـ الـإـنـسـانـ يـوـمـئـذـ أـيـنـ الـمـقـرـ؟؟" الـقـيـامـةـ 10ـ، وـفـيـهاـ يـقـولـ (سيـبوـيهـ): "أـيـنـ يـسـتـفـهـمـ بـهاـ عـنـ الـمـكـانـ" ، وـهـوـ القـوـلـ الـذـيـ أـثـبـتهـ

<sup>1</sup> - سيبويه أبو بشر ، الكتاب ، تـحـ؛ محمد عبد السلام هارون ، دار الجـيلـ بيـرـوتـ ، طـ1ـ 1988ـ، جـ4ـ، صـ:164ـ

2 - ابن هشام:معني الليبـ ، تـحـ: محمد محـيـ الدينـ عبدـ الحـمـيدـ، دارـ المـكتـبةـ العـصـرـيـةـ ، صـيدـاـ ، 2007ـ جـ1ـ صـ:207ـ

<sup>3</sup> - المرجـعـ نفسهـ ، صـ:209ـ/208ـ.

<sup>4</sup> - المرجـعـ السـابـقـ ، صـ:230ـ.

(أبو القاسم الزجاجي) حيث قال: " تكون استفهاما، كقولك: "أين أحوالك" ، "أين زيد" ،<sup>2</sup> وتكون بمنزلة "حيث" كقولك: "أين أنزل" ؟ "أين أبيت".<sup>3</sup>

أَنِّي: ظرف يُسأَل به عن المكان أيضاً، وكما ذكر (الزجاجي) أنَّه يجوز "أن يستفهم بها عن المكان والحال، فتأتي بمعنى "كيف وأين" ، وقد يُجازى بها ويكون بمعنى "من أين"<sup>4</sup> ومنه قوله تعالى: "يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكِ هَذَا" آل عمران 37، قولنا: أَنِّي تذهب؟ بمعنى "متى" ، ومنه "أَنَّى يُحِبِّي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا" البقرة 259 بمعنى "كيف".

مَتَى: المشهور فيها أنها ظرف استفهام وشرط، والاستفهام فيها لتعيين الزمن ماضياً أو مستقبلاً كقولنا: "متى سافر أَحْمَدٌ؟" ؟ "متى يعود؟" ، وقال حافظ إبراهيم:

**مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَ خَرَائِثُهُ \* \* كَنْزًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَنْزًا مِنَ الدَّهْبِ؟**

ومن جهة أخرى ترد "متى" وتستعمل للشرط ، كما في البيت الذي أورده (ابن هشام) في قول الشاعر :<sup>5</sup>

**أَنَا ابْنُ جَلَّ وَ طَلَّاعَ الشَّتَّايَا \*\*\*\* مَتَى أَضَعُ الْعَمَامَةَ تَعْرِقُونِي**

أَيَّانٌ: ظرف بمعنى "الحين" ، يطلب به تعيين زمان المستقبل فقط، كقولنا: "أَيَّانٌ تسافر"؟ أي : في أي وقت؟ ، وذكر (سيبويه) في "كتابه" أنَّ: "أَيَّانٌ ، ومتى" ، يستفهم بما عن زمان المستقبل ، ويبقى الفرق بينهما أنَّ "متى" يستفهم بما عن الماضي والمستقبل ، و"أَيَّانٌ" يستفهم بما عن المستقبل فقط، فقال: ".. أَيَّانٌ كِـ مَتَى".<sup>6</sup>

أما القسم الثاني من أسماء الاستفهام فهي الأسماء المعرية وهي اسم واحد، هو: "أَيٌّ" يستعمل "بالتشديد" نحو قوله تعالى: "أَيُّكُمْ رَّادَنَهُ هَذِهِ إِيمَانًا" التوبة 124 ، وقد تُستعمل مخففةً كقول الفرزدق:

**تَنَظَّرْتُ نَصْرًا وَالسُّمَاءَكِينَ أَيُّهُمَا \* \* عَلَيَّ مِنَ الغَيْثِ اسْتَهَلَتْ مَوَاطِرُهُ.**

وقد تُسبق بحرف جِـ ، كما في قوله تعالى: "فَبِإِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" الرحمان 13 ، هذا من جهة "بنية الكلمة" ، وفي الاستعمال يستعمل بمعنى "أسماء الاستفهام المبنية" كلها تبعاً لإضافتها إلى ما بعدها ، فالإضافة

<sup>1</sup> - سيبويه، الكتاب ، ج 1، ص: 220.

<sup>2</sup> - الزجاجي أبو القاسم، حروف المعاني ، تحقيق: علي الحمد. مؤسسة الرسالة 1984 ، ص: 34

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص: 61-

<sup>5</sup> - ابن هشام ، معنى الليب ، ص: 366.

<sup>6</sup> - سيبويه ، الكتاب ، ج 04 ، ص: 232.

<sup>7</sup> - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنماء ، ص: 142.

توضّح في أيّ من معانٍ الاستفهام تُستعمل، كقولنا: "أيُّ الطّلاب عندك؟"؟ كأننا نسأل: "من من الطّلاب عندك؟"، وقولنا: "أيَّ يوم تسافر؟"، فكأننا نسأل: "متى تسافر؟"، قوله تعالى: "إِنَّمَا يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا" النّمل 38، أي: "منْ منكُمْ؟" ، فـ"أيَّ" الاستفهامية، تضاف إلى المعرفة، وإلى النّكرة، وقد تقطع عن الإضافة نحو: أي جاء؟ أيًا أكرمت؟.<sup>1</sup>

## 2 - القسم الثاني: الاستفهام المجازي:

مع أنّ الاستفهام في الأصل طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، "فقد يخرج الاستفهام إلى غير ما وضع له، ويكون ذلك من خلال الأداة التي تتصدره، حين تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز، وتفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال، ليؤدي الاستفهام ظاهرة جمالية وبلاعية، لا تعرف في الأسلوب الحقيقى الذي يسأل به المتكلّم عن شيء معروف ومشهور، أو عن معنى يفهم من السياق، ويتوجه فيه المتكلّم إلى نفسه قبل أن يتوجه به إلى الآخرين".<sup>2</sup> ومن هذه المعانٍ: "النفي، التعجب للتقرير، التوبيخ، التعظيم، التحقير". وهذه المعانٍ كثيرة ومطروحة بشكل أوسع في كتب البلاغة. يحاول الباحث تطبيقها في الجزء التطبيقي من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### 2/ أسلوب النداء:

1- النداء في أصل اللغة: "الصوت"، وهو المشتق من الندى، وهو: بعد الصوت ، والنّداء، النّداء: الصوت، وقد ناداه ونادى به، وناداه مُناداه ونِدَاءً: أي صاح به. والنّداء ممدود: الدعاء، بأرفع الأصوات وَنَنَادُوا: أي نَادَوْا بعضُهُمْ بعضاً، ورجل نَدَى الصوت: أي بعيدة<sup>3</sup> ، والنّداء بكسر النون أفعى، قال تعالى: "وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثُلُ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً .....". البقرة 171 ،

أما اصطلاحاً فهو: طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص.<sup>4</sup> ، أو" هو طلب الإقبال بحرف نائب مَنَابَ "أدعوه" ملفوظٍ به أو مُقدّرٍ، والمراد بـ"الإقبال" ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي، المقصود به الإجابة كما

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ص: 142

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص : 143.

<sup>3</sup>- ابن منظور.لسان العرب.مادة ندى

<sup>4</sup>- الزركشي برهان الدين ، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة ، بيروت ، ط.2. 1972/2 ج 2 ، ص : 133-

في نحو: "يَا اللَّهُ" <sup>1</sup> ، وبحده عند (سيبويه) الذي يقول عنه: "اعْلَمْ أَنَّ النِّدَاءَ كُلُّ اسْمٍ مضافٌ فِيهِ فَهُوَ نَصْبٌ عَلَى إِضْمَارِ الْفَعْلِ الْمُتَرَوِّكِ إِظْهَارِهِ، وَالْمَفْرَدِ رُفْعٌ" وهو في موضع اسم منصوب...<sup>2</sup>.

وفي اصطلاح **البلاغيين**: "هو طلب الإقبال حساً أو معنى بحرف نائب مناب أدعوا" أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي، بأحد حروف مخصوصة تقوم مقام فعل النداء<sup>3</sup>.

ومنه نخلص إلى أنّ تعاريف النداء بين النحوين والبالغين كانت تابعة لمنظاراً لهم النظرية، من نظرةٍ وظيفيةٍ إلى نظرةٍ إعرابيةٍ، فُعرف النداء انطلاقاً من موقعه الإعرابي كما هو عند (سيبويه)، إلا أنّ التّعاريف جميعها متفقة على معنى الدّعوة، والطلب، والإقبال والاستحضار، مع إشارة هذه التّعاريف إلى حذف الفعل وإنابة حرف النداء.

أدواء النداء:

كما كان الاتفاق حاصلاً بين البلاغيين في تعريف النداء، اتفقوا أيضاً على أدواته، وكيفية استعمالها في الخطاب الندائي، وهي عندهم ثمانٍ أوات: (أ، أي، آ، يا، هيـا، أيـا، وا، آيـ)، فتوزيع الصوت الكافي في هذه الأدوات صالح في طبعه لتقسيمها إلى قسمين: نداء القريب: وخصّصوه بـ"المهمزة وأي" (أ، أي)، وباقـيـ

الأدوات لنداء البعيد، وقد أشار (سيسيويه) إلى استعمال حروف النداء للقريب مرة، وللبعيدمرة أخرى.<sup>4</sup>

**\*الهمزة**: حرف نداء يستعمل لنداء القريب المصغي إليك، الذي لا يحتاج إلى مد الصوت في ندائه كما في قول أمي القبس:

\* \* \* وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجللي.

\*يا: وهي أصل النداء، وأهم أدواته، وأكثرها استخداماً، وهذا يعني أنها تستعمل لنداء القريب والبعيد وفي الاستغاثة والنديمة لامتداد الصوت ورفعه بـ<sup>5</sup>. وذهب طائفة من النحاة إلى أن الأصل في الأداة "يا" أن

<sup>1</sup> - الصبان محمد بن علي ، حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية بن مالك ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ج 3 ص: 133.

- سیبویه، الكتاب، ج2، ص: 182

<sup>3</sup>- حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 181

<sup>4</sup> - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 181

<sup>5</sup> -حسن جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء ص: 181:

تُستعمل في نداء البعيد حقيقة أو حكماً، وأن استعمالها في نداء القريب الفطن إنما هو من المجاز الذي يراد به التأكيد، وهي أكثر أدوات النداء استعمالاً في القرآن الكريم.<sup>1</sup>

ويقول (ابن عييش) في سبب استعمالها لنداء "البعيد والقريب"، لأنّها تنتهي بالألف الذي يساعد على تنبيه المدّ في الصوت، فيقول: "... وإنما كان ذلك من قبل أن البعيد والمتراخي والنائم والمستقل والساهي يقتصر في دعائهم إلى رفع الصوت ، وهذه الأحرف الثلاثة التي هي: (يا)، (أيا)، (هيا)، وأخرهن ألفات، والألف ملزمة للمدّ، فاستعملت في دعائهم لإمكان امتداد الصوت و رفعه بها.<sup>2</sup> وقد ينادي بها القريب توكيداً كما في قول أمرئ القيس:

**تَقُولُ وَقْدٌ مَالَ الغَيْطُ بِنَا مَعًا \* \* عَقْرُتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَى الْقَيْسِ فَانْزِلْ.**

\*\* أيا و هيا : حرفان للنداء، يستعملان للمنادى البعيد، مسافة أو حكماً ، وقد أجمع النحاة على أنّهما موضوعتان لمدّ الصوت في نداء البعيد، وإذا أريد نداء المخاطب الأبعد استعمل له (هيا)، وللأبعد منه يُستعمل الأداة "أيا" ، والسبب في هذا "أن الاهتزاز الصوتي في (الباء مع يا). أقل منه مع (الهمزة مع يا).<sup>3</sup>

\*\* الهمزة آ: حرف لنداء البعيد، وهو مسموع، لم يذكره (سيبويه) وإنما ذكره غيره من النحاة.<sup>4</sup>

\*\* أي: بالفتح والسكون، ذهب (سيبويه) إلى أنّها لنداء البعيد والقريب، وقال (ابن هشام) أنها حروف

لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط. على خلاف في ذلك ، قال الشاعر:<sup>5</sup>

**أَلْمَ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدَ في رَوْقَ الصُّحَى \* \* بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ.**

وقد تكون حرف تفسير "عندني عسجد أي: ذهب" ، "غضنفر أي: أسد".<sup>6</sup>

\*\* وا: أداة تستعمل في النسبة ، ولا تستعمل في غيرها لمن تُدب، وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه، نحو "وابلده" و "وا رأساه" ، وفيها يقول (سيبويه): "والنسبة يلزمها (يا) و (وا) لأنّهم يخلطون ويدعون ما قد فات وبعده عنهم، مع ذلك أنّ النسبة كأنّهم يتربّثون فيها، فمن ثمّ ألمزوهما المد، وألحقو آخر الاسم المدّ مبالغة في

<sup>1</sup> - الزمخشري جار الله أبو القاسم ، الكشاف في حفائق التنزيل ، مطبعة البولاق ، مصر 1281هـ ، ج 1، ص 224:

<sup>2</sup> - ابن عييش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت.د، ط ، ج 8/ص: 118

<sup>3</sup> - حسن جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 185

<sup>4</sup> - ابن هشام ، معنى الليب ، ص: 27

<sup>5</sup> - المرجع السابق ، ص: 90.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه ، ص: 90.

الترنّم<sup>1</sup>. وقد لا يكتفون بما فيها من مَدِّ، فتلحق الألف آخر الاسم المتدوب زيادة في المدّ، وقد جمعها (ابن مالك)<sup>2</sup> في قوله:

وللمنادى الناء أو كالتاء "يا" \* \* \* وأي و أ ، كذا "أيا ثم هيا".  
و "المهزة" للداني و "وا" لمن ندب \* \* \* أو "يا" وغير "وا" لدى اللبس اجتب.

ومن الجدير ذكره أن أدوات النداء قد تُحذف في حالات وينبع حذفها أحياناً<sup>3</sup> . وقد يخرج النداء إلى معاني أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني: "التحسر، التوجع، الاختصاص، الندية الزجر ... وغيرها من المعاني التي نصّ على بيانها البلاغيون..

**3- أحكام المنادى:** معلوم أن المنادى هو المطلوب إقباله ، سواء أكان بعيداً أم قريباً، والمنادى في العربية ليس واحداً، وإنما يأتي على أشكال هي:

أ- **المنادى المفرد:** وهو إما أن يكون "معرفة" (علماً أو مُعرضاً بـ"الـ")، أو "نكرة مقصودة" أو "نكرة غير مقصودة".

\* **المنادى المفرد العلم:** والمقصود به ألا يكون "مضافاً" ولا "شيئها بال مضاف" ، فإن كان "مفرداً معرفة" بُني على ما يُرْفَع به، كما في قوله تعالى: "يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" مريم 27. مبنية على الضم في محل نصب على النداء، وفي ذلك يقول (ابن مالك):

وابن "المُعْرَفَ" المنادى "المفرد" \* \* \* على الذي في رفعه قد عُهداً.<sup>4</sup>

\* **المنادى النكرة المقصودة:** ويقصد بالنكرة المقصودة أن نقصد إنساناً أو شيئاً معيناً في النداء، وتناديه بصيغة النكرة، كأن ينادي أحده على رجل: يا "رجلٌ أقبل" ، فُبني النكرة المقصودة على الضم كـ"العلم المفرد" لأنّها معرفة بالمعنى، ونكرة في اللفظ.

<sup>1</sup> - سيبويه، الكتاب، ج 2 / ص: 231

<sup>2</sup> - ابن مالك محمد بن عبد الله الأندلسبي ،ألفية بن مالك ،المكتبة الشعبية بيروت ،2011 ص:38.

<sup>3</sup> - ابن عقيل بهاء الدين. شرح بن عقيل على ألفية بن مالك. دار إحياء التراث القاهرة ط 02. 1980 ج 2، ص: 255

<sup>4</sup> - ابن مالك ، ألفية بن مالك ،ص:39.

\* **المنادى الكرة غير المقصودة:** هو اسم نكرة غير معين، كقولنا: "يا غافلاً الموت يطلبك"، و"يا سارقاً والله يراقبك"، فلا يعني إنساناً بعينه، بل أنّ الكلام عامٌ لا يقصد به شخصٌ معينٌ، حتى وإنْ كان وقع خلاف بين النحوين لأنَّ "نداء غير المعين غير جائز"، أمّا (ابن مالك) فأقرَّ بوجوب نصبه في قوله:

1 \* والمفرد المنكور. والمضافاً \* \* انصب ، عادماً خلافاً.

**ب - المنادى المضاف:** فيه يكون المنادى مضافاً، سواء الإضافة "محضة" كقولنا: يا "أمير المؤمنين"، أو إضافة "غير محضة" كإضافة الصفة لمعمولها كقولنا: "يا حسن الوجه"، وفيه يكون المنادى واجب النصب....<sup>2</sup>.

**ج - المنادى الشبيه بالمضاف:** والمراد به: "كل منادي جاء بعده معمول يُتَّسِّمُ معناه، سواء كان هذا المعمول مرفوعاً بالمنادى": (يا كريماً خلقه)، أو "منصوباً به" نحو (يا طالعاً الجبل)، والحكم: هو وجوب النصب بالفتحة لأنَّ المنادى في باب المضاف".<sup>3</sup>

يتضح لنا مما سبق أنَّ النداء الحقيقي (القريب أو البعيد) إنما هو طلب إقبال المحاطب لما وضعت له أدوات النداء على وجهها الأصلي، ... لكنها قد تخرج عن ذلك كله فینادی بها القريب أو المتوسط أو البعيد الأبعد لأميرٍ بلاغيٍّ مجازيٍّ ، وبهذا لا يتوقف أسلوب النداء عند الحدود التعريفية التي اشتمل عليها من قبل، فهناك توظيف متنوع يحول التركيب اللغوي النحوي والدلالي عن بنائه المباشرة تحويلات إيحائية تُستوحى من السياق والقرائن الدالة عليه، ومن معانيها: "الإغراء الاستغاثة"، "الندبة"، "التعجب الاختصاص"، "والتحسر" ...<sup>4</sup>

**3/2 - أسلوب الأمر:** إنَّ معنى الأمر في اللغة معروف، و"هو نقىض النهي، لأنَّ الأمر طلب لإيقاع الفعل، والنهي طلب ترك إيقاعه"<sup>5</sup>، وجاء في (السان العربي): إنَّ الأمر في اللغة هو نقىض النهي، و"الأمر" لغة مفرد لكلمة الأمور، يقال: أمرٌ فلانٌ مُستقيمٌ، والأمور مستقيمة، والأمر: الحادثة.<sup>6</sup>

أمّا التعريف الاصطلاحي عند النحوين: فهو طلب إيجاد الفعل، أو قول القائل لمن دونه: (افعل)<sup>7</sup>، بينما عرّفه (السكاكبي): "بأنَّه طلب فعلٍ على وجه الاستعلاء والإلزام"<sup>1</sup>، و"هو لازم الاستقبال، لأنَّه يطلب به ما لم

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص،ن.

<sup>2</sup> - عباس حسن. النحو الوافي، دار المعرفة، مصر ، ط 3، د، ت ، ج 4، ص: 31

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ج 4، ص: 32/

<sup>4</sup> - حسن جمعة ،جمالية الخبر و الإنماء، ص: 191

<sup>5</sup> - الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحوين و البلاغيين ،ص: 82

<sup>6</sup> - ابن منظور، لسان العرب ،مادة:أمر .

<sup>7</sup> - الأوسي قيس إسماعيل.أساليب الطلب عند النحوين و البلاغيين،ص: 82-

يكن حاصلا ، ويراد حصوله<sup>2</sup> ، أمّا "البلغيون" فقد وضعوا حدًا للأمر بآنه: "صيغة تستدعي أو قول يُنْبِي عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا: "صيغة تستدعي" أو "قول يُنْبِي" ، ولم نقل: "افعل" و "التفعل" كما يقول المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل نحو قولنا: (نزل)، (صه)، فإنّهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة افعل....".<sup>3</sup>

و(سيويه) في "كتابه" قد أفرد بابا خاصا للأمر والنهي بعنوان: "باب الأمر والنهي" أحاط فيه بأدق الأمور المتعلقة بأسلوب الأمر، موضحا أنّ الأمر سياق فعلي لا يكون إلا بفعل، ذاكرا صيغة المختلفة وتراتيبه المتنوعة، مُستقرئاً الشواهد من القرآن الكريم ، وفصح كلام العرب ، متحدثا عن خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى.<sup>4</sup>

## 2- صيغ الأمر:

لأسلوب الأمر صيغ تؤدي معناه ، وتفضي إليه، سواء كانت تلك الصيغ حقيقة أم مجازية، وهي: الأمر بصيغة (افعل)، الأمر بصيغة (ليفعل)، الأمر بصيغة (أسماء الأفعال)، الأمر بصيغة (المصدر النائب عن فعل).

**أ-الأمر بصيغة (افعل):** يُسمّى النّحّاة صيغة (افعل) فعل الأمر ، وعلامته التي يُعرف بها عندهم مركبة من مجموع أشياء ، وهي: دلالته على الطلب ، وقبوله ياء المخاطبة ، ونون التوكيد.<sup>5</sup>

والمراد بصيغة (افعل) : "هو كل لفظ يشتق على غرار "افعل" للدلالة على طلب الحدث الذي تشتق منه هذه الصيغة، فيشمل غير الثلاثي مثل الكلمة "استقم" فإنها على وزن (استفل) ، ومنه الكلمة (انتظر) فإنها مصوّغة على غرار (افعل)، ولكنها على وزن (افتعل) ، ومثل الكلمة (أقم) فإنها ليست على وزن (افعل)، ولكنها على غرارها في الاشتغال" ، ومنه قوله تعالى: "يَا يَحْيَى حُذِّ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ" مريم 12 ، وقوله: "فَحُذِّهَا بِقُوَّةٍ" ، "وَامْرُ قَوْمٍ يُلْخُدُوا بِأَحْسَنِهَا" الأعراف 145 ، وقوله: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنُوْا الرَّزْكَةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" البقرة 43 ، وقوله: "يَا مَرْيَمُ افْتَنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" آل عمران 43 ، وكذا منه قول "مروان بن الحكم" مخاطبا "الفرزدق" :

"وَدَعَ الْمَدِينَةَ إِنَّهَا مَرْهُوبَةٌ" \* \* \* وَ"اعْمَدَ" مَكَةَ أَوْ لَبِيَتِ الْمَقْدِسِ.

<sup>1</sup>- السكاكي ، مفتاح العلوم. ص: 318

<sup>2</sup> السيوطى جلال الدين ، مع الهوامع ، تحر: عبد العالى سالم و عبد السلام هارون. دار البحوث العلمية الكويت 1 / ص: 16

<sup>3</sup>- الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحوين و البلاغيين ، .ص: 83

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ، ص: 84/83

<sup>5</sup>- الأوسي قيس إسماعيل.أساليب الطلب عند النحوين و البلاغيين ص: 113

"الـقـ" الصحيفة يا فرزدق إـنـها \* \* نـكـراـء مثل صحـيفـة المـلـتـمـس .

ب- المضارع المقوـون بـلامـ الأمر: هذه اللام تستعمل في أمر الغائب، ولاـمـ الأمر يطلب بها الفعل المضارع الدالة عليه، فـتـدـخـلـ على الفعل لـتـؤـذـنـ أـنـهـ مـطـلـوبـ للمـتـكـلـمـ، "ولـامـ الأمرـ هوـ لـامـ يـطـلـبـ بهـ الفـعـلـ"<sup>1</sup>، والأـصـلـ فيهاـ أنـ تـسـتـعـمـلـ فيـ الـأـمـرـ عـنـدـ اـنـتـفـاءـ الـخـطـابـ ، لأنـ أـمـرـ غـيرـ الـمـخـاطـبـ لاـ يـكـوـنـ إـلاـ بـإـدـخـالـ "الـلـامـ" ، وـصـيـغـةـ "لـيـفـعـلـ" فيـ أـمـرـ غـيرـ الـمـخـاطـبـ بـمـنـزـلـةـ (ـافـعـلـ)ـ فيـ أـمـرـ الـمـخـاطـبـ"<sup>2</sup>ـ وـمـنـهـ قـالـ تـعـالـىـ: "لـيـنـفـقـ ذـوـ سـعـةـ مـنـ سـعـةـ"ـ الطـلاقـ 07ـ،ـ وـدـخـولـ هـذـهـ الـلـامـ يـكـثـرـ فيـ الـفـعـلـ الغـائـبـ ، وـأـنـ دـخـولـهـ عـلـىـ فـعـلـ الـمـتـكـلـمـ قـلـيلـ ،ـ وـلـمـ تـدـخـلـ عـلـىـ الـفـعـلـ الـمـتـكـلـمـ إـلاـ فيـ آـيـةـ وـاحـدـةـ مـنـ الـقـرـآنـ ،ـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: "وـلـتـحـمـلـ حـطـاـيـاـكـمـ"ـ العـنـكـبـوتـ<sup>12</sup>ـ.

وهـذـهـ "الـلـامـ"ـ مـنـ الـأـدـوـاتـ الـعـامـلـةـ الـجـازـمـةـ لـلـفـعـلـ عـنـدـ النـحـاةـ ،ـ فـ(ـسـيـوـيـهـ)ـ يـقـولـ فـيـ بـابـ: "ـمـاـ يـعـمـلـ فـيـ الـأـفـعـالـ فـيـجـزـمـهـاـ"ـ وـذـلـكـ: "ـلـمـ"ـ ،ـ "ـلـماـ"ـ ،ـ وـ"ـالـلـامـ"ـ الـتـيـ فـيـ الـأـمـرـ ،ـ وـذـلـكـ قـوـلـكـ (ـلاـ تـفـعـلـ)ـ ،ـ فـإـنـماـ هـيـ بـمـنـزـلـةـ لـمـ ،ـ...ـ لـأـنـمـ يـعـدـونـ الـجـزـمـ حـالـةـ إـعـرـابـيـةـ يـخـتـصـ بـهـ الـفـعـلـ الـمـضـارـعـ ،ـ...ـ وـاعـلـمـ أـنـ حـرـوفـ الـجـزـمـ لـاـ تـبـحـزـمـ إـلـاـ الـأـفـعـالـ ،ـ وـلـاـ يـكـوـنـ الـجـزـمـ إـلـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ الـمـضـارـعـةـ ،ـ كـمـاـ أـنـ الـجـزـمـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ فـيـ الـأـسـمـاءـ ،ـ كـمـاـ يـقـولـ (ـابـنـ هـشـامـ)ـ: "...ـ وـأـمـاـ "الـلـامـ"ـ الـعـامـلـةـ لـلـجـزـمـ فـهـيـ الـلـامـ"ـ الـمـوـضـوـعـةـ لـلـطـلـبـ ،ـ...ـ وـلـاـ فـرـقـ فـيـ اـقـضـاءـ الـلـامـ الـطـلـبـيـةـ لـلـجـزـمـ ،ـ بـيـنـ كـوـنـ الـطـلـبـ أـمـراـ نـحـوـ "ـلـيـنـفـقـ ذـوـ سـعـةـ"ـ ،ـ أـوـ "ـدـعـاءـ"ـ نـحـوـ: "ـلـيـقـضـ عـلـيـنـاـ رـبـكـ"ـ ،ـ أـوـ "ـالـلـامـ"ـ الـتـمـاسـاـ"ـ ،ـ كـقـوـلـكـ مـلـنـ يـسـاوـيـكـ "ـلـيـفـعـلـ فـلـانـ كـذـاـ"ـ وـفـيـهـاـ يـقـولـ أـبـوـ تـمـامـ:

كـذـاـ فـلـيـجـلـ الخـطـبـ وـلـيـفـدـحـ الـأـمـرـ \* \* فـلـيـسـ لـعـيـنـ لـمـ يـفـضـ مـاؤـهـاـ عـذـرـ.

فالـفـعـلـ: (ـلـيـجـلـ ،ـ لـيـفـدـحـ)ـ بـجـزـومـانـ بـلامـ الـأـمـرـ.

جـ-ـ الـأـمـرـ بـصـيـغـةـ الـمـصـدـرـ النـائـبـ عنـ فـعـلـهـ:ـ هـيـ صـيـغـةـ الـأـمـرـ الـتـيـ يـسـتـعـمـلـ فـيـهـاـ الـمـصـدـرـ منـصـوـبـاـ عـلـىـ الـأـمـرـ ،ـ دـالـاـ عـلـىـ حـدـثـ غـيرـ مـقـتـنـ بـزـمـنـ ،ـ مـتـضـمـنـاـ حـرـوفـ فـعـلـهـ لـفـظـاـ ،ـ نـحـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: "ـوـقـضـيـ رـبـكـ أـلـاـ تـعـبـدـوـاـ إـلـاـ إـيـاهـ وـبـإـلـوـالـدـيـنـ إـحـسـانـاـ"ـ الـإـسـرـاءـ 23ـ،ـ فـلـفـظـةـ "ـإـحـسـانـاـ"ـ نـابـتـ فـيـ فـعـلـ الـأـمـرـ (ـأـحـسـنـ)ـ ،ـ وـكـذـاـ نـابـ (ـصـبـرـاـ)ـ عـنـ الـفـعـلـ (ـصـبـرـاـ)ـ فـيـ قـوـلـ قـطـرـيـ بـنـ الـفـجـاءـةـ:

فـصـبـرـاـ فـيـ مـجـالـ الـمـوـتـ صـبـرـاـ \* \* فـمـاـ نـيـلـ الـخـلـودـ مـعـسـطـطـاـعـ.

<sup>1</sup>- الأوسـيـ قـيـسـ إـسـمـاعـيلـ.ـ أـسـالـيـبـ الـطـلـبـ عـنـدـ النـحـوـيـنـ وـ الـبـلـاغـيـنـ صـ: 146

<sup>2</sup>- المـرـجـعـ نـفـسـهـ ،ـ صـ: 146.

<sup>3</sup>- المـرـجـعـ نـفـسـهـ ،ـ صـ: 146.

والمصدر هو الاسم الدال على الحدث الجاري على الفعل كـ"الضرب" وـ"الإكرام"، وإنما يعمل بشروط ثانية.....<sup>1</sup>.

وهذا التعريف وفقا لما عرّفه (ابن هشام)، أمّا (سيبويه) فيقول "إنما جاء تحذيري زيداً" ، لأنّ المصدر يتصرف مع الفعل، فيصير "حدرك" في موضع "احذر"<sup>2</sup> ، ظاهر كلام "سيبويه" أن المصدر في هذه الحال قام مقام الفعل في معناه، وهو عامل فيما بعده ، ويُستعمل المصدر منصوبا على الأمر، نحو قوله تعالى: "إذا لقيتم الذين كفروا ضرب الرقاب" "محمد" <sup>3</sup>، أصله فـ"اضربوا الرقاب ضرباً" ، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه.<sup>4</sup> وقد يرد المصدر المستعمل في معنى الأمر مرفوعا، لكنه دون النصب في الكثرة والجودة ، وأورد سيبويه في ذلك مثال قول الشاعر:

يشكُو إِلَيْ جَمَلِي طُولَ السُّرُى \* \* صَبَرْ جَمِيلٌ فَكِلَا نَا مُبْتَلِي.

فالنصب أكثر وأجود لأنّه يأمره<sup>5</sup>، ومنه قوله تعالى: "... فَصَبَرْ جَمِيلٌ..." يوسف 18. مرفوعان لأنّ (جميل) صفة للصبر، ولو كان (الصبر) وحده لنصبها، لأنّ المصدر إذا كان وحده ينصب ويؤدي معنى الأمر، وإذا كان موصوفا يُرفع ، ولا يؤدي معنى الأمر<sup>6</sup>.

#### د- الأمر بصيغة أسماء الأفعال:

التعريف الاصطلاحي لأسماء الأفعال هو: "الكلمات تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها ، وفي عملها"<sup>7</sup> والذى حمل النحاة على القول بأنّ هذه الكلمات وأمثالها ليست بأفعال صريحة، مع تأديتها معاني الأفعال وعملها أمرٌ لفظيٌّ، وهي أنّ صيغها مخالفة لصيغ الأفعال، وأنّها لا تتصرف تصرّفها، فهي تخالف الأفعال في كونها لا تتصل بها نون التوكيد، وتكون بلفظٍ واحدٍ في "المفرد" "والثنى" "والجمع المؤنث والمذكر" ، فلا تتصل بها

<sup>1</sup>- ابن هشام ، شرح قطر الندى و بل الصدى / تج:محمد محى الدين عبد الحميد ، دار رحاب الجزائر ، ص:284/285

<sup>2</sup>- سيبويه.الكتاب ، ج 1/ ص: 252

<sup>3</sup>- الأوسي قيس إسماعيل . أساليب الطلب عند النحوين والبلاغيين، ص: 157.

<sup>4</sup>- ابن الأثير.المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر . تحقيق أحمد المعرف. مصر:1960. ج 2/ ص: 301

<sup>5</sup>- الأوسي قيس إسماعيل . أساليب الطلب عند النحوين والبلاغيين، ص: 161

<sup>6</sup>- المرجع نفسه ، ص: 162.

<sup>7</sup>- ابن عقيل . شرح ابن عقيل: ج 2/ ص: 237.

الضمائر البارزة ولا يجوز فيها تقديم معمولاً لها عليها، ولا تستعمل إلا مع المخاطب، يضاف إلى ذلك كون بعضها ظرفاً، وبعضها حار ومحرر.<sup>1</sup> وقد قسم النحويون أسماء الأفعال على ثلاثة أزمنة هي:

. اسم فعل ماض: نحو (شتان) بمعنى (افترق)، و(هيئات) بمعنى (بعد).

. اسم فعل مضارع: ورد منه (أُف) بمعنى (أتضجر)، و(وَيْ) بمعنى (أتتعجب).

. اسم فعل أمر: وهو الغالب فيها، فورد فيه: (صه) بمعنى (أسكت)، و(مه) بمعنى (أكف)، (إليك) بمعنى (ابتعد)، (دونك) بمعنى (خذ)، وأمامك، (حيّ) بمعنى (أقبل)، (رويد) بمعنى (أمهل)، (حيهل) بمعنى (استعجل).<sup>2</sup>

والملاحظ أنّ ما يطلقون عليه (اسم فعل الأمر) يضمّ أبنيةً مختلفةً، فيها قال (ابن الحشاب) في كتابه "المُرتجل"، "وفي هذه الكلم المسمى بها الأفعال، أحكام كثيرة من أحكام الأفعال، منها أنّ فيها: "الموضع" و"المنقول"، و"المشتقة"، كما في الأفعال، فالموضع: (صه، مه)، والمنقول كـ: (عليك، دونك، وإليك) والمشتق كـ: (ترك، نزال).<sup>3</sup>، أمّا البلاغيون فقد تابعوا النحويين في إطلاق تسمية أسماء الأفعال على هذه الأبنية المختلفة والمتنوعة كلّها.<sup>4</sup>، ويُقسّم اسم فعل الأمر إلى ثلاثة أقسام:

\***أسماء منقولة**: وهي ألفاظ نقلت من الحار والمحرر، أو الظرف أو المصدر، وتتغير بتغيير الدلالة والإعراب، كقولنا "عليك نفسك" ، بمعنى "ألزمها" ، و قول الشاعر:

عليك نفسك هذبها فمن ملكٍ \* زمامه النفس عاش الدهر مذموماً

أي "ألزمها" ، ومنه قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفَسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" المائدة 105، وقولنا: "إليك عَيْ" : أي: "تنحّ وابتعد" ، ومن أمثلة ما نُقل عن الظرف قولنا: "دونك الكتاب" بمعنى "خذه" ، "مكانك" أي "أثبت" ، ومن أمثلة ما نُقل عن المصدر: قولنا: "رويدك" : "تمهل" ، "وبله الشر" : "أتركه" ، كما ينقل اسم الفعل من كلمات تفيد التنبية كما في (ها) كقولنا: "ها الكتاب" : بمعنى "خذه" ، .<sup>5</sup>

\***أسماء معدلة**: هي أسماء أفعال عُدلَت عن فعل الأمر، وما كان فيها على وزن (فعال) دالاً على الأمر كـ"نَزَال" وـ"حَذَار" ، وفيها يرى الدكتور (مهدى المخزومي): "أنّ صيغة (فعال) تأتي عوضاً من صيغة "افعل"

<sup>1</sup>- الأوسي قيس إسماعيل.أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص: 167

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 169

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، ص: 170.، وينظر :ابن الحشاب.المُرتجل. تحقيق علي حيدر. دمشق: 1972 ،ص: 251.

<sup>4</sup>- السّكاكِي، مفتاح العلوم، ص: 38

<sup>5</sup>- حسن جمعة ، جماليات الخبر و الإنشاء، ص: 107

فيقول "إن هذا البناء (فعال) طلب كـ: (افعل) يدل على طلب إحداث فعل فورا، كما يدل عليه (افعل) وإنه يُعدل من صيغة الفعل الساكن الأول الذي تراد في أوله همزة وصل".<sup>1</sup>

\* أسماء مترجلة: وضعت في أصلها كذلك منها: "آمين" بمعنى "أستحب"، "صه" بمعنى: "أسكت"، "بله" بمعنى "دع واترك"، "إيه" بمعنى: "ازدد"، "حي" بمعنى: "أقبل".<sup>2</sup>

وأسلوب الأمر يظل معناه ثابتا كما وضع في الأصل اللغوي، إلا أن اللّغة فيه تنزاح إلى صيغ جديدة، فلا يقتضي الإلزام بتنفيذ الطلب المتضمن في الجملة على وجه الإيجاب، وإنما يُستخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق، فيكون الأمر مجازيا لا يشترط منزلة "الاستعلاء" بين المتكلّم والمحاطب، أو الأمر والمأمور وبذلك كثُرت أغراضه وتعددت بدها من: (الدعاء، الالتماس، التهديد، الإنذار، التعحيز ...).<sup>3</sup>

#### 4/2 - أسلوب النهي:

يقع النهي بعد الأمر في الطلب ليتفق معه من جهة "الاستعلاء" و"ارتباطه بالمحاطب" و"إرادة المتكلّم" الفاعل للمعنى على معنى النهي، فالامر أو الناهي لا يوجه الأمر أو النهي إلى نفسه إلا على جهة المجاز، ويختلف عنه بالصيغة، إذ للأمر صيغ أربعة، ويشتمل الأمر على توافق إرادة الأمر، بينما يحتوي النهي على كراهيته منهيه.

- جاء في لسان العرب: "النهي خلاف الأمر، "نَهَاهُ، نَهَاهَا، نَهِيَ، فَانْتَهَى وَتَنَاهَى" بمعنى: كف<sup>4</sup>" والنهي لغة: المنع، يقال : "نَهَيْتُ الرَّجُلُ عَنِ الْأَمْرِ، أَنَّهَا نَهِيَ.." .<sup>5</sup> وقال (الراغب الأصفهاني): "النهي هو "الزَّجْرُ عن الشَّيْءِ..." قال تعالى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَا عَبْدًا إِذَا صَلَّى...". العلق 09-10، فالنهي إذن "طلب الكف عن فعل شيء ما من المحاطب إلى جهة الحقيقة أو المجاز، أو على وجه الاستعلاء والإلزام".

أما اصطلاحا: يقول "سيبوية" في كتابه "أن النهي نهي الأمر": قال: لا تضرب "نفي لقوله أضرب"<sup>6</sup>، ويقول (ابن السراج): إذا قلت: "قم" إنما تأمره بأن يكون منه قيام، فإذا نحيت فقلت: "لا تقم" فقد أردت منه نفي ذلك، فكما أن الأمر يراد به الإيجاب، فكذلك النهي يراد به النفي ..<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - المخزومي مهدي ، في النحو العربي نقد وتجهيز، بيروت ، ط 01/1964 ، ص: 206

<sup>2</sup> - حسن جمعة، جماليات الخبر و الإنشاء ، ص: 107-

<sup>3</sup> - المرجع نفسه: ص: 109 إلى 114

<sup>4</sup> - ابن منظور - لسان العرب - مادة (نهي)

<sup>5</sup> - ابن دريد ، جمارة اللغة ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، د، ط، ج 3، ص: 183

<sup>6</sup> - سيبوية، الكتاب ، ج 1 / ص 136

<sup>7</sup> - ابن السراج أبو بكر محمد، الأصول في النحو، تتح الحسين الفتلي مطبعة النعمان ،النجف، 1973 ، ج 2، ص: 163.

كما نجد تعريف "النهي" عند (ابن الشجري) بقوله: "هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علّي الرتبة وصيغته: "لا تفعل" ، و"لا يفعل فلان".<sup>1</sup> وجاء في التعريفات (الجرجاني): أنّ النهي: "قول القائل لمن دونه: "لا تفعل"<sup>2</sup> ، وقد عرّفه (العلوي) في "الطراز": "هو عبارة عن قول يُبيّن عن المنع من الفعل على وجه الاستعاء كقوله: "لا تفعل".<sup>3</sup>

## 2- صيغة النهي: (لا تفعل) :

وللنهي صيغة واحدة وهو "المضارع المقوّن بـ"لا الناهية"<sup>4</sup> ، نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْسِفُوا وَتُسْلِمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) (النور 27 ، و"لا الناهية": هي التي يطلب بها ترك الفعل، والنهاة يجمعون على أن "لا الناهية" تختص بالدخول على الفعل المضارع فتقتضى جزمه، يقول (سيبويه) في باب ما يعمل في الأفعال فيحرّمها ... وذلك: "لم، لما ، لام الامر،... ولا في النهي ، وذلك قوله: "لا تفعل" فإنما هي بمنزلة "لم" .... ، فيقول (السكاكيني): "لنـهي حرف واحد هو"لا الجازم في قوله: لا تفعل".<sup>5</sup>

ويرى الدكتور (قيس الأوسي): "أن جزم الفعل المضارع هو ليس عمل "لا" الناهية، لغرضٍ معنويٍ وإنما هو قد التزم فيها كما التزم في صيغة الأمر : "افعل، لي فعل" علامـة على التشديد في الطلب.."<sup>6</sup> ولعلّ هذا الرأي فيه تأكيد على ما ألمـح إليه النـهاة، إذ ذهب (أبو سعيد السيرافي) إلى أن: "لام الأمر" إنما جزـمت، لأنـ الأمر للمخاطـب مـوقـفـ الآخرـ، نحو "اذهب" ، فجعل لـفـظـ "الـعـربـ" كـلـفـظـ "الـبـنـيـ" لأنـه مثلـه في المعنى ... وحملـت "لا" في النـهيـ من حيثـ كانتـ ضـداـ لها... "<sup>7</sup>

وقد ذهب أكثر النـحوـيينـ إلى أنـ"لا"ـ التيـ تـفـيدـ النـهـيـ تستـعملـ معـ الفـعلـ المـخـاطـبـ نحوـ قولـهـ تـعالـيـ "يـا أـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـدـخـلـواـ عـدـوـيـ وـعـدـوـكـ أـوـلـيـاءـ..."ـ المـتحـنـةـ 01ـ،ـ وـمـنـ استـعمـالـهـاـ معـ فعلـ الغـائبـ ،ـ قولـهـ تـعالـيـ : "لـاـ يـتـخـذـ الـمـؤـمـنـوـنـ الـكـافـرـيـنـ أـوـلـيـاءـ مـنـ دـوـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ"ـ آلـ عمرـانـ 28ـ،ـ وـتـأـتـيـ قـلـيلـةـ الـاستـعـمالـ معـ المـتكلـمـ

<sup>1</sup> - ابن الشجري ضياء الدين ، الأمازي الشجرية ، دار المعرفة ، بيروت د. ط ، ج 1 ، ص: 271.

<sup>2</sup> - الجرجاني الشريف علي بن محمد ، التعريفات ، تـحـ: عبد الرحمن عميرة ، عـالـمـ الكـتـبـ ، بيـرـوـتـ ، طـ1ـ ، 1987ـ ، صـ1ـ.

<sup>3</sup> - العـلوـيـ يـحيـيـ بنـ حـمـزةـ ،ـ الـطـراـزــ المتـضـمـنــ أـسـرـارــ الـبـلـاغــةــ ،ـ وـعـلـومــ حـقـائـقــ الإـعـجازــ ،ـ صـ284ـ.

<sup>4</sup> - عـتـيقـ عبدـ العـزـيزـ ،ـ فـيـ الـبـلـاغــةــ الـعـرـبـــةــ ،ـ الـبـيـانــ الـبـدـيـعــ الـمـعـانــ ،ـ دـارــ الـنـهـضــةــ الـعـرـبـــةــ ،ـ لـلـطـبــاعــةــ بــيـرــوــتــ صـ79ـ.

<sup>5</sup> - الأـوسـيـ قـيسـ إـسـمـاعـيلـ ،ـ أـسـالـيـبـ الـطـلـبــ عـنـ الـنـحـوـيـنــ وـالـبـلـاغــيـنــ ،ـ صـ472ـ.

<sup>6</sup> - المـرـجـعـ نفسهـ ،ـ صـ473ـ.

<sup>7</sup> - المـرـجـعـ السـابـقـ ،ـ الصـفـحةـ نفسهاـ .

نحو: لا أرىك هنا<sup>1</sup> وهو مما أقيم منه "السبب مقام المسبب" والتقدير : "أي لا تكن هننا حتى لا أراك" وما جاء منه في الشعر قول جرير:

يَاتِيمٌ ، تِيمٌ عُدَى لَا أَبَا لَكُمْ \*\*\* لَا يَلْقَيْنَّكُمْ فِي سَوَاءٍ عُمَرٍ

3- **النهي بلفظ الخبر:** وقد يرد النهي بلفظ الخبر مجازا ، وإذ يخرج إليه الخبر فقد يرد الكلام خبرا في اللفظ، وهو إنشاء في المعنى ، الغرض منه النهي عن الفعل ، وقد ورد في كلام (ابن الشجري) قوله بعد أن ذكر صيغة النهي "لا" الجازمة: "وقد يرد النهي بغير هذه الصيغة وذلك نحو قوله تعالى " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمَّهَاتُكُم .." النساء 23 ومنه قوله تعالى " مَنْ يَعْلَمْ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "آل عمران 161 يقول : لا تغلوا"<sup>2</sup>.

ويرى (الزمخشري): أن النهي بلفظ الخبر أبلغ من صريح النهي، حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ " البقرة 83 ، قال "لا تعبدون" إخبار في معنى النهي، كما يقول:(تذهب إلى فلان تقول له هذا) "تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه سُورٌ إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة عبد الله وأبي "لا تعبدوا"<sup>3</sup> .

والبلاغيون يعلّلون الأسباب لاستعمال الخبر في موضع الطلب، ومن هذه الأسباب: حمل المخاطب على المذكور أبلغ حمل بألفاظ وجه ، قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ " الآية، في موضع لا تعبدوا، قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ "البقرة 84 في موضع " لا تسفكوا"<sup>4</sup> .

4- **النهي بأسلوب بعض أفعال الأمر:** وقد ترد هذه الأفعال بأسلوب الأمر، ومعناها "طلب الكف عن الفعل والامتناع "، وهذه أفعال أمر، ولكن دلالتها تدل على معنى "النهي" مثل: "اترك، كُف ، احتسب، دع ذر، انته...". وهذه الأفعال صيغتها كالنهي في "لا تفعل" في المعنى، وفي هذا يقول (الراغب الأصفهاني) في صيغة النهي: وهو "من حيث المعنى لا فرق أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظه ( فعل )، نحو "اجتنب كذا" أو بلفظة "لا تفعل"<sup>5</sup>، وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

<sup>1</sup>- ابن هشام الانصاري ، معنى الليب ، ج 1 ص: 246

<sup>2</sup>- ابن الشجري ، الأمالي الشجرية ، مرجع سابق ج 4 ص: 271

<sup>3</sup>- الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحوين والبلاغيين ، ص: 483

<sup>4</sup>- المرجع السابق ، ص 484

<sup>5</sup>- الأصفهاني الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ص: 507.

"المائدة 90 ، ففي الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الأعمال لأنّها من أعمال الشيطان مستعملاً في طلبه فعل الأمر الدال على الامتناع وطلب الكفّ.

### 5- صيغة النهي بين الحقيقة والمحاجز:

اشترط البلاغيون "الاستعلاء" في صيغة الأمر لدلالة الأمر على وجوب الفعل، وكذلك فعلوا مع صيغة النهي "لا تفعل" بغضّن تسميتها "نحْيَا" لشُعْرَيْهِ على سبيل الترك والاستعلاء، فعرّفوه بأنه: "هو طلب الترك استعلاءً فيشمل التحرير والكراهية" يقول (السّكاكِي) في هذا والنْهَي مَحْدُوٌ به حَدْوَيْهِ الأمر في أنّ أصل استعمال: "لا تفعل" أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادق ذلك أفاد "الوجوب" وإلاً أفاد "طلب الترك" فحسبٌ....<sup>1</sup>

ويرى "ابن فارس": أنّ النهي لا يختلف عن الأمر في دلالته على الوجوب يقول: "إِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا حَالَ الْأَمْرُ فِي وُجُوبِهِ وَغَيْرِ وُجُوبِهِ؟ قَيلَ لَهُ: أَمَا الْعَرَبُ فَلَيْسَ يُحْفَظُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ، غَيْرَ أَنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ: "مَنْ أَمْرَ خَادِمَهُ يَسْقِيهِ مَاءً، فَلَمْ يَفْعُلْ، إِنَّ خَادِمَهُ عَاصٍ، وَأَنَّ الْأَمْرَ مَعْصِيٌّ، وَكَذَلِكَ، إِذَا نَهَى خَادِمَهُ عَنِ الْكَلَامِ فَتَكَلَّمُ، لَا فَرْقَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنْهَيِّ"<sup>2</sup>.

فالشروط المعدّة لإجراء النهي على أصله هي: "شرط الاستعلاء" و"الإِرْازُ المخاطب به"، وإذا احتل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله خرج إلى أغراض تواصلية فرضها السياق وقرائن الأحوال ليُشكّل القسم الثاني من أقسام النهي والمسمى "النهي المحاجزي" ، والذي يكون النهي فيه طلب الكفّ عن شيء لا على سبيل "الاستعلاء" بل على سبيل "المحاجز" ، من هو أعلى مكانةً من المتكلم، أو من هو أقل شأناً منه لأمرٍ بلا غنيّ .

وقد عرض "السّكاكِي" أكثر معانيه التي يخرج إليها في كتابه: (مفتاح العلوم) ومن جاء بعده من البلاغيين الذين توسعوا في أسلوب النهي ، وقلّبوا وجوهه ، فكشفوا عن معانٍ دلالية كثيرة، فأصبح ذا حيوية فعالة بما فيه من غنى في أساليبه الجمالية وأداءاتها الابlagية والتي فيها (الدعاء، الالتماس ، النصح ، والإرشاد ، التأديب والتهديد ، ... وغيرها من الأغراض) .

<sup>1</sup> - السّكاكِي ، مفتاح العلوم ، ، ص: 429.

<sup>2</sup> - ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص: 157.

هذه هي البلاغة النبوية .....

” هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَّع وهي من الأحكام كأنَّها مصْنوعةٌ، ولم يُتكلَّفْ لها وهي على السُّهولة بعيدهُ مُنوعةٌ .  
اللفاظ النبوة يعمّرها قلبٌ متصل بجلالِ حالقِهِ، ويصْقلُها لسانٌ نزلَ عليه القرآنُ بحقائقِهِ  
فيهِ وإنْ لم تُكُنْ من الوحيِ ولكنَّها جاءت من سَبِيلِهِ، وإنْ يكنْ لها منه دليلٌ فقد كانت هي  
من دَلِيلِهِ، مُحْكَمَةُ الفُصُولِ، حتى ليس منها عُرْوَةٌ مفْصُولَةٌ، مُحْدُوفَةٌ الفُضُولُ حتى ليس فيها  
كلمةٌ مفْضُولَةٌ، وكأنَّها هي في اختصارِها وإفادتها نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ، وإنَّها هي في سُمْوَهَا وإِجَادَتِها  
مَظْهَرٌ من خواطِرِهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجْتُ فِي الْمَوْعِدَةِ قُلْتَ: أَئِنِّي مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوحٍ، وَإِنْ رَاعَتْ بِالْحِكْمَةِ قُلْتَ: صُورَةُ بَشَرِيَّةٍ  
مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ يَلِينٍ فَيَنْفُرُ بِالدَّمْوعِ، وَيَشْتَدُّ فَيَنْزِوُ بِالدَّمَاءِ، وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ خطابُ  
السَّمَاءِ لِلأَرْضِ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ الْأَرْضِ بَعْدَ السَّمَاءِ ..<sup>1</sup>

## المبحث الثاني : البلاغة النبوية بين أسباب التكوين وبلاغة التمكين .

### 01. الحديث النبوى الشريف بين المفهوم والأهمية:

إنَّ ما هو معروف لدى الكثير من المهتمِّين بالعلوم العربية من جهة، وعلوم الدين من جهة أخرى، أنَّ القرآنَ  
ال الكريم وكذا علومه كانت هي الأسبق إلى التدوين والتأليف، خوفاً من الضياع، وسعياً لفهم مسائل الدين  
وقضاياها، ثم جاءت بعدها مرحلة حفظ الحديث وتدوينه على رأس المائة الأولى للهجرة، ليعكف بعدها العلماء  
على دراسة هذين المصادرين المهمَّين من مصادر التشريع الإسلامي، لأنَّ كُلَّاً منها مُكمل للآخر ، فالقرآن هو  
كلام الله المتعبد بتلاوته، وأنزلت فيه قوانين الحياة وأحكام تشريعها، والحديث الشريف هو كلام النبي صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

<sup>1</sup> - الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت 2009 -ج 2، ص: 235.

عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن، فكان جمل كلامه بل كل حياته خدمة وتفسيراً لمراد الله في كتابه عز وجل: "وَأَنْرَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ" النحل 44 .

**أ-تعريف الحديث لغة:** الحديث في اللغة: هو "الجديد من الأشياء"، والجمع "أحاديث" "كقطيع و أقاطيع"<sup>1</sup>

والجديد "نقيض القديم"، كأنه لوحظ فيه مقاومة القرآن، إذ يرى (أبو هلال العسكري): "أنّ الحديث في الأصل هو ما تُخبر به عن نفسك من غير أن تُسنده إلى غيرك، وسمّي حديثاً لأنّه لا تقدم له، وإنما هو شيءٌ حدث لك فحدثت به"<sup>2</sup>.

وتتفق معظم المعاجم في العربية على معنى "الجد" في الحديث ، كقول (ابن فارس) :"(الباء، الدال، الثاء) أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال: "حدث أمر بعد أن لم يكن ... والحديث عن هذا، لأنّه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء".<sup>3</sup>

وقد عرفه (ابن منظور) بأنه: "إطلاق الحديث على الكلام يُعدُّ فرعاً من الأصل الذي هو" نقىض القديم".<sup>4</sup> وجاء في كليلات (أبي البقاء العكبي): "الحديث هو اسم من التحديد، وهو" الإخبار" ، ثم سُميَّ به كل قول أو فعل أو تقرير نُسب إلى الرسول "ص" ، وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح الحديث بهذا المعنى أي للدلالة على الإخبار(الكلام) تخصيصاً من المعنى العام في قوله تعالى: "وَهُلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى" (طه: 09).<sup>5</sup>

## ب- الحديث اصطلاحاً:

قبل الوقوف عند تعريف الحديث، حرّي بنا أن نقف عند ما يتبينه المنشغلون بهذا الحقل في كلامهم عن "السنة والحديث" ، فإذا أطلق لفظُ السنة في الشرع فإنما يُراد به : "ما أمر به الرسول "ص" ونفي عنه، قوله وفعلاً" ، ولهذا يقال في أدلة الشرع: "الكتاب والسنة" ، أي "القرآن والحديث" ، لكنَّ معنى السنة مختلفٌ في اصطلاح المشرعين، حسب اختلاف اهتماماتهم وأغراضهم، فهي عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء ، ويظهر مدلول معناها من خلال أبحاثهم ".<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- الخطيب محمد عجاج ، الوجيز في علوم الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعية ، الرغایة ، الجزائر ، 1989 ص: 25

<sup>2</sup>- العسكري أبو هلال ، الفروق في اللغة ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ص: 28

<sup>3</sup>- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط 01 ، ج 2 ، ص: 36 ، مادة حديث.

<sup>4</sup>- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "حدث".

<sup>5</sup>- أبو البقاء أبيوبن موسى الحسين - الكليات - مكتبة البولاق ، ط 2 ، 1281 هـ ، ص: 152

<sup>6</sup>- الخطيب محمد عجاج ، الوجيز في علوم الحديث ، ص: 17

\*\*علماء (الحديث) بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.... فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشائعات وأخبار وأقوال وأفعال، سواء ثبتت المنقول حكماً شرعاً أم لا.

\*\*علماء (الأصول) كتبوا عن الرسول "ص" .. فاعتبرنا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

\*\*علماء (الفقه) بحثوا عن الرسول "ص" ... الذي تدلّ أفعاله على حكم شرعي ،وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد، هل هو :من باب الفرض أو الواجب أو المندوب أو المباح أو المكره أو الحرام أو غير ذلك...؟<sup>1</sup>

فال الحديث في "الاصطلاح" ،وباعتبار السنة ترافق الحديث: "يُراد به كل ما أثر على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، ولكن إذا أطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب إلى ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، فعلى هذا: السنة أعمٌ من الحديث".

وإذا أطلق لفظ الحديث عند الأصوليين أريد به السنة القولية، لأنّ السنة عندهم أعمٌ من الحديث، وهي تشمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ،ما يصلح أن يكون دليلاً لحكمٍ شرعياً.  
و"الخبر" عند المحدثين مرادف للحديث:، فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع ، فيشمل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين....<sup>2</sup>

ويعرف الحديث بأنه: "هو كل ما أثر عن الرسول "ص" من قبل وبعد البعثة، فغالباً ما يروي عن الرسول "ص" بعد النبوة من قول و فعل وتقرير، فهو السنة القولية عن الرسول "ص" ، وخلاصة القول :إذا أطلق لفظ الحديث أريد به ما أضيف إلى النبي "ص" وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي ، ولكن غالباً ما يفيد في مثل هذه الحال، فالمرفوع منه هو المنسوب لفظه للنبي "ص" ، والموقوف ما أُسند للصحابي من قول و فعل وتقرير، والمقطوع ما اُسند إلى التابعي.<sup>3</sup>

ويقول (تقي الدين بن تيمية): "ال الحديث النبوى وهو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة، من قوله وفعله وإقراره، فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة، فما قاله: إن كان خبراً وجب تصديقه به، وإن كان تشريعاً إيجاباً أو تحريمها أو إباحة وجب إتباعه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ،ص: 18

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ،ص: 26

<sup>3</sup> - الخطيب محمد عجاج ، أصول الحديث علومه و مصطلحاته، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط4، 1981، ص: 26

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص: 26

على أئمّهم معصومون فيما يُخْبِرُونَ به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرُهُم إلّا حَقّاً، وهذا معنى النّبوة، وهو يتضمن  
أنَّ الله يُنَبِّئُ بالغَيْبِ، وأنَّه يُنَبِّئُ النّاسَ بِالغَيْبِ، والرسُولُ مأمورٌ بِدُعَوةِ الْخَلْقِ وَتَبْلِيغِهِم رسالاتَ الله.<sup>1</sup>

ولعلَّ مكانةً هذا العلم الشَّرِيف "علمُ الْحَدِيثِ النَّبَوِي" والذِّي ينقسمُ إلَى: علمُ الْحَدِيثِ "رواية": ويشتملُ على نقل ما أُضيفَ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، وعلمُ الْحَدِيثِ "دَوْرَايَة": وهو المراد عند الإطلاق: علمٌ يعرِفُ به حال الرَّاوِي والمروي من حيث ذلك، وغايتها معرفة ما يُقبلُ وما يُردُّ من ذلك<sup>2</sup>، فمكانةُ هذا العلم غنيةٌ عن الذِّكر، كيف لا وهو وحيٌ من الله عز وجلٍ لسانُ خاتم رسله وأنبائِه لهداية البشرية إلى طريق الحق والعدل، وإنما وحيٌ من الحق على لسان رسولِ الحق "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْدَهُ يُوحِي" النَّجْم.<sup>3</sup>

وبعد عرض معنى الحديث في اللغة والاصطلاح حَرَيْثَ بنا وخدمة للبحث في إطار علاقَة الدراسة بالحديث النبوي الشريف أن نتساءل:

- ما الأسباب التي كانت وراء هذه الفصاحة والبلاغة التي امتاز بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.
- كيف أثني الأدباء والفصحاء من أبناء العربية على فصاحة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلاعته؟
- كيف انعكس اهتمام البلاغيين العرب بالبلاغة النبوية من خلال مؤلفاتهم بصفة عامة؟

## 02 / أسباب بلاغة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تحتلَّ الْبَلَاغَةُ النَّبَوِيَّةُ الدُّرُّوَةَ الْعُلِّيَّةَ من الْبَيَانِ فِي الْأَدْبَرِ النَّبَوِيِّ، فَقَدْ قَالَ (يُونُسُ بْنُ حَبِيبِ الصَّبِيِّ)، إِمامُ  
نَحَّةِ الْبَصْرَةِ فِي عَصْرِهِ (ت 182هـ) ... "مَا جَاءَنَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ رَوَاعَةِ الْكَلَامِ مَا جَاءَنَا عَنِ الرَّسُولِ" ص<sup>4</sup>  
ولكنَّ هذه البلاغة تبقى في حدودَ الْبَيَانِ الإِنْسَانِيِّ أو بِلَاغَةِ الْبَشَرِ، وَلَا تَصْلِي كَمَا نَرَى طَبِيعَةَ الْحَالِ درجةَ الْبَيَانِ  
الْقَرَآنِيِّ الَّذِي بَلَغَ حَدَّ الْإِعْجَازِ. وَقَدْ سُئِلَ (الْبَاقِلَانِيُّ): "هَلْ كَلَامُ النَّبِيِّ مَعْجَزٌ؟؟". فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا  
بَيْنَ الْقُرْآنِ وَكَلَامِ النَّبِيِّ، وَإِنَّ كَانَ النَّبِيُّ أَفْصَحُ الْعَرَبَ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَكَلَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُثْلُ الْفَرْقِ  
بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الْبَشَرِ....".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - القاسمي محمد جمال الدين ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، دار الكتب العلمية، 1332 هـ ، ص: 62

<sup>2</sup> - الخطيب محمد عجاج ، الوجيز في علوم الحديث ، ص: 07.

<sup>3</sup> - الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، دار الجليل ، 1990 ، ج: 2 ، ص: 18

<sup>4</sup> - الباقياني أبو بكر ، إعجاز القرآن تحقيق السيد صقر ، دار المعرف ، ط5 ، د- ت- ص: 291

كان ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي نشأ في أمة صناعتها البيان، والفصاحة أكبر همهم، والكلام سيّد عملهم، ولقد حمل أعباء الرسالة العظيمة لينذر الناس جيّعاً، من هنا لا بدّ من الإعداد المناسب لأداء هذه الأمانة، ولا بدّ من توفير الأسباب وتحييّة الظروف التي تساعده على أداء هذه المهمّة العظيمة الجسيمة وهي هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلأجل ذلك كانت هناك عوامل وأسباب أثّرت في بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم منها:

#### أ- النشأة والبيئة:

هذان العاملان كان لهما الأثر البالغ والكبير في بلاغته صلى الله عليه وسلم، فاكتساب المنطق واللغة يرجع للطبيعة والمخالطة والمحاكاة، فالنبي صلى الله عليه وسلم نشأ وتقلّب في أفضح القبائل وأخلصها منطقاً وأعذبها بياناً، فكان مولده في "بني هاشم"، وأخواه في "بني زهرة" ، ورضاعه في "بني سعد" ، ومنشأه في "قريش" ، ومُتزوّجه في "بني أسد" ، ومهاجرته إلى "بني عمر" ، وهم الأوس والخرج من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث "أنا أفضح العرب، بيدَ أئِي مِنْ قَرِيشٍ وَنَشَأَتْ فِي بَنِي سَعْدٍ مِنْ بَكْرٍ..."<sup>1</sup>

وهو قول أرسله في العرب جيّعاً، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيّد عملهم، فما دخلتهم له حمية، ولا تعاظمهم، ولا ردّوه، ولا غضبو منه، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلاً ، ولا أصابوا للتّهمة عليه طريقة ، ولو كان فيهم أفضح منه لعارضوه به ... ثم ليجعلوا من ذلك سبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنّهم عرفوا فيه الفصاحة على أمّ وجهها، وأشرف مذاهبها ، ورأوا له في أسبابها ما ليس لهم، ولا يتعلّقون به ولا يُطيقونه...<sup>2</sup>" .

لكن.. هل النشأة وحدها كافية إلى أن يصل إلى أعلى درجات الفصاحة، ويترفع على قمة البيان البشري ??؟ لأنّ هذا الجانب لا محالة فيه من يشاركه فيه من الفصحاء والبلغاء... لكن لا يصل أحدهم إلى مستوى من الفصاحة البلاغة النبوية، لذلك لا بدّ من أسباب أخرى لبلاغته صلى الله عليه وسلم غير النشأة واللغة، ساهمت في إعلاء نمائهما، ورفع ذكرها إلى هذا المستوى من البيان: تتمثل في:

#### ب- الفطرة النقيّة ، والإعداد الرباني "الاصطفاء":

إنّ الجمع بين هذين العاملين له من الأهمية ماله في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنّ الفطرة النقيّة والإعداد الرباني يُعدّ مدخلاً في رسالته صلى الله عليه وسلم، فبناءً على عامل التاريخ في حياته صلى الله عليه

<sup>1</sup> - الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت 2008، ص:231

<sup>2</sup> - الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت، 2009 ، ج 2، ص: 240.

وسلم نشير إلى أن الاصطفاء أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةً مِّنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرْيَشًا مِّنْ كَنَانَةً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرْيَشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" ...

لتأتي مظاهر هذا الاصطفاء في بادية بني سعد ... حين أخذت الحبيب صلى الله عليه وسلم "حليمة السعدية" ... ورأت في حياتها وفي قوتها من البركة والخير والسعادة ما لم تر من قبل... ووقوع حادثة "شق الصدر" للرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه: أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأحدهُ، فصرعهُ، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة، فقال: "هذا حظُّ الشيطان منك" ثم غسله في طستٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه... وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - أي ظهره - فقالوا: إنَّ مُحَمَّداً قد قُتِلَ، فاستقبلوه وهو متყع اللون..."<sup>1</sup>

وقد وقعت حادثة "شق الصدر" في السنة الرابعة أو الخامسة من مولده<sup>2</sup>، فهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم، ولا يتعرّض له بالتأويل عن طريق المجاز والاتساع.... فقد ذكر (الطيبي) في (مشكاة المصايب) قول جبريل "هذا حظُّ الشيطان منك" لأنَّه مُتَصل بما نحن بصدده تمام الاتصال، فيقول: "العلقة في الإنسان أصل المفاسد، ولما قال جبريل بعدما أخرجها" هذا حظُّ الشيطان منك" ، فعصمه من آفته وطممه، كما أسلم له شيطانه على يده ، فقدَر الله في سابقة لطفه أن يخرج حظُّ الشيطان منه، فجعله قدسياً، طاهر الأصل والعنصر مُنور القلب، مقدس الجسم، مُستعداً لقبول الوحي والفيض الإلهي، ولا تتطرق إليه هواجس النفس...<sup>3</sup>

وفي الجانب التاريخي دائماً، أورد (المباركفوري) ما يدعم عنابة الله ورعايته لبنيه صلى الله عليه وسلم مثلاً في حياته "ص" في كنف جده العطوف بعد وفاة الأم : "إِذْ كَانَ "عَبْدُ الْمَطْلَبِ" جَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْعُرُ بِتَمِيزِ النَّبِيِّ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ، ... إِذْ كَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي فَرَاشٍ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فَرَاشِهِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِّنْ بَنِيَّةِ إِجْلَالًا لَّهُ، فَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي وَهُوَ غَلامٌ جَمِيعُ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخْرُجُوهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ: "دُعُوا ابْنِي هَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لِشَانًا، ثُمَّ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى فَرَاشِهِ، وَيَسْعِحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيُسْرِهِ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الإمام مسلم بن الحاج القشيري - صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، باب الإسراء، ج 1، 1989، ص: 92، (ينظر المباركفوري صفي الرحمن ، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، د، ط، ص: 48)

<sup>2</sup> - المباركفوري صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ص: 48

<sup>3</sup> - الحمزاوي أبو العلاء ، الخصائص البلاغية للبيان النبوى ، مكتبة الرشد ، 1428هـ / 2007م ، ص: 24

<sup>4</sup> - المباركفوري صفي الرحمن ، الرحيق المختوم، ص: 49، ابن هشام، السيرة النبوية، دار الحلبي، 1955، ج 1، ص/ 168

هذا التمييز والاصطفاء والفضرة النقية قد لاحظها :أبو طالب " ،والذى نحضر بحق "ابن أخيه" على أكمل وجه بعد وفاة "الجد الكافل" ، لاسيما حين قالت قريش: "يا أبا طالب أقحط الوادي وأجحّب العيال" ، فهلّم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام ، كأنه شمس دجن ،تجلى عن سحابة قشماء ، فأخذ أبو طالب الرسول "ص" فالصدق ظهره بالكتيبة ،ولاذ بجبهة الغلام ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هنا وهناك ، وأغدق واغدو دق ، وانفجر الوادي ، وأنصب النادي والبادي ، والى هذا أشار أبو طالب حين قال:

**وابيضُ يُستسقي الغمامُ بوجهِه \*\*\* مَالُ اليتامي عصمةً للأرامل.**

ليتجلى الإعداد الرباني و الذي يعكس أنّ القدر قد أحاطه بالحفظ ،إذ عندما تحرّك نوازع النفس استطلاع بعض مُتع الدنيا ،وعندما يرضى بإثبات بعض التقاليد غير المحمودة ،تُدخلُ هذه العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها. قال رسول الله ص : "ما همت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما همت به حتى أكرمني الله برسالته،.... قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: "لو أبصرت لي غنمٍ حتى أدخل مكة، وأسرر بها كما يسر الشّباب " ، فقال الغلام : "افعل" ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً، فقلت: "ما هذا؟"؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع "فضرب الله على أذني فنمت ،فما أيقظني إلا حرّ الشمس ،فعدت إلى صاحبي فسألني ،فأخبرته" ، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة وأصابني مثل أول ليلة ..... ثم ما همت بسوء...".<sup>1</sup>

ليتجلى مظاهر آخر في العناية الإلهية في بناء الكعبة ،إذ روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: " لما بنيت الكعبة ،ذهب الرسول ص وعباس ينقلان الحجارة ،فقال عباس للنبي ص "اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ،فخرّ إلى الأرض ،وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال"إزارٍ،إزارٍ، فشدّ عليه إزاره...." وفي رواية : "فما رؤيْت له عورّة بعد ذلك"<sup>2</sup>.

لتأتي محطة أخرى بارزة في الرعاية الإلهية ، وهي فترة نزول الوحي لما فيها من استعداد نفسي ، فلقد حبّب إليه الخلاء والعزلة ، وكان اختياره "ص" لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ، وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> -المباركفوري صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ص:53

<sup>2</sup> - المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص: 54

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص: 55

فهذا التعبد قبل النبوة من صفاء الفطرة ونقائها، ومن التأمل والتفكير في الكون، والانقطاع عن مألفات البشر من هذه الخلوة، له أكبر الأثر في خشوع القلب، وصفاء الذهن واستنارة القلب بنور الغيب....<sup>1</sup>.

ليأتي حديثُ السيدة "خديجة" رضي الله عنها ، والتي لاحظت ملامح الاصطفاء من الله تعالى، فلاحظت الفطرة النقيّة والعناء الإلهيّة فلخصتها في قولها". إنك تتصف بالرحم، وتصدّق الحديث ، وتحمل الكلّ وتكتسب المعدوم، وتقري الضيف...".<sup>2</sup>.

إنّا محطّاتٌ مثيرةٌ في حياة من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، في شكل شواهدٍ ومحطاتٍ تاريخيةٍ يتجلّى من خلالها صفاء الفطرة النبوية ونقائها، ليتجلّى من خلال تلك العناية الإلهية كيف ساهمت في الإعداد الرباني ، والاصطفاء للنبي "ص" ، فانعكس ذلك كله في بلاغته عليه الصلاة والسلام.

### ج- نور القرآن وهديه:

هو العامل الآخر الأكثر أهمية، مُتّمِّمٌ و مُكَمِّلٌ لفصاحتـه صلى الله عليه وسلم وبـلاغـته ، لا سيما وأنّ الله احتـار محمداً "ص" من بين آلاف الفـصـحـاء ، ليـعـجزـهم بـفـصـاحـةـ القرـآنـ رـغـمـ أـمـيـتـه ، فـوـكـلـ إـلـيـهـ أـنـ يـفـسـرـ كـتـابـهـ عـزـ وـجـلـ ، وـسـنـ وـحـيـهـ: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَرَأَيْنَا إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " (النحل 44)، " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَزِّكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ " (الجمعة 103)، وغيرها من الآيات الدالة على عمل الرسول "ص" في الإبلاغ والتبيين و المـهـادـيـةـ وـالـتـوـجـيـهـ ..... فـكـانتـ معـانـيـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فيـ التـبـلـيـغـ وـالـإـرـشـادـ رـبـانـيـةـ ، وـكـانـ أـلـفـاظـهـ مـعـرـضاـ رـائـعاـ لـمـعـانـيـهـ ، مـاـ انـعـكـسـ فيـ بـيـانـهـ . وـكـانـ لـهـ أـعـظـمـ الـأـثـرـ ... لـيـسـلـكـ بـعـدـهـ الرـسـوـلـ "ص" مـسـلـكـ الـقـرـآنـ فـيـ بـيـانـهـ ، فـيـ بـيـانـ أـمـرـيـهـ ، فـاعـتـمـدـ طـرـيـقـةـ ضـرـبـ المـشـلـ "مـثـلـ" لـمـاـ لهاـ منـ أـثـرـ فيـ تـوـضـيـحـ الـمـعـقـولـ بـالـمـحـسـوسـ ، وـتـقـرـيـبـ الـأـمـرـ وـتـوـضـيـحـهـ وـتـرـسـيـخـهـ فـيـ الـأـذـهـانـ سـوـاءـ كـانـ لـمـاـ يـحـبـهـ اللهـ منـ "إـنـفـاقـ فـيـ سـبـيـلـهـ" ، أوـ ضـرـبـاـ لـخـصـالـ الشـرـ الـمـنـبـوذـ كـالـتـفـاقـ وـالـبـخـلـ وـمـجـالـسـ جـلـيـسـ السـوـءـ ....<sup>3</sup>

لتخلص - اختصاراً - إلى أنّ البلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية، وذلك أنها تقع وصلاً بين إعجاز القرآن وبلغة البلغاء .. وإن شئت قلت: بلاغة المسلمين ، يقول "عباس محمود العقاد": "كان محمد صلى الله عليه وسلم فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان بلغياً مُبِّغاً على أحسن ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وبقواده من المسلمين بل قدوة المسلمين...".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الحمزاوي أبو العلاء ، الخصائص البلاغية للبيان النبوى، ص: 26

<sup>2</sup> - المباركفوري، الرحيق المختوم ، ص: 56

<sup>3</sup> - الحمزاوي أبو العلاء ، الخصائص البلاغية للبيان النبوى ، ص: 27/28 بتصرف

<sup>4</sup> - العقاد عباس محمود ، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، دار الكتاب العربي ، ط1/1971 ، ص: 119

إنَّ جمِيعَ الصُّفَاتِ السَّالِفةِ الذِّكْرِ كَانَ لَهَا الأَثْرُ فِي الْبَلَاغَةِ النَّبُوَّيَّةِ ، بَلْ سَبَبَ مِنْ أَسْبَابِ فَصَاحَتِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوْجَهِ خَاصٍ ، يَقُولُ (الرافعي) : "إِذَا رَجَعَتِ النَّظَرُ فِي تِلْكَ الصُّفَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَاعْتَبِرْتَهَا بِآثَارِهَا وَمَعَانِيهَا، رَأَيْتَ كَيْفَ يَكُونُ الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنِي عَلَيْهِ فَرَاسَةُ الْكَمَالِ فِي نَوْعِ الإِنْسَانِ ، مِنْ دَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَلَى الْبَاطِنِ ، وَتَحْصِيلِ الْحَقِيقَةِ الْفَنِيسِيَّةِ الَّتِي هِي بِطَبِيعَتِهَا رُوحُ الإِنْسَانِ فِي أَعْمَالِهِ، أَوْ أَثْرُ هَذِهِ الرُّوحِ أَوْ بَقِيَّةِ هَذَا الْأَثْرِ..."<sup>1</sup>

ثُمَّ قَالَ: "إِذَا تَأَمَّلْتَهَا مُتَسْقِةً وَتَقْتَلَتْهَا قَائِمةً فِي جَمْلَةِ النَّفْسِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَى تَأَمَّلِ صُورَهَا الْكَلَامِيَّةِ الَّتِي تَبْعُثُ الْكَلَامَ وَتَزْنِهِ، وَتَنْظِمُهُ وَتَعْطِيهِ الْأَسْلُوبَ وَتَحْمِلُهُ بِالرَّأْيِ، وَتَزِينُهُ بِالْمَعْنَى، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ مِنْ ذَلِكَ أَبْلَغَ مَا أَنْتَ وَاحِدُهُ مِنَ الْأَسْلَابِ الْعَصِيَّةِ فِي هَذِهِ الْلُّغَةِ ، وَأَشَدُهَا وَأَحْكَمُهَا، مَا لَا يَضْطَرِبُ بِهِ الْعَصَفُ، وَلَا تُزَايِلُهُ الْحَكْمَةُ ، وَلَا تَخْذُلُهُ الرُّؤْيَا، وَلَا يُبَاينُهُ الصَّوَابُ، بَلْ يَخْرُجُ رَصِينًا غَيْرَ مُتَهَافِتٍ، مُتَسْقِيًّا غَيْرَ مُتَفَاقَوْتٍ، لَا يَعْلِبُ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا ، بَلْ تَعْلِبُ عَلَيْهِ، وَلَا تَسْتَرِسُ بِهِ الْمُخَيْلَةُ، بَلْ يَضْبِطُهُ الْعُقْلُ..."<sup>2</sup>

لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ إِذْنَ هَيَّةً مِنْ هَيَّاتِ الْخَلْقِ وَالْتَّكَوِينِ ، أَعْدَّ بَهَا صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا أَعْدَّهُ اللَّهُ – لِيَكُونَ رَسُولاً مُبْلِغاً، إِذَا أَضْفَنَا إِلَى هَذِهِ الصُّفَاتِ مَا قَالَهُ السَّيِّدَةُ "عَائِشَةُ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَا كَانَ يَسِّرُ كَسْرَدَكُمْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ لَيْنَ فَصِيلٍ، يَحْفَظُهُ مِنْ جَلْسِ إِلَيْهِ" ، وَفِي رَوْيَاةِ: "كَانَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْدُثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُ لِأَحْصَاهِ" ، أَدْرَكَنَا مِنْ بَلْعَهُ تَلْكَ الْهَبَةِ وَمَدِي تَمْكِنَهَا مِنَ الطَّبِيعَ، وَصَدُورُ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا فِي جَمِيعِ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْوَالِ....<sup>3</sup>.

لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَلْهُ تَحْتَلُّ بِلَاغَةُ الرَّسُولِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَى درَجَاتِ الْبَيَانِ، فَهُوَ مِنْ ابْرَزِ مَظَاهِرِ عَظِيمَتِهِ، وَأَجْلِ دَلَائِلِ نَبُوَّتِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ الْلِّسَانِ الْمَبِينِ وَالْمَنْطَقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْحَكْمَةِ الْبَالَغَةِ وَالْكَلِمَةِ الْصَّادِقَةِ وَالْمَعْجِزَةِ الْخَالِدَةِ، زَكَى اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ: "وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يَوْحِي بِالنَّجْمِ" (3،4). وَقَالَ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ "أُوتِيتِ جَوَامِعَ الْكَلِمِ" ، وَمِنْ رَوْيَاةِ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَعْثُتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ..."<sup>4</sup> ، وَكَمَا قَالَ هُوَ: "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبَ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قَرِيشٍ ، وَاسْتَرْضَيْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ.." فَلِمَ يَكُنْ هَذَا افْتَخَارًا مِنْهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا كَانَ تَقْرِيرًا لِحَقِيقَةِ ثَابِتَةٍ...

<sup>1</sup> -الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ج 2، ص: 243

<sup>2</sup> -المراجع نفسه، ص: 244.

<sup>3</sup> -زَرْزُورُ عَدْنَانَ ، الْبَلَاغَةُ النَّبُوَّيَّةُ بَيْنَ الْجَاحِظِ وَالْرَّافِعِيِّ وَالْعَقَادِ ، مجلَّةُ مَرْكَزِ البحوثِ وَالسِّيرَةِ ، عَ 5/ 1991 ص: 256

<sup>4</sup> - محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري، تحرير: مصطفى ديب البغا ، دار المدى للطباعة و النشر، 1992 حدث رقم

1087، كتاب الجهاد، باب قول النبي ص: "نصرت بالرعب..." ج 3، ص: 1087

كيف لا يكون أفضح العرب وهو خاتم الأنبياء وسيد المسلمين، فعلى قلبه نزل القرآن العظيم ... وقد رأاه رب العالمين ... ونشأ وترعرع بين عرب فصحاء مُعربين.

### 3- سمات البلاغة النبوية:

كثيرة هي سمات وصفات البلاغة النبوية ... فقد يقف الأديب أو الكاتب عند سمة واحدة من هذه السمات، ويشير إلى سائرها ، أو إلى طرف آخر فيها، وربما تداخل القول في هذه السمات أو الملامح عنده ، أو عند كتاب آخرين ... تلك هي السمات التي سجلتها أقلام كل من (**الجاحظ والرافعي والعقاد**) ... لا سيما وأنّ الجمع بينهم يشكل التقاطع بين القدماء والمخذلين :

#### أ/ الجاحظ:

"ما جاءنا من أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "، كما أشرنا سالفاً إنّا كلّمة إمام النحو في البصرة في عصره "يونس بن حبيب"، هذه العبارة نقلها الجاحظ دلالة واستشهاداً في معرض حديثه عن "فنون الكلام" عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان واحداً من الذين تباروا في وصف فصاحته وببلغته في كتابه (**البيان والتبيين**) : اذ يقول في هذا الفن من كلام النبي صلى الله عليه وسلم: "هو الكلام الذي قلل عدد حروفه ، وكثّر معانيه وتخلّى عن الصنعة، وتنزه عن التكليف ... فكيف وقد عاب التشديد، وجائب أصحاب التعقيب ... واستعمل المبسوط في موضع البسيط، والمقصور في موضع القصر ... وهجر الغريب الوحشي ، ورَغَب عن المجنين السوقي ، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمه، ولم يتكلّم إلاّ بكلام قد حفّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، وسُيّر بالتوقيق...".<sup>1</sup>

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه الهمة ، وغشاها بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلوة، وبين حُسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب، بل يُبَدِّلُ الخطبَ الطوال بالكلم القصار ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولا يكتفي إلا بالصدق ... لا يهمز ولا يلمز ... لا يبطئ ولا يعجل .. لا يسهب ولا يحصر<sup>2</sup> ....، "ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفضح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم"<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص: 17/18

<sup>2</sup>- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 2 ، ص: 18.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

إنّ المتمعن في كلام الجاحظ في وصفه الجامع الدقيق لكلامه "ص" يلحظ اتصاف الفن النبوي بأكثر من صفة من صفات البلاغة النبوية (فصاحة الاداء النبوي) منها : "صفة الرسول صلی الله عليه وسلم "المبلغ" "الأخلاقيات البلاع النبوي" ، "حجج النبوة"...) ، ليجد أنّ "الجاحظ" ركز على صفتين أساستين أو لهما: "قلة الحروف والكلمات وكثرة المعانٍ " وهي السمة المعبر عنها بـ "جوامع الكلم" ، والثانية: "تنزه البلاغة النبوية عن الصنعة والتکلف" .<sup>1</sup>

إنّ ما رسمه "الجاحظ" في هذا الوصف باعتباره قد عَدَ هذه الصفات "فنا" لأنّه يرى أنّ البلاغة النبوية إذا خلت عن الصفة والتکلف، وجاءت مع ذلك "جوامع الكلم أو بالكلمات القليلة" تحملُ الكثير من المعانٍ فذلك هو الفن الذي يميّز البيان النبوي ، وتلك هي سمة السمات في هذا البيان، وآية الآيات...<sup>2</sup>

#### بـ / مصطفى صادق الرافعي:

بالأسلوب المتميز والمعهود للعقد تحدث عن سمات البلاغة النبوية من ناحيتي "اللغة والبيان" ، أو من جهة: "الصناعتين اللغوية والبيانية" على حدّ تعبيره هو، هذا الحديث يمكن عدّه مدخلاً إلى نقطة أو سمة ثالثة تضاف إلى ما ذكره "الجاحظ" سلفاً، هذه السمة هي "الإبلاغ والحكمة": كصفة أساس من صفات البلاغة النبوية أو الرئيسية ، ففي حديثه عن السمة الأولى: "الصناعة اللغوية" يقول: "إنك إذا نظرت إلى الكلام النبوىرأيته مُسْدَدَ اللَّفْظَ، مُحْكَمَ الْوَضْعَ، جَذَلَ التَّرْكِيبَ، مُتَنَاسِبَ الأَجْزَاءِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلِمَاتِ، فَحُمِّلَ الْجَمْلَةُ، وَاضْطَرَّ بِهَا الْمُخْلِصُ بَيْنَ الْمُسْمَاتِ، وَلَا لَفْظَةَ مُسْتَدِعَةٌ لِمَعْنَاهَا أَوْ مُسْتَكْرَهَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا كَلِمَةٌ غَيْرُهَا أَتَمَّ مِنْهَا أَدْهَانَ الْمَعْنَى، وَتَأْتِيَ لِسَرِّهِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ".<sup>3</sup>

وإذا نظرت إليه في جهة "الصناعة البيانية" رأيته: "حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود ، جيد الرصف، متمكنٌ المعنى، واسع الحيلة في تصريفه بدبيع الإشارة، غريب اللمحّة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إ حالَةً ولا استكراراً، ولا ترى اضطراباً ولا خطأً، ولا استعاناً من عجز ، ولا توسعًا من ضيق ولا ضعفاً في وجه من الوجوه...".<sup>4</sup>

فالكلام النبوّي الذي هذه صفتته ونسق بلاغته والذي كان موضوعه أو ميدانه "حكمة" لا تُدانها حكمة لأنّها حكمة النبوة وتبصير الوحي وتأديب الله ، كما يقول "الرافعي": " وقد سلمت له هذه الجهات الثلاث:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ج2، ص18، 19 (ينظر: عدنان زرزور، سمات البلاغة النبوية، ص: 260/261).

<sup>2</sup> - زرزور عدنان ، سمات البلاغة النبوية، ص: 262

<sup>3</sup> - الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، ج2، ص: 271

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ،ص: 271

اللغة والبيان والحكمة مرة واحدة ، ثم جاءت على أتمّها وأكملها ، بحيث لم تدخل واحدة فيها الضيم على أختيها بوجه من الوجه..."

إنّ البلاغة النبوية سلمت لها هذه الجهات الثلاث في وقت واحد ، في إشارة الرافعي منه إلى أنّ اللغة والبيان ربما لم يستقىما أو لم يستقم أحدهما على أقل تقدير ، ولعله البيان... لمن أراد من الكتاب وأصحاب البيان أن يلزّم نفسه " بالحكمة " النبوية أو بمضامين البيان النبوي ، أو بعناوين موضوعاته على أقل تقدير ، في الوقت الذي الذي بلغ النبي صلّى الله عليه وسلم بيانه هذا المخل الأسمى الذي لا يُضاهى في أدب العرب<sup>1</sup>.

إنّ السّمة البلاغية التي تحدث عنها "الرافعي" من خلال هذه الجهات الثلاث هي سمة "الكمال" أو "سمة التوازن" الذي بلغ حد الكمال والإبداع ، و التي تُضاف إلى السّمتين اللتين أوردّهما "الحافظ" من قبل ، خاصة "التنزه عن الصنعة والتتكلف" ، في الوقت الذي تحدث فيه"الرافعي في ختام جزئه الذي عقده للبلاغة النبوية: "أنّ نسق البلاغة النبوية مبني على ثلات ميزات هي : **الخلوص، والقصد والإيجاز والاختصار ، والاستيفاء.**

**1-الخلوص:** يكون في اللغة والأسلوب ، وأنّ النبي منفرد فيها جميـعاً ، لأنّه لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهم أبداً الدهر من ينفذ في اللغة وإسرارها وضعـاً وتركيـباً ، ويستبعد اللفظ الحرّ ، ويحيط بالعتيق من الكلام ويبلغ في ذلك إلى الصـمـيم على ما كان من شأنه "ص" ، ولا نعرف في الناس من يتـهـأ له الأسلوب الجامـع المجتمع على توثـقـ السـرـدـ وكمـالـ المـلـائـمةـ ، كما تـراهـ فيـ الكلـامـ النـبـويـ.<sup>2</sup>

**2-القصد والإيجاز والاختصار:** على ما طبيـعةـ المعـنىـ فيـ الفـاظـ ، ومن طبيـعةـ الأـلـفـاظـ فيـ معـانـيهـ ومن طبيـعةـ النـفـسـ فيـ حـظـهاـ منـ الكلـامـ وجـهـنـيهـ (الـلـفـظـيـةـ وـالـمـعـنـوـيـةـ)ـ ، فـذـلـكـ ماـ اـمـتـازـتـ بهـ الـبـلـاغـةـ النـبـوـيـةـ ، حـتـىـ كـأـنـ الكلـامـ لاـ يـعـدـوـ فـيـ هـيـاـ حـرـكـةـ النـفـسـ وـ كـأـنـ الـجـمـلـةـ تـخـلـقـ فيـ مـنـطـقـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ خـلـقـاـ سـوـيـاـ ، أوـ هـيـ تـنـزـعـ منـ نـفـسـهـ اـنـتـرـاعـاـ ...<sup>3</sup>.

**3 - الاستيفاء:** الذي يخرج به الكلـامـ مـبـسـطـ المعـنىـ ، بأـحـزـائـهـ لـيـسـ فـيـهاـ خـدـاجـ ، ولاـ إـحـالـةـ ولاـ اـضـطـرـابـ حتـىـ كـأـنـ الأـلـفـاظـ الـقـلـيلـةـ التيـ رـكـبـتـ تـرـكـيـباـ عـلـىـ وـجـهـ تـقـضـيـهـ طـبـيـعـةـ المعـنىـ فيـ نـفـسـهـ ، وـطـبـيـعـتـهـ فيـ نـفـسـ ، فـمـتـىـ وـعـاـهـ السـاـمـعـ وـاسـتـوـعـبـهـ الـقـارـئـ ، تـمـثـلـ المعـنىـ وـأـتـمـهـ فيـ نـفـسـهـ ، وـفـيـ حـسـبـ ذـلـكـ التـرـكـيبـ ، فـوـقـ إـلـيـهـ تـامـاـ مـبـسـطـ الأـجـزـاءـ

<sup>1</sup> عدنان زرزور ، سمات البلاغة النبوية ، ص: 266

<sup>2</sup> الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 281

<sup>3</sup> المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

، وأصاب هو من الكلام معنى جموماً لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساساً لنظر معنوي ...<sup>1</sup>.

لنجلص إلى أنّ البلاغة النبوية عند "الرافعي" جاءت بعد اجتماع هذه الثلاثة في كلامه ، وبناء بعضها على بعض هو السبب عن الرافعي في: "سلامة هذا الكلام العظيم من التعقيد والعيّ والخطل والانتشار وسلمت وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول البلاغة،" كالمجاز" البعيد الذي يغوص إلى الأعمق الخيالية ، و"ضروب الإحالة" ، و"فساد الوضع المعنوي وفنون الصنعة" ، وما إليها مما هو فاشٍ في كلام البلاغة يُعِينُ جفاءً البداوة على بعضها، ورقة الحضارة على بعضه وهو في الجهتين باب واحد"<sup>2</sup>.

### ج- عباس محمود العقاد:

يرى "العقاد" أنّ السمة الغالبة على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم هي سمة "الإبلاغ" قبل كل سمة أخرى ، بل هي السمة الجامحة التي لا سمة غيرها ، لأنّها أصلٌ شاملٌ لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع ..<sup>3</sup> وقد استدل "العقاد" على هذه السمة من خلال اللازمة التي رددها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الطويلة في حجة الوداع، "ألا هل بلغت" ، "اللهم اشهد" فيقول: وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إماً معاهدات ورسائل كُتبت في حينها، وإماً خطب و أدعيَة ووصايا وأوجوبية عن أسئلة كتبت بعد حينها، وروعيت الدقة في المضاهاة بين روایاتها جهداً المستطاع، والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفالين هذا الكلام جميعاً ، حتى ما جرى منه مجرى "القصص" ، أو مجرى الأوامر إلى المؤوسسين ، أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعوه الله على مثاله...<sup>4</sup> ، وقد فسر العقاد هذه السمة في الأدب النبوي من خلال جملة النقاط التالية:

\* حلُو الكلام النبوبي من الكلفة والغموض والإغراب" فمحمد العربي القرشي صلى الله عليه وسلم الناشئ في بني سعد، العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة، لم يكن في كلامه كله غريباً يجهله السامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة...لا يزيد أن يُقيِّم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب..<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - الرافعي، تاريخ آداب العرب ، ص: 282

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - العقاد عباس محمود ، عبقرية محمد صلی الله علیہ وسلم ، المکتبة العصریة بیروت ، د، ط، 1969 ، ص: 105

<sup>4</sup> - المرجع السابق ، ص: 110

<sup>5</sup> - المرجع نفسه ، ص: 110.

\*خلو الكلام النبوى كذلك من الحشو والتكرار والزيادة...فما جاء من التكرار في كلامه للفظ بعينه أو جملة بذاتها ... فهو من سمات البلاغ على سبيل التوكيد والتحقيق.

\*اجتماع المعانى الكبار في الكلمات القصار بل اجتماع العلوم الواافية في بعض كلمات ، وهو المعبر عنه في الحديث النبوى بـ "جواب الكلم" ، والتي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم "...وأعطيتُ جواب الكلم" ...في سياق ما انفرد به أو ما أعطيه عليه الصلاة السلام دون سائر من تقدمه من الأنبياء والمرسلين.

وخلاصة الحديث عن بلاغته صلى الله عليه وسلم نحزم فيها أنّ سمة الإبلاغ هي التي طبعت كلام النبي صلى الله عليه وسلم " بطبع العصرية" وأخرجه من حدود الزمان، لأنّ رسالته ليست لزمان دون زمان ...لذلك ترى كلامه صلى الله عليه وسلم يخرج من حدود الزمان فكل عصر واحد فيه ما يقال له ، وهو بذلك ثُبُوة لا تنقضي ، وهو حيٌ بالحياة ذاتها ..<sup>1</sup>.

لتأخذ البلاغة النبوية طريقها نحو التأليف والكتابة ظهرت كتب بأقلام عربية خالصة تناولت هذا الفن بلاغياً فكانت: "المجازات النبوية": للشريف الرضي..، "الفائق في غريب الحديث": للزمخشري ، "عمدة القاري في شرح صحيح البخاري": للعیني، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية": مصطفى صادق الرافعي ، "الحديث النبوى الشريم من الوجهة البلاغية": كمال عز الدين ، "بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم": محمد حسن العماري ، "البيان النبوى" : محمد رجب البيومي "التصوير الفني في الحديث": محمد بن لطفي الصياغ" "من بلاغة الحديث النبوى الشريم" : عبد الفتاح لاشين ..... .

<sup>1</sup> - زرزور عدنان ، سمات البلاغة النبوية، ص : 267

## ال التداولية .....

ال التداولية ليست لها لغويًا مدخلاً، بلما يكتفي بوصفه و تفسير المبنى اللغوية، بل هي علم جديد للتواصل الإنساني ، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويتعرف على المقدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، ومن هنا تسميتها : "علم الاستعمال اللغوي" .....<sup>1</sup>

### المبحث الثالث: التداولية بين النّشأة و المفهوم:

كثيراً ما يُمثل التواصل الإنساني بؤرةً للعديد من المعرف التقنية والإنسانية، فتسهيلاً لعملية الاتصال توالت الأبحاث في المجال التقني متزايدة حدود ما توصلت إليه أجهزة الاتصال المختلفة في شتى الميادين، أمّا المعرف الإنسانية فقد كانت من اهتمام "علم الاجتماع" ، حين اهتمّ هذا الأخير بالأدوار التفاعلية بين أفراد المجتمع في وقت اهتمّ فيه "علم النفس" بتحليل سيكولوجيا المخاطبين، مخللاً في دراساته المعمقة زلات اللسان، وفلتان الكلم.

<sup>1</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 01/ 2005. ، ص: أ .

إن هذا الاهتمام الإنساني بالتواصل والاتصال جعل الكثير من الدارسين يجمعون على أن الإنسان كائن تواصلٍ، مما يحتم وجود أطراف تُسهل عملية التواصل دون إهمال لأهمية اللغة في عملية تحقيق عملية التفاعل، لاسيما وأنّها تمثل ملكاً مشتركاً بين جموع البشر، مما جعلها تشَكّل عنصراً بحث في كثير من المعارف الإنسانية من جهة، وتتخذ نفسها فضاءً علمياً مستقلاً من جهة أخرى.

وبذلك عرف مطلع القرن العشرين تحوّلاً هاماً في تاريخ الفكر الإنساني اللساني الحديث، وتحديداً مع ما قدّمه اللساني "دو سوسيير"، في محاضراته الشهيرة، حيث غدت تأسيساً لمرحلة جديدة مُغايرة لتصورات الدارسين السابقين، لاسيما ما قدّمه علماء النحو التقليدي العام من قبل، لدى الهند، اليونان، الرومان، العرب، ودراسات الباحثين في القرون الوسطى وعصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، تضاف إلى ذلك بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة التي برزت في القرن التاسع عشر، وبخاصة أعمال "فرانز بوب" ، و"النحاة الشبان، وغيرهم".<sup>1</sup>

وبذلك عَدَ (دو سوسيير) من خلال محاضراته "اللسانيات" درساً جديداً له مقوماته التي تميّزه عن البحوث السابقة، وله مقولاته التي يستند إليها، بعدها عِلماً مستقلاً ضمن حقول المعرفة الأخرى، فشكل بذلك تكراراً لقضايا حفلت بها كتب المحدثين ودراساتهم، فلا يكاد يخلو كتاب في الدراسات الحديثة اللسانية منتناول محاضرات دو سوسيير بالعرض والتأويل والنقد والتحليل.<sup>2</sup>

في وقت تحدّر الإشارة فيه إلى أنّ تميّز دو سوسيير "بين الجانب الاجتماعي في اللغة (اللسان)، والجانب الفردي (الكلام) يُعدّ منطلقاً جيداً لتبني مسار ظهور التداولية فيما "بعد البنوية"، لأنّه يتميّز الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي وحدود كلّ منهما يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وهي القوانين العامة (النظام)، التي يؤدى فيها التواصل، "فيكون الخطاب ناجحاً ما احترمها ومخفاً ما خالفها، وذلك أنّ اللغة في جانبها الاجتماعي تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية جميعاً، فلا يُدعها الأفراد ولا يخالفونها ولا يُحّورونها، كما أَنّها تظهر بالتدرّيج، وتتغيّر أو تختفي بالتدرّيج".<sup>3</sup>

وبذلك تعدّ "اللسانيات التداولية" أحد الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على مساحة الدرس اللسانى الحديث والمعاصر، إذ بعدما كانت اللسانيات تُقصّر أبعادها على الجانبين "البنيوي والتوليدى" ، فتهتم بدراسة

<sup>1</sup> - بوجادى خليفه ، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 13.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص: 14

<sup>3</sup> - بوجادى خليفه ، في اللسانيات التداولية، ص: 14

مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنوي) وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المترسمة فيه (جانب توليدي) في إطار ما يصطلح عليه "لسانيات الوضع" ، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى: "لسانيات الاستعمال"<sup>1</sup>، فكانت عنابة اللسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقداره بعده حركة عملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية الخحيطة بالعملية التواصلية، ضماناً لتحقيق التواصل من جهة، ولستغلاً في الوصول إلى غرض المتكلم وقدره من كلامه من جهة أخرى.

فالتداولية إذن "علم تواصلٍ جديداً" يعالج الكثير من ظواهر اللغة ويُفسّرُها ، ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، لاسيما وهو المجال الرحب الذي يستمد معارفه من مشارب مختلفة، "علم الاجتماع" و"علم النفس المعرفي" ، و"اللسانيات" و"الأنثربولوجيا" و"الفلسفة التحليلية".<sup>2</sup>

وبذلك تستند التداولية إلى كثير من المكاسب المعرفية الإنسانية المختلفة، مما أكسبها طابع التوسيع والثراء في معالجاتها المختلفة، وجعلها تتحذل لنفسها مكانة مهمة بين البحوث المختلفة، فهي بذلك ليست علمًا لغويًا محضاً بالمعنى التقليدي. علماً يكتفي بوصف وتفسير البنية اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة لكنّها "علمٌ جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال" ، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره" ، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنّها تشي بانتماها إلى حقول مفاهيمية تضمّ مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المترسمة في الإنتاج، والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال".<sup>3</sup>

فالتداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها "علم النفس المعرفي" ممثلاً في نظرية الملائمة la théorie de pertinence الخصوص ، ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال".<sup>4</sup>

لنخلص إلى أنّ التداولية عند معظم الدارسين هي "ايجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تُسمى: "علم الاستعمال اللغوي".<sup>1</sup>

<sup>1</sup>-بوقرة نعمان ، اللسانيات ، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2009، ص 160.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص :163:.

<sup>3</sup>-صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص:16.

<sup>4</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، ص:16.

لقد أصبحت التداولية من أكثر المناهج اللسانية القادرة على التحليل اللغوي، بتجاوزها الشكل والصورة وصولاً إلى المضمون أو المعنى، بل وصلت إلى أبعد من الاهتمام بالمعنى المجرد، فدرست "علاقة اللغة بالاستعمال"، وخيار دليل على انفرادها بتلك القدرة، الملفوظ الآتي: "لقد زادوا في قيمة الضرائب"<sup>2</sup>، فإذا أردنا مثلاً تحليل هذا الملفوظ "بِيُوْتَا" ، فإنّ هذا الاتجاه سيكتفي بإبراز شبكة العلاقات التي تربط بين وحدات الملفوظ، دون إعطاء أية قاعدة من شأنها تفسير الضمير الذي أُسند إليه الفعل "زاد" ، ولا هي قادرة أيضاً على تعين المرجع الذي "يحيل إليه" في الواقع الخارجي، أما إذا أردنا تحليل الملفوظ السابق "تداولياً" ، فإنّنا نجد عدة آليات قادرة على تفسير الضمير وتعين مرجعه الخارجي، فالضمير في الفعل زاد في ظل هذه النظرية يعود على السلطات المخول لها القيام بتلك الزيادة، وهي مصلحة الضرائب، وهذه الأخيرة مستمدّة من الواقع الخارجي....<sup>3</sup>

فدون أن نقلّل من جهود "البنييين" وما أعطوه للدرس اللغوي، نحزم في القول بأنّ "التداولية" بتجاوزت ما وراء البنية وصولاً إلى علاقة اللغة بالاستعمال" ، مما جعل من التداولية موضوعاً جديراً بالدراسة والاهتمام غير أنّ ما عرفته من اتساع واحتواها لعدة نظريات "كنظريّة الأفعال الكلامية" ، "الافتراض المسبق" ، "الإحالّة" ، "الوظائف التداولية" جعل كلاً منها يمكن أن يكون موضوعاً للبحث، ولكن قبل الخوض في أيٍ منها يجدر بنا أن نعرّج على "ماهية" هذا العلم ، واسمه وعوامل ظهوره ، وتطوره ، والمواضيع التي خصّها بالدراسة، لأنّه في ظل هذا التطور تحاول "المقاربة التداولية" الإجابة على مجموعة من الأسئلة مثل: ماذا نصنع حين تتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ من يتتكلّم إذن؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإيجام عن الجملة؟

كيف نتكلّم بشيء ونريد شيئاً آخر؟<sup>4</sup>

### 1-مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً:

يُعدّ مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدّت انتباه الدارسين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فتضاربت الآراء حول تحديد هذا المصطلح بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه، ذلك أنها مبحث لساني، ونظرية لما يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إنّ مفهوم التداولية "تتقاذفه مصادر معرفية

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ،ص:17.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ،ص:29.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ،ص:..29

<sup>4</sup>- فرانسواز امينيكو ، المقاربة التداولية ، ترجمة سعد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص: 07.

عديدة، فغدت ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها<sup>1</sup>، إذ لكل ميدان من ميادين التداولية مصدر انبثق منه، فنظرية "أفعال الكلام" انبثقت من تيار الفلسفة التحليلية، و"نظرية المحادثة" نابعة من فلسفة (بول غرايس)، كما أنّ "نظرية الملائمة" ولدت من رحم علم النفس المعرفي..<sup>2</sup>، كما أنها تتدخل مع كثير من العلوم الأخرى، مما يجعل كلّ باحث يتطرق في تعريفها من مجال تخصصه.

ولاتساع حدودها بهذا الشكل أقرّ العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها، ذلك ما نجده في تصريح "فرونسواز أرمينيكو" هي: "درس جديد وغيره إلا أنه لا يملك حدوداً واضحة... تقع التداولية أكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"<sup>3</sup>، وهي تشغّل اهتمام المناطقة والسيمائيين وال فلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين ، والبالغين وعلماء التواصل ، واللسانيين ... وبذلك " فهي على مستوى التحليل لا يمكن أن تصنفها في أيّ من المستويات، ولا تدرس جانباً محدداً في اللغة، بل تستوعبها جميعاً، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تحريرية"<sup>4</sup>.

فارتبطة التداولية إذن بكثير من العلوم كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس ونتيجة لتدخلها بكثير من العلوم، فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية المقابلة للمصطلح (Pragmatique) فقيل: "البراغماتية ، البراجماتيك ، البراجماتيك ، وقيل التداولية، المقامية، الوظيفية السياقية النفعية ..." <sup>5</sup>، وأفضل هذه الترجمات "ال التداولية" إذ هي تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب ، أي التفاعل القائم

بينهما في استعمال اللغة.<sup>6</sup>

**أ-المفهوم المعجمي للتداولية:** لقد أجمع جل المعاجم العربية على أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي "دَوَلَ" فقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين: "أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: إندا القوم: إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تداول القوم شيء بينهم، إذ صار من بعضهم إلى بعض، والدولة و الدولة لغتان، ويقال بل

<sup>1</sup>- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 63.

<sup>2</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 17.

<sup>3</sup>- فرنسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية، ص: 07.

<sup>4</sup>- نخلة محمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 10.

<sup>5</sup>- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 65.

<sup>1</sup>- نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 52.

الدولة في المال ،والدولة في الحرب، وإنما سُمِّيَ بذلك من قياس الباب، لأنَّه أُمْرٌ يتداولونه" فـ"فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذ" <sup>1</sup>.

وقد ورد في معجم: (**أساس البلاغة**): دَوْلَ: دالت له الدولة، دالت الأيام بـكذا ... وأدْلَى الله بنى فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، ... وأدْلَى المؤمنون على المشركين يوم يدر، وأدْلَى المشركون على المؤمنين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس: مَرَّة لهم ومرّة عليهم، وـتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما" <sup>2</sup>. وجاء في (**لسان العرب**) : "ـتَدَأْلُنَا الْأَمْرُ، أَحْذَنَاهُ بِالْدُّولَ، وَقَالُوا: دَوَالِيكَ: أَيْ مُدَأْلَةٌ عَلَى الْأَمْرِ... وَدَالَتِ الْأَيَّامُ أَيْ: دَازَتْ... وَالله يُدَالِهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَتَدَالِتُهُ الْأَيْدِي أَيْ أَحْذَتُهُ هَذِهِ مَرَّةٌ وَهَذِهِ مَرَّةٌ، وَتَدَالِلُنَا الْعَمَلُ وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا ، فَعَمِلَ هَذِهِ مَرَّةٌ وَهَذِهِ مَرَّةٌ" <sup>3</sup> ، "ـوَيَقُولُ دَاوِلُ اللَّهِ الْأَيَّامُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَعْنَى أَدَارَهَا وَصَرَفَهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "ـوَتَلَكَ الْأَيَّامُ نَدَالُهَا بَيْنَ النَّاسِ" آل عمران 140. أَيْ نُدِيلُ عَلَيْكُمُ الْأَعْدَاءَ تَارَةً، وَإِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْعَاقِبَةُ ، مَلَى لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ كَمَا أَشَارَ (ابن كثير): بِأَيِّ الْأَمْرِ وَالْفَرْجِ تَارَةً عَلَيْكُمْ فَيَكُونُ الْأَعْدَاءُ غَالِبِينَ، وَتَارَةً تَكُونُ لَكُمُ الْغَلْبَةُ، لَكُمُ النَّصْرُ الْأَخِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ" <sup>4</sup>.

فمدار اللفظة لغة هو "ـالتناقل والتتحول" بدلالة الصيغة الصرفية "ـتَدَالِلُ" الدالة على تعدد حال الشيء كما ينتقل الحال من هذا إلى ذاك أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء. فـ"الملاحظ على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلائلها للجذر." دَوْلَ على معاني "ـالتحول والتبدل والانتقال" ، سواء من مكان إلى آخر أو من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشتراك في فعل التحول والتغيير ، وتلك حال اللغة مُتَحَوَّلة من حال لدى المتكلم إلى حال آخر لدى السامع، ومتقللة بين الناس يتداولونها بينهم ، وـ"ـلذلك كان مصطلح التداولية أكثر ثبوتاً بهذه الدالة من المصطلحات الأخرى: النفعية، السياقية، وغيرها" <sup>5</sup>.

فـ"ـباتِنَقَالُ الْلُّغَةِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، مِنْ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى السَّامِعِ يُسْمِحُ لَنَا بِتَحْقِيقِ التَّوَاصِلِ الْلُّغُوِيِّ" ، لذلك حتم مفهوم التحول و التناقل وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء، فـ"ـلذلك أيضاً حَالُ الْلُّغَةِ باعتبارها نوعاً من

<sup>1</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ص: 314

<sup>2</sup> - الرمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج 1، ص 303.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت..، مادة: دَوْلَ.

<sup>4</sup> - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ضبطه وخرج آياته محمود عبد الكريم، دار صبح، بيروت، ط 4، 2007، ج 1، ص: 415.

<sup>5</sup> بوجادى خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 148

المساجلة بين طرفي العملية التواصلية ، أو نوعا من الاشتراك في تحقيق الفعل، فيقول (طه عبد الرحمن): "إن الفعل "تداول" في قولنا: "تداول الناس كذا بينهم ؟يفيد معنى: تناقله الناس وأذاروه بينهم" حيث جعله بذلك مرادفا للفعل "دار" الذي من معانيه نقل الشيء وجريانه نحو قوله: دار على الألسن بمعنى: حرى عليها"<sup>1</sup>. ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في إطار إنشاق اللغة الملعوظة ، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة فيقال: "نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنهم" ، ويقال: "دار على الألسن بمعنى حرى عليها" ، فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى "التواصل" ، وفي استخدامهما التجرببي على معنى الحركة بين الفاعلين... فيكون التداول جاماً بين اثنين هما: "التواصل والتفاعل" ، "فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل"<sup>2</sup>.

ومن شواهد استخدام هذا المصطلح في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الحشر: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْنَ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..." الحشر 07 ، وبيان معنى (كَيْنَ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ) أي: كي لا يكون ذلك الفيء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم. يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه . وهذا مرة في سبيل أبواب البر ، وسبل الخير<sup>3</sup> . وقد ذكر صاحب "الكساف" في معنى قوله تعالى: "وَتَلْكَ الْأَيَامُ ثَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ"آل عمران 140 ، "نداؤها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، يقال داولت بينهم الشيء فتداؤلهو...."<sup>4</sup> ، كقول الشاعر:

في يوما علينا ويوما لنا \*\*\* ويوما نساء ويوما نسر<sup>5</sup>.

فالملاحظ في هذا المجال أن لفظة التداولية ومشتقاتها استعملت في هذه الآيات بمعنى: "تغير حال القوم من حال إلى حال" ، أو "انتقال الملك من قوم إلى قوم" ، أو "التعاقب أو التناوب على أمر ما" . وكل هذه المعانٍ نلمس من خلالها عدم الثبوت والاستقرار والتحول ، كما هو الأمر بالنسبة للغة؛ حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما، يمكن أن يفهم أو يؤول إلى عدة معانٍ، وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتتحول وغير مستقر بين بايهه ومُتلقيه.

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993، ص: 243 - 244.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 244

<sup>3</sup>- بوجادى خليفة ، في للسانيات التداولية، ص: 149.

<sup>4</sup>- الزمخشري جار الله ،الكساف عن حقائق التنزيل ،مطبعة البولاق مصر ،1281هـ .ص:150

<sup>5</sup>- المرجع السابق ، ص: 150.

## بـ-المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

لقد كانت سنة 1938 بمثابة الميلاد الأول لمصطلح التداولية على يد الفيلسوف (شارل موريس) الذي وزع دراسته للرموز اللغوية حسب المخطط التالي :**الجانب النحوی Syntax**: يعني بعلاقة الرموز اللغوية بعضها البعض، **الجانب الدلالي Sémantics**: "ويعني به الرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدل عليها، **والجانب البرغماطي Pragmatic**: "ويعني بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها"<sup>1</sup> ، فما يهمنا بدرجة أكبر من هذا التعريف هو "الشقّ الثالث منه، لكن قبل الخوض في تعريفه نُشير إلى أنّ التداولية هي الترجمة العربية للمصطلحين الأنجليزيين (Pragmatique) على التوالي، وليس ترجمة للمصطلح الفرنسي (la Pragmatics)، لأنّ هذا الأخير يعني "الفلسفة النفعية الذرائعة"، بينما يعني الأول هذا الاتجاه التواعدي الجديد<sup>2</sup>.

و"يرجع أصل الكلمة (Pragmatique) إلى الكلمة اللاتينية (pragma) (ومعناها" الفعل" ، ثم أصبحت الكلمة بفضل "اللاحقة" تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي"<sup>3</sup>.

ولعل محاولة الوقوف على تعريف موحد للتداولية يُعدّ من الصعوبة بما كان، نظراً لتنوع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعددت التعريفات بحسب تخصصات أصحابها و مجالات اهتماماتهم، ومن أبرزها ما قدمه (فرانسيس جاك) "تطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"<sup>4</sup>، فالتداولية تتجاوز الدراسة البنوية (.السكنوية). للغة ، إلى دراستها في سياق استعمالها ، ومراجعة كلّ ما يحيط بها من أحوال ، وما تخضع له من مقاصد المتكلمين، ولذلك:

\* بربرت جهود جادة في هذا المجال على الرغم من قلتها، من أهمها جهود الباحث (طه عبد الرحمن) والذي يرجع له الفضل في ترجمة المصطلح الأنجليزي Pragmatique "بالتداوليات" فيقول: "وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلًا للمصطلح الغربي براغماتيًّا لأنَّه يوفي المطلوب حقَّه باعتبار دلالته على معنيين: "الاستعمال، التفاعل معاً" ، ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يُدرجونه في أبحاثهم".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- شاهر الحسن، علم الدلالة السيميائية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2001، ص: 157.

<sup>2</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند علماء العرب، ص: 15.

<sup>3</sup>- سعودي نواري أبيزيد، في تداولية الخطاب الأدبي –المبادئ والإجراءات ، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص: 18.

<sup>4</sup>- فنسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ص: 12.

<sup>5</sup>- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 27.

ومن هذا المنطلق يعرف (طه عبد الرحمن) التداولية بقوله: "التداول عندها متى تعلق بالمارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهاً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أنّ المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقاً مكانياً و زمانياً لحصول التواصل والتفاعل فالمقصود به: "مجال التداول" في التجربة التراثية هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"<sup>1</sup>. فالتداول من خلال هذا المعنى جاء بمعنى التواصل والتفاعل.

وفي سنة 1985 ظهر مؤلف الباحث المغربي (أحمد التوكل) حول الوظائف التداولية بعنوان : "الوظائف التداولية في اللغة العربية" ، إذ عُدَّ مؤلفه إنجازاً تداولياً نحوياً ، أسهם في إثراء هذا الاتجاه الدراسي الذي حصر مصادر التفكير التداولي اللغوي العربي عند العرب في علم النحو والبلاغة وأصوله وتفسيره، وكل هذه العلوم تؤول إلى المبادئ الوظيفية إذ يرى : "إن إنتاج اللغويين العرب يشكل مرحلة من أهم مراحل تطور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني"<sup>2</sup>.

وعرفها الباحث (جيلاي دلاش) بكونها: "تخصص لسانس يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحدياتهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويتهم لتلك الخطابات والأحاديث"<sup>3</sup>، ثم يردف كلامه بإجمال تعريف التداولية في قوله: "هي لسانيات الحوار أو الملكة التبلغية"<sup>4</sup>، لأنّها في إطار عنايتها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال تكتم بعناصر التخاطب والتحاور، فتراعي قصد المتكلم ونواياه، وحال السامع ووظيفته، وتبحث في شروط نجاعة الرسالة ، وسلامة الحوار بين المتحدثين، وكل ما يحيط بهم فالتداولية إذن تعني بكل ما يتصل بالعمل التخاططي بحثاً عن المعنى وضماناً للتواصل.

فالتداولية في أبسط تعريفها: "دراسة اللغة في أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب" ، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وأحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه وتبحث في الشروط الالزمة لضمان نجاعة الخطاب وملاحمته الموقف التواصلي الذي يوجد فيه المتلقي بالخطاب والسامع له.

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص: 244.

<sup>2</sup>- التوكل أحمد ، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري منشورات عكاظ ، الرباط، 1987 ، ص: 9.

<sup>3</sup>- جيلاي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، د، م، ج، 1992 ، ص: 1.

<sup>4</sup>- الرجع نفسه ، الصفحة ذاتها.

أمّا الدكتور (صحراوي مسعود) فيُقرّ: "أنّ التداولية ليست علماً لغويّاً محضاً ولكنها علمٌ جديدٌ للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"<sup>1</sup>.

ولعلّ التّمعن في التعريفات السابقة يوصلنا لا محالة إلى أنّها تجتمع كلهَا في أنّ (التداولية) تعني: "دراسة اللغة في الاستعمال"، وهذا يدل دلالة واضحة على وجود "متكلّم ، مُستمع، وقناة تواصل"، وهي مكونات سياق الكلام إن لم نقل بعض مكوناته، لذلك بحدّ جُلّ الباحثين قد أدركوا الأهميّة الكبيرة للسياق وأولويّة الدور الأساسي في تعريف التداولية فقيل: "التداولية هي دراسة "جوانب السياق" "Aspects of context" ولعلّ "interaction in Un use" أو في التواصل من علاقتها بالسياق هو: "دراسة اللغة في الاستعمال هو"

ومعنى هذا أنّ التداولية تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين متكلّمٍ ومُتلقّي في سياقٍ مُحدّدٍ وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها أو المرتبط بأحد مكونات الرسالة اللغوية، أو بمعنى آخر: إنّ الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعاباً للظاهرة اللغوية بكلّ أبعادها التوافضية، ذلك لأنّها تدرس اللّغة وعلاقتها بمستعمليتها والمؤولين لها من جهة، كما تهتم بالبحث في شروط نجاح هذه العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة مما يجعل منها نظرية استعمال من جهة أخرى.

## 2- التداولية بين النّشأة و التّطور :

تعدّ التداولية اتجاهًا جديداً في دراسة اللغة، يبحث عن حلٍّ لعديد من المشاكل اللغوية، لاسيما وهي التي تشكّل محاولةً جادةً للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والباحث العلمي عامةً، متوصّلةً في سبيل ذلك عديداً من العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول حين نتكلّم؟ من يتتكلّم؟ ومتى يتتكلّم؟ وأجل من؟ ماذا يجب علينا أن نعلم حتى يرتفع الإجماع عن جمله أو أخرى؟ هل يمكن أن نرکن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند علماء العربية، ص: 16.

<sup>2</sup>- نخلة أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 12.

<sup>1</sup>- فرانسواز ارمينيكو ، المقارنة التداولية، ص: 11.

ولم تصبح التداولية مجالاً يُعتَدّ به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن طوّرها فلاسفة اللغة الثلاثة: (جون أوستين J. Austin ، بول غرايس Poul Grise) و (جون سيرل J. Sirl) و "الذين هدفت دراستهم إلى إيجاد طريقة لتوسيع معنى اللغة الإنسانية ، من خلال إبلاغ مُرسِل رسالة إلى مستقبل يفسّرها، فكان عملهم من صميم البحث التداولي"<sup>1</sup> ، لذلك بات من المتفق عليه: "أنّ اللسانيات التداولية لها أصولٌ فلسفية انبثقت منها ، حيث تُعدّ الفلسفة التحليلية المصدر الأول لظهور المفاهيم التداولية وهي الأفعال الكلامية"<sup>2</sup> ، فكانت بداية تطور اللسانيات التداولية "بنظرية أفعال الكلام" التي ظهرت مع "جون أوستين" وتطورت على يد "جون سيرل" ، وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تُشكّل مجتمعة ما يعرف بـ"اللسانيات التداولية" (أفعال الكلام، الاستلزم التخاطي الإشاريات.....).

وقد تبلورت أفعال الكلام على يد (سيرل)، الذي أعاد تقسيم الأفعال اللغوية وميّز بين أقسامها، كما كانت مساهمة (جرايس Graise) في تطور ذلك من خلال بحثه في "الاستلزم الحواري" الذي يكون دائراً حول فكرة: "كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلّم شيئاً ويقصد شيئاً آخر؟ وكيف يمكن أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ وذلك من خلال محاضراته التي كان يلقّها في جامعة "هارفارد" عام 1967 ، مُنطلقاً في ذلك من نقطة مفادها أنّ الناس في حوارتهم قد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون"<sup>3</sup> ، واضعاً بذلك حدوداً بين ما يُقال "What is said" ، وما يُقصد "what is meant" ، أو ما يطلق عليه المعنى الصريح والمعني الضمني من خلال مبدأ "التعاون" هذا الأخير الذي تحكمه أربع قواعد أساسية هي :

01: قاعدة الكمية : "مساهمتك في الحديث بالقدر الذي يتطلبه ذلك الحديث دون زيادة أو نقصان.

02: قاعدة الكيفية : لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عنده دليل عليه.

03: قاعدة المنسابة : الكلام مناسب للمقام الذي قيل فيه.

04: قاعدة الهيئة : مُساهمة في الحديث ، موجزة ، منتظمة خالية من الغموض و التلاعيب بالألفاظ.

### 3- التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

<sup>1</sup>- نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 9 - 10.

<sup>2</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، ص: 17.

<sup>4</sup>- نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 33.

إنّ اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، من بينها "علم النفس"، "علم الاجتماع"، "السيميائية"، "الفلسفة"، وهذا ما نجده عند فرونوسواز ارمينيكو: "ونكاد نرى جيداً على العكس من ذلك إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق غنية تداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقة، و السيميائيين، الفلسفه، السيكلولوجيين والسوسيولوجيين، فنظام التقاطعات هو نظام الالتقاءات. و للافترقات ".<sup>1</sup>

**أ - التداولية وعلاقتها بالبنية Structuralisme**

كثيراً ما تهتم التداولية بدراسات الكلام، وهو الجانب الذي أبعده اللّساني الشهير (دوسوير) من مجال دراسته حين وضع "ثنائيته الشهيرة" (لغة/كلام)، حين اعتبر اللغة نظاماً مُغلقاً تم دراسته بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية، فهو بذلك يُلغي كل الخصائص الفردية التي تطبع ذلك النظام أشاء الأداء، و اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة<sup>2</sup>، ومعنى هذا أن اللسانيات البنوية تهتم أساساً بدراسة نظام اللغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم، ولا يساق الكلام، وينذهب كذلك إلى عد اللغة ظاهرة اجتماعية.<sup>3</sup>

فما يمكن قوله في هذا الحال: أنَّ الكلام ليس معزولاً عن اللغة إِلَّا افتراضًا لأنَّه لا يمكن للغة أن تتحقق إِلَّا في مستوى الكلام، حيث تُطبع بخصائص من يؤديها مهما حاول تجنب ذلك، فالكلام إذن مظہرٌ من مظاهر تحققِ اللغة واقعاً، ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضحٌ بينهما<sup>4</sup>، فكلٌّ منهما بحاجة إلى الآخر وما يجعلهما مختلفين إنما هو منهج الدراسة، "فالبنيوية" تهتم بوصف اللغة باعتبارها مجموعة من القوانين المنتظمة بمعزل عن كلٍّ ما يحيط بها، أمّا "التداوِلية" فتهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال مركّزة على دور اللغة في عملية التبليغ بهدف تحقيق التواصل، ومن ثمة التأثير على متلقي الخطاب.

### **بـ - التداوilyة وعلاقتها بعلم الدلالة:**

تُعد كل من "الدلالة" و"النداولية" علمين متراطبين لأنهما يشتراكان في اهتمامهما بدراسة المعنى في اللغة إلا أنهما مختلفان في العناية بجوانيه، فالدلالة: تدرس المعنى وفقاً للوضع بمعدل عن السياق وبعيداً عن المقامات

<sup>1</sup> - فرانسواز ارمینکو ، المقارنة التداولية، ص: 11.

<sup>2</sup> - فرديناند دوسوسيير ، علم اللغة العام ، ترجمة يونيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة و النشر ، العراق 1988 ، ص:30.

<sup>3</sup>- مومن أحمد ،اللسانيات النشأة والتطور ،د،م،ج،الجزائر ،ط01/2008،ص:123.

<sup>4</sup> بوجادى خليلة ، في اللسانيات التداولية ، ص: 123.

الاتخاطبية، أمّا "التداوِلية": فتهتم بدراسة المعنى وفقاً لاستعماله، مراعيَّةً في ذلك ظُروفَ المتكلمين ومقاصدهم والسياق المناسب لها.<sup>1</sup>

إنَّ اشتراكَ كُلٍّ من "الدلالة والتداوِلية" في موضوع دراسة المعنى يُضفي كثيراً من الغموض حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات، لأنَّ هناك من الدارسين من يجعل التداوِلية امتداداً للدرس الدلالي على نحو ما يذهب إليه "الترافارس".<sup>2</sup>

ومن هنا يتضح التداخل والتكميل بين العلمين، فالتداوِلية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة، حيث تقوم الدلالة بتفسير الملفوظات وتحديد معانيها الحرفية في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، لكن دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، ثم تأتي التداوِلية لترتبط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب، مراعيَّةً في ذلك شروط نجاح أو إخفاق العبارات الكلامية في إطار السياغ الذي ترد فيه، فهي على عكس الدلالة تدرس العلاقات بين النص والسياغ، مُهتممةً في الوقت نفسه بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي".<sup>3</sup>

### ج- التداوِلية وعلاقتها بالأسلوبية:

تتقاطع كل من "التداوِلية" وأسلوبية" في بعض الجوانب، نحو اهتمامها باللغة إلا أنَّ كلاًّ منها تختلف عن الأخرى من حيث منهج الدراسة، فإذا كانت التداوِلية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها مع مراعاة قواعد هذا الاستعمال التي توجد في أذهاننا والتي تسمح لنا بتأدية المعنى المطلوب كالقواعد الاجتماعية والعلمية والأسلوبية<sup>4</sup>، ومراعاة السياق الذي ترد فيه إلى جانب الاهتمام بـ"القوى الانجذابية المتضمنة في الأفعال الكلامية"، وشروط تحقق "الفعل بالقول"، فإنَّ الأسلوبية تُلْغِي كُلَّ الأبعاد التي تخرج عن نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقررت بوجود جوانب ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء دراستها للنص، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية: (النمط، الانزياج)، الاستعمال المعياري، الاستعمال الأدبي، اللغة العادية، ومن هنا نخلص إلى أنَّ التداوِلية تدرس اللغة أثناء استعمالها، أمّا الأسلوبية فتدرس الجوانب الجمالية للغة كـ"الانزياج" مثلاً.

<sup>1</sup>- محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والاتخاطب، دار الكتب الجديد، بيروت، 2004، ص: 13.

<sup>2</sup>- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداوِلية ، ص: 128.

<sup>3</sup>- فان ديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحيري ، دار القاهرة مصر ، ط 1/ 2001، ص: 116.

<sup>4</sup>- جحفة عبد الحميد ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبيقال للنشر ، المغرب 1999، ص: 28.

#### د - التداولية وعلاقتها بالبلاغة:

تدرس البلاغة كلّ ما يرتبط باستعمال اللّغة ومارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال (لكل مقام مقال)، وقد عرّفها (أبو هلال العسكري) من الناحية اللغوية يقول: "البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا أنتهيت إليها، وبلغتها غيري، فسميت البلاغة بلاغة لأنّها تُنْهِي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، والبلاغ أيضا هو التبليغ في قوله تعالى: "هذا بلاغ للناس" إبراهيم 52، أي تبليغ".<sup>1</sup>

ولا يخرج معناها اصطلاحا عن "التبليغ والانتهاء" إلى قلب السامع: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتنكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسه، مع صورة مقبولة ومعرض حسن".<sup>2</sup>

فالبلاغة إذن تقوم على مبدأ "التبليغ" و"التأثير" أثناء عملية التواصل، ومن هنا يصبح التداخل واضحًا بين العلمين، إذ أحدهما يشتراكان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين ويساند هذا الرأي (ليتش Leitch) في قوله: "إن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يُخلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي".<sup>3</sup>

#### ه- التداولية وعلاقتها بال نحو الوظيفي:

يُعدّ النحو الوظيفي أهم رافد للدرس التداولي، بل هناك من الدارسين من جعل "التداولية امتدادا للوظيفة"<sup>4</sup>، من منطلق أنّ خصائص البنيات اللغوية تُحدّد انطلاقا من ظروف استعمالها.

ولا يخفى على أيّ باحث في مجال التداولية أو النحو الوظيفي ما قدمه الدكتور (أحمد المتوكّل) من بحوث في هذا المجال من خلال رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي، وحسن استيعابه للنظريات اللغوية الحديثة مكّنت من إغناء الدراسات النحوية العربية بمصطلحات حديثة، تكاملت في إطار نظرية رُشّحت أكثر من غيرها لتكون رؤية معاصرة للنظرية النحوية القديمة، ومكمّلة لأُسُسِ البحث في هذا المجال".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- العسكري أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، تتح: علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، 1986 ، ص:06.

<sup>2</sup>- الرجع نفسه ، ص:10.

<sup>3</sup>- حفناوي علي ، التداولية البراغماتية الجديدة ، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر ، عدد 17 / 2006 ، ص:66.

<sup>4</sup>- المتوكّل أحمد ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، المغرب ، ط 1 / 1985 ، ص:08.

<sup>5</sup>- بعيطيش بخي ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب متّوري قسنطينة ، 2006 ص:77.

وهذا النحو الذي أَسَّسَه "سيمون ديك" وطوره "أحمد المتقوكل" بالشّرح والتفسير كما سبق الذكر ، يجمع بين المقولات التحويية، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام<sup>1</sup> ، ولذلك يمكن القول أنّ النحو الوظيفي بمثابة نظرية واسعة تكامل فيها النحو ، واللسانيات ، و التداولية.

### و - التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب **L'analyse du discours**

يُعدّ تحليل الخطاب أحد مستويات الدرس اللغوي الحديث الذي يهتم بدراسة النصوص سواءً أكانت محكية أم مكتوبة، فبعد أن كانت أنظار الباحثين حتّى منتصف السبعينيات من القرن 20، مُوجّهة نحو دراسة الجملة وفقاً لمستوياتها "الصوتية الصرافية والنحوية الدلالية" ، والبحث في ما إذا كانت هذه المستويات منسجمة أم لا. أصبح كل الاهتمام مُنصباً على تحليل النص ، وهذا لمجموعة من الأسباب منها: أن الجملة قد تكون مستقيمة مع قواعد النحو والصرف، فتُقبل فقط إذا وردت في سياقها المناسب، وترفض إذا استعملت في خارج سياقها، فمثلاً عبارة: "أهنتك بهذه المناسبة السعيدة" تُقبل إذا وردت في سياق "تمنّع شخص ما" على نحاحه وتفوقه ، أو بمناسبة زواجه، وتُرفض إذا قيلت مثلاً لشخص : فقد عزيزاً، أو فشل في احتبارٍ ما، وما جعلها غير مقبولة هو "السياق الخطأ" الذي وردت فيه، والمفروض اجتماعياً هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنّ عملية التواصل لا تتم بمجرد التلفظ بجمل أو عبارات مستقلة أو منفصلة عن بعضها، ومن هنا حاول تحليل الخطاب تجاوز الجملة ليشمل النص بمختلف أنواعه (شغوفياً كان أم مكتوباً)، فعرف بأنّ: التحليل اللغوي للخطاب سواءً أكان محكياً أم مكتوباً، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتَعَدّى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل "الحوار" أو النص مهما كان حجمه، ويهمّ هذا الميدان بدراسة اللّغة في سياقها. فهو يقوم على "دراسة الاستعمال الفعلي للّغة من خلال متكلمين فعليين في مقامات فعلية".<sup>2</sup>

ومن هنا يتّضح "التدخل" بين تحليل الخطاب والتداولية ، وتبدو العلاقة وثيقة بينهما، فكل منهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلمين (المخاطب) و(المخاطب) ومقاصدهم ، والسياق الذي يرد فيه الحوار (الخطاب) والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية".<sup>3</sup>

### ز - التداولية وعلاقتها باللسانيات النفسية والاجتماعية:

<sup>1</sup>-المتقوكل أحمد ، الوظائف التداولية ، ص: 09

<sup>2</sup>-بوجادى خليفة ، في اللسانيات التداولية ، ص: 134.

<sup>3</sup>-نخلة أحمد محمود ، أفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص: 11.

"قد يدخل أحد الغرفة فيقول: "الجو حار" فيهم أحد الحالين فيها بفتح النافذة" ، إن استحاجة هذا الفرد تستند إلى سرعة البديهة وقوة الذاكرة، وبعض جوانب الطبع.، فعلى الرغم أن المتكلم لم يطلب من سامعه فتح النافذة، إلا أن هذا الأخير فهم قصد المتكلم ، كلّ هذا يندرج فيما يسمى "ملكية التبليغ" الناتجة عن الموقف الكلامي، وهذا التواصل بين الطرفين وفهم مقاصد بعضهم بعد" بعدها تداولياً، لذلك فالتدابير تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية، وهو ما يعرف "مبادأ التعاون" فإيراد الخطاب بالكلم المطلوب، والكيف المناسب نابعٌ من شخصية الفرد ، وهو "بعد نفسى تداولي".

أما عن علاقتها" باللسانيات الاجتماعية يمكن أن نورخ لها بظهور المدرسة الاجتماعية اللسانية بزعامة "Firth (فirth) ، الذي تأثر بنزعة "دوركايم" الاجتماعية للغة، هذه المدرسة التي نشأت كرد فعل على اللسانيات البنوية التي أبعدت المكون الاجتماعي عند التحليل اللغوي، وجدت صداماً ضمن ما يسمى "باللسانيات التداولية" ، فلكي تعمد إلى تحليل اللفظ ضمن "السيرة الاجتماعية" لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار الاهتمامات المنطقية والفلسفية فضلاً عن مفهوم البراغماتية، فإذا سمعنا مثلاً عبارة "الطقس حار" من غير معرفتنا طبيعة الظروف التي قيلت فيها، فإننا نفهم لا محالة أنها مختلفة عن عبارة "الطقس مطر" غير أنه من المحتمل أن يلتجأ أحد السامعين لهذه العبارة إلى فتح النافذة أو تشغيل المكيف الهوائي ، فقيمة هذه العبارة والتي دفعتنا إلى القيام بهذا العمل تسمى "براغماتية" ، وهذا لا يمكن أن نعتد بالبعد التداولي دون البعد الاجتماعي رغم كون الأول حديث العهد، إلا أنه يُعد أحد المعارف التي تناولت الخطاب.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>-بيار أشار ،سوسيولوجيا اللغة ، ترجمة :عبد الوهاب تزو ،منشورات عويدات ،بيروت لبنان ،1955 ،ص:89.

# الفصل الثاني

السياقُ التّدَارِيُّ وَ أَثْرُهُ فِي عَمَلِيَّةِ

التَّوَاصُلِ .



## مباحث الفصل:

أ- المبحث الأول:

السياق بين اللغة والاصطلاح .

ب- المبحث الثاني :

ملامح السياق في التراث العربي والغربي .

ج- المبحث الثالث :

تداولية السياق من حلال الحديث النبوى الشريف .



توطئة:

تُعد إشكالية تحديد المعنى من بين أهم المواضيع التي خاض فيها الدارسون اللغويون، هذا ما جعلهم يبحثون في الكشف عن الآليات التي بإمكانهم استعمالها للوصول إلى الفهم الجيد للمعنى الذي يحمله أيّ نصٍّ أديٍّ، فكانت انطلاقتهم الأولى من "المعجم" و أقرّوا على أنّ القواميس كافية لتحديد معانٍ المدلولات، إلاّ أنها لم تستطع أن تحصر جميع السياقات التي تقع فيها كلّ كلمة .

لذلك كانت الحاجة أكيدةً إلى ظهور "نظريات جديدة" تؤكد أنّ "للسياق" الدور الهام في منح الكلمة مفهومها الخاص، لأنّ دلالتها تحتاج إلى تحديد بمجموع السياقات التي ترد فيها، كون نظام اللغة متشاركة العلاقات في وحداته من جهة، و مفتوحا على التجديد و التغيير في بنائه المعجمية و التركيبية من جهة أخرى.

لذلك انصبّ اهتمام الدارسين قديماً و حديثاً بآثار "تفاعل اللغة" مع الظروف و العادات في المجتمع وكيفيات استعمالها داخل النظام الاجتماعي حيث يحدد التفاعل بين المرسل و المتلقّي، فكان نصيب "التداولية" أن اهتمت و اعنت بالكيفية التي تتحقق بها اللغة عند الاستعمال و عند التخاطب، لا سيما و هي التي جاءت لتهتمّ بمقاصد المتكلّم و البحث في أغوار و معاني الكلام ، محاولةً منها اكتشاف الأغراض التي يريدها المرسل من خلال رسالته، و ذلك حين تتعذر الدلالة المعنى الحرفي إلى المعنى المستتر، فيكشفُ السامع مقاصد المتكلّم الذي يعني من كلامه أكثر مما تقوله كلماته.

و لكي تكون نتيجة الحديث ذات مقاصد و ذات منفعةٍ و خادمة لعملية التبليغ، و تكون ذات قوة خطابية تسمح ببناء علاقة متينة للتواصل بين المرسل و المرسل إليه، جاءت التداولية لمعنى بالكيفية التي تستعمل بما اللغة عند الحديث، و تختتم بالسياق الكلامي و الموقف، و تعنى بالمتكلمين و طرائق حديثهم وبكلّ ما من شأنه أن يزيد عملية الاتصال وضوحاً، و هي التي تختتم بمعالجة ثلاثة معطيات توجّه عملية التبادل الكلامي هي:

المتكلّم ← ← ← السياق ← ← ← الاستعمال العادي للكلام.

فكان عناية التداولية بالاستعمال العادي للغة من خلال العناصر الثلاثة، فاهتمت بالمتكلّم و السامع باعتباره مشاركاً في فعل الكلام و الحديث التواصلي، و تختتم بظروف الكلام و مقام الحال، و كلّ ما له صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسب حالٍ من الأحوال أو تنافره للحدث الكلامي، كما اهتمّت بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي، فتبحثُ في كيفية الخطابية، و تستنتجُ مقاصد المخاطب، إذن فهي "دراسة

## الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

اللغة في الاستعمال<sup>1</sup> :

لذلك كان تركيز التداولية على السياق من خلال تبيين دوره البارز في العملية التواصلية، فبتعديره يمكن أن يتغير القول و المفهوم، و يكون بذلك موافقا للسياق الجديد، فلكلّ سياقِ قولٌ معينٌ، و هذه الأقوال متوقفةٌ على العوامل الخاصة بالمتكلمين و العوامل الخارجية عنهم، لأنّ القول وليدُ قصدٍ معينٍ يستمد وجوده من شخصية المتكلم و مستمعه أو مستمعيه، و يحصل ذلك في الوسط (المكان) أو اللحظة (الزمان) اللذين يحصل فيهما.....<sup>2</sup>.

و لما كانت التداولية مركزةً على دراسة العلاقات التي تنشأ بين اللغة و السياق، و المتكلم و السامع و الظروف الزمنية و المكانية، و بذلك تراعي مقاصدَ المتكلم و ظروفه و كيفية وصول الكلام إلى السامعين و ظروفهم الحالية بجم - باعتبار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لضوابط و عوامل اجتماعية - منها علاقة المتكلم بالسامع من حيث المكانة، الجنس، العمر، العرق، الدين، فضلاً عن طبيعة موضوع الحديث، و ما إذا كان موضوع الحديث رسميًا أو غير رسمي، و القيم الاجتماعية، و نوع الخطاب، فإنّها قد عملت على أن تستمد من علم اللغة الاجتماعي الحديث بعدها جديداً من خلال زاوية واسعة هي "السياق المقامي" أو السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه اللغة ، و ما يصاحب هذا السياق من عوامل خارجية، و ظروف المتكلّم و المخاطب، و الغرض،... و غيرها.

وبذلك درست كيفية فهم الناس و إنتاجهم لفعل تواصليٍ أو فعل كلاميٍ في إطار موقف كلاميٍ ملموسٍ و موحدٍ، على حدّ تعبير "فان ديك" بعد أن وصفها بأنّها علمٌ تساهم بشكل فعال في التفاعل الاجتماعي و التواصل انطلاقاً من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال و التفاعل الاجتماعي..<sup>3</sup>، لأنّها تدرس كلّ جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية حين تتطلع و تتجاوب مع تفاعل السامع و المتكلم و تواطئهما لحدوث عملية الاتصال بكلّ نجاح، فهي بذلك دراسة جوانب السياق التي تشفر شكلياً في تراكيب اللغة، و هي عندئذٍ جزءٌ من مقدرة المستعمل....<sup>4</sup>.

و لاعتبار السياق من أهمّ الأعمدة التي تقوم عليها التداولية و سيميائيات التواصل، فإنّ أيّ فهمٍ لخطاب

<sup>1</sup> الإبراهيمي حوله طالب ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص: 185

<sup>2</sup> - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 14.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص: 09.

<sup>4</sup> - فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص: 49.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

لغويٍّ معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصي الأوضاع الاجتماعية و النفسية و التاريخية التي ولدت لنا خطاباً مؤثراً، مختلف المعرف و التجارب الإنسانية على حد تعبير (جون دي بوا) "هو محمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة ... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل و المتلقي، والوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما...".<sup>1</sup>

و إذا كان منهج نظرية "النظرية السياقية" يعدُّ من المناهج الأكثر موضوعية و مقاربة للدلالة، فهذا ما يجعلنا نُثبت أنَّ الاهتمام و البحث و التنظير لمصطلح السياق « Le Contexte » كان وليد علم الدلالة اللغوي<sup>2</sup> « La Sémantique Linguistique » الذي يُعتبر علماً حديثاً بمقارنته مع العلوم اللغوية الأخرى...، و قد كان اهتمامه بالمعنى الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه "بالسياق" كأداة إجرائيةٍ تلعب دوراً هاماً في تحديد المعنى، لأنَّ السياق في حقيقته يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المتكلم، لأجل ذلك نجد المهتمين بعلم الدلالة اتفقوا على أنَّ للكلمة معنى قاعدياً (Le sens de base)، و معنى سياقياً « sens Contextuel ».<sup>3</sup>

و بما أنَّ مفهوم السياق "Contexte" تطور، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة، وإنما وُجِدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، "كالوضع و المقام" الذي يحدث فيه التواصل أو الحالة الفسيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه أثناء الحديث، علينا أن نتساءل: ما تعريف السياق في اللغة و الاصطلاح؟، وفي المعاجم العربية؟، و ما مدى تعامل المناهج الحديثة كاللسانيات و تحليل الخطاب مع هذا المصطلح؟، و ما أثر هذا المصطلح في التراث العربي من خلال جهود البالغين و النحوين و كذا علماء الأصول و غيرها....

### 01-تعريف السياق لغة و اصطلاحاً:

لقد أولى العلماء العرب على اختلاف توجهاتهم أهمية بالغة لما يتربّ عليه من توجيهٍ للمعنى إلا أنَّ هذا المصطلح "يعدُّ من المصطلحات التي لم يتم تحديد ماهيتها في فنون اللغة العربية قديماً، فلا تكاد نجد تعريفاً صريحاً بماهيته، لأنَّ كل ما في الأمر أنَّ علماء اللغة العربية يستدلون به ويشيرون إلى دلالته أثناء

<sup>1</sup>-Jean de bois : Dictionnaire de linguistique, librairie Larousse, 1973. P 120-121.

<sup>2</sup>- أيت أوشان علي ، السياق و النص الشعري، من البنية إلى القراءة ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1/2000، ص 15

<sup>3</sup>-المراجع نفسه: ص 15.

استدلالهم من غير أن يحدّدوا معناه النظري تحديداً صريحاً.....<sup>1</sup>

### أ-السياق في المعاجم العربية القديمة والحديثة:

يعد المفهوم اللغوي للألفاظ الركن الأصيل في تحديد المعنى الاصطلاحي و توضيحه، بل إنّه لا يتضح إلاّ من خلاله، لذا كان اهتمام القواميس بمختلف مشاربها بتعريف كلمة "السياق" بأشكال مختلفة، فانحصر تعريفهم له في إطاره اللغوي الضيق بعيداً عن التعريف الحديث الذي ساقته المناهج الحديثة و تخصصاتها المختلفة كاللسانيات و حتى التداولية، لأنّها تراعي في تعريفه نوعاً من الوعي النظري و المنهجي.

و من المعاني اللغوية عند العرب ما أورده "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب"، حين أدرج تعريف السياق تحت مادة لغوية "سَوْقٌ" فيقول: ساق الإبل و غيرها، يَسُوقُهَا سَوْقًا و سِيَاقًا، و هو سَائِقٌ و سَوْاقٌ (... ) و ساق إِلَيْهَا الْمَهْرَ و الصَّدَاقَ سِيَاقًا و أَسَاقَهُ (... ) و ساق فلان إلى امرأته: أَيْ أَعْطَاهَا مَهْرَهَا، السِّيَاقُ: الْمَهْرُ (... ) و ساق بنفسه سِيَاقًا: نَزَعَ بِهَا عَنْ الْمَوْتِ، و يقال: فلان في السياق أي في النَّزَعِ (أثناء الموت) والسِّيَاقُ: "نزع الروح".<sup>2</sup>

و بذلك أعطى ابن منظور مادة "السياق" معاني ثلث اخضرت في: "قاد": إذا ساق الإبل، "أعطى": بمعنى منح زوجته المهر، "نزع": بمعنى قُبضت روحه عند الاحتضار.

و ذهب (ابن فارس) إلى أنّ "السين، و الواو و القاف" ، أصل واحد، و هو حَدْوُ الشَّيءِ، يُقال: ساقه يَسُوقُه سَوْقًا و السِّيَقَةُ: مَا اسْتَيْقَ من الدَّوَابِ، و يقال سُقْتُ إلى امرأتي صَدَاقَهَا و أَسْقَتَهُ... و السَّوْقُ مُشَتَّّقةٌ من هذا لما يُساق إليها من كُلِّ شَيْءٍ، و الجُمْعُ أَسْوَاقٌ، و السَّاقُ لِلإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ وَالجُمْعُ سُوقٌ، و إِنَّمَا يُمِيزُ ذلك لأنّ الماشي يَنْسَاقُ عليها".<sup>3</sup>

إلا أنّ "الزمخشي" في معجمه: "أساس البلاغة" نجده قد وقف عند دلالة أخرى للفظة السياق حين أخرجها من معناها الحقيقي و وظفها توظيفاً مجازياً، مراعياً في ذلك ضرورة الربط بين لفظة السياق و الحديث (الاستعمال)، فيقول في مادة: "سوق" أن "سوق، ساق النَّعَمَ فَانْسَاقَتْ، وَمِنَ الْمَجَازِ: ساقَ اللَّهُ إِلَيْهِ خَيْرًا، و ساقَ إِلَيْهَا الْمَهْرَ (... ) و ساقَ الرَّبِيعَ السَّحَابَ، وَهُوَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ أَحْسَنَ سِيَاقٍ، وَإِلَيْكَ يُساقُ الْحَدِيثُ" و هذا الكلام مساقٌ إلى كذا، و جُنْتُكَ بالحديث على سُوقِهِ: أَيْ عَلَى سَرْدِهِ".<sup>4</sup> و بذلك جمع "الزمخشي" رغم

<sup>1</sup>- الزنكي نجم الدين كريم ، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، 2006، ص: 35.

<sup>2</sup>- ابن منظور، لسان العرب، مادة "سوق".

<sup>3</sup>- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، ص: 117.

<sup>4</sup>- الزمخشي جار الله أبو القاسم ، أساس البلاغة ، ص: 225.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

تفطّنه للمعنى اللغوي لكلمة "السياق" بين معانيها في المعاجم العربية و قواميسها، و بين المعنى المجازي ، في وقت رأى فيه "ابن دريد" في "جمهورته" أنَّ السوق: مصدر سُقْتُ الإِبْلَ والبعير ، أَسُوقُهَا سَوْقًا و هي كذلك عند "الجوهري" إذ يرى أنَّ السياق "نزع الروح" يقال: رأيت فلاناً يسوقُ: أيٌ يُنْزَعُ عند الموت".<sup>1</sup>

و في معنى السياق: يسوقه سوقاً ورد قوله تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ" (ق 21)، فجاء في التفسير: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْسِرِهَا، و شَهِيدٌ يَشْهُدُ عَلَيْهَا بِمَا أَعْمَلَتْ، فالسائق من الملائكة، و الشهيد هو الإنسان نفسه".<sup>2</sup>، وبناء على ما ورد من تعريفات لكلمة السياق، نجزم في الحديث أنَّ

\* السياق لغة من الجذر اللغوي "سوق" و الكلمة مصدر: ساق يسوق سوقاً و سياقاً: و المعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحديث و هو التتابع.

\* قد يرد السياق في اللغة بمعنى: المنح و العطاء، أو بمعنى النزع عند الاحتضار.

\* المعاني اللغوية التي تدلّ على التتابع و التوالى بمعناها تحقيق السبك و التركيب في الكلام، لذلك سُمي السياق بهذه الزاوية (سياق النص)، أمّا التّوالي للأحداث المصاحب للأداء اللغوي، و كانت ذات علاقة بالاتصال، فُيسمى (سياق الموقف).

هكذا يتبيّن من خلال المادة اللغوية التي قدمتها المعاجم اللغوية أنَّ السياق يشير إلى ثلات دلالات هي:  
\* الحديث: و هو "سوق الإبل"، و هو المعنى الحسّي الأصلي للكلمة، ثم انتقل عن طريق المجاز إلى الدلالة على المسوق و هو "المهر"، لأنَّ أصل الصداق عند العرب الإبل، و هي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم و الدينار و غيرهما.

\* الدلالة على "نزع الروح" لحدوث ذلك حال الموت، لأنَّ ساقَ بَنْفَسِهِ سِيَاقًا: نزع بـها عند الموت، فتقول العرب: رأيت فلان يسوق سوقاً، أي ينزع نرعاً عند الموت، فيقال: فلان في السياق أي: في النزع، و السياق نزع الروح، و أصله سِوَاقُ، فقلبت الواو ياء بـكسر السين، و هما مصدران من ساق يسوق".<sup>3</sup>. لذلك دلت كلمة السياق على الظرف أو الحال الذي يحدث فيها الحدث لعلاقته الزمنية، فقد أطلق على حال الموت (سياق الموت).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ابن دريد، جمهرة اللغة ، مادة: سوق.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير ابن كثير، ضبطه وخَرَجَ آياته محمود عبد الكريم الدمشقي ، دار صبح ، بيروت ، ط 4/ 2007، ج 4، ص 219.

<sup>3</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة سوق.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

- وليس بعيداً عن المعجمين الأوليين، بحد "معجم الوسيط" رغم اعتباره المعجم العربي الذي حاول التجديد و التغيير في الأسس التي اعتمدتها الدراسات المعجمية العربية السابقة، فقد عرّف السياق على: "أنه المهر وسياق الكلام: تتابُعهُ، وأسلوبه الذي يجري عليه، و السياق :التَّرْغُ، يقال: هو في السياق، الاحْتِضَار.<sup>2</sup> (و هو القاموس العربي الذي ادعى واضعوه تجديد و تغيير الأسس التي اعتمدتها الدراسات المعجمية العربية خاصة ما يتعلق بتحاوز البيئة الزمنية و المكانية التي قيدت القواميس العربية طيلة قرون عدة، إلا أنه لم يقدم شيئاً جديداً بخصوص لفظ "السياق" كمصطلح، فما ورد فيه من إشارات ، لا تخرج في عمومها عما ورد في "السان العرب" "لابن منظور".<sup>3</sup>

- وفي حديث المعاجم العربية عن معنى السياق يطالعنا (محمد علي الخولي) في: "معجم علم اللغة النظري" بقوله: "السياق Contexte: البيئة اللغوية المحيطة باللغونيم و المؤرفين، أو الكلمة أو الجملة أو النظرية السياقية: «Contextuel Meaning» هي تفسير معنى الكلمة حسب السياق الذي تقع فيه".<sup>4</sup> و خلاصة معنى السياق في المعاجم اللغوية العربية مختصة كانت أو غير مختصة أن ما ورد فيها في تعريف المصطلح يقصد به "السياق اللغوي" فقط.

### ب- السياق في المعاجم الغربية:

إن مصطلح السياق في المعاجم الغربية قد تم تناوله بنوع من التعمق في تحديد ماهيته و معناه، فأحاطوا بجميع الجوانب التي تكونه، سواء كانت هذه المعاجم عامة أو متخصصة، كما نجده في معجم "روبير الصغير" و هو الذي حاول واضعاًه أن يحدد السياق اعتماداً على تعريفين:

\* التعريف الأول: مجموع نص "يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) و يتعلق بمعناها و قيمتها". \* التعريف الثاني: مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما، فهناك السياق السيكولوجي للتصرف السياق السياسي، العائلي ...".<sup>5</sup>

كما جاء في قاموس: (petit Larousse) لفظ Contexte أي السياق: و هو اسم لاتيني مذكور ورد "Contexere" و معناه مجموع النص الذي يسبق أو يلي جملة أو مجموعة من كلمات أو كلمة".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عوض حيدر فريد ، سياق الحال في الدرس الدلالي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998، ص: 8.

<sup>2</sup> - المعجم الوسيط: تأليف مجموعة من المؤلفين (جمع اللغة العربية)، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2004م. مادة ساق .

<sup>3</sup> - آيت أوشين علي، السياق و النص الشعري، من البنية إلى القراءة ،ص: 30

<sup>4</sup> - الخولي محمد علي ،معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982، ص: 57.

<sup>5</sup> - آيت أوشين علي، السياق و النص الشعري، ص: 31.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أما (ميكر وروير) "Microrobert": "فيشرح السياق على أنه مجموع النص الذي يحيط بعنصر لغوي من أجل فهم أفضل.<sup>2</sup> ، أما المعاجم العربية المتخصصة، فقد أولت الاهتمام البالغ بمعنى السياق من خلال أشهر المعاجم اللسانية والسيميائية، كما نجده عند:

### 1 قاموس السيميائيات لـ(غريماس و كورتيس):

تشير المعاجم المتخصصة في علوم اللغة واللسانيات إلى مفهوم محدد للسياق، كما نجد ذلك في "قاموس السيميائيات" لـ(غريماس و كورتيس)، إذ عرّفاه بأنه: "مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبة معينة، و تعلق بها الدلالة (La signification)، حيث يمكن أن يكون صريحا (explicite) أو لسانيا، ويمكن أن يكون ضمنيا (Implicite)، و يتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارجي لساني (extra linguistique) أو مقامي (situational)، وقد ذكر الباحثان في نفس السياق أن "جاكسون" في حديثه عن الوظائف التواصلية وضع السياق كعنصر من أهم العناصر التي تشكل النشاط اللغوي و ماثلة بالمرجع "إنها الوظيفة المرجعية للغة"، و التي تُعتبر ضرورية في توضيح الإرسالية، سواء كان السياق منطوقاً أو قابلاً للنطق.<sup>3</sup>

### 2. قاموس اللسانيات لـ: جون دي بو:

يجدد قاموس "جون دي بو" معنى السياق بأنه: المحيط « l'environnement » أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة متحدة، و يسمى "بـالسياق الشفوي"، و يعرف كذلك على أنه: "مجموع الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة (السلوك اللساني) (....) و غالباً ما تحدد هذه العلاقات "بـالسياق الاجتماعي" لاستعمال اللغة و هي مجموع المعطيات المشتركة بين المرسل و المتلقى ، و الوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما".<sup>4</sup>

ما نلحظه من خلال تعريف "جون دي بو" أنه ركز كثيراً على العناصر خارج لسانية في تحديده "للسياق" إلا و هي الشروط الاجتماعية التي يتحقق فيها الخطاب بين المرسل و المتلقى في زمان و مكان معينين، و هذا ما

<sup>1</sup>-Petit Larousse : en couleurs, édition paris, 1984, p 295

<sup>2</sup>-Micro Robert : imprime en France par prod and graphique, Ed, paris 1982, p 220.

<sup>3</sup>-Voir : J Grimas, J Courts : sémiotique, Dictionnaire saisonné de la théorie du language, p 67.

<sup>4</sup>-J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1993, 120-121

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

تذهب إليه "النظرية التداولية" اليوم، حيث تُعتبر نظرية استعمالية تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها و"نظرية تخطابيه" تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة.

### 3. القاموس اللساني: "جورج مونان"

في هذا القاموس ميّز "جورج مونان" بين السياق اللغوي وسياق الحال الذي يعني التجربة غير اللغوية المعيشة، فركز كثيراً على السياق اللساني، حيث يقول: "إن السياق هو علامة شكلية موجودة في المحيط اللساني L'entourage linguistique الحق ، و يعتبر السياق على أنه ترجمة بواسطة أساليب محضة لسانية، والتي تشارك في المقام لفهم الرسالة، وقد بين ذلك بالمثال الآتي:

- في حالة ما إذا وضعنا "قلمًا" فوق طاولة ، و قلنا لأحدٍ: (قدمه لي)، في حين تكتب العكس: (أعط لي القلم الذي فوق الطاولة) ، حين بحاجة الحال من سياقها، فإن السياق يعني المعنى الذي تمنحه الكلمات". فنفهم الحالة الثانية بتدخل السياق اللساني الذي يفلّغ الموضوع الموجود.<sup>1</sup>

في المثال إشارة إلى العلاقة بين السياق و المقام ؟ فهي علاقة تكامل، حيث أن المقام يسمح بإزالة الإبهام عن الجملة، كما أن المقام يجعل المعلومات المعطاة بواسطته لا تكون بحاجة إلى أن يعبر عنها بواسطة اللغة، وهي الفكرة التي شرحها جيداً "جورج مونان" من خلال مثاله السابق (أعطي القلم الذي فوق الطاولة)، فالعبارة الأخيرة يمكن أن يستغني عنها استغناء بما يُرى و يُعلم في حال الخطاب، و هو أمر كثيراً ما نبه له علماء النحو العربي " في باب حذف الصفة، كما نجده عند "ابن جني" في "الخصائص" حين اشترط لحذفها أن يدلّ عليها دليل من اللفظ أو من الحال، و إلاّ لم يجز حذفها.

### 4. القاموس الموسوعي: لـ ديكرو و ترودورو:

ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللغة لكل من "ديкро - ترودورو" ذلك التوسيع والإحاطة الكاملة بلفظة السياق، خاصة حين ربط الباحثان مصطلح السياق بـ"مقام الخطاب" ، و الذي هو عبارة عن مجموعة الملابسات التي يتحدد في إطارها" فعل التلفظ "l'acte d'énonciation سواء كان مكتوباً أو شفهياً

<sup>1</sup>-Voir G Mounin, Dictionnaire de la linguistique, 4ème Edition- PUF France, 2004, p 83

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أي يجب أن يعني بالمحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه، إذ هو الصورة المتبادلة بين المتخاطبين، و في القاموس فضل "ديكرو" ربط مصطلح السياق بما هو محض، أي بالوحدات الصوتية والمعجمية التي تسبق أو تلحق الملفوظ خاصة.<sup>1</sup>

Les ترجع أهمية المقام عند "ديكرو" باعتباره يكون ضروريا لتحديد مرجع التعابير المستخدمة كالإشاريات " déictique : "أنا، أنت، هنا، الآن ..."

\* الاختيار بين التأويلات المختلفة للملفوظ الغامض، لأنّ كثيرا من أفعال التلفظ لا يمكن تأويلها إذاً كنا فقط نعرف الملفوظ المستعمل، و نجهل كلّ شيء عن المقام، هذا المقام الذي يحدد مرجع التعابير المستعملة وينحنا الاختيار بين التأويلات المختلفة للملفوظ غامض....<sup>2</sup>.

\* الخاصية العادية أو غير العادية للملفوظ، حيث يمكن الملفوظ ما أن يكون عاديا في مقامات معينة ، و متغيرا في أخرى، و بذلك يأخذ قيمته الخاصة، وفيه يلحّ "ديكرو" على المقام باعتباره عنصرا مهما في تحديد المعنى كما يلحّ على عدم اغفال مختلف الأنماط المقامية التي يستعمل فيها الملفوظ.....<sup>3</sup>.

### 5 . قاموس: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: لـ: "مانقو - نو":

في هذا القاموس عرف صاحبه السياق من خلال عملية "تحليل الخطاب" لا سيما و هي العملية التي تربط الملفوظات بسياقها، و ذلك حين أقرّ بصعوبة الاتفاق حول طبيعة مركبات السياق، بالإضافة إلى المشاركين المكان، الزمان، الهدف (الموضوع thème)، موضوع و نوع الخطاب "les genres de discours" كما لا يمكن أن نحمل معارف المشاركين حول العالم، و معارفهم المحترمة لبعضهم البعض، و المعرفة الخلفية للمخاطط الثقافي للمجتمع أين يتمظهر الخطاب، لأنّ الضرورة تتحمّل أن يكون المشاركون في الخطاب مخاطبين بجانب زماني "Spatio-temporel" هدفهم بذلك المشاركة في التلفظ بطريقة ثابتة عن طريق توجيهات لغوية instruction Langagieres » « معرفة بأنواع الخطاب....<sup>4</sup>

<sup>1</sup>-آيت أوشين علي، النص و السياق اللغوي، من البنية إلى القراءة، ص 33.

<sup>2</sup>-المراجع نفسه: ص 33.

<sup>3</sup>-Voir : O. Ducrot. T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique de sciences du langage, p 422 .

<sup>4</sup>-Voir : D. Mang uneau : les termes clés de l'analyse du désertus, France, 1996. P

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

من هذا التعريف نستشف ما أراده "مانقو نو" حين طرح إشكالية مركبات السياق التي تتناول مناهج تحليل النصوص ،كل حسب الميادين و الآليات التي يعتمدها كما نجده في اللسانيات، و تحليل الخطاب و كلذا

السيمائيات و التداولية و غيرها، و مما سبق في التعارف العربية و الغربية لمصطلح السياق نلحظ ما يلي:

\* المعنى المشترك لكلمة "السياق" في مختلف المعاجم وهو التتابع و السير و الجارة و الانقیاد و الملائمة والنزع و أنّ المعنى الأصلي مرتبط بالمعنى المجازي، فكما تساق النون و الأغnam في قطيع واحد، كذلك تساق الكلمات في جمل، و هذا هو وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي و السياق بمعناه اللغوي.

\* قد يفهم من بعض التعارف في بعض المعاجم أنها شرحت السياق بمعنى "الأسلوب".<sup>1</sup>

\* المعاجم الغربية شرحت السياق كمصطلاح، و عرفت معناه في اللسانيات، لا سيما ما لاحظناه في المعاجم المختصة.

\* في قول العرب: سياق العبارة، أو سياق الموضوع، أو سياق الحديث، العرب تعني بها نظم الكلمة في الجملة، و هذا ما لمسناه في معجم "لسان العرب" في معاجلته لمادة "تسوق" حيث بذرت فيه معانٍ السرد والسلسلة والإيراد، كما في قوله تعالى: "وَسَيِّقَ الَّذِينَ انْقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ رُمَّاً". الزمر 73 "وَتَسْوُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا" . مريم 86 و جيء الشيء على التتابع (شيء أثر شيء آخر) تقول العرب: تساوق الشيئان: أي تسايرا و تقارنا، و التقليم: تقدم من بين يدي شيء: ساق إلى امرأته الصداق، إذا قدمه من أجل النكاح... النزع و الانتزاع كما في الروح و غيرها....".

### ج- التعريف الاصطلاحي للسياق:

كثيرا ما يرتبط السياق بمعنى ارتباطا وثيقا، يجعلنا نضطر لإرجاع لفظة ما متعددة الدلالات إلى سياقها الذي وردت فيه، لتتمكن من فهم وضبط معناها الحقيقي، لا سيما وأنّ السياق هو ذلك التركيب الذي ترد فيه الكلمة، و يُسهم في تحديد المعنى المقصود لها، خاصة حين تنتظم المعاني في سلك الألفاظ و تتبعها لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال، لذلك لم تكن "اللسانيات النصية" وحدتها من اهتم بالسياق، بل كان محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة، وهي التي امتدت لتشمل كلّ

<sup>1</sup> -خليل عبد المنعم ، السياق بين القدماء و الحديثين، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2007، ص: 28.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

الظروف التي تحيط بالنصّ، مما يتصل بالمرسل والمستقبل، و المقام ككل، إضافة إلى ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات أخرى تحكم في وظيفتها و معناها.

لذلك كان الاهتمام بعنصر السياق باعتباره مهما و ضروريا في الدرس اللغوي حين يسمح بدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و الكلامي في استعمال اللغة نظرا لأهميته البالغة في عملية الاتصال و التواصل، و يتكون مصطلح "Contexte" من مقطعين هما: Cont و Texte، حيث استعمل المصطلح الأول بمعنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى "النص" أي تلك المجموعات من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية و غير لغوية....<sup>1</sup>.

فالسياق يتكون من لفظة: "Con" و التي تعني المشاركة، أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص وهي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة التي يمكن وصفها بأنّها الجسر بين النص و الحال"<sup>2</sup>، لذلك فإنّ فهم النص و تفسيره لا يتأتى إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره يلعب دوراً كبيراً في جلاء معنى النص و إبرازه، بيد أنّه قد يلتبس مصطلح السياق بمصطلح "المقام" ، و هذا الالتباس متعد بين زميين و ثقافتين، فقد شاع "المقام" عند العرب قديماً في دراساتهم البلاغية، في حين استعمل كثير من المحدثين خصوصاً الغربيين مصطلح "السياق" ..

و يعده مصطلح "السياق" من المصطلحات العصبية على التحديد الدقيق في الدراسات اللغوية الحديثة و السبب في ذلك راجع إلى أنّ المصطلح قد يشيع بين الدارسين إلى درجة الابتدا، فيتوهم البعض أنّ هذا المصطلح واضح و مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنّهم يفهمونه بدا الأمر عسيراً غاية العسرة و غامضاً أشدّ الغموض، و من تلك المصطلحات اللغوية العصبية على التحديد بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة، مصطلح الجملة، و مصطلح (السياق) ....<sup>3</sup>

و لعلّ هذه الصعوبة هي التي جعلت الذين كتبوا في هذا الموضوع يغضّون الطرف عن تعريف السياق و ينتقلون إلى تبيين أهميته في دراسة المعنى و إظهار وظائفه و عناصره ، و الحديث عن سياق الحال، وفيه يقول (جليل محمد): "إذا كنّا نشعر بالصعوبة الواضحة في تحليل المقصود بالسياق بوصفه مصطلحاً، فإنّ مرجع هذه الصعوبة . في نظري . هي محاولة العثور على تعريفٍ للمصطلح من ذلك النوع الجامع المانع كما يقول المناطقة،

<sup>1</sup> - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط3، 1421هـ، 2001 / ص: 251.

<sup>2</sup> - الفقي صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دار الحكمة، د، ت، د، ط، ج 1، ص: 108.

<sup>3</sup> - جليل محمد يوسف ، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991، ص: 28.

## الفصل الثاني..... السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

فسوف أولى وجهي شطر ناحية أخرى لعلّها أجدى من بحثية المقصود بالسياق من محاولة البحث عن مثل هذا التعريف العصيّ، أعني بذلك صرف الجهد في التعرف على خصائص السياق، وفهم عناصره و بيان دوره في

<sup>1</sup> تحديد المعنى... .

لكن على الرغم من هذه الصعوبة، نجد من علماء العربية من حاول وضع تعريفٍ اصطلاحِيٍّ لمصطلح السياق، كما نجده في "معجم اللغة النظري" الذي عرَّف صاحبُه السياقَ: "أنَّه مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصرٍ معينٍ داخل سلسلة الخطاب و تؤثر فيه".<sup>2</sup> فيترتب على هذا التعرف أنْ هناك سياقين يتحكمان في توجيه دلالة النصوص، و لا يتشرط أن يجتمعَا في كُلِّ نصٍّ يراد توجيه دلالته و هما: (سياق لغوي) و (سياق مقامي) يضم جميع الظروف و الواقع التي تحيط بالنص عند شرحه من أجل تحديد معناه.

\* أما في معجم المصطلحات الأدبية لـ(إبراهيم فتحي)، فقد ورد تعريف السياق على أنَّه: "بناءً نصيًّا كاملًّا من فقرات متراقبة، في علاقته بأيِّ جزءٍ من أجزاءِه ، أو تلك التي تسبق أو تتلو مباشرةً فقرةً أو كلمةً معينة ودائماً ما يكون السياق مجموعةً من الكلمات وثيقةً الترابط بحيث يُلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى و غاية الفقرة بأكملها.....".<sup>3</sup>

و هو تعريف يسمح بالقول : "أنَّ السياق هو جوهر المعنى المقصود في أيِّ بناءٍ نصيٍّ أو كلاميٍّ" ، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة و الجملة، و إنما على النص المكتوب و الكلام المحمل من خلال علاقة المفردات بعضها بعض ، في أيِّ سياقٍ من السياقات المختلفة.

### د- السياق عند الغربيين المحدثين:

إيماناً منا بالدور الذي يلعبه السياق و يؤديه كآلية من آليات توضيح المعنى و تقويم الدلالة، بل كشرط أساس في فهم الخطاب، نجد أنَّه يجب الإشارة إلى جهود علماء الدرس اللغوي الحديث، منهم: (فيرث) من خلال "نظريَّةِ السياق" كأحد أشهر نظريات علم الدلالة في فهم المعنى.

### 01 - "جون فيرث" و النظريَّةُ السياقية:

لقد قامت هذه النظرية على مفهوم السياق الذي حدَّده أصحابه في أنَّه: الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة أو مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص: 28.

<sup>2</sup> - الخولي محمد علي ، معجم علم اللغة النظري ، ص : 57.

<sup>3</sup> - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، 2000، ص: 245 .

و الاجتماعية، و تُعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي أو سياق الحال «Contexte de situation<sup>1</sup>»، لذلك تعدّ هذه النظرية الحجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها "فيرث" (1890-1960م) في بريطانيا ، أحد رواد المنهج اللساني و القطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الانجليزية أو "مدرسة لندن" ، و التي وسّع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، لذلك عُرفت هذه المدرسة "بالمنهج السيافي" الذي وضع تأكيداً كثيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة.<sup>2</sup> ، و بذلك أكّد أنّ اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنّها مزيج من عوامل العادة و العرف و التقليد وعناصر الماضي و الإبداع، كلّ ذلك يشكّل لغة المستقبل، فعندما تتكلّم فإنّك تُصهر كلّ هذه العوامل في خلقيٍّ فعلّيٍّ ملفوظٍ، و نتاج لغتك هو أسلوبك، و في هذا الارتباط حقلٌ واسع للبحث في الأسلوبية.

\*وبذلك صرّح رائد هذه النظرية أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، بمعنى أنّ الكلمة المفردة لا معنى لها، إلّا إذا وصفت في سياق جملة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في محاورة وحدات أخرى، و أنّ معانٍ هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها إلّا بمحلاحتة الوحدات الأخرى التي تقع محاورة لها، و بذلك رَّجَعوا على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة من خلال ارتباطها بكلمات أخرى ، لأنّ معانٍ الكلمات تتطلب تحليلًا للسياقات، و المواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوٍ...<sup>3</sup>.

\* لقد اشتهرت هذه النظرية لما تضمنته من أفكار لغوية حيث تعرضت للمعنى و مشكلاته و ذلك من خلال إطار منهجيٍّ مبنيٍّ على أمرين اثنين:

1 . **السياق اللغوي:** أو تحليل النص وفق مستوياته اللغوية و الإفادة من القرائن اللغوية المتوفرة.

2 . **السياق الحالي:** أو ما يُعرف "بالمقامي" أو "سياق الموقف".

وبذلك ارتبط مصطلح "المعنى السيافي" مع مصطلح "المقام" ، فالمعنى السيافي: ما يوضّحه سياق الحال و الذي استعمله "فيرث" حين أخذ بعين الاعتبار الأقوال و الأشخاص و الأفعال.<sup>4</sup> ، و المعنى المقامي معنى يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب، أو من القرائن الخارجية التي تصبح اللفظ من الموقف الاجتماعي الذي قيل فيه النص، فالمقام هو العالم الخارجي الذي أنتج فيه النص، و يدخل في تحديد دلالته و المراد به،

<sup>1</sup>-Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, p 120-121.

<sup>2</sup>-أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، سنة 1993، ص: 68.

<sup>3</sup>-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، 1419هـ، ص: 295.

<sup>4</sup>-أبو الفرج محمد أحمد ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط96، ص: 15.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

فقد نعجز عن فهم المراد إذا اجتَّ النص من سياقه الخارجي، و سوء التعبير من عدم النظر في القرائن الخارجية مثل المكان، الزمان، الأفراد المشاركون في الحدث، و المناسبة التي قيل فيها، وقناة التواصل و غيرها...، و على هذا آمنت هذه النظرية أنَّ المعنى لا ينكشف إلَّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، بمعنى وضعها في سياقات مختلفة.<sup>1</sup>.

\* لقد انبرى "فيرث" في ضوء دراسة المعنى يبحث عن جملة الطرق الدقيقة التي تمكِّن من المعنى و تُوصل لفحوى النص، خاصة حين رأى أنَّ المعنى هو مجموعة الخصائص للكلمة التي لا استقلالية لها، و لا ذاتية لدلالتها فهي: "ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته، و أنَّ وجودها و معناها شيءٌ نسبيٌّ، يمكن ملاحظة كُلٍّ منهما في سياق غيرها من الكلمات و المعاني، أو عن طريق التقابل بينهما، و لهذا فإنَّ ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلَّا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات....".<sup>2</sup>.

\* يرى "فيرث" أنَّ تحقق المعنى مرتبط بنتائج تحليل العناصر اللغوية الواقعة في سياق معين ،بعضها البعض بعد تحديد الحدث الكلامي إلى عناصره المكوناتية وفق مستوياته اللغوية، و في هذا الصدد يقول: "اقتصر تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، و سوف تُعرف كُلُّ وظيفة بحسب استعمالها شكلاً أو عنصراً في لغة معينة من خلال علاقتها بنصٍّ ما، و يمكن القول بأنَّ المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، و علم الأصوات و القواعد و المعاجم و الدلالة، كُلُّ واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النص المناسب المعقّد...".<sup>3</sup>

و لأنَّ اللغة بطبيعتها نظام معقد متشعب الجوانب، فإنه ليس في الوسع دراستها دفعة واحدة و لا مفرًّ من التركيز... على هذه الجوانب على مراحل متعددةٍ بواسطة استخدام مداخل مختلفة يطلق عليها اسم مستويات التحليل اللغوي.<sup>4</sup> و التي هي

. المستوى الصوتي: و هو ذلك النمط من الدراسة لأصوات اللغة باعتبارها البنية الأساسية للغة، و المظهر المادي لها، و قد أوجد الفكر الإنساني المعاصر منوالين لتناول الظاهرة الصوتية، و هي "علم الأصوات اللغوي" "Phonetics" ، و "علم الأصوات الوظيفي" (Phonology)، فالأول يتناول الأصوات اللغوية

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 68.

<sup>2</sup> - حلمي خليل، الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1998، ص: 95.

<sup>3</sup> - زوين علي، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 86، ص: 174.

<sup>4</sup> - عزت علي ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب ،(د،ط)، القاهرة، 1996م، ص: 11-12.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

كوحاداتٍ صوتيةٍ مجردةٍ منعزلةٍ عن السياق الصوتي الذي ترد فيه، و لا يقتصر ميدان هذا العلم في أصوات لغةٍ بعينها بقدر ما يعني بالصوت اللغويٍّ في عمومه، أي بالمسائل العامة والخصائص المشتركة في جميع اللغات.

أما "علم الأصوات الوظيفي" فهو يضع الوظيفة قبل المادة، فيدرس وظائف الأصوات في لغة معينةٍ محددة العناصر المكونة لنظامها اللغوي، و طرق تناصقها في أشكال بعينها، (المقاطع الصوتية، النبر، التنغيم)، فيكون الصوت في سياقه محور الدراسة و الاهتمام لأنّه " لا توجد في اللغات أصوات منعزلة إلا بنوعٍ من التجريد إذ أنها في كل لغة تكون نظاماً مترابطاً، و لكن معنى ذلك أيضاً أنها لا تستعمل على إنفراد، فلا يتكلم إلا بمركيبات من الأصوات اللغوية، فأقل جملة و أقل كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة و قد تركبت فيما بينها".<sup>1</sup> ، و من هنا تتجلى أهمية الدرس الوظيفي للصوت.

و لعل اهتمام "فيرث" بالجوانب الصوتية للألفاظ في السلسلة الكلامية مرده إلى دور تلك الملامح أو المصاحبات الصوتية للكلام في تحديد المعنى لا سيما "النبر و التنغيم" و الوقف، أما النبر "Stress" فهو وضوح سمعي أو بروز نسيبي لفونيم أو مقطع في الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الضغط أو الارتكاز<sup>2</sup>، فمن خلاله يتحدد معنى الجملة : كالاستفهام أو الاستخبار أو الاستهزاء و غيرها، أما التنغيم "Intonation" فهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق...<sup>3</sup>، أو هو درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه عن مستوى الجملة أو العبارة.<sup>4</sup>، فجملة بسيطة "السلام عليكم" يتعدد معناها بتنوع طرق تنغييمها، فقد تدل بتغييم معين على "التحية" و بتغييم آخر تدل على النهكمة و السخرية، و بتغييم آخر توحى بغضب المتكلم أو رضاه، فالكلمة الواحدة أو الجملة قد تقال ببنغمات متعددة، فيتغير معناها النحوية و الدلالي مع كل نغمة، بين استفهام و توكيد، و تقرير لمعان مثل: الفرح، الحزن، الشك، التحقيق،... حيث تكون النغمة هي العنصر الوحدة الذي نشأت عنه المعانى المتباينة.<sup>5</sup>.

**2 . المستوى الصرفي:** و يسمى المستوى "المورفولوجي" ، و هو الذي يمثل الحلقة الوسطى بين المستويين الصوتي و التركيبى الذي تنظم فيه الكلمات، و يدرس التغيرات التي تقع على صيغ الكلمات، و ما يضاف إليها من سوابق، "Prefixes" و لواحق "Suffixes" و حشو "Infixe" تؤثر في المعنى و تؤدي إلى

<sup>1</sup> - فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدوخلبي و محمد القصاص، (د.ط)، القاهرة، 1950، ص: 83.

<sup>2</sup> - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د، ط 1959، ص: 70.

<sup>3</sup> - تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبنهاها ، عالم الكتب، القاهرة، ط 3/ 1998 ، ص: 226.

<sup>4</sup> - كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص: 164.

<sup>5</sup> - مذكور عاطف ، علم اللغة بين التراث و المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، د، ط 1987، ص: 164.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

تغّيره: في مثل قوله: يضرب، ضارب، ضربت، مضروب...<sup>1</sup>.

ويعدّ "المورفيم" أساس التحليل الصرفي، و الذي يُعرف بأنه: "أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة..."<sup>2</sup>، و يعبر عن معاني حرفية كالفاعلية والاسمية والفعالية والجنس والعدد. وبذلك اخذ "فيرث" "فن التحليل الصرفي للملفوظ اللساني" مرحلة من مراحل البحث عن المعنى الذي يمثل كلاًًا مرئياً من مجموعة وظائف لغوية من بين عناصره "الوظيفة الصرفية" ، و إذا كانت النهاية القصوى لتشكل الأصوات لغة تتمثل في تشكلها صيغاً، فإنَّ تشكيل الصيغ كلمات دالة سيفضي -لامحالة- إلى النحو نظاماً به تنظم الكلمات جملاً...<sup>3</sup>.

3 المستوى التركيبي: يمثل هذا المستوى الحلقة الثالثة المتوازية في التحليل عند المدرسة السياقية، لا سيما و هو الذي يبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجملة، و طريقة بنائها و صلتها بعضها ببعض و كذا التغييرات الطارئة على عناصرها من تغيير يصيبها كالتقديم أو التأخير أو حذف أو زيادة...، لذلك وظف "فيرث" في مدرسته مصطلح "التركيب" باعتباره يمثل العلاقات التبادلية بين العناصر اللغوية في نصٍ أو جزء منه على مستويات من بينها : المستوى النحووي الذي يكون مبنياً على فصائل نحوية "كالأداة و الاسم و الفعل، الظرف... الخ" ، مميزاً في دراسته للمعنى بين علاقتين: العلاقة التركيبية (المحور التركيبي) و علاقات المحور الاستبدالي.

4 المستوى الدلالي: سعياً من "فيرث" لتعزيز أصول نظرية السياقية من جهة، و في إطار التلامم الوثيق بين مختلف مستويات التحليل اللغوي و تفاعಲها فيما بينها، مع التأكيد على استحالة استخراج الدلالات من تحليل مستوى بعينه.<sup>4</sup> يضمّن فيرث عناصر نظرية السياقية "المستوى الدلالي" ، و هو أسمى مستويات اللغة لأنَّه الغاية التي تنتهي إليها و إليها الدراسات اللغوية، و لأنَّ التفاهم و التواصل أسمى غايات اللغة.<sup>5</sup>

و في هذا المستوى يندرج المستوى المعجمي، و الذي أجمع جلُّ اللسانين على جعله جزءاً من المستوى الدلالي باعتباره المجال الذي يدرس المعنى المقال، و الذي يتأسس بدوره وفق معنيين: "معنى معجمي": قائمٍ على علاقات عرفية اعتباطية بين المفردات و معانيها، و "معنى وظيفي": قائمٍ على وظائف الصوتيات و الصرف و

<sup>1</sup>- عميرة خليل أحمد ، في نحو اللغة و تراكيبها (منهج و تطبيق)، ، دار المعرفة، جدة، ط 1 / 1984، ص: 26

<sup>2</sup>- التوييجي محمد ، راجي الأسم، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 / 1993، ص: 635.

<sup>3</sup>- منذر عياشي، اللسانيات و الدلالة (الكلمة)، ، مركز الإنماء الحضاري، حلب ط 1 / 1996، ص: 54.

<sup>4</sup>- بحيري سعيد حسن ، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 1 / 1997 ص: 26.

<sup>5</sup>- سمارة محمد، اللغة العربية، نظامها و أدبها، مطابع الدستورية، عمان، 1989، ص: 28.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

النحو... لأنّ الحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي...<sup>1</sup>، و الذي يقوم على المعنيين "المقامي و المقالي".

و بناءً على ما قدّمه "فيرث" للمدرسة الانجليزية في تحديد المعنى و من أجل هذه الغاية، يرى أنّه يستوجب للوصول إليها المرور بالمراحل التالية:

\* تحديد النص قيد الدراسة وفق المستويات اللغوية المعروفة (الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي الدلالي).

\* تحديد سياق الحال أو المجريات أثناء الكلام الفعلي، و مثال ذلك كله في عملية التحليل كلمة "ولد" حين

تؤخذ في تركيبٍ ما، فيتعدد معناها بمجموع هذه العلاقات و الوظائف اللغوية نحو:

. كلمة "ولد": مورفيم حُرّ، يتكون من فونيمات صامته و صائمة، مرتبة بشكل مخصوص يحدد معناها و يعنيه، وكلّ تغيير في هذه الفونيمات أو تبديل أحدها يحدث معنى مختلفاً و جديداً نحو: (دلو-ولد ، وجـد - ولـد)

. كلمة "ولد" لها معنى صرفي، يعين بتعديـد سياقاته الصرافية المستعملة، فقد يؤتى بها في الكلام مفردة أو مثنى أو جمع تكسـير "ولد، ولدان، أولاد...، لا سيما و أنـ المعنى الصرفي يمثل جـزءاً من المعنى الكلـي للكلـمة.

. كلمة "ولد" قد تأتي فاعلاً، مفعولاً به، مضافـاً إلـيه... و هو ما يحدد المعنى النحوي الذي يتعدد بتعديـد الموقـع الإـعـارـي لـلـكلـمة، مـسـاهـمـاـ هو الأـخـرـ في تحـديـدـ معـناـهاـ الجـزـئـيـ منـ معـناـهاـ العـامـ...

. كلمة "ولد" لها معنى اجتماعـيـ يـحدـدـ الاستـعمـالـ كالـبيـئةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـ ظـرـوفـهـ المـحيـطـ بـهـ.

. كلمة "ولد": لها المعنى المعجمي الذي يختلف بطبيعة الحال عن المعنى المعجمي لغيرها من الكلمات نحو: "بلـد" في حالة استبدالـناـ الكلـمةـ (ولدـ)ـ بكلـمةـ (بلـدـ)ـ فيـ الجـملـةـ: "ولدـ نـحـيـلـ"ـ؛ـ فـتـكـونـ لـدـيـنـاـ جـمـلـةـ غـيـرـ مـسـتـقـيمـةـ دـلـالـيـاـ،ـ هـيـ (بلـدـ نـحـيـلـ)،ـ وـ هـذـاـ الإـجـرـاءـ سـعـاهـ "فيرـثـ"ـ اـحـتـمـالـ الـوـقـوعـ: (Co-Occurrence)،ـ وـ يـقـابـلـهـ مـصـطـلـحـ التـلـازـمـ (Collocation)ـ الـذـيـ يـقـصـدـ بـهـ تـلـازـمـ وـقـوـعـ كـلـامـ آـخـرـ مـعـ آـخـرـ دونـ غـيـرـهـ نحوـ: "الـشـمـسـ وـ النـورـ"ـ، "الـلـيـلـ وـ الـظـلـامـ"ـ.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبنها، ص: 341.

<sup>2</sup>- زوين علي ، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث: ص: 174.

## وخلصة القول :

إذا كانت هذه النظرية قد آمنت أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة.<sup>1</sup>، فإنّ ما تهدف إليه هذه النظرية هو:

\* معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات ، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة، بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها.

\* وصف الاستعمال الفعلي لنطق معنى في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً.

\* معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية.

\* إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و سائر المشتركين في الكلام.

\* وجوب تحديد بنية الكلام، لأنّ هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى.

\* يجب تحليل الكلام إلى عناصره و وحداته الداخلية المكونة له، و الكشف عما بينها من علاقات داخلية كي نصل إلى المعنى، و هي أهداف كلّها توحى إلى الاهتمام الذي كان عليه "فيرث" في إحلال القول محله، ضمن السياق "الاجتماعي" و من ثمّ الخروج من تعليماتٍ حول أنماط المعاني التي تعزّزها سياقات اجتماعية محددة وبذلك أنتج منهاجاً مقتنناً لوصف هذه السياقات يشبه إلى حدٍ كبير المناهج الوصفية الأكثر حداً...<sup>2</sup>

## 02. السياق عند "أولمان ستيفن" :

إذا كان المعنى عند "فيرث" كلّ مرّكّبٍ من مجموعة من الوظائف اللغوية فضلاً عن سياق الحال "غير اللغوي" و يشمل الجانب اللغوي الوظيفة الصوتية ثم الصرفية و النحوية و المعجمية، و يشمل سياق الحال عناصر كثيرة تتصل بالمتكلم و المخاطب و الظروف الملابسية و البيئة..<sup>3</sup>، فإنّ "ستيفن أولمان" و الذي ركّز على الفرق بين اللغة و الكلام، فاللغة ثابتةٌ مُستقرة و الكلام عابر سريع الزوال، و اللغة تفرض علينا من الخارج في حين أنّ الكلام نشاط معتمد مقصود، كما أنّ اللغة اجتماعية، و الكلام فردي...<sup>4</sup>، يشير إلى أنّ نظرية السياق إذا طُبّقت بحكمة، تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، و قد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، فقد قدّمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معانٍ الكلمات، فكلّ كلماتنا تقريباً تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء كان هذا السياق لفظياً، أم غير لفظيّ،

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر: علم الدلالة ،ص: 68

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص: 69.

<sup>3</sup> - طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، 1983م، ، ص: 21.

<sup>4</sup> - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشهاب ، ط01، 1986، ص: 32.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصورة الأسلوبية للكلمة، كما تعدّ ضرورية في تفسير "المشتراك اللغظي".<sup>1</sup>

كما يشير "أولمان": "لقد وصفت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات و توضيحها عن طريق التّمسك بما أسماه أستاذنا "فييرت" (ترتيب الحقائق في سلسلة السياقات)، أي سياقاتٌ كلّ واحد منها ينضوي تحت سياق آخر، و لكلّ واحدٍ منهما وظيفة لنفسه، و هو عضو في سياق أكبر، و في كلّ السياقات الأخرى، و له مكانه الخاص فيما يمكن أن نسمّيه سياق الثقافة)، و الحقّ أنّ هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان إلا تحقيق جانبٍ واحدٍ منه فقط ، لكنّه مع ذلك يعدنا بمعايير تمكّتنا من الحكم على النتائج الحقيقية حكماً صحيحاً...<sup>2</sup>.

وبذلك يعدد "أولمان" خمسة من وظائف السياق نلخصها في ما يلي:<sup>3</sup>

. السياق وحده كفيل بتوضيح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تحمل على أنها تعبير موضوعي أم تعبير انفعاليٌ عاطفيٌّ، و يمثل لذلك لكلمة "جذر" في مقطوعة شعرية.

. السياق وحده أداة تعين حدود و مجالات الكلمة في أيّ موقف معين، ككلمة "إنجليزي" التي يتسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحاً لغويًا عاماً أكثر منه مصطلح قومياً في مقابل: (أيرلندي – اسكتلندي).

. السياق وحده يوجه دلالات الكلمات ذات المعاني المركزية الثابتة، فالسياق يبين ما إذا كان المقصود من كلمة ( قريب): "قرابة رحم" ، أو "قرب مسافة".

. السياق وحده هو القادر على تحديد معنى واحد من بين معانٍ الكلمة خارج التركيب ، مثل الفعل (أدرك) الواقع فيه الفعل، يتأكد المقصود مثل: (لحق به)، (عاصره)، (رأى)، (بلغ)....

. السياق وحده يكشف المقصود من الكلمات المتفقة النطق مثل "See, Sea" و هو ما يُسمى بـ"المشتراك اللغظي" ، و الذي كثيراً ما يتلاشى غموضه بفضل "صمام الأمان" و هو السياق.

و قد عدّ "أولمان" المنهج السياقي خطوة تمهدية للمنهج التحليلي، و صرّح بأنّ "المعجمي" يجب –أولاً- أن يلاحظ كلّ كلمة في سياقها، كما ترد في الحديث أو النص المكتوب، بمعنى يجب أن تدرس في واقع عمليٍّ (أي

<sup>1</sup>- المرجع نفسه: ص: 66-67.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه : ص: 67.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه. ص: 68، 69.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

في الكلام) ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام، و نسجله على أنه المعنى للكلمة....<sup>1</sup>

، و تطرح نظرية السياق منهجا عمليا في دراسة المعنى له ثلاثة أركان رئيسية هي:

الأول: وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما "يسمى بالمقام أو سياق الحال" ، أو "المجرى" ، وهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية و هذه العناصر هي:

- الكلام الفعلي نفسه.

- شخصية المتكلم و السامع و تكوينهما الثقافي ، و شخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم و السامع - إن وجودوا - ، و بيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي ، و هل يقتصر دورهم على الشهود أم على أكّم شاركوا في الكلام و النصوص التي تصدر عنهم.

- الأشياء و الموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام و موقفه.

- أثر الكلام الفعلي في المشترين، كالإقناع و الألم أو الإغراء أو الضحك و غيرها.

- العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة ، و بالسلوك اللغوي ، من يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام و زمانه، و الوضع العام إن كان له دخل.

الثاني: وجوب تحديد بنية الكلام المدروس و صيغته لكي تضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى، أو لهجة وأخرى، أو بين مستوى كلامي و مستوى كلامي آخر، لأنّ من شأن هذا الخلط أن يؤدي إلى نتائج مضطربة غير دقيقة، و من ثم تحديد البيئة الاجتماعية و الثقافية التي تحتضن اللغة المراد دراستها، لوجود الصلة الوثيقة بين اللغة و الثقافة المحيطة بها، و هو ما يمكن أن يسمى "بالسياق الثقافي" ، و هو أمر مهم بالنسبة إلى الفصل بين المستويات الكلامية كلغة المثقفين و لغة العوام، و لغة الشعر، و لغة النثر.

الثالث: وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل، لأنّه مُكون من أحداث لغوية مركبة و معقدة و تحليلية على هذا المنهج أيسر و أسلم، إذ تقود كل مرحلة إلى التي تليها في سهولة و يسر، و هذه المراحل هي فروع علم اللغة، و النتائج التي تصل إليها هذه الفروع هي مجموع خواص الكلام المدروس، و هذه الفروع وثيقة الصلة فيما بينها، و غايتها إجلاء المعنى اللغوي، فالمعنى اللغوي له وسائله الصوتية ثم الصرفية و النحوية و المعجمية و الوظيفة الدلالية لسياق الحال، و لا بدّ للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي تنتهي إليها هذه التحليلات جميعا ربطا يدخل في اعتباره سائر عناصر (سياق الحال).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 72.

<sup>2</sup> - طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص: 214-217.

## و خلاصة القول :

إن أهمية نظرية السياق تشمل في عنايتها بالشق الاجتماعي للمعنى، و هو ما يسمى (سياق الحال)، لأن إجلاء المعنى على المستويات اللغوية (الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية) لا يعطينا إلا معنى (المقال) أو (المعنى الحرفي)، و هو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي، منعزل عن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى، لذلك كان من الضروري العناية به ، و من ثم فإن المعنى الدلالي يشمل جانبين أولهما يتمثل في (المقال) و الآخر في (المقام) أو (سياق الحال).

هـ- السياق عند المحدثين العرب:

- إذا كان علماء العربية و أصوليوها من القدماء قد انتهوا إلى جملة من الحقائق المتصلة بقوعام الحديث عن السياق و ما يتعلق به. فإن المحدثين منهم قد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيرث السياقية" ، لأنهم تلقوا العلم على يديه بشكل مباشر أو غير مباشر، و من أمثلة هؤلاء: الدكتور (قام حسان) والدكتور (كمال بشر)، و الدكتور (محمد السعران) ، و غيرهم. و يظهر ذلك بجلاء في مؤلفاتهم العلمية.

لذلك ارتبط الدرس اللغوي الحديث منذ بدايته بأسماء تللمذوا على يد "فيرث" و أخذوا عنه أصول الدراسات اللسانية العلمية الحديثة، و خلوا من فكره، ثم نقلوا ذلك إلى العربية و الدرس العربي، مما يكشفه كتاب (علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي) للدكتور: "محمد السعران" باعتباره رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي، أطلع من خلاله القارئ العربي على علمٍ عريٍّ جديدٍ هو "علم اللغة" ، حيث حوى هذا الكتاب مسيرة الدرس اللغوي الغربي حتى فترة الأربعينيات من القرن الماضي، ملخصاً فيه مختلف المدارس و المناهج اللغوية الغربية بشكل يستطيع معه المطلع عليهأخذ صورة عامة و شديدة عن التطور اللغوي الحاصل في اللغويات في الركن الغربي.

فمن خلال كتابه عرج على "نظرية السياق" عند تعرّضه للمدرسة الانجليزية الاجتماعية أو "مدرسة فيرث" ، فأبدى ذلك الولاء والإشادة بالرأي و المجهودات المبذولة في مسألة السياق ، فسبقه دائماً بلفظة "أستاذ" ، كما أشار إلى ذلك الدكتور "حليمي خليل" حين صدر كتاب "السعران" بقوله "... و هنا يتضح انجيازه الكامل إلى المدرسة الاجتماعية الانجليزية التي يترجمها أستاذته فيرث" ....<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - السعران محمد ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 / 1997 ، ص: 12 .

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

و من الأمثلة التي ضربها "السعuran" تؤكد استعماله للسياق اللغوي كما في المدرسة الانجليزية، من خلال ما ذكره عن كلمة: "أول" في الآية الكريمة: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِكَثَّةِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ..." آل عمران 99" فرأى أنَّ "البيت" في الآية معلوم أنه الكعبة المشرفة، لكنَّ السؤال في "أول" لهذا يجعل السائل يتساءل:

- هل أنَّ الكعبة هي أول ما يُبني على ظهر الأرض (مذهب المفسرين).

- هل أنَّ الكعبة هي أول بيت وضع لعبادة الله وحده (مذهب المدققين من المفسرين).

و ما يجعل هذا التساؤل هي "آيات بينات" في شكل قرائن لغوية "تضمنت أخباراً من عند الله تعالى ، أمرَ من خالقاً إبراهيم و ابنه عليهما السلام ببناء الكعبة، و كان قبلهما خلق كثير...".<sup>1</sup>

ليحتلَّ السياق جانباً مُهماً في أعمال اللغوي الشهير "تمام حسان" لا سيما و هو الذي أقرَّ في إحدى أشهر مؤلفاته: "اللغة العربية معناها و مبنها" "أنَّه قد أنتبهج لهذا المنحى الذي يُعدُّ أحد إسهامات الدراسات اللغوية الحديثة، و أنَّه سعى إلى تطبيقه على اللغة من خلال كتابه ذلك...".<sup>2</sup>، وقد تخلَّي ذلك في بحثه إياه - أي السياق- و توظيفه له أدأه كأدأه ذات سلطة كبيرة في استخراج المعنى، و الحث على انتهاج هذا المنوال اللغوي لمن ابتغى الدلالة و رام الوصول إليها.

و أمام هذه الجهدود تتراءى نظرة "تمام حسان" إلى المعنى باعتباره: "المهدف المركزي الذي تُصوَّبُ إليه الدراسات من كل جانب...".<sup>3</sup>، حين رأى له أنواعاً ثلاثة تصبُّ كُلُّها في المعنى بطريقة منهجية، أحدهما "المعنى الوظيفي" ، و هو وظيفة الجزئي التحليلي في النظام أو في السياق على حد سواء، و ثانيهما: "المعنى المعجمي" للكلمة، و كلاهما متعدد و محتمل خارج السياق، و واحد فقط في السياق و الثالث: "المعنى الاجتماعي" أو ما يُعرف "بمعنى المقام".<sup>4</sup>.

فهو يرى أنَّ المعنيين "الوظيفي و المعجمي" في مجموعهما يؤلفان معنى واحداً هو "المعنى المقالي"؛ أمَّا الأول (الوظيفي) فهو حصيلة المعنى الصوتي و الصرفي و النحوبي، في حين أنَّ الآخر (المعجمي) و يسمَّى أيضاً المعنى المفرد، إذ معنى الكلمة في المعجم هو:..معنى متعدد و محتمل،... و من ثم يفتقر إلى قرنية السياق التي تحدده...".<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص: 217.

<sup>2</sup> - تمام حسان ، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001، ص: 117.

<sup>3</sup> - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبنها، ص: 29-28.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص: 29

<sup>5</sup> - تمام حسان ، البيان في رواع القرآن، دراسة لغوية و أسلوبية ، عالم الكتب، ط 2 / 2000، ص: 370.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

كما نظر من جهة أخرى إلى المعجم بوصفه قائمة من الكلمات لا نظام لها، ويشكل في نفس الوقت جزءاً مهما من اللغة لإمداده إياها بمادة عملها، بما هو مخزن في ذاكرة المجتمع من مفردات، ويرجع علة تعدد معنى الكلمة في المعجم واحتماله: ... إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق، وثبت ذلك لها سبق استعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة، ومن صلاحيتها الدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها واحتماله في حالة الأفراد... ، ويضرب لذلك مثلاً من خلال تسييق كلمتي (صاحب) و(ضرب)، إما عن طريق ضمّها مع المضاف إليه، مثل: "صاحب البيت=مالكه" ، و صاحبي=صديق، و صاحب المصلحة=المتّفع، و إما بإدخال اللفظة في تركيب أو جملة عامة مثل: "ضرب زيد عمر" : بمعنى "عقاب" ، "ضرب الله مثلاً": بمعنى: "ذكر" ، ضرب له موعداً أي : "وعده".<sup>1</sup>

ما نستخلصه من جهود "تمام حسان" اللغوية في حديثه عن "السياق" أنه أجاد فعلاً البحث فيه خدمة للغربية تطبيقاً و تنظيراً، متأثراً بواضع نظرية السياق "فيرث" من خلال تصوّره للمعنى وأساليب الوصول إليه عبر استخدام الطرق التحليلية التي تقدّمها فروع الدراسات اللغوية المختلفة و الصوتيات، الصرف، النحو (أدوات تحليل المعنى الوظيفي)، ثم نظرته للمعجم لتشكّل كلاًًا مع القرائن المقالية المصاحبة للمعنى المقالى "المعنى الكلّي" ، أو ما يعرف "بالمعنى الدلالي" .

وتزامناً مع جهود "تمام حسان" في هذا المجال بحد الدكتور: (كمال بشر) كذلك واحداً من الذين أبدوا ولهم بالمدرسة الاجتماعية بقيادة "فيرث" ، خاصة حين أعلنها صراحة متبنياً آراءها قائلاً: "... ونحن من جانبنا لا يسعنا إلا أن نتبع هذه المدرسة، لأنّ في مناهجها ما يكفل لنا الوصول إلى نتائج صحيحة خالية من الاضطراب و الخلط..."<sup>2</sup> ، مما يجعله يفتح باب دحض ما في المناهج الأخرى العقلية و النفسية و السلوكية لأئمّها في نظره تؤدي إلى الخلط في مراحل البحث عن المعنى، هذا الأخير لا تتراءى معالمه إلاً من خلال ما سارت عليه المدرسة التي يرأسها الأستاذ "فيرث" ، و التي ترى أنّ المعنى اللغوي هو مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بل لا بدّ من تناولها على مراحل أو مستويات مختلفة، و المعنى بهذا المفهوم شيء مُعقد ذو أجزاء أو عناصر مختلفة، و وظيفة فروع علم اللغة مجتمعة بيان هذه العناصر و تحليلها...<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناهما، ص: 323-324.

<sup>2</sup> - ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ص: 31.

<sup>3</sup> - المرجع السابق ، ص: 81. (هامش).

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

وقد بات جليا دعوة "كمال بشر" <sup>1</sup> إلى تطبيق و ممارسة هذا النمط من الدراسة القائم على تحليل المستويات اللغوية للتركيب أو المنطوق مع الأخذ بعين الاعتبار ما أسماه (مسرح اللغوي) (Linguistic – Théâtre) بما فيه من الملامح الصوتية الموجهة أو النطق و ألوانه، الذي يساهم بقدر كبير في تعين الدلالة في النص المنطوق....

و خلاصة هذا البحث اعتراف بأنّ جهود اللغويين العرب كانت في عمومها دراسات نظرية لانعدام عنصر التطبيق و التمثيل في دراسات "محمد السعران" ، كما هو ظاهر في عنوانه "مقدمة للقارئ فقط" ، كما غالب الطابع النظري عند "كمال بشر" ، لكن بسط النظرية كان بوضوح مدعاً بالشاهد و الأمثلة مُتّخذنا من العربية مثلاً للتطبيق، فرأيناه عند "تمام حسان" ، لا سيما و هو الذي بني نظريته في هذا الكتاب (اللغة العربية معناها و مبنها) متأثراً بالنظرية السياقية منهجاً و تطبيقاً.

### 2- أنواع السياق:

كثيراً ما ركّزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق في تحديد المعنى، لأن الكلمة يتعدد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث أن الكلمة عدّة استعمالات سياقية، وكلّ سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعاني أو وجهاً منها، كما يقول الفيلسوف الألماني : "فيتغيّشتين" "معنى الكلمة يمكن في استعمالها في اللغة" و يقول أيضاً: "لا تسل عن المعنى، و لكن سل عن الاستعمال"<sup>2</sup>، لأنّ تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضيع التي ترد فيها، و الذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات، لا سيما - كما عرفنا - أنّ معنى الكلمة هو استعمالها في السياق، و أنّ المعنى "لا ينكشف إلاّ من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في محاورة وحدات أخرى، و أنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلاّ بمحاجة الوحدات الأخرى التي تقع محاورة لها".<sup>3</sup>

لذلك تعتمد اللّغة على السياق في ضبط معانيها و إزالة الغموض عنها، فالسياق هو الذي يحدد ما إذا كان المقصود هو المعنى الأصلي أو المجازي، و ذلك عن طريق اعتماده على مجموعة من الظروف الحسية و النفسية المحيطة بالنص، و كذا المحيط الاجتماعي، لأنّ السياق يعتمد على معرفته بالعادات و التقاليد و الحياة الروحية و الدينية و الاجتماعية بصفة عامة في تحديد المعنى، و كذلك على معرفة أسباب النزول و

<sup>1</sup> - كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 / 1971 ، ص: 65.

<sup>2</sup>-Wittgenstein : semantics : theories of meaning in generative grammar p : 19

<sup>3</sup> - تمام حسان ، الأصول ، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي ، عالم الكتب القاهرة ، ط 1/2000 ، ص: 68.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

غيرها من الظروف التاريخية والجغرافية والثقافية الأخرى، و من هنا نلحظ أن قرنية السياق تتد على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة و تنتهي بهذه القرائن المختلفة".<sup>1</sup>

و تتنوع السياقات بتنوع الظروف المحيطة بإنتاج نص ما، سواء أكانت الظروف داخلية أم خارجية لأن دراسة معاني الكلمات تتطلب عند أصحاب نظرية السياق تحليلا للسياقات و المواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي".<sup>2</sup>.

و لذلك اقترح "Ammer" تقسيما للسياق ذا أربع شعب.<sup>3</sup> ، كما يراها هو: "لغوي" و "عاطفي" و "اجتماعي" ، و "سياق موقف".، و يمكن تقسيم السياق إلى قسمين كبيرين، كما اقترحه اللغويون هما :

سياق غير لغوي————— سياق لغوي

أ-**السياق اللغوي:** (Linguistic Context)، (Contexte linguistique)

هذا النوع من السياق يعدّ حصيلة استعمال اللغة داخل نظام الجملة، عندما تُساوى مع كلمات أخرى مما يُكسبها معنى خاصاً محدّداً، فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه "المعجم"، لأنّ هذا الأخير متعدد و متحوّل، في حين أنّ المعنى الذي يقدمه "السياق اللغوي" هو معنى معين له حدود واضحة، و سمات محدّدة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم....<sup>4</sup>

فالسياق اللغوي إذن: "هو الاعتماد على الوحدات الدلالية و تجاورها في تركيب ما، بحيث لا يحدد معنى وحدة دلالية معينة ما لم ينظر إلى ما صاحبها في التركيب، لأنّ الكلمات تدخل في تركيب ما تشكّل نسيجا لغويا يعتمد كلّ جزء فيه على الآخر، فهو يتعلّق بالنظر إلى بنية النص، و مهمته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ، و كلّ ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة، و ما يحتويه من قرائن تساعدننا على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، و هي تسبح في نطاق التركيب"<sup>5</sup>.، لذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية و الصرفية و النحوية و التركيبة و الدلالية) للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها، و من أمثلة ذلك:

\* عندما ترد كلمة "عين" في العربية: و هي من "المشترك اللفظي" في سياقات لغوية متعددة ، يتبيّن للدارس ما

<sup>1</sup>- تمام حسان ، البيان في روايَّة القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، ط2/2000 ، ص: 220.

<sup>2</sup>- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 295.

<sup>3</sup>- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص: 69.

<sup>4</sup>- عون نسيم ، الألسنية، محاضرات في علم الدلالة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1، 2005 ، ص: 159. وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات ، ص: 295.

<sup>5</sup>- عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1، 2002 ، ص: 542-543.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

تحمله من معانٍ مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه، فكل سياق آت ترد فيه كلمة "عين" يقدم معنى واحداً تتجه إليه الأفهام و تترك ما سواه، فنقول مثلاً:

- |                          |   |                         |
|--------------------------|---|-------------------------|
| العين هنا هي الباصرة.    | ← | - عين الطفل             |
| العين هنا هي عين الماء.  | ← | - عين حاربة في الجبل    |
| العين هنا بمعنى الجاسوس. | ← | - هذا عين على العدو     |
| العين هنا السيد في قومه. | ← | . الرجل عين من الأعيان: |

كما أنّ لفظة (Good) في "اللغة الانجليزية" تقع في سياقات لغوية متنوعة، فإذا وردت وصفاً:

- أشخاص: رجل، امرأة، ولد ..... (دللت على الناحية الخلقية).

- طيب، معلم، مهني، .....(دللت على التفوق في العمل والأداء الممتاز).

- مصادر و محسوسات: ملح، دقيق، هواء، ماء،.. دللت على النقاء والصفاء والخلوّ من الغش.<sup>1</sup>

فمن المؤكّد أنّ ما ذُكر لا ينطبق على أمثلة محدّدة و كلمات نادرة، إنما ينطبق على غالبية المفردات حين ترد في السياق، و يرجع هذا إلى أنّ طبيعة المعنى في المعجم تختلف عن طبيعته في السياق، علماً أنّ السياق اللغوي يوضح كثيراً من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقاييساً لبيان "التراصف" أو "الاشتراك اللفظي" ، أو "العموم، أو الخصوص" و غيرها....

ما سبق نستنتج أنّ السياق اللغوي ثراعي فيه القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقتها مع الكلمات الأخرى في النّظم من خلال جملة أو فقرة أو غيرها. و يضرب "كريم زكي حسام الدين" مثلاً آخر لذلك من خلال الفعل "أكل" و معانيه المتعددة من خلال سياقات قرآنية مختلفة في قوله تعالى:

- " وَقَالُوا مَا لِهِ الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ... "الفرقان" 07 - الأكل: بمعنى التغذية.

- " وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ... "يوسف" 13 - الأكل: بمعنى الافتراض.

- " هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ " الأعراف" 07 - الأكل: بمعنى الرعي.

- " أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ... " الحجرات" 12 - الأكل : بمعنى الغيبة.

- إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... "النساء" 10 - الأكل: بمعنى الاحتكام.

- حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ "آل عمران" 183 - الأكل: بمعنى الاحتراق.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 297

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

ليقى السياق اللغوي مرتبطا بكلّ ما يتعلّق بالنظر في بُنية النص، لتوضيح أبعاده الدلالية الغامضة في اللفظ عن طريق نظم اللغة، ويشمل هذا النوع من السياق على "مكونات أساسية" هي:

### أ - المستوى الصوتي :

يهم بدراسة الصوت داخل سياقه، لأنّ مهمته الوظيفية تظهر في تأثيره الدلالي داخل السياق، و هو المكان الذي تؤدي الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات.

### ب - المستوى الصرفي :

لا تكتسب المورفيمات دلالة أو قيمة إلّا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين، حيث ترتبط بصيغة ما:  
حرف المضارعة (ي) + خرج = يخرج.

### ج - المستوى التحوي :

يتكون من شبكة من العلاقات القواعدية التي تتحكّم في بناء الوحدات اللغوية داخل نصٍّ ما، كالأعراب الذي يمثل قرينة بيانية يساهم في توضيح المعنى.

### د - المستوى المعجمي :

مجموعة من الوحدات اللغوية التي تحمل معنًّا ما، وتشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى في صورة تركيبٍ نحوِيٍّ صحيحٍ ، لإنتاج المعنى السياقي العام لهذا التركيب.

**ب - السياق غير اللغوي:** (Context of Situation) و يُسمّى أيضاً "سياق الحال" ، و يتمثّل في الظروف و الملابسات و المواقف التي يتمّ فيها الحدث اللغوي و تتصل به، و هو ما أطلق عليه الدكتور: "كمال بشر" اسم : "المسرح اللغوي" ، كما سماه "فيرث" سياق الحال ، و يعرفه: " بأنّه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ، و من هذه العناصر شخصية المتكلم و السامع و تكوينهما الثقافي ، و شخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم و السامع – إن وجدوا- و بيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ، و العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللغوي ، و العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللغوي من يُشارك في الموقف الكلامي ، كحالة الوضع السياسي ، المكان ، الكلام ،...<sup>2</sup> ، فهو بذلك يركّز على الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي بجمع عناصره انطلاقاً من:

<sup>1</sup> - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 297.

<sup>2</sup> - السعران محمد ، علم اللغة، مقدمة إلى القارئ العربي، ص: 338.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

(المُرسِل ← الوَسْط ← المُرْسَل إِلَيْهِ) يجمع موصفاتهما و تفصيلاتهما ، فالكلام " لا ينطق بمعزل عن إطاره الخارجي "، لذلك تقول العرب: " لكل مقام مقال "، وكان البلاغيون أكثر القوم احتفاء و اهتماماً بهذا المنظور، لذلك يجب فهم كلّ القرائن التي تحيط بدائرة النص في تحديد أبعاده الدلالية.<sup>1</sup> ، و ينقسم هذا النوع من السياق إلى:

### أ. السياق العاطفي : (Emotional Context) ، (Contexte émotionnel)

إذا كانت الكلمة بصفة عامة تؤثر في ملقيها، و توظف فيه شحنة من المشاعر و الأحساس ، فإنّ السياق العاطفي يقوم بتحديد طبيعة استعمال الكلمة في دلالاتها الموضوعية التي تفيد العموم، و دلالاتها العاطفية.<sup>2</sup> التي تفيد الخصوص ، فيحدد درجة القوّة و الضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً<sup>3</sup> ، مما يتطلّب قرائن بيانية تؤكّد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال.<sup>4</sup> ، كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعانٍ الانفعالية و العاطفية لأنّ تُنْطَق و كأنّها تمثّل معناها تمثيلاً حقيقياً ، و لا يخفى " ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعانٍ الانفعالية ".<sup>5</sup>.

فمثلاً عند التعبير عن أمرٍ فيه غضب و شدة انفعال ، فإنّنا ننتهي الكلمات ذات الشحنة القوية و المعبرة إلى درجة أنّ المتكلّم نفسه لا يقصد استعمال هذه الكلمات مثل ألفاظ " القتل ، الذبح ... " ، إلى غير ذلك لذلك يقول (ستيفن أوطن): " إنّ السياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف ، أو أنها قُصد بها التعبير عن العواطف و الانفعالات ".<sup>6</sup>

إنّ تأدية اللغة وظيفة عاطفيةً فضلاً عن وظيفتها بنقل الأفكار و التعبير عن الحقائق و القضايا الموضوعية يتّأثّر من استثمار طاقات السياق ، فالكلمات هي نفسها تستعمل في تأدية الوظيفتين ، لكنّ السياق المختلف هو الذي يجعل المعنى هنا عاطفياً و هناك سياقياً ، وقد علق " ابن جني " عن بعض الكلمات بأنّ أهل النسب

<sup>1</sup> - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، ص: 543.

<sup>2</sup> - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 296-297.

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص: 70.

<sup>4</sup> - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، ص: 549.

<sup>5</sup> - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 297.

<sup>6</sup> - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص: 63.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

و الرقة و ذوي الأهواء يقيّدون من هذه الألفاظ ما يقيّده منها غيرهم، و بين كيف تكون الكلمة في موضع ما عاطفية و في غيره ليست كذلك".<sup>1</sup>

و من أمثلة ذلك من حيث طبيعة استعمال الكلمة في دلالاتها الموضوعية و دلالاتها العاطفية الخاصة ، كلمتا: "جهاد، نضال" كلمتان متراdicées إلا أنّهما مختلفان عند حدود استعمالهما، لأنّ كلّ مستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكريا و عاطفيا، رغم اشتراك الكلمتين في عموم الموضوع ، إلاّ أنّ لكلّ كلمة خصوصيتها وجمهورها، فالإسلامي يوظف الكلمة "جهاد" ، و العلماني يوظف الكلمة "نضال".

و من حيث درجة القوة و الضعف : فالكلمات ذات الشحنات التعبيرية القوية ترد حين يكون الحديث عند أمر فيه غضب و شدة، فتُوظَّف الفاظ ذات شحنة قوية، فالذين "يتنازلون" أو "يتذابخون" بعضهم بعضا، فاستعمالها لا يقصد معناها الحقيقي، وإنما محملة لما في داخل المتكلم من غضب و افعال، أو اشراح و سرور ....".

أمّا من حيث طريقة الأداء الصوتي، فيظهر الدور الفعال للسياق العاطفي في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية و العاطفية ، حيث تُنطق الكلمة و هي تمثّل معناها تمثيلاً حقيقياً مع ما يصاحبها من إشارات الكلام من هذا القبيل: "النبر" ، "الإيقاع" و "التنغيم" و "اختيار الكلمات و نظام ترتيبها و موقعها"....، كأنّها مجتمعة أو متفرقة قد تظفر بإحداث التأثير و تنوع التعبير عن الانفعال".<sup>2</sup>

**ب: سياق الموقف :** (sitational contexte) يدلّ هذا النوع من السياق على العلاقات الزمنية والمكانية التي تجري في الكلام" ..<sup>3</sup> ، أو هو على حدّ تعبير "عبد القادر عبد الجليل" : "مجموعة الظروف التي تحيط بالحديث الكلامي ابتداء من المرسل ، والوسط ، ومن المرسل إليه بمواصفاتهم وتفاصيلهم المتناهية في الصغر..."<sup>4</sup> ، لذلك - ومن أجل فهم نصٍ ما - يجب معرفة كلّ القرائن والظروف التي تحيط به باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص .

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص: 70.

<sup>2</sup> - عون نسيم ، الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، ص : 160.

<sup>3</sup> - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 298.

<sup>4</sup> - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، ص: 543.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

ولأنّ ما يؤدّيه السياق للمعنى من تحديد ومناسبةٍ ظرفية يتطلّب من الباحث عامة الإمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها ،وبذلك يُمهد عادةً للآثار الأدبية بدراسةٍ للبيئة الزمنية والمكانية والملابسات الشخصية، لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء<sup>1</sup>.

إنّ مراعاة الموقف يجعل المتكلم يتعلّم عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدّباً ،بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيليجاً إلى "التلميح دون التصريح" وأنّ ما يؤدّيه المقام للمعنى من تحديد ومناسبةٍ ظرفية يتطلّب الإمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري فيها الكلام ،ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قضية التحكيم المشهورة في قول الخوارج : "لا حكم إلا لله" ،فكما كان هذا القول بـراقا وجذّاباً ،لكنّ رد الإمام علي "كرم الله وجهه" حول هذه المقوله والشعار عكس الظاهر فكان قوله: "كلمة حق يراد بها باطل"<sup>2</sup>، لأنّ الإمام علي "كرم الله وجهه" أراد بذلك أنّ هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكن المقام هو "إلزم سياسي" .

ومثال آخر ما ورد على لسان "الأحنف بن قيس" حين سأله "معاوية بن أبي سفيان" عن رأيه في أحد البيعة بولالية العهد ليزيد أبنه ،مع أنه لم يكن محمود السيرة في الناس ، فقال الأحنف مقولته الشهيرة : "أخاف الله إن كذبت ، وأنخافكم إن صدقتم"<sup>3</sup> ،فكانت كنایته أبلغ من التصريح وأقدر على أداء المعنى من التوضيح.

فسياق الموقف إذن : "يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة" ، فاستعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميّت العاطس بقولنا "يرحmk الله" ، وفي مقام "الترجم بعد الموت" : "الله يرحمك" فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ، و الثانية طلب الرحمة في الآخرة ، وقد دلّ على هذا" سياق الموقف " .

وبالتالي لا بدّ للدارس اللغوي أن يتفاعل مع المقام المتكون من العناصر الآتية ، و التي تمثّل عناصر أساسيةً في سياق الموقف وهي :

. الكلام الفعلي: أي ما دار بين المتكلمين خلال الموقف الكلامي.

. طبيعة المتحدثين: يعني من هم هؤلاء المتحدثون الذين دار بينهم الحديث؟ ومعرفة كل واحد منهم هل هو مسؤول يحدث أحدّ موظفيه؟، أم يكلم ابنه...؟، لأنّ علاقة المتكلم بالسامع تقتضي نوعاً من الحديث المؤطر والمقيّد بتلك العلاقة .

<sup>1</sup> - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 298.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص: 298.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص: 298.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

طبيعة المتحدثين : يعني من هم هؤلاء المتحدثون الذين دار بينهم الحديث ؟، ومعرفة كلّ واحد منهم هل هو مسؤول يُحدّث أحد موظفيه؟ ،أم أبٌ يُكلّم ابنه،.... ،لأنّ علاقة المتكلّم بالسامع تقتضي نوعاً من الحديث المؤطر، و المقيد بتلك العلاقة .

طبيعة الأشياء المحدث عنها: يعني بذلك: عم يدور الكلام؟ ولماذا؟.

الأفعال المصاحبة للكلام: فيجب أن ترى الشخص ،أو يُوصف لك ،كيف كان يتكلّم..؟ ،هل كان يبدو من ملامحه الغضب أو المرح أو الرضا أو الضجر أو المزاح ؟ ،أي لا بدّ من أن نرى المتغيرات المصاحبة للكلام على وجه المتكلّم .

زمن الكلام: مثلاً : أ عند الفجر ؟ أ عند العشاء ؟ في أي وقت كان وقت الكلام؟، لأنّه لا يمكن الاستغناء عن عنصري الزمان والمكان اللذين ورد فيهما الحدث اللغوي من أجل الوصول إلى المعنى المبتغى .

هذه العناصر هي التي جعلت من الدكتور "تمام حسان" يُقرّ بأسقية العرب الذين عرّفوا سياق الموقف قبل ألف سنة أو ما فوقها ،إلا أنّ كتبهم لم ترقّ إلى مستوى الدعاية على المستوى العلمي مقارنة مع الدراسات الغربية الحديثة بسبب نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات".<sup>1</sup>

ج السياق الثقافي: (Cultural Context)، (Contexte Cultural) :

يُعرّف هذا النوع من السياق على أنه "المجال أو الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إليه الكلام، إذ يسهم السياق الثقافي في تحديد المحيط الذي تتوارد فيه الوحدات المستعملة، وغالباً ما يكون المحيط اجتماعياً".<sup>2</sup> فللسياق الثقافي أهمية بارزة، إذ يقتضي على القارئ لكلّ نص أن يلّم به، لأنّ الدلالة المعجمية تكون مُضليلة له، إذا لم يتسع بالبحث عن المعانى الأخرى و التي يستمدّها من السياق الثقافي .

لذلك ينفرد هذا النوع من السياق بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة "المقام" من خلال المعطيات الاجتماعية، لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً، و يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد.<sup>3</sup>، و من أمثلة هذا السياق ما يتعلّق:

أ. ظهور السياق الثقافي من ناحية استعمال كلمات معينة على مستوى لغوي محدد:

يختلف استعمال اللغة و اختيار المفردات بالنسبة للأشخاص باختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فالملتّف الغربي

<sup>1</sup> - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناتها، ص 372، و أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 298.

<sup>2</sup> - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية و ثلاثة الدوائر البلاغية، ص: 224.

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 73.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

المعاصر يعبر على "امرأته" بقوله: "زوجة، أو مدام". بينما أصحاب الطبقة الراقية يستخدمون لفظة "العقيلة" بدلا من الزوجة، و يستعمل الرجل العادي كلمة "مرة"، على حين يستخدم الرجل المتدين كلمة (حرمة أو حريم) 1. فالكل يختار ما يناسبه من المفردات اللغوية بحسب طبقته الاجتماعية، و درجة الثقافية، فيساهم السياق

الثقافي في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة أو المفردة التي تستخدم استخداما عاما.

ب. يحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تُستخدم استخداما عاما: فاستعمال كلمة "الصرف" لدى دارسي العربية يعني مباشرةً أن المقصود هو "علم الصرف الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاء و تغيير و زياد، و نحوها..."، على حين أنّ دارسي الهندسة يحددون دلالة الصرف عندهم أنّها مصطلح آخر هو "الرسّي" ، و هكذا يتحدث هؤلاء عن "الريّ و الصرف" ، أما كلمة "الصرف" في قطاع المال و التجارة فإنّ لها دلالة أخرى تشير إلى تحويل العملة النقدية من الجمود و الكمون في الحساب المصرفي مثلا، إلى التداول الفعلي أو تحويل العملة من فئة إلى فئة ، أو من نقد إلى آخر.

ج. ارتباط الكلمة بثقافة معينة تكون علامَةً لانتماء عرقي أو ديني أو سياسي: فتُستعمل مثلاً :كلمة "فتح" للدلالة على حرب و كسب الأرض، لا يساوّق بحال من الأحوال استخدام الكلمة "احتلال" أو "غزو مسلح" لأنّ الكلمة فتح لها "دلالة ثقافية تاريخية إيجابية" ، كما أنّ استخدام الكلمة "مجاهد" لا يتطابق دائماً مع المناضل المقاتل، الفدائِي... لأنّ لكل الكلمة من هذه الكلمات ظلال ثقافية ذات ارتباط بالتاريخ أو الدين أو السياسية. و خلاصة القول في أنواع السياق نسجّل :

- من خلال معرفتنا لأنواع السياق المختلفة يتضح أنّ المعنى هو ما يفهم من السياق سواء كان لغوياً أو عاطفياً أو ثقافياً، وكذلك من خلال سياق الموقف، فكل هذه الأنواع تساعد على تدارك و فهم معاني النّص المختلفة.
- السياق غير اللغوي يضمّ سياقاتٍ متنوعةً (العاطفي، الثقافي، الموقف)، لكنّ واحد منها دورٌ يُسّهم في تحديد المعنى، فدرجة الانفعال في الحديث قوة أو ضعفاً تؤثّر في تحديد المعنى، من الدلالة على الغضب، الفرح الحزن، وغيرها، ليُسّاهم الحيط الثقافي بكلمة ما في تحديد المعنى. فكلمة "جذر" تختلف عند الفلاح في دلالتها منه عند اللغوي، وهي في مجال الرياضيات بمعنى ثالثٍ، و دون بعيد عن الموقف الذي يقع فيه الحدث الكلامي لما له من اعتبار في تحديد الدلالة، فعبارة "السلام عليكم" تحية إسلامية قد تتحول إلى المقاطعة حين يختدم النقاش بين

<sup>1</sup> - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة، ص: 551

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

شخصين و يئس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب غاضباً و يقول "السلام عليكم" فالمقام يصرف معناها من كونها تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة.<sup>1</sup>

- لقد تفطن القدامى إلى فكرة السياق بنوعيه "اللغوي و غير اللغوي" ، فنظرية" النظم عند الجرجاني "خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي إذ يقول "عبد القاهر": "إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف منهاجه التي نجحت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لها، فلا تخلي بشيء منها.."<sup>2</sup>، مما نلاحظه هو مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام -لاشك- مرتبطة بصحة المعانى الناتجة عن فكرة "الموقعة"... و هذا سياق لغوى.

- لنجد "الزمخشري" يولي اهتماماً واضحاً و كثيراً بالسياق اللغوي في تفسيره "الكشاف" خاصة في ناحية الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، و لكل وجه معنى معين، كالذى قدّمه من وجوه إعرابية في قوله تعالى: "ذلِكَ الْكِتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ" البقرة 02.<sup>3</sup>

- ليقى اهتمام القدامى بالسياق غير اللغوي (سياق الموقف) واضحاً عند البلاغيين ، لا سيما حين عرّفوا البلاغة بأنّها "مطابقة" الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتته" ، ليرد في أكثر من موقف "لكل مقال..." وهذا ما نقف عنده في المطلب المولى من هذا الفصل بصورة من التوضيح و التمثل.

### \* ارتباط السياق الثقافي بالترجمة:

يعدّ السياق الثقافي ركيزة أساسية في عملية الترجمة خاصة، إذ لا يمكن الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص المترجم، إذ يتطلب مقتضيات الفهم الصحيح و الدقة العلمية أن يلّم المترجم بالسياق الثقافي للنص المترجم، لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى، و يقارب الصواب في ترجمة محتواه، لأنّ الترجمة صعبة للغاية، لا سيما إذا تعلق الأمر بالنص المقدس أو بالنص الأدبي أو بالنص الفلسفى ويتىء المترجم إذا اعتمد على الترجمة الحرافية في اللّغة، و لا يصل إلى المعنى المنشود إلا بالاعتماد على السياق الثقافي، و عليه "فاللّغة استعمال" و المعنى يبقى غامضاً بعيداً عن السياقات المختلفة، و لكن ما إن يُسيّق الكلام حتى ينفطر المعنى منه، و يتميّز السياق الثقافي للنص بالдинاميكية المحرّكة لتعديدية المعنى، فليس السياق الثقافي مجرد ألفاظ ساكنة، و إنّما متواлиّة لا نهاية من المعانى، لأنّه يتصل بثقافات أخرى....<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبنها، ص: 345.

<sup>2</sup>- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانقى ، القاهرة ، ط5 / 05 / 2004 ص: 81.

<sup>3</sup>- الزمخشري جار الله أبو القاسم ، الكشاف ، ج 1 / ص: 108.

<sup>4</sup>- عبد الفتاح أحمد يوسف ، قراءة النص و سؤال الثقافة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، ط1 ، عمان 1999 ، ص: 3

### 03- ملامح السياق في التراث العربي القديم:

إذا كان مفهوم السياق قد حظي بعناية هامة في بحوث و دراسات علماء اللغة الغربيين، فإننا نجد الاهتمام نفسه بهذا المفهوم بالنسبة لعلماء العربية خاصة منهم الأقدمون، سواء كانوا باحثين في خصائص العربية (كالجرجاني) (ابن جني) (الحاخط)، وغيرهم، أو علماء أصول الفقه في مباحثهم المتعلقة بعلم الأصول بأقسامه المختلفة من (أحكام شرعية و أدلة شرعية، و طرق استدلال، أحكام اجتهاد....)، و كان هدفهم الأساسي في ذلك هو ضمان الفهم الصحيح و البين لمعنى القرآن الكريم، و استنباط الأحكام الشرعية الصحيحة منه، على نحو ما نجد من جهود (أبي حامد الغزالي)، (الشافعي)، (الآمدي)، و غيرهم....

لذلك كان منطلق العرب في دراستهم للسياق قائماً في أحيان كثيرة على تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ، فقسموها إلى "لفظية" و "غير لفظية" ، و إلى "وضعية" و "غير وضعية" ، و دلائل أخرى تقوم على "المطابقة و التضمن و الالتزام..." و غيرها أخرى "طبيعية و عقلية..."، لذلك، و منذ القدم أشار العلماء العرب إلى أهمية السياق أو المقام، و تطلبـه مقالاً خاصـاً، و مخصوصـاً يتلاءـم معـه رافعـين في ذلك عبارـتـهم الموجـزة "لكل مقـام مقـال" ، فالسيـاق متـضـمن داخـل التـعبـير المـنـطـوق بـطـرـيقـة ما<sup>1</sup> ، لـذـلـك رـكـز النـحـاة عـلـى اللـغـة المـنـطـوـقة فـتـعـرـضـوا لـلـعـلـقـة بـيـنـ الـمـتـكـلـمـ وـ مـاـ أـرـادـهـ مـنـ مـعـنـىـ، وـ الـمـخـاطـبـ وـ مـاـ فـهـمـهـ فـيـ الرـسـالـةـ، وـ الـأـحـوـالـ الـمـحـيـطةـ بـالـحـدـثـ الـكـلـامـيـ، لـأـنـ مـنـ مـنـظـورـهـمـ الـكـلـمـةـ لـأـعـنـىـ لـهـ خـارـجـ السـيـاقـ الـذـيـ تـرـدـ فـيـهـ" ، وـ رـيـمـاـ اـتـحـدـ الـمـدـلـولـ وـ اـخـتـلـفـ الـمـعـنـىـ طـبـقاـ لـلـسـيـاقـ الـذـيـ قـيـلـتـ فـيـهـ الـعـبـارـةـ، أـوـ طـبـقاـ لـأـحـوـالـ الـمـتـكـلـمـينـ، وـ الزـمـانـ وـ الـمـكـانـ الـذـيـ قـيـلـتـ فـيـهـ..<sup>2</sup> . لـأـنـهـمـ أـدـرـكـواـ أـنـ الـذـيـ يـعـيـنـ قـيـمةـ الـكـلـمـةـ فـيـ كـلـ الـحـالـاتـ إـنـمـاـ هـوـ"ـ السـيـاقـ"ـ، إـذـ أـنـ الـكـلـمـةـ تـوـجـدـ فـيـ كـلـ مـرـةـ تـسـتـعـمـلـ فـيـهـاـ فـيـ جـوـيـ يـحدـدـ مـعـنـاهـاـ مـؤـقـتاـ، وـ"ـ السـيـاقـ هـوـ الـذـيـ يـفـرـضـ قـيـمةـ وـاحـدـةـ بـعـيـنـهـاـ عـلـىـ الـكـلـمـةـ بـالـرـغـمـ مـنـ الـمـعـانـيـ الـمـتـنـوـعةـ الـتـيـ بـوـسـعـهـاـ أـنـ تـدـلـ عـلـيـهـاـ...<sup>3</sup> .

### أ- ملامح السياق عند اللغويين:

إذا كان اللغويون الغربيون قد عدّوا نظرية السياق هي الحجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها "فيرث" ، و التي وسّع فيها نظرية اللغة بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، فعرفت هذه المدرسة "بالمنهج السيافي" الذي وضع تأكيداً كثيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة، و نصّ على أنّ اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنّها مزيج من عوامل العادة و العرف و التقليد و عناصر الماضي

<sup>1</sup>- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مكتبة الخانقى ، القاهرة، ط 1/ 1983، ص: 98.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 33.

<sup>3</sup>- فندريس، اللغة، ترجمة الدواخلي و القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية ، ص: 231.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

والإبداع، وكل ذلك يشكل لغة المستقبل، وعندما تتكلّم فإنك تُصهر كلّ هذه العوامل في خلْقٍ فعلِيٍّ ملفوظٍ، ونتاج لغتك و شخصيتك هو أسلوبك، فإنّ اللغويين المحدثين العرب قد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيروث" ، لتشمل دراساتهم عناصر السياق اللغوي المكوّنة للحدث اللغوي عندهم ما يلي:

\* الوحدات الصوتية و الصرفية و الكلمات التي يتحقق بها التركيب و السبك.

\* طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

\* طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل، أو ما يطلق عليه "التطريز الصوتي" و ظواهر هذا الأداء المصاحبة

المتمثلة في "النبر و التنعيم، الفاصلة الصوتية، الوقف".<sup>1</sup>

### ب . ملامح السياق عند النحو:

تکاد تجمع الروايات التاريخية على ارتباط نشأة النحو العربي بظاهرة "اللحن" الذي أخذ يفسو بعد أن بدأ انحصر السليقة العربية السليمة على الألسنة، فتوّجّحت جهود النّحّاة الأوائل لتنصبّ على تعليم القواعد تعليمها و تلقينها ، حتى يسهل التمكّن من اللّغة العربية، فيقل اللحن و يسترد هذا اللسان رونقه و صفاءه ظهرت دراسات دلالية في المرحلة الأولى اهتمت بالحديث عن المعنى المخصوص في "المعنى الوظيفي النحوي الصّرفي": أنه معنى الأبواب النحوية كالفاعل، و نائه و المفعول، و الحال و التمييز، و المضاف إليه و المستثنى و المبتدأ، و الخبر....، و هذه المعانٍ تحرسها قرائن صوتية كالعلامة الإعرابية و نغمة الكلام، أو صرفة "كالبنية الصرفية و المطابقة و الربط و الأداء" ، أو تركيبية "كالتضام، و الرتبة". و معنى هذا أنّ الأبواب النحوية وظائف تكشف عنها القرائن، أو بعبارة أخرى معانٍ وظيفية للقرائن المستمدّة من الأصوات و الصرف، و المماثلة في التركيب و السياق...".<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- النبر: هو الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، فيعطي لهذا المقطع المنبور قدرًا من التميز أو الوضوح السمعي، و الذي يحمل بدوره قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التأكيد... الخ.

- التنعيم: هو لون من التلوين الصوتي، الذي يكتسب به المتحدث نطقه للكلمات أو الجمل أو العبارات فتبدي هابطة النغمة أو عالية أو متوسطة أو طويلة أو قصيرة لينة أو خشنة... مما يؤثر تأثيراً مباشراً على معنى الوحدة المصحوبة بنغمة

- الوقف: قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما، أو هو قطع الكلمة بما بعدها، و هو ظاهرة صوتية تساهم في توجيه المعنى على مستوى التركيب (جبلص محمد، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، 1993 ، ص: 15/16).

<sup>2</sup>- تمام حسان، الأصول، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي، ، ص: 291.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

في وقت يرى فيه جلّ الدارسين أن النحو العربي منذ نشأته الأولى اهتم بالمعنى، بدليل أو أثر نحوي يمثل جهود المرحلة الأولى، و يعدّ مظهاً من مظاهر اهتمام اللغويين بالسياق لبيان مجرى الكلام هو: "الكتاب لسيبويه" خاصة حين يتحدث عن الجانب الاستعمالي في اللغة، فاللغة عند "سيبويه" لم تُنفك عن ملابسات استعمارها، و مقاييس اللغة عنده مستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما تُستمد من معطيات السياق الاجتماعي الذي يكشف الاستعمال اللغوي".<sup>1</sup>.

فما ذكره "سيبويه" في هذا التعريف مردّه إلى البيئة، بدليل أن الجملة الواحدة عنده قد تكون صواباً مرة وخطأً مرة أخرى، لاختلاف السياق الذي قيلت فيه، و ما ذكره في باب "الاستقامة" يقدم النموذج الأمثل على استناده "للسياق"، و بتعبير "سيبويه" يكون الكلام الواحد محلاً و حسناً بحسب ما يريد فيه، لأنّ الكلام المستقيم الكذب تركيب انتظمت عناصره وفق نسقٍ لغويٍّ و قواعدي مقبول يحافظ فيه على الرتب و المخلات و آثار الإعراب، غير أن اللحن يمكن أن يأتيه من جهة دلالة ملفوظة في علاقته بالاعتقاد و الواقع، إذ هو إما صادق و إما كاذب...<sup>2</sup>.

- في وقت يرثّ فيه "سيبويه" على "قرنية المقام" باعتبارها هي التي سوّغت قبول الكلام و استحسانه عنده كما أنّ دور القرنية اللفظية كان له أثرٌ في إظهار المعنى الذي يريد المتكلّم، و عبارته في بيان الأصل الذي يجري عليه التقديم و التأثير مشهورة، فقد قال: "...كأنهم إنما يعدون الذي بيانه أهم لهم، و هم ببيانه أعني و إن كان جميعاً يهمّهم و يعنيهم".<sup>3</sup>.

و بذلك كانت "نظريّة سيبويه" للغة أكثر رحابةً و غنىً، لأنّه درس الطبيعة الاجتماعية للنشاط اللغوي وأثرها في البنية الداخلية للغة، فدرس التعبير العربية المختلفة في حالة تفاعلاتها الحيوية التخاطبية، كما نوع في موضوعات المحادثة، التي تظهر جلية واضحة في أبواب كثيرة في "كتابه" خاصة التي يعقدها في "النعت و البدل" و غيرها من التراكيب.

- ثم نجد "سيبويه" يعيد الحديث الكلامي إلى مسرحه و ظروفه، و ما عليه المتكلّم ليصل من خلال ذلك كله إلى ما عنده بواسطة التحليل، فتراه يقول عن جملة "زيداً" ، و ذلك لأنّ ترى رجلاً يريد أن يوقع فعلًا، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلًا... فتقول: "زيداً" ، تريده، اضرب زيداً، أو يضرب زيداً<sup>4</sup> ، و أحياناً يعالج تراكيب لغوية

<sup>1</sup> - الموسى نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التنظير اللغوي ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1981ص: 92.

<sup>2</sup> - مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد 1، 2004، ص: 245

<sup>3</sup> سيبويه أبو بشر ، الكتاب ، ج 1، ص: 34.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ج 1، ص: 257.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

خارجة عن الأصل المتعارف عليه، فيجد لها من سياق المتكلم أو الموقف الكلامي مسوّغاً لهذا الخروج، فمن المعروف أنّ الاسم لا يظهر بعد الإضمار، فلا يجوز أن تقول لرجل من إخوانك "أنا عبد الله منطلقاً إلى حاجتك" لأنّه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق، و لم يقل "هو و لا أنا"، حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأنّ هو، و أنا، علامتان للمُضمر، وإنما يُضمر إذا علم أنك عرفت من يعني "...<sup>1</sup>"، لكن "سيبويه" يذكر أنّ سياق حال المتكلم يُسَوِّغ هذا الخروج في بعض الأحيان، كما يقول: "أني عبد الله، مصغرًا نفسه لربّه"<sup>2</sup>، أو أنّ الموقف الكلامي و ظروفه يقتضيان هذا الخروج، و ذلك لأنّ رجلاً لو كان خلف حائط أو موضع تجهله فيه، فقلت: "من أنت؟" فقال: "أنا عبد الله منطلقاً إلى حاجتك كان حسناً..."<sup>3</sup>، بل إنّه يتكلم عن اختلاف العبارة في الكلام على وقف حال المخاطب من الإقبال و الانصراف، فإذا قصدت إلى خطاب رجل، و هو غير مقبل عليه و غير منتبه إليك، فقلت: "يا فلان أنت تفعل.."، فتبدأ بالنداء حتى يقبل عليك، أمّا إذا كان مقبلاً عليك بوجهه، منصتاً لك، فتركت: "يا فلان" حين قلت: "أنت تفعل"..." استغناه بإقباله عليك..."<sup>4</sup>

لقد أولى سيبويه كلا من "السياق اللغوي" و "سياق الحال" اهتماماً كبيراً، خاصة حين عمد إلى بيان بعض عناصر السياق اللغوي و سياق الحال عنده، مع بيان أثر هذين السّياقين في باقي التراكيب من حيث الذكر و الحذف، و التقديم و التأخير، و الحكم بصفة التركيب أو إحالته، فاستعان بالسياق اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المخدوفة في التركيب و بذلك استغني عن تكرار "كل" في قول الشاعر:

**أكُلُّ امْرَىٰ تَحْسِبَنِ أَمْرًا  
و نَارٍ ثُوقَدُ بِاللَّيلِ نَارًا**

بحّر "نار" على أنها "مضاف إليه" لمضاف "مخدوف" ، فالتقدير "و كلّ نار" و ذلك لذكره إياته في أول الكلام ولقلة التباسه على المخاطب<sup>5</sup>، فقد اعتمد على عنصر لغوي ذُكر في جملة سابقة بدلالة على العنصر المخدوف في الجملة الثانية (كل)، و جعل ذكر العنصر الأول سبباً في عدم التباس المعنى على المخاطب، و من ذلك قوله تعالى: "بَلْ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" . (البقرة 135) أي، "بل يتبع ملة إبراهيم حنيفاً" ، كأن قيل

لهم: "اتبعوا" ، حين قيل لهم: "كونوا هوداً أو نصارى".<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- المرجع نفسه: ج 2، ص: 81.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه: ج 2، ص: 81..

<sup>3</sup>- المرجع نفسه: ج 2، ص: 81.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 244

<sup>5</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 66.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

\* وإذا كان من السياق اللغوي النظر إلى طريقة ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب، و ما يتربّط على ذلك من دلالاتٍ، فقد أولى "سيبويه" هذا الترتيب عناية كبيرة و اهتماماً واسعاً، و يفهم من كلامه أنَّ التقديم على ضربين: ضرب يكون المقدَّم فيه على نية التأخير و ذلك إذا أبقيت المقدَّم على حكمه الإعرابي الذي كان عليه قبل التقديم، كتقديم "المفعول به" على "الفاعل" في نحو قوله "ضرب عمراً زيدُ" ، و تقديم الخبر على المبتدأ في نحو (منطلقٌ زيدُ)، و ضرب آخر لا يكون على نية التأخير ، و إنما ينتقل المقدَّم من حُكم إلى حُكم ، و من باب إلى آخر، و مثال ذلك: أنَّ صفة النكرة إذا تقدَّمت على الموصوف تحولت إلى الحال و ذلك قوله: (هذا قائماً رجلاً)، و من ثم يصبح أن تقول (قائم زيدُ ) إذا لم تجعل الخبر (و هو قائم) على نية التأخير، لأنَّ حدَّ الجملة الاسمية أن يتقدم ما هو بالابتداء أولى، و هو "المعرفة"....<sup>2</sup>

فيقول "سيبويه" في قوله (ضرب عبد الله زيداً) فإنَّ قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأصل، و ذلك قوله: (ضرب زيداً عبد الله)، لأنَّ ما أردت به مؤخراً ما أردت به مُقدَّماً" ولم تُرِدْ أن تُشغل الفعل بأول منه، و إنَّ كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حدَّ اللفظ أن يكون فيه مُقدَّماً وهو عربي جيدٌ كثير، كأنَّهم إنما يقدَّمون الذي بيانيه أهمٌ لهم و هم بيانيه أغنى، و إنَّ كانوا جميعاً يهتمُّون و يعنُّونهم".<sup>3</sup>

فهو في هذا النص يعتمد على دلالة العالمة الإعرابية في بيانها "الفاعل و المفعول" ، حتى مع التقديم والتأخير فقد لاحظ أنَّ المعنى النحوي "لزيد و عبد الله" غير مختلف في كلتا الجملتين ، و هذا يتضح في قوله (جرى اللفظ كما جرى في الأول) ، أي رفعت (عبد الله) مع التأخير و نصبت المفعول (زيداً) مع التقديم وهذه العالمة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على "الفاعل و المفعول" في مثل هذه الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية.

ثم يربط سيبويه هذا التقديم بإرادة المتكلم - أو العرب - لأنَّك إنما أردت "بالفاعل المؤخر" ما أردت به مقدماً، و لم تُرِدْ أن تُشغل الفعل بالمفعول و إنَّ كان الفاعل مؤخراً في اللفظ، و هذا التقديم عربي جيدٌ، بل كثير ، لأنَّ العرب تُقدِّم الذي بيانيه أهمٌ و أغنى لهم، و بذلك اكتسبوا ضرباً من التوسيع في الكلام.

و يتضح مما سبق أنَّ تسلسل العناصر اللغوية داخل التركيب و ما يطرأ عليه من تقديم أحد العنصرين على الآخر لا يُستويُه فقط "السياق اللغوي" ، و إنما يرجع ذلك أحياناً إلى "سياق الحال و العوامل الخارجية التي تحيط بالحدث اللغوي" ، كالمتكلِّم و موقفه من العنصرين و تقديمه لما يراه محل العناية و الاهتمام، و هو ما تفسره

<sup>1</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 271.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه : ج 2، ص: 122-123.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 34.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

عباراته الشهيرة: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، و هم ببيانه أعني، وإن كانوا جميعاً يهمانهم و يعنيانهم".

وكما اهتم "سيبويه" بجمع عناصر السياق اللغوي، كان اهتمامه كذلك واضحاً بعناصر "السياق غير اللغوي"، أو (الحال) كما يسميه هو، (سمى سيبويه هذا الضرب من السياق : (ما يُرى من الحال) أو (ما فيه من الحال) يقصد (سياق الحال).<sup>1</sup>، كالمتكلم و المخاطب و العلاقة بينهما و موضوع الكلام، و أثر الكلام و الحركة الجسمية المصاحبة للحدث الكلامي، و غيره من العناصر غير اللغوية المصاحبة للكلام المنطوق.

فمن أمثلة اهتمامه ببيان العلاقة بين المتكلم و المخاطب و ما يتظره المخاطب من المتكلم، إذ قال: (كان زيد)، فإنّ المخاطب "إنما ينتظر الخبر"، و إذا قال المتكلم (كان حليماً)، فإنما ينتظر - أي المخاطب - أن تعرفه صاحب الصفة...".<sup>2</sup>.

و يحمل "سيبويه" كلام الجيب على كلام المستفهم، فللمستهون أن يورد الجواب على منهاج الاستفهام فإذا قال الرجل: "من رأيت"؟ ، و "أيّهم رأيت؟ فتقول: "زيداً رأيته.." . و مثال ذلك قوله: "رأيت زيداً؟" ، فتقول: "لا و لكن عمراً مررت به..." ، فإن قال: "من رأيته؟ ، و أيّهم رأيته؟ فأجبته: قلت: "زيداً رأيته.." . فإنما تحمل الاسم على يحمل السائل.<sup>3</sup> ، بل إنّه في موضع آخر يبين أنّ الجواب من المخاطب يكون على قدر ما فهمه في مسألة السائل، فهو يجيب على ما عنده من معنى، فإذا قال الجيب: "مررت برجلين مسلِّمٍ و كافرٍ" ، يجعل (مسلِّمٍ و كافرٍ) بدلاً، فكانه أحباب من قال: "بأي ضربٍ مررت؟" و إن شاء رفع كأنّه أحباب من قال: "فما هما؟ فالكلام على هذا و إن لم يلفظ به المخاطب، لأنّه إنما يحرّي كلامه - أي جوابه - على قدر مسألك عنده لو سأله....".<sup>4</sup>

و من باب الإنصاف قول علمائنا الأوائل من أهل اللغة، بحد أنفسنا نُقرّ حقيقة ما ذهب إليه أستاذ "سيبويه" (الخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت 175هـ) من خلال ما أقرّ به "تلמידه سيبويه" بأنّ الخليل من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على "السياق اللغوي" في دراسته للتراكيب النحوية، حيث يعتبر من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم و المخاطب، و العلاقة بينهما، و علم المخاطب بالمعنى إلى غير

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ج 1، ص: 272.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 48.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 93-94.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه: ج 1، ص: 431.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

ذلك مما يرتبط بالمقام، ومن أمثلة اعتماد "الخليل" على السياق اللغوي ما نسبه إلى تلميذه في معرض تحليله لقول

الشاعر:

إذا تغنى الحمام الورق هيجني      و لو تعرّبت عنّها أمّ عمار

قال "الخليل رحمه الله": لما قال "هيجني" عرف أنه قد كان ناسياً، ثم تذكر لذكرة الحمام و تحييجه، فألقى ذلك الذي قد عرف منه على (أم عمار)، كأنه قال: "هيجني فذكري أم عمار"، و معنى كلام الخليل أن الشاعر إنما نصب (أم عمار) بفعل دلٌّ عليه "السياق اللغوي أو سياق الموقف"، و ذلك عند توجيه النصب في قوله: "انتبه خيراً لك"، فيقول: نصبيه لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: (انته) أنك تحمله على أمر آخر فلذلك انتصب و حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياته في الكلام، و لعلم المخاطب أنه محمول على أمرٍ حين قال له: "انته"، فصار بدلاً من قوله: "انته خيراً لك"، أو "ادخل فيما هو خير لك".<sup>1</sup>

و هكذا يتضح بحالات اعتماد "الخليل" على شقّي السياق في بيان ما عرض لمبني التركيب و بيان دلالته، أمّا السياق اللغوي فقد اتّضح من نصبه (خيراً) بفعل مذوف مضموم دلٌّ عليه ما قبله و هو: (انته)، و أمّا سياق الموقف فنجد أنه مثلاً في علم التخاطب بعرض المتكلم و موضوع الكلام، و تعليمه حذف الفعل بكثرة استعمالهم لهذا التركيب، و هي: أي علة كثيرة الاستعمال من العلل الدلالية إذ تؤدي إلى علم المخاطب بالمعنى و وضوح الدلالة لديه.

فاعتمد على إرادة المتكلم، في توجيه ما انتصب على (التعظيم و المدح) في نحو قوله: (الحمد لله أهل الحمد)، و زعم "الخليل" أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدّث الناس، و لا من تخاطب بأمر جهله ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعلته ثناء و تعظيمًا....<sup>2</sup>

كما اعتبرت "الخليل" بالعلاقة بين المتكلم و المخاطب، و ذلك عند الحديث عن أن "قد" جوابُ من قال: لما يفعل، فيقول في الجواب: "قد فعل"، و زعم "الخليل" أن هذا الكلام لقوم يتظرون الخبر، فالمخاطب في حاجة

إلى تأكيد الجواب، و هنا لا بد من أن يراعي المتكلم حال المخاطب فيستخدم "قد" التي تفيد التأكيد مع الفعل الماضي.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ج 1، ص: 283-284

<sup>2</sup>- المرجع نفسه: ج 2، ص: 65.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

و قد سأله الخليل سيبويه عن قوله تعالى: " حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحْتُ أَبْوَابَهَا " الزمر 73. و عن قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ " الأنعام 27. فقال الخليل: إنَّ العرب قد ترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأيِّ شيء وضع هذا الكلام...<sup>2</sup>

و اعتمادا على ما سبق فإنَّ الأمثلة الواردة عن الخليل وغيرها كثير لا تدع مجالا للشك في أنَّ الخليل اعتمد اعتمادا واضحا على السياق اللغوي و غير اللغوي في تعقيده النحوبي، و بيان معنى التراكيب و دلالتها و هي الخطوات التي استفاد منها النحاة بعدَه في استخدام السياق بشقيه في بيان دلالة التراكيب في جميع أعمالهم النحوية.

\* بعد كل من "الفراهيدي" و "سيبويه"، تطالعنا شخصية لغوية كانت لها نظرات صائبة في مجال التحليل اللغوي و هو (ابن جني) (392هـ)، فقراءة متأنية في "خصائصه" و بالتحديد في الجزء الذي عقده بعنوان: "باب في أنَّ العرب أرادت من العلل والأغراض فأنسبناه إليها و حملناه عليها".<sup>3</sup>، سيظهر لنا أنَّ "أبا الفتح" كان رائدا في مجال التحليل السياقي، فقد اهتم بسياق الحال و تحليل الحدث الكلامي، صوتيا و صرفا و نحويا من أجل الكشف عن الدلالة اللغوية، فتكلَّم عن العلاقة بين الحذف و سياق المشاهدة، أو الحال المتصل بالطريقة التي ينطق بها المتكلم كلامه، فقال: (و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها) و يقصد بالحال (سياق الحال، مناسبة الكلام)<sup>4</sup>، و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب "سيبويه" من قوله: "سِيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ" وهم يريدون: "لَيْلٌ طَوِيلٌ" ، و كانَ هذا إِنَّما حذفت الصفة فيه لما حلَّ من الحال على موضعها، و ذلك لأنَّك تحسُّ في كلام القائل لذلك من التطويق و التطريح و التفحيم و التعظيم، أو ما يقوم مقام قوله: "طَوِيلٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ" وَأَنْتَ تحسُّ هذا من نفسك إذا تأملته، و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه، فتقول "كَانَ وَاللَّهُ رَجُلًا" فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة و تتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها و (عليها) "أَيْ رَجُلٌ فَاضِلاً أَوْ شَجَاعًا أَوْ كَرِيمًا أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ" و كذلك تقول: "سَأَلْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ إِنْسَانًا" و تُمكِّن الصوت "إِنْسَانًا" و تفخمه فنستغنى بذلك عن وصفه بقولك: "إِنْسَانًا سَمِحًا وَ جَوَادًا أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ" وكذلك إنْ ذَمَّته و وصفته بالضيق

<sup>1</sup>- المرجع نفسه: ج4، ص: 223.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ج3، ص: 19.

<sup>3</sup>- ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط4، 1999، ج1، ص: 237.

<sup>4</sup>- ياقوت أحمد سليمان، علم اللغة التقابلي، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002، ص: 49.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

قلت: "سألناه و كان إنساناً، و تُرُوّي وجهك و تُقطّبه فَيُغْنِي ذلك عن قولك: "إنساناً لئاماً أو بخيلاً أو نحو ذلك...."<sup>1</sup>

فما نلحظه من خلال ما سبق يكشف بصورة واضحة عن التفاتات (ابن جني) إلى قضية علاقة الدلالات الصوتية من "نبر و تنغيم" و تقطيط بعض الأصوات في النطق و أثرها في تعزيز المعنى، و التعويض عن الحذف الذي يطأ على الجملة، مع ما يرافق ذلك من إيحاءات في الوجه، فمد الصوت أثناء النطق لكلمة (الله) في جملة (كان و الله رجالاً) تقوم مقام وصفه بالفاضل أو الكريم، و كذا الحال إذا أراد المتكلم ذمه، فإنه قد يلجأ إلى إحداث حركاتٍ في وجهه من إزواء للعيون و تقطيط للجبين، فيفهم المتلقي مراد المتكلم من شتم أو سب أو ما أشبه ذلك.

كما نجد "ابن جني" في موضع آخر يهتم بأثر القرائن الحالية في فهم المعنى ، بل عدّها أقوى من النقل بالسماع دون المشاهدة، فحال المتكلم و حركة يديه و وجهه و هيئته كل ذلك يؤدي لبيان المراد و يتضح ذلك من خلال تعقيبه على بيت "نعميم بن الحارث بن يزيد السعدي" من الطويل قوله:

**تقول - و صَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا - أَبْعَلَيْ هَذَا بِالرَّحْيِ الْمُتَقَاعِسِ.**

فهو يقول مُعَقِّداً على البيت: فلو قال حاكيا عنها: "أبعلي هذا بالرحي المتقاус" من غير أن يذكر "صك الوجه" - لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبةً منكرةً، لكنه لما حكى الحال فقال: - و صكت وجهها - عُلم بذلك قوّة إنكارها، و تعاظم الصورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكونت بها أعرف ، ولعظيم تلك الحال في نفس تلك المرأة أبين ، و قد قيل: "ليس المخبر كالمعاين" ، و لو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: " و صَكَّتْ وَجْهَهَا" ، لم نعرف بهحقيقة تعاظم الأمر لها...<sup>2</sup> و يؤكّد كلامه قائلاً: أفالاً ترى إلى اعتباره و اهتمامه بمشاهدة الوجوه و جعلها دليلاً على ما في النفوس وعلى ذلك قالوا "رب إشارة أبلغ من عبارة".<sup>3</sup>

إنّ المتأمل في كلام "ابن جني" السابق يجد أنّه يشدّد على أثر "المشاهدة و الأحوال" في إيصال المعنى، كما أنّ دور الإشارات الجسمية كبير في عملية التواصل بين المخاطبين ، و هي دعوة صريحة إلى التفاتاته و اهتمامه "بالسياق غير اللغوي" أو السياق الخارج عن النص أو ما يعرف "بسياق الموقف" ، لأنّ ما دلّ عليه الحال يعني عن المقال، فيصير في حكم الملفوظ به، كما نصّ ذلك في قوله في باب "أن المخدوف إذا دلت الدلالة عليه كان

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 2، ص: 370.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ج 1، ص: 245-246.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه: ص: 247.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

في حكم الملفوظ به".<sup>1</sup> فهو يقول: "من ذلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض، ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول: "القرطاس و الله"، أي : "أصاب القرطاس" ، ف"أصاب" الآن في حكم الملفوظ به البتة ، وإن لم يوجد في اللفظ ،غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به، و كذلك قوله "لرجل مُهْوِي بسيف في يده: "زیدا"؛ أي "اضرب زیداً" ، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللفظ به".<sup>2</sup>

لتبقى إشارات "ابن جني" في كتابه "الخصائص" دليلاً واضحاً و قوياً يبعث الباحثين على سعيه و وعيه بأهمية السياق الاجتماعي في الكشف عن المعنى و الاحتکام به.

وفي الأخيير، و بعد عرض جهود بعض اللغويين على سبيل المثال لا الحصر، و اهتمامهم المبكر بالسياق بنوعيه يمكن أن نخلص إلى نتائج أهمها:

\* إن علماء اللغة قديما و حديثا أدركوا هذه الوظيفة المهمة للسياق، من منطلق وعيهم و إدراكيهم لفكرة السياق و دلالتها على المعاني الحقيقة للكلام قد تناولها الفكر الإنساني منذ أمد طويل: (كأفلاطون و أرسطو)، و اللذان أقرَا ضرورة الاهتمام ببراعة مقتضى الحال في الخطابة، كما نجده في كتاب "فيدروس لأفلاطون" و إشارة أرسطو إلى أن الفكرة أو الغاية هي إيجاد اللّغة التي يقتضيها الموقف و يتلاءم معها، كما أشار إلى ذلك في كتابه "فن الشعر".<sup>3</sup>، لذلك لم يكن علماء العربية بعيدين عن إدراك وظيفة السياق ودلالاته، و الدعوة إلى وجوب الاهتمام به.

\* إن التّحاة الأوائل و على رأسهم "الخليل و سيبويه"، اعتمدوا على السياق بشقيه في "التقعيد النحوی" وبيدو ذلك جلياً واضحاً في اعتمادهم على السياق اللغوي في بيان مبني التركيب و دلالته، و عن طريق السياق "أجازوا" حذف أحد عناصر الجملة و طريقة تركيب هذه العناصر اللغوية داخل التركيب، و من ثم كانت الاستعانة بطرق الأداء اللغوي المصاحبة للنطق بالعبارة: كالوقف، النبر، التنغيم... .

\* يعد "كتاب سيبويه" أولى المحاولات اللغوية التي وصلتنا في التراث النحوی، كما أنه يمثل قمة الدراسات النحوية التي سبقته، خاصة عند توظيف مصطلح "الحال" الذي استخدمه قديما و يقرب حديثا من مصطلح "سياق الحال" ، و هو المصطلح الذي يرجع إلى أستاذه "الخليل" ، و الذي أثبت كتاب تلميذه اعتماده الواضح على السياق اللغوي و سياق الحال في دراسة التراكيب النحوية.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه: ج 1، ص: 284.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ج 1، ص: 284-285.

<sup>3</sup> - حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية و معجمية، ص: 212.

## ج - ملامح السياق عند البلاغيين:

- إن الحديث عن اهتمام البلاغيين بالسياق بنوعية يتجلّى من خلال ما ألوه من عناية و اهتمام بمفهوم المقام، فقد ناقشوا هذه الفكرة من خلال مقولتهم الشهيرة: "لكل مقام مقالٌ"، أو بعبارتهم الأخرى: لكلّ كلامٍ مع ما فيها مقامٌ<sup>1</sup>، إذ أنّ المقام لديهم له دورٌ كبيرٌ في المعنى، و أصبح مقياس الكلام في باب الحسن و القبول، بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، و هذا ما يُعرف عندهم: "بمقتضى الحال" ، فالمقام: هو مقتضى الحال الذي يجعل المتكلّم يخاطب سامعه بما يحتاجه، و حسب حاله مع مراعاة الفائدة في الخطاب.<sup>2</sup>

و قد أشار الباحث "نعام حسان" إلى تعرض البلاغيين العرب للسياق بنوعيه و تحليلهم له في إطار معالجتهم لفكرة "لكل مقام مقال" ، فوجد أئمّهم سباقون في ذلك للدرس الأوروبي بزمن كبير يقول: " و قد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمامهم لأنّ الاعتراف بفكري المقام و المقال باعتبارهما أساسين متمايزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن من الكشفوف التي جاءت بنتيجة لمعامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>3</sup>، و هو ما أسمهم في إثراء البلاغة العربية بمظاهر لسانية و غير لسانية تُدرس من خلالها اللغة أثناء الاستعمال، مما جعلها تتقاطع الدرس اللغوي "التداوي" في مباحث عديدة لعدد من العلماء المعاصرين، و اعتزفوا بوسائل القراء بين "البلاغة العربية" و "اللسانيات التداولية" نحو (صلاح فضل) الذي يقول: "و يأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية مُنظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمية بعبارة (مقتضى الحال). و هي التي أتت المقوله الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"<sup>4</sup>.

لذلك كان الكلام على مقتضى الحال من أعمدة البحث البلاغي على مرّ العصور، بل عدّه البلاغيون الملحوظ الأهم في تعريفاتهم المختلفة للبلاغة، فيقول الدكتور : "نحات الموسى" : "إنّ أبرز الملامح في النظر البلاغي أنه قام على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، و استشعر المقوله الشهيرة : (لكل مقام مقال) و رصد على وجه التفصيل ما يكون من تأثير السياق – سياق الحال خاصة – و هي حال المتكلّم و المحاطب وسائر ما يتّألف منه المقام، و رصد ما يكون من تأثر ذلك في تشكيل الكلام و تأليفه على هيئات في القول تنوع وفقاً لتنوع المقامات".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص: 43.

<sup>2</sup> - ساسي عمار ، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب، الأردن، د ، ط، 2007، ص: 179.

<sup>3</sup> - تمام حسان ، العربية معناها و مبناتها ، ص: 337.

<sup>4</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1، 2004، ص: 26.

<sup>5</sup> - الموسى نحات ، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التنظير اللغوي الحديث، ص: 92.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

و يقول الدكتور "كمال بشر" : مُعلقاً و شارحاً لمعنى البلاغة : "لكلّ كلمة مع صاحبها مقام" كلام عن الاهتمام بالصحة الداخلية للنص المعبر عنه (بالمعية) التي تفيد وجوب مراعاة السبك بين وحدات النص، و هو ما يشار إليه "بالسياق اللغوي"<sup>1</sup>. بل إننا نقول إنّه يحتوي على عناصر السياق كلّها، و هذا يتضح من خلال قول الإمام "السكاكى" عند تحليلاته لأحوال الإسناد الخبري و أغراضه حيث يقول : "أمّا الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه، فهي : "إذا كان السامع مستحضرًا له، عارفًا منك القصد إليه عند ذكر المسند، و الترك راجحٌ إما لضيق المقام (السياق الخارجي)، و إما للاحتراز على العبث بناءً على الظاهر (السياق الداخلي)" و إما لتخييل أنّ في تركه تعويلاً على شهادة العقل، و في ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين (حال المتلقى)، و إما لإيهام أنّ تركه تطهير للسان عنه ، أو تطهير له عن لسانك، و إما للقصد إلى عدم التصرّيف ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مسّت إليه الحاجة (حال المبدع)...".<sup>2</sup>.

لقد كانت العناية كبيرة بظاهرة السياق عند أبي يعقوب السكاكى (ت 626هـ). في كتابه (مفتاح العلوم) : لاسيمما و هو الذي جعل فكرة "مقتضى الحال" مؤطّرة لعمله في كثير من مباحث "مفتاحه"، فجعل منها أساساً لمعرفة قصد المتكلم من خطابه، و تحديداً له سواء في -إجراء الخطاب على أصل الاستعمال فيعتبر المتكلم عن قصده بحسب مقتضى الظاهر أو في تجاوز ذلك لمعانٍ أخرى تحرى في الكلام لا على مقتضى الظاهر ، و المقام هو الذي يضمن سلامته المعنى و يتحقق الفائدة لدى السامع ، لذلك عد الباحث "عبد الملك مرتابض" : مصطلح "مقتضى الحال" عند السكاكى يكافئ دلاليًا في اللسانيات الحديثة مصطلح : "تداولية اللغة" ، إذ يقول "ونلاحظ أنّ مفهوم السياق البلاغي تتنازعه نزعتان اثنان إحداهما : " المرجع " و إحداهما الأخرى "تداولية اللغة " أو ما في حكمه أو ما يطلق عليه السكاكى "مقتضى الحال".<sup>3</sup>

فكرة "مقتضى الحال أو المقام أو السياق عموماً" بما يضمّه من صفات للمتكلم و عاداته و مقاصده و إشاراته الجسمية ، وكذلك السامع و صفاته ومستواه و الزمان و المكان ... ذات "أبعاد تداولية" بارزة تظهر من خلال إسهامها في تحديد الدلالة "للفعل الكلامي الإنجازي المباشر" و "غير المباشر" ، و هو ما أكدّه "جون أوستين" بقوله : "إنّ مسألة الأغراض و المقاصد في التلفظ بالعبارة وما يحفل بها من سياق قرائن الأحوال

<sup>1</sup> - بشر كمال ، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط3، 1979، ص:99.

<sup>2</sup> - السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص:256-257.

<sup>3</sup> - مرتابض عبد الملك ، نظرية البلاغة ، دار القدس العربي ، الجزائر ، ط2، 2010، ص:166.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

هي مسألة لها خطأها و شائعاً ....<sup>1</sup>

فعلى المتكلم أثناء تعبيره عن قصده مراعاة قرائن الأحوال ومقامات الكلام، و إصدار كلامه بحسب المقتضى كي يضمن لقصده الوصول ، و تحقيق الفائدة لدى السامع ، لأنّ السامع يستند للمقام و قرائن الأحوال في كشف المعنى المقصود من الكلام ، وذلك في عملية عكسية يقوم بها، يكون للسياق فيها دورٌ فعالٌ في توجيهه مقاصد المتكلم من خطابه .

ولعل العناية الكبرى "بفكرة مقتضى الحال" أو "المقام" تظهر جليةً واضحةً عند "السكاكبي" حين ربط الصياغة اللغوية ( صرفية ، نحوية ) بالسياق و المقام ، مما جعل مقياس الكلام عنده في "باب الحسن والقبول" بحسب مناسبة الكلام لما يليق به (مقتضى الحال ) " فإذا كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تحريره من مؤكّدات الحكم ، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تخلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوّة ، وإذا كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه ، وإنما كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب ، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره، وإذا كان المقتضى إثباته مختصاً بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نقله على الوجه المناسب من الاختيارات المقدم ذكرها ..<sup>2</sup>

فما نلحظه على حديث "السكاكبي" هو إقراره بحقيقة تعدد مقتضيات نظم الكلام و تنوعها، إذ إنّ المتكلم ليس حرا تماماً في إنتاجه لجمله و خطاباته، حيث يخضع إلى مقام السامع وما يدور به من أحوال حتى يتحقق الفائدة المرجوة من وراء تلفظه بالخطاب، مستعيناً بما تقدّمه له البلاغة من تراكيب بلغية، و تصورات فنية تساعد على نقل مقاصده في مختلف الظروف و الأحوال، و على أساس ذلك يكون حسن الكلام، فتحذف عناصر من الجملة إن اقتضى المقام الاختصار، و تثبت عناصر أخرى في مقام آخر، و منه تظهر "قوة البليغ" الذي ينبغي عليه أن يتقن التصرف في المقامات و الأحوال، و يكون متوسعاً في العربية و وجوه استعمالاتها في المقامات المختلفة فيعرف ما يصلح في كل مقام من المقامات ، و ذلك ما يعكسه أسلوبه في صياغاته اللغوية المختلفة.

وباعتبارات السياق بنوعية المقالي و المقامي ، و استناداً لهما ترى المتكلّي ينطلق في الكشف عن مقصد المتكلّف بالخطاب، حيث تُشكّل أدوات النصّ اللغوي و خواصه التركيبية إضافة إلى ما يكشف النصّ من أحوال قرائن

<sup>1</sup>- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيري، أفرقيا الشرق، د ط، 1991، ص:65.

<sup>2</sup>- السكاكبي، مفتاح العلوم : ص:256-257

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

مساعدة في كشف المقاصد والأغراض التواصيلية للكلام، فإذا : "كان كلّ متكلّم باللغة إنما يهدف بكلامه إلى غرضٍ ما، و ينحو في كلامه نحو مقصودٍ ما، فإنَّ كلامه يحمل غرضه و مقصده في ثنایاه يصبح الدور الأساسي للمتلقى هنا أن يقوم بعملية في اتجاه معاكس خائضاً في نصِّ الكلام ليصل إلى مراد المتلجم"<sup>1</sup>.

فالمتلقى يستند إلى معطيات السياق و المقام في بحثه عن قصد القائل (المتكلّم) بخاصة إذا كانت "القوية النزومية" مُتسعةً ، بحيث تتجاوز معاني المفردات التي يتربّك منها القول معجمياً و دلاليًّا<sup>2</sup>.

إنَّ ما ذهب إليه "السكاككي" في حديثه عن مقتضى الحال مردّه إلى ما تنسم به هذه الفكرة من مرونة ، بحيث لا تُقيّد المتكلّف بالخطاب بقوالب و أنماط معينة، و إنما تفتح له مجال الاختيار للتعبير عن مقاصده فيوظّفُ من التراكيب و خواصها ما يراه مناسباً لما يكتنف الكلام من ظروف و أحوال ، و تتعكس بعض جوانبه فيما عَبر عنه "السكاككي" بالخروج عن مقتضى "الظاهر" ، أو الخروج على خلاف مقتضى الظاهر و مثال ذلك ما أورده في دراسته لظاهرة "التقديم و التأخير" ، و التي يرى من خالها الارتباط الوثيق بالسياق اللغوي من جهة، و مراعاة مقتضيات الأحوال من جهة أخرى، و أنَّ هذا التقديم و التأخير يكشف عن قصد المتكلّم و غرضه من خطابه، ففي قوله تعالى : (..لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143)، فأخرّت الصلة (صلة الشهادة) أولاً ، و قدّمت ثانياً، لأنَّ الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، و في الثاني اختصاصهم بكون الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سَلَّمَ شهيداً عليهم<sup>3</sup>.

فهو —من خلال المثال— يشير بوضوح لارتباط التقديم و التأخير بالجانب الدلالي و "التداوي" ، و ما يقتضيه من ارتباط ترتيب عناصر الجملة بهذه الطريقة بالمعنى المقصود ، استناداً للسياق العام الوارد فيه الآية الكريمة. ليُتضح اهتمامه بالسياق بصورة واضحة مُشيداً بدوره في تحديد قصد المتكلّم و الإسهام في إفاده السامع معنى ما، تفسيره لآيتين كريمتين على وقف معطيات السياق يقول : وَلَهُ دُرُّ أَمْرِ التَّنْزِيلِ وَإِحاطَتْهُ عَلَى

<sup>1</sup> - الجبر خالد عبد الرؤوف ، معالجة المعنى في التراث الفكري – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – مركز دراسة الخليج الجزيرة العربية، الكويت، العدد 90 / 2000 ، ص:114.

<sup>2</sup> - لهوبل باديس ، السياق و مقتضى الحال في مفتاح العلوم، بحث في مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد : التاسع، 2013، ص:168.

<sup>3</sup> - السكاككي ، مفتاح العلوم ، ص:340.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

لطائف الاعتبارات في إيراد المعنى على أنحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال، ولا ترى شيئاً منها يُراعى في كلام البلوغاء من وجه لطيف ، إلا عليه مراعى فيه من ألطاف وجوه، و أنا ألقى عليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لمستضيء بها،... قال عزّ من قائل في سورة القصص في قصة موسى عليه السلام : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) القصص 20 ، فذكر المحرر (من أقصى) بعد الفاعل (رجل) و هو موضعه، و قال في سورة "يس" في قصة رسول عيسى عليه السلام : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) (يس 20). فقدّم لما كان أهمّ، يبين ذلك أنه حين أخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل وأئمّهم أصرّوا على تكذيبهم، و انهمكوا في غوايتيهم مستشرين على باطلهم، فكان مظنة أن يعلن السامع على بحري العادة، تلك القرية قائلاً : "ما أنكدها ثُرْيَةً، و ما أسوأها منبتاً".<sup>1</sup>

فالقارئ للأية الكريمة يلحظ أنّ القصد من تأثير الفاعل في الآية الثانية لفت السامع (متلقي الخطاب) إلى سوء معاملة أهل القرية للرسل و تكذيبهم لهم بياصرار ، و بالتالي هو بيان سوء منبت أهل القرية و بعضها فكان السياق اللغوي كاشفاً لذلك ، و دالاً على المعنى لتحقّق الفائدة لدى السامع، و هو الأمر الذي كثيراً ما تؤكّده "اللسانيات التداولية" على حد تعبير "أوستين" ، في قوله : "إن ما نستعمله من ألفاظ يستغني أن نرجع في بيان معانيها و لغایة تأويلها إلى سياق الكلام، و يقتضي الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده على وجه مخصوص".<sup>2</sup>

"فالسكاككي" إذن من بين علماء العربية الذين عالجوا دور السياق بنوعيه الداخلي و الخارجي في توضيح المعنى و تحقيق التواصل التام من خلال العلاقة التي يقيمها بين المخاطبين في توضيح قصد المتلقي بالخطاب من جهة، و يضمن وصوله للمخاطب، و جنّيه للفائدة منه، و كذا دوره في توجيه الخطاب حيث لا يتضح قصد العبارة إلاّ من خالله...".<sup>3</sup>

إنّ قضية اشتغال ظروف المخاطبين على كلّ ما يتصل بحياتهم الاجتماعية و الثقافية لم يُهملها السكاكي حين تحدث كذلك عن مناسبة الجمع بين بعض الألفاظ دون بعض، بالنظر إلى كونها تنتمي إلى حقل واحدٍ يُعرف من خلال الخلفيات الاجتماعية و الثقافية للمخاطب، فيقول "و لصاحب علم المعانٍ فضل احتياجه في هذا الفن إلى التنبيه لأنواع هذا الجامع و التيقظ لها....، فمن أسباب تجمع بين "صومعة و قنديل و قران .."

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص:344.

<sup>2</sup>- أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة، ص:120-121.

<sup>3</sup>- لهوبل باديس، السياق و مقتضى الحال عند السكاكي، ص: 117 .

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

و من أسباب تجمع بين "دسكرة و إبريق و خalan".<sup>1</sup>

ثم يضرب "السكاكبي" لذلك مثلا من القرآن الكريم بقوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ حُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) الغاشية: 17-20، فمن لم يكن من الأعراب، أو يعرف ما يتعلق بجياتهم و ما عليه معاشهم فإنه سوف يستغرب لهذا الجمع بين الإبل و السماء و الجبال و الأرض، و ذلك "بعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبعده في خياله عن السماء و بعد خلقه عن رفعها و كذا الباقي".<sup>2</sup>

لكن بالتعرف على حياة العرب في مختلف توجهاتها الاجتماعية و بإدراك السياق الاجتماعي يزول عجبه من الجمع بين هذه الأشياء ، و ذلك إذا نظر إلى أنّ أهل الوبر إذا كان مطعمهم و مشربهم و ملبسهم من المواشي فكانت عنایتهم مصروفة - لا محالة- إلى أكثرها نفعا، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلاّ بأن ترعى و تشرب، كان جلّ مردمي غرضهم نزول المطر، و أهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطربين إلى مأوى يؤويهم و إلى حصن يتحصنون به، فلا مأوى إلاّ الجبال..<sup>3</sup>

لتبقى فكرة المقام و مراعاة حال المخاطبين و ظروف الخطاب محور أعمال البالغين ، تراعي فيها مكتبة كل فريق على قدر طبقتهم و قوّتهم في المنطق، و مقام ذلك ما فعله النبي عليه الصلاة و السلام فإنه لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته .. فسهّل الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفي منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، و لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فتحمّل اللّفظ لما عرف من فضل قوّتهم على فهمه و عاداً لهم لسماع مثله...<sup>4</sup>.

لتبقى قضية اشتمال ظروف المخاطبين على كلّ ما يتصل بجياتهم الاجتماعية و الثقافية، مثار اهتمام البالغين، (**فالجاحظ**) قد أشار في "البيان و التبيين" و كذا "الحيوان" إلى إشارات تدخل كلّها في سياق الحال أو ما سماه **البالغيون** "مقتضى الحال" ، ويمكن أن نلخص ما ذهب إليه الجاحظ في نقاط أساسية هي : \*في مراعاة "المتكلّم" باعتباره عنصراً مهما من عناصر السياق الثقافي، يقول الجاحظ : "و كما لا ينبغي أن يكون اللّفظ عاميّاً و ساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ، إلاّ أن يكون المتكلّم بدوباً أعرابياً، فإنّ الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى ، وكلام الناس

<sup>1</sup>- السكاكبي ، مفتاح العلوم، ص:366.

<sup>2</sup>- المرجع السابق ، ص:366.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه: ص: 366.

<sup>4</sup>- العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص: 154-15.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

في طبقات، كما أن الناس في أنفسهم طبقات".<sup>1</sup>

\* في وجوب مراعاة العلاقة بين "الموقف المعين أو الموضوع و اللغة المستعملة" يقول الجاحظ : "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين ، و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، و لكل حالةٍ من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".<sup>2</sup>.

\* في قضية حتمية استحضار كل العناصر المحيطة بالمعنى، و التي من شأنها أن توضح العلاقة بين اللغة المستعملة و المقام الذي تُستعمل فيه، مُشيرًا إلى أنّ المعنى لديه "لا يشرف أن يكون معاني الخاصة، وكذلك ليس يتصنّع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من مقابل، وكذلك اللفظ العامي و الخاصي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك، و لطف مداخلك و اقتدارك على نفسك إلا أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكتسوها بالألفاظ الواسعة التي لا تلطف عن الدهماء، و لا تجفو عن الأكفاء. فأنت البلigh التام...".<sup>3</sup>.

من خلال تلك النقاط الأساسية و المهمة في نظرية "الجاحظ اللساني" نجده قد أثار إلى مجموعة من عناصر السياق الحال و التي لا يمكن الاستغناء عنها من أجل فهم المعنى و توجيهه و هي: "المتكلم و السامع و علاقتهما بعضهما" ، و أثر مقصد المتكلم في توجيه المعنى، مع وجوب مراعاة كل الظروف المحيطة بالموقف الكلامي، أي الأحداث المصاحبة للكلام من أجل توجيهه، و هي نقاط كثيرة ما دعت إليها ، بل سعى إلى تحقيقها نظرية السياق عند علماء اللغة المحدثين.

في الوقت نفسه الذي كان فيه اهتمام البلاغيين بسياق الحال و الحديث عن ظروف المخاطبين ، لم يُهمل بعضهم الآخر ما "السياق المقال" من دور في عملية التخاطب، سعيًا منهم لإدراك معنى و قيمة "الكلمة" المستعملة و تفاوت البلاغ في إنشائهم حسب مقدرتهم، و توفيقهم في إحكام النظم و استعمال وسائله في الدلالة على المعنى، ذلك ما نجد له عند: (عبد القاهر الجرجاني)(ت 471هـ). في كتابه "دلائل الإعجاز، و أسرار البلاغة" ، خاصة عند حديثه عن "النظم" باعتبارها فكرة تقوم على وجوب توحيد معاني النحو بين الكلم، وربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي و التركيب الذي قيلت فيه، حيث يقول: "و جملة الأمر أنا لا تُوجب (الفصاحة) للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي قيلت فيه، و لكنّا نوحّيها لا موصولة بغيرها و معلّقا

<sup>1</sup>-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص: 144

<sup>2</sup>-المراجع السابق ، ج 1 / ص: 138-139

<sup>3</sup>-المراجع نفسه ، ج 1 ، ص: 136

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

معناها يعني ما يليها، فإذا قلنا في "لفظة" اشتعل في قوله تعالى: "وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا" (مريم ٤٠) أنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، و لكن موصولا بها "الرأس" معرفا "بالألف و اللام "، مقرونا إليها "الشيب" منكرا منصوبا ...<sup>1</sup>.

ليؤكّد ذلك في موضع آخر" فقد اتّضح إذن اتضاحا لا يدع لشك مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث أنها ألفاظ مجردة، و لا من حيث هي كلام مفردة، و أنّ الألفاظ تكتب لها الفضيلة و خلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصربيح اللفظ، مما يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ، ثم تراها تنقل عليك و توحشك في موضع آخر<sup>2</sup>.

فالنظم إذن عند "الجرجاني" عملية عقلية تظهر آثارها مع وجوب تنسيق الكلمات في تتبع مفض إلى معنى بين قصد المتكلم ، و إنّ هذا التتابع يشمل العبارة و الجملة و النص ، و هو معنى بالسياق في علاقة الألفاظ بالمعاني أو المعاني بالألفاظ.

لتقترب فكرة النظم عند "الجرجاني" من فكرة ما أسماه المحدثون "بالسياق اللغوي" ، على اعتبار أنّ السياق يعني: "بالأصوات و الكلمات و الجمل" عندما تتبع في حديث كلامي معين أو نص لغوي، كذلك النظم لا يختلف مفهومه كثيرا عن هذا، إذ يقصد به عند الجرجاني ترتيب الألفاظ و تعلق بعضها ببعض في نسق واحد إذ يقول موضحا هذه الفكرة: "و أعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أنه لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، و يُبني بعضها على بعض ، و يجعل هذا بسبب من تلك وهذا مالا يجهله عاقل و لا يخفى على أحدٍ من الناس...".<sup>3</sup>

في الوقت نفسه فرق بين دلالة اللفظة الناتجة عن الموضع اللغوي و والدلالة الناتجة عن السياق الذي ترد فيه، فيقول: "فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي اللفظة ، و إذا استحقت المزية و الشرف و استحقت ذلك في ذاتها و على انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، و لكان إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا...".<sup>4</sup>

أمّا في كتاب "أسرار البلاغة" فيه التأكيد الصريح على أهمية القواعد المستنبطة من التراكيب : "كالتقديم والتأخير ، والحدف ، و الذكر ... وغيرها" . لذلك تراه يقول في هذا الباب " والألفاظ لا تُفيد حتى تؤلف ضربا

<sup>1</sup>- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 402-403.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، دلائل الإعجاز، ص: 46.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، دلائل الإعجاز ،ص: 55

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 48: .

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

خاصاً من التأليف ، و يُعد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو أتَكْ عمدت إلى بيت شعِرٍ أو فصل نثِرٍ فعددت كلاماته عدّا ، كيف جاء و اتفقت و أبطلت نضده و نظامه الذي عليه بُني ، و فيه أُفْرَغ المعنى و أُجْرِي ، و غيّرت الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد ، و بنسقه أبان المراد ، نحو أن تقول في بيت :

**قِفَا نَبِكِ مِنْ ذَكْرِي حَبِّيْبٍ وَ مَنْزِلٍ \* بِسَقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحُوْمِلِ**

فتقول : "منزل قفا ذكري من نبك حبيبي" أخرجته من كمال البيان إلى مجال المذيان، نعم، و أسقطت نسبة من صاحبه و قطعت الرحم بينه و بين مُنسِئه..<sup>1</sup>" .

لتبقى نظرية النظم أعمّ من السياق، لأنّ السياق مُعين على تكوين النظم ، و هي قرينة يعلم منها معنى الكلام و غرضه، و النظم مفهوم شامل يستمر معاني النحو و يختار المعنى النحوي المناسب لمقتضى الحال.

و خلاصة القول :

"إن اهتمام البلاغيين بفكرة المقام جعل المحدثين يثنون عليهم ، و يقدرون لهم جهودهم، و في ذلك يقول الدكتور (قام حسان) : "... و قد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم ، لأنّ الاعتراف بفكري المقام أو المقال بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعُدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمعارف العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>2</sup>.

### 04- السياق التداولي من خلال الحديث النبوى الشريف :

لما كان نظام اللغة متتشابك العلاقات بين وحداته ، ومفتوحاً دوماً على التجديد و التغيير في بنياته المعجمية و التركيبية ، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات التي ترد فيها، ظهرت نظريات أكدت أنّ للسياق دوراً هاماً في منح الكلمة مفهومها الخاص .

وإذا كان منهج النظرية السياقية يُعَدُّ من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدلالة ، فهذا ما يجعلنا لا نستغرب إذا ما أثبتت أنّ الاهتمام و البحث و التنظير لمصطلح السياق " le contexte " كان وليد " علم الدلالة اللغوي " la sémantique linguistique ، الذي يعتبر علماً حديثاً مقارنته في العلوم اللغوية الأخرى ، و قد كان اهتمامه بالمعنى ، الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه بالسياق كأدلة إجرائية تلعب دوراً هاماً في تحديد المعنى ، ولأنّ السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباحث ، و من أجل هذا نجد المهتمين بعلم الدلالة قد اهتموا و اتفقوا على أنّ للكلمة معنى

<sup>1</sup>- الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، دار المدى جدة ( د ت ) ، ص: 4-5.

<sup>2</sup>- قام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناهما ، ص: 337.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

قاعديا le sens contextuel<sup>1</sup> ، ومعنى سياقيا<sup>1</sup> .

وقد أدى مفهوم السياق تحت غطاء التطور الذي أصابه إلى ظهور جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة بعد أن كان مقتضرا على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية ، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل ، أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تكون مصاحبة له في عملية التواصل لذلك يُعدّ السياق « contexte » أحد أهم المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراسة اللغة أثناء الكلام والاستعمال، فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها والتنظير لها منذ القدم ، ثم عمّق البحث فيه علماء اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات التداولية، فأخذ مساراً أعمق في التحليل وبعداً أكبر تجاوز فيه الجانب اللغوي الحض، و اتسع ليشمل السياق الإيقاعي و النفسي و الثقافي، مما جعل علماء التداولية يقسمونها إلى درجات تتحدد على أساس درجة تشغيلها له، و بخاصة تداولية الدرجة الثالثة (أفعال الكلام) والتي تشتمل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها<sup>2</sup>، بحيث يؤدي السياق دوراً هاماً في كشف مقاصد المتكلف بالخطاب، و توضيح نواياه الظاهرة و الخفية من أجل إفاده السامع معنى يتواه من الخطاب، ثم إنّ للسياق مجالات معرفية متعددة تتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة، منها ما هو مرتبط بالمتكلم و المتلقى و شروط الإنتاج اللغوي ، و الزمان و المكان .. و غيرها<sup>3</sup> .

من هذه الحقيقة ذهب "فان دايك" أحد علماء لسانيات الخطاب إلى "أنّ نظرية النظرية اللسانية تختتم بأساق اللغة الطبيعية، أي تراكيبها المتحققة أو الممكنة التتحقق ، و تطورها التاريخي و مختلف أنشطته الثقافية و وظيفتها المجتمعية و أسسها المعرفية"<sup>4</sup>.

و هذه الأساق التي تحدّث عنها "فان دايك" هي عبارة عن قواعد متواضع عليها ، تحدّد السلوك اللغوي كما يتجلّى في استعمال أقوال لغوية في مقامات تواصلية معينة، إلى جانب المستوى النحوی الذي ذكره "فان دايك" أضاف مستوى آخر سماه "مستوى فعل الكلام": ذلك أنّ كل عبارة متلفظ بها ينبغي أن لا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي و المعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنهاز المؤدي إلى اتساع تلك العبارة<sup>5</sup>، و هو بذلك يعني بالمستوى "التداوي" الذي يمهّي شروطاً حاسمةً يجعل

<sup>1</sup>- آيت أوشان علي، السياق و النص الشعري، ص:15.

<sup>2</sup>- المرجع السابق ، ص:16.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، ص:16-17.

<sup>4</sup>- فان دايك ، النص و السياق ، ترجمة عبد القادر قنيري- إفريقيا الشرق المغرب، 2000، ص:17.:.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص:18.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

الأقوال مقبولة تداوليا، يعني أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى سياقها التواصلي.

لذلك بات من الضروري حسب "فان ديك" وجوب دراسة النصوص من حيث وظائفها أيضاً، و من أجل ذلك يجب اعتماد "السياق التداولي" لتأويل النص كفعل كلامي أو كسلسلة من أفعال كلامية يقوم بها الشخص حين يتلفظ بجملة أو بعدة جملٍ في سياق ملائم لها، و فيما تتدخل التداولية لتشتّت الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الفعل الكلامي حتى يكون ملائماً لسياق معين باعتبار أنَّ السياق التداولي يتألف من جميع العوامل النفسية والاجتماعية، كالзнания، كالخبرة التي يملكتها مستعملو اللغة و رغباتهم و هواياتهم و مواقفهم و علاقتهم الاجتماعية<sup>1</sup>.

ليأخذ السياق مساراً عميقاً في البحث التداولي بمختلف اتجاهاته، و ذلك بالتركيز على العلاقات بين الدوليات التي تشكل معنى الخطاب. فهو أداة هامة تساعده على الحديث عن الأشياء بدقة تكاد متناهية بحيث يمكننا من دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و الكلامي في استعمال اللغة، فلا يمكن الاستغناء عنه لأنَّه ببساطة سيؤدي بنا حتماً إلى توتر قناة التواصل، خاصة و نحن نعلم أنَّ المعنى الحرفي للملفوظات لا يؤدي إلى المقصود في غياب الملامح النطقية "كالتنعيم و النبر"، و غير النطقية "كحركات الرأس و اليد و ملامح الوجه" و غيرها.

وبنظرة سريعة متأنية في قاموس اللسانيات لـ"جون دو بو" نقف أمام حقيقة السياق من منظور اللسانيات الحديثة على أنَّه: "المحيط" envromement أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة، و يسمى "السياق الشفوي" ، كما عرَّفه على أنَّه: "جملة الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات المشتركة بين المرسل و المتلقى، و الوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما"<sup>2</sup>.

فنلاحظ من خلال التعريف أنَّ "جون دو بو" قد ركز كثيراً على الشروط الاجتماعية التي يتحقق فيها الخطاب، بين المرسل و المتلقى في زمان و مكان معينين، و هذا ما نذهب إليه النظرية التداولية اليوم حيث تُعتبر "نظرية استعمالية" تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، و "نظرية تخاطبية" تعالج شروط التبليغ و التواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - آيت أوشان علي، السياق و النص الشعري، ص:82.

<sup>2</sup> J.dubois, dictionnaire de linguistique larousse- paris- 1973-p120-121

<sup>3</sup> - بوبكري راضية حفيظ، التداولية و تحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد كتاب العرب ، العدد 399 ، دمشق ، ص:

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أيّا من منظور "تحليل الخطاب" فإننا بحد مفهوم السياق يتحدّد مثلاً عند "براؤن وبوول" من خلال كتاب "تحليل الخطاب" "analysis discours" ، انطلاقاً من جعلهما لقطي التواصل المتكلّم/الغائب، المستمع/القارئ في قلب عملية التواصل، إذ لا نتصوّر قيام عملية تواصل بدون الأطراف المساهمة فيها، بل لن يتّسنى فهم و تأويل العباريّ و الأقوال (الخطاب بصفة عامة) إلّا بوضعها في سياقها التواصليّ التداوليّ زماناً و مكاناً و مشاركين و مقاماً، هذا لإيمانها الرّاسخ بأنّ "المتكلّمين/الكتاب" هم الذين يملكون الموضع و الافتراضات المسبقة، و أنّ "المستمعين/القرّاء" هم الذين يؤولون و يقومون بالاستدلالات و بمعنى أعمّ أنّ الناس هم الذين يتواصلون لتحقيق مآرب و أغراض متعددة<sup>1</sup>.

فهمما بذلك و بناء على ما جاء في تعريفهما يُقرّان على أنّه ينبغي لتحليل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق لديهما يتكون من المتكلّم/الكاتب، المجتمع/القارئ، الزمان والمكان لأنّه يؤدي دوراً فعّالاً في تأويل الخطاب، و غالباً ما يؤدي ظهور قولٍ واحدٍ في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، و بذلك يحصر السياق مجال التأوييلات الممكنة، و يدعم التأويل المقصود....<sup>2</sup>.

لذلك جاءت التداولية لتعطي أهميّة كبيرةً لعنصر السياق، حتى أنّه أصبح من بين أهم المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها في مختلف تحليلاتها للنصوص، حين تسعى إلى ضبط العملية التلفّظية من حيث هي فعل تواصلي يتحقق في موقف سياقي، و في فضاء ثقافي اجتماعي. هذه التي تشكّل محيط النص بشكله الواسع. لذلك فهو أدّاء إجرائيّة و فاعلية و أساسية في التحليل، حتى أصبحت الخطابات الأكثر قبولاً للفهم و التأويل هي مجموعة الخطابات القابلة بأن توضع في سياقاتها العامة.

من هذا المنطلق، الذي أخذ من خلاله السياق مساراً أكثر بُعداً مع التداولية حين تجاوز الإطار اللغوي الحض إلى السياق الاجتماعي و النفسي و الثقافي، ثارت التداولية ضد المنهج اللسانية السابقة التي كانت تهيمن على الدراسات اللغوية في ق 19/ق 20، و تكمن أهميتها في أنّ معظم النظريات التي تدرج ضمنها تسعى كلّها إلى البحث عن العلاقة التواصلية التي تتحكم بين المتكلّم و المتلقّي وما بينهما، و السياق الكلامي الذي تم فيه عملية التواصل، و بذلك أبدى أصحاب المنهج التداولي رفضهم لتلك المنهج المعتمدة في تحليل النصوص الذي يتم بعزل عن سياقاتها الخارجية<sup>3</sup>، كما دعوا إلى ضرورة النظر إلى النص باعتباره نمطاً من أنماط الاستعمال

<sup>1</sup>- خطابي محمد ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص -المؤتمر النقافي العربي - المغرب 1991م ، ط 1 ، ص : 17.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 17.

<sup>3</sup>- ينظر قديماً إلى النص على أنه بنية مغلقة لا يتم دراسته إلا منعزلاً عن الظروف الاجتماعية (سلطة النص) و إما يدرس بوصفه وسيلة يلجأ إليها الكاتب للتعبير الذاتي عن مكونات نفسه و عواطفه .. (سلطة المؤلف).

## **الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل**

اللغوي يهدف إلى عقد تواصل بين طرفين أو أكثر، و تعني كلمة "تواصل" بمفهومها الحديث ضرورة وجود "باتٍ" ، و مستقبلٍ و رسالةٍ، و "قناة اتصال" ، حيث يقوم الباحث "بتسنين" الدلالة في الرسالة و يقوم "المستقبل" بفك "السفن" ، ثم يستخلص الدلالة، و لا يتمّ المعنى الحقيقي للرسالة إلا إذا رُدّت إلى سياقها الذي وردت فيه ، بناءً على ما يحيط بها من ظروف وملابسات إنشاء هذه الرسالة.

بناءً على ذلك خلص إلى أنّ التحليل التداولي يستحضر بعمق السياق أثناء دراسته و تعامله مع النصوص الأدبية ،بعده أداة إجرائية يمكنها أن توسع من دائرة فهمها(أي النصوص) و إزالة اللبس عنها و تأويلها وإسراجها إلى أفق أوسع ،حتى لا تبقى في حدود خلق علاقة محددة مع الموضوع، أي لابدّ من تجاوز ذلك لنصل إلى "الرغبة العميقـة في استكناـه كلـ الأطراف المـساهمـة في عمـلية الإـبداع و التـلـقـي" .<sup>1</sup>

لهذا و من أجله جاءت التداولية كمنهج يهتم بمحفل الأسئلة الهامة في أي نصٍّ أديٍّ خاصة من جانب السياقي و المتمثلة في: من هو المتكلم، و مع من في النص؟ من هو المتلقى في النص؟ ما هو زمان النص؟ ما هو مكان النص؟ ما هو موضوع النص؟ ما هو مصدر الإيصال و الغرض؟، و كيف تحدث بشيء و نفهم شيئاً آخر؟، في حين نريد قول شيء آخر . ما هي القوى الحاجاجية التي يعتمد عليها المتحدث من أجل إقناع متلقيه؟. هذه الأسئلة و غيرها تعدُّ من صميم التداولية للإجابة عنه، لاسيما أنها تمثل الوظيفة الأساسية للتداولية في تحديد السياق الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة المشكلة من الثلاثية : "المرسل، المتلقى، و الوضعية التبلغية" ، فهي بسعتها الحيث إلى الإجابة عن هذه الأسئلة تشترط علينا بشكل أو باخر ضرورة استظهار مقاصدنا و أفعالنا مع التركيز أكثر على السياق الذي تتم فيه التبادلات التواصلية المختلفة، سعيا منها لتحقيق "البعد  
الداولي" لهدف اللغة التي يستخدمها المخاطبون في كلامهم.

ليقي مفهوم السياق من النظرة التداولية كما عُرف عند فرانسواز أرمينيكو<sup>2</sup> هو الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلاها مقاصد تخص المكان، الزمان، وهوية المتكلمين... الخ." وكل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم دلالة ما يقال، ومن خلال هذا تظهر أهمية السياق الذي يؤدي عدم حضوره في عملية نقل المقاصد إلى عدم وضوحها و ظهور اتجاهات كثيرة فيها.

<sup>1</sup> - آیت اوشان علی ، السیاق و النص الشعري، ص:18.

<sup>2</sup>-فرانسواز ادمينكو ، المقارنة التداولية ، ص: 09.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

ليبقى السياق أداةً إجرائيةً ناجحةً لكل المسوّيات التداولية والدلالية في تحليل النصوص، والوصول إلى محاصرة معناها من كل جانب، حيث يمكن المتلقي من فك مختلف الرموز الموجودة في هذه النصوص والتي تصبح من خلاله العملية التواصلية محددة المعالم، واضحة الأقطاب من مرسلٍ ومتلقٍ وزمانٍ ومكانٍ المتلقي، أين يظهر ذلك التلامُحُ والتَّفَاعُلُ بين النصِّ ومتلقيه، لأنَّه كُلُّما توفرَ المتلقي على معلومات عن هذه المكونات (المتكلّم، المتلقي للرسالة، الزمان، المكان، نوع الرسالة... الخ) تكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة وتؤيدها، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى<sup>1</sup>.

### - تداولية السياق من خلال الحديث النبوي الشريف :

إنَّ مَا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَى صَفَاتٍ مُتَفَوِّتَةٍ، وَإِدْرَاكَاتٍ مُتَبَاينةٍ. فَمِنْهُمُ الَّذِي يَتَأْثِرُ بِالْعَاطِفَةِ وَيَسْتَحِيبُ لِلْمَوْعِظَةِ، وَمِنْهُمُ الْعَقَلَانِيُّ الَّذِي يُنَاسِبُهُ الْطَّرْحُ الْعُقْلِيُّ، وَمِنْهُمُ الَّذِي يَؤْخَذُ بِالْتَّغْيِيبِ وَمِنْهُمُ الَّذِي لَا يَتَأْثِرُ بِالْتَّهْبِيبِ، مِنْهُمُ الْمُسَالِمُ الْمُنْصَتُ، وَمِنْهُمُ الْمُجَادِلُ الْعَنِيدُ، مِنْهُمُ الْعَالَمُ وَمِنْهُمُ الْجَاهِلُ. فِيهِمُ الْقَوِيُّ وَفِيهِمُ الْمُضَعِيفُ، وَمَا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ أَنْ تَرَاعِي هَذِهِ الْطَّبَاعَ، وَأَنْ يَهْتَمَ بِكُلِّ صَنْفٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ فِي إِطَارِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ.

إِنَّ مَرَاعَاةَ أَقْوَالِ النَّاسِ يَتَطَلَّبُ مِنَ "الْدَّاعِيَةِ" أَنْ يُنْوِعَ فِي خُطَابِهِ وَأَسْلُوبِهِ، وَمِنَ الْحِكْمَةِ تَنْزِيلُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمُ الْلَّائِقَةُ بِهِمْ وَمَخَاطِبَهُمُ بِمَا يُنَاسِبُهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى قَبْوِ الدِّينِ وَالرَّغْبَةِ فِي إِتَّبَاعِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِعِرْفَةِ أَحْوَالِهِمْ، لِذَلِكَ كَانَ "النَّبِيُّ صَ" عَنِيَّةً بِالْعَلَامِ بِعِرْفَةِ أَحْوَالِ الْمُخَاطِبِينَ، وَكَانَ الدَّافِعُ إِلَى هَذِهِ الْعُنْيَةِ تَحْقِيقُ الْحِكْمَةِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ رَسُولُهُ صَ" أَنْ يَسْلُكَهَا فِي دُعُوتِهِ لِلْحَقِّ" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ..."<sup>125</sup>النَّحْل، وَلِعَلِّ الْحِكْمَةِ تَكُونُ فِي الْإِصَابَةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ، لِأَنَّ الْمَرءَ كَلِمًا كَانَ مَرَاعِيَا فِي مَخَاطِبَاهُ لِبِلَاغَةِ الْكَلَامِ وَمَقْتَضَيَاتِ الْأَحْوَالِ كَانَ أَشَدَّ قَوْلًا، وَأَكْثَرَ تَأثِيرًا، وَأَقْرَى إِقْنَاعًا، وَأَقْدَرَ عَلَى التَّوَاصُلِ، وَأَقْرَبَ لِلْقَبُولِ، وَأَبْعَدَ عَنِ عَثَرَاتِ الْلِّسَانِ وَسَقَطَاتِهِ.

لِذَلِكَ نَلْحُظُ فِي خُطَابِ الرَّسُولِ صَ لِغَيْرِهِ مَرَاعَاةً لِلْعُوَامِلِ الْمُؤَثِّرةِ فِي شَخْصِيَّةِ الْمُخَاطِبِ، وَيَبْرُزُ مِنْهَا خَاصَّةً "الْدِيَانَةِ"، فَمَا يُقَالُ لِلْمُسْلِمِينَ غَيْرَ مَا يُقَالُ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا يُقَالُ لِلْمُسْلِمِ الْحَدِيثُ الْحَدِيثُ الْعَهْدُ بِالْإِسْلَامِ غَيْرَ مَا يُقَالُ لِلْمُسْلِمِ الْعَرِيقُ فِي الْإِسْلَامِ، ... مَا يُقَالُ لِلْمُسْلِمِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ غَيْرَ مَا يُقَالُ لِلْمُسْلِمِ فِي مُجَمِّعٍ غَيْرِ

<sup>1</sup> - خطابي محمد ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص: 297 .

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

الإسلام، و ما يُقال للشباب غير ما يقال للشيخوخة، و ما يقال للنساء غير ما يقال للرجال...و ما يقال للحكام غير ما يُقال للمحکومين<sup>1</sup>، مع مراعاة كذلك بيته التي عاش فيها ، و اكتسب طباعها، و منزلته الاجتماعية ، و صفاته السلوكية التي يتّصف بها.

أ . **السياق مراعاة التدين:(الديانة)**: كثيرا ما يتأثر الخطاب بصفة المخاطب الدينية، سواء من ناحية اتجاه المخاطب نحو التدين أو عدمه، لأنَّ الاتجاه نحو التدين له تأثير في شخصية المرء، و في تحذيب سلوكه، و حسن تعامله، و رقة قلبه، بخلاف الأقل تدينًا فإنه يكون أقل شأنًا في ذلك، أو من ناحية الديانة التي يدين بها، لأنَّ لكل دين شرائع و رسوماً و أحوالاً و خصائص.

و من ذلك نلحظ أنَّ النبي "ص" يفرق في تعامله بين شخص قد رسم الإيمان في قلبه، و قبل عليه بروحه و آخر لما يسلم، أو أنه حديث عهد بالإسلام، فكان يلين القول للأعراب ، و يستند في القول على بعض أصحابه الأقربين، و من ذلك حديث أسامة رضي الله عنه قال: "بَعْثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرْقَةِ، فَصَبَحْنَا الْقَوْمُ فَهَمْنَاهُمْ، وَ لَحْقْتُ أَنَا وَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِّنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَتْتُهُ بِرُغْبَيْهِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ "ص" ذَلِكَ قَالَ: يَا أَسَامَةُ أَقْتُلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، وَ فِي رَوَايَةِ قَالَ النَّبِيَّ "ص": أَفَلَا أَشْفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقْلَاهَا أَمْ لَا؟ قَالَ أَسَامَةُ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَنَسَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ".<sup>2</sup>

و "في هذا اللّوم تعليم و إبلاغ في الموعظة حتى لا يقوم أحد على مثل من تلفظ بالتوحيد من جهة، و تكرار ذلك القول إنكار شديد و زجر وكيد، و إعراض عن قبول عذر أسامة"<sup>3</sup>، أما تمني أسامة رضي الله عنه أنه لم يسلم ذلك اليوم. دليل على قوة إسلامه، و إلا كان يمكن أن يتمني أنه لم يسلم قط بعد هذا اللّوم الشديد، الذي جاء بخطاب مباشر له. لا كما يفعله الرسول "ص" ، أحياناً حين يقع أحد الصحابة في الخطأ فيقول: "ما بال أقوام..." و نحو ذلك من صور الإبهام.

و مثال آخر: ما رواه جابر رضي الله عنه: أنَّ معاذًا كان يُصلّي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يأتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِم الصَّلَاةَ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَشَاءَ، ثُمَّ أتَى قَوْمَهُ فَافْتَسَحَ

<sup>1</sup> - القرضاوي يوسف ، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة:، دار الشروق ، ط1/2004 ، ص:17-18.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري ،Hadith رقم: 4021، كتاب المغازي ،باب بعث النبي إلى الحرقـة ، ج 4 ، ص: 1555/1556.

<sup>3</sup> - القرطبي أبو العباس،المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين مستو،دار ابن كثير،دمشق،ط 2 / 1420 هـ، ج 1، ص: 296.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

بسوارة البقرة، فانحرفَ رجُلٌ مُسْلِمٌ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ صلاةً خفيفةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: "إِنَّهُ مُنَافِقٌ"، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: "إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِآيَاتِنَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِخَنَا وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنًا الْبَارِحةَ فَقَرَأَ "البقرة"، ... فَجَوَزَتْ فَرَزَاعَمْ "أَيْ مُنَافِقٌ"، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ "ص" عَلَى مُعَاذٍ، يَا مُعَاذَ أَفَتَأْنُ أَنْتَ؟ أَوْ "أَفَاتَنِينَ؟ ثَلَاثٌ مِرَارٌ، فَلَوْلَا صَلَّيْتَ: "بَسْبَحْ اسْمَ رَبِّكَ، "والشَّمْسُ وَضَحاها، "وَ "اللَّيلُ إِذَا يَغْشِي" <sup>1</sup>، وَ لَعْلَ توجيه الخطاب إلى معاذ رضي الله عنه مع "تقديم النداء" في مقام الإنكار، و اختيار صيغة المبالغة مثال في الرواية المشهورة على وزن "فعال" ، و تكرار القول "ثلاث مرات" ، لعله ليقع في نفس معاذ عِظَمَ ما ارتكبه، مع أَمْنِ جانِبِ معاذ رضي الله عنه. أن يرتد أو يتعدد، لا سيما وأنه من خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فنلحظ من خلال الحديثين أن النبي "ص" من يعاتب و ينكر بأسلوب "الاستفهم" ، و لعل ذلك للتحفيز من حدة الإنكار، كما نفهمه من حديث "ابن حجر في فتح الباري" <sup>2</sup>، مما يعكس حرص النبي صلى الله عليه و سلم و مراعاته "لمستوى التدين" لدى المخاطبين" ، أما على مستوى نوع الديانة، فإن النبي صلى الله عليه و سلم كان يخاطب اليهود و النصارى و المشركين بما يلاءم أحواهم في دياناتهم.

\* من ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم لما دخل "خيبر" غازياً، و كان أهلُها يَهُودًا، فَقَالَ لَهُمْ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خُرِبَتْ خَيْرُ" <sup>3</sup> .. و "جملة التكبير" المكررة بهذه الصيغة الموجزة التي تقدم فيها لفظ الجلالـة (الله)، و جاء فيها لفظ التكبير على صيغة "أَفْعَلَ التفضيل (أَفْعَل)" مطلقة ، غير مقيدة بـمُفْضِلٍ عليه مخصوص تُشعر كلـها بكمال التنزـيه للـله تعالى و تأكيـده.

ولذلك أشار "ابن حجر" إلى هذا التلاؤم بين التكبير و حال اليهود فقال: "وَ أَمَّا التَّكْبِيرُ فَلَأَنَّهُ ذُكْرٌ مَأْثُورٌ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ مَهُولٍ، وَ عِنْدَ كُلِّ حَادِثٍ سُرُورٍ، شَكْرًا اللَّهُ تَعَالَى، وَ "تَبَرَّةً" لِمَا نَسَبَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، لَا سِيمَا يَهُودٌ قَبَّحُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى" <sup>4</sup>.

و من جهة أخرى يدرك الرسول "ص" ما عليه اليهود من الكذب والخداع، فيظهر في خطابه لهم، فنجدـه يتدرج في سؤالـهم و الحوار معـهم حتى يصلـ إلى الحقيقة التي يـ يريدـها، فعن أي هـريرة رضـي الله عنه قال: "لـما فـتحـت خـيـرـ" أـهـدـيـتـ لـلـرسـولـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ شـاـةـ فـيـهاـ سـمـ، فـقـالـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ: "اجـمـعـواـ إـلـيـ"

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 673، كتاب الجماعة والإمامـة ، بـاب من شـكـا إـمامـه إـذـا طـولـ ، جـ1 صـ: 249.

<sup>2</sup>- العـسـقلـانـيـ ابنـ حـجرـ ، فـتحـ الـبـارـيـ بـشـرحـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ، دـارـ الـحـدـيـثـ الـقـاهـرـةـ ، 2004ـ ، جـ2ـ صـ: 197ـ .

<sup>3</sup>- صحيح البخاري، حـديثـ رقمـ 364ـ ، كـتابـ الصـلـاـةـ فـيـ الشـيـابـ ، بـابـ ماـ يـذـكـرـ فـيـ الـفـحـذـ ، جـ1ـ صـ: 45ـ .

<sup>4</sup>- العـسـقلـانـيـ ابنـ حـجرـ ، فـتحـ الـبـارـيـ ، جـ2ـ ، صـ: 438ـ .

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

منْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودٍ فَجَمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي لَسَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ: "مَنْ أَبُوْكُمْ؟" قَالُوا: فُلَانْ، فَقَالَ: "كَذَبْتُمْ بَنَ أَبُوكُمْ فُلَانْ"، قَالُوا: صَدَقْتُ، قَالَ: "فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟" قَالُوا: "نَعَمْ يَا أَبَا الْفَاسِمِ، إِنْ كَذَبْتَ عَرَفْنَا كَذَبَنَا كَمَا عَرَفْتُهُ فِي أَبِينَا. فَقَالَ اللَّهُمَّ: "مَنْ أَهْلُ التَّارِ؟" قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْسَنُوا فِيهَا وَاللَّهُ لَا يَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا" ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْفَاسِمِ، قَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "مَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟" قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَادِبًا نَسْتَرِيحُ، وَ إِنْ كُنْتَ نَيَّا لَمْ يَصُرَّكَ" <sup>1</sup>.

فتى الرسول "ص" يؤكّد عن طريق "الاستفهام الاستفتاحي" أنّ الذي يسألهم هو نفسه"إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقي عنه" و قد جاء التأكيد بصورة متنوعة منها: مجيء "إنّ" ، تكرار فاعل الاستفهام مرة بضمير ظاهري اسمٍ لأنّ"أيّ" ، و أخرى فاعلاً لـ"سائلكم" ، و ثالثاً: مفعولاً به "صادقي" ، إضافة إلى مجيء "الجملة اسمية" و هي من "المؤكّدات" ، و لعل المقصود من هذا التأكيد: "تذكيرهم ببنوتهم" ، و التعريض بتحذيرهم من الكذب عليه و خداعه، لأنّهم يجحدون ذلك حسداً و استكباراً.

و من مكر اليهود و خبيثهم ما حدثت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ يهوداً أتوا النبي صلي عليه و سلم فقالوا: "السَّامُ عَلَيْكُمْ" <sup>2</sup>. قالت عائشة ففهمتها، فقالت: "عَلَيْكُمُ السَّامُ وَ لَعْنَكُمُ اللَّهُ، وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" ، فقال الرسول صلي عليه و سلم: "مَهْلًا يَا عَائِشَةً، عَلَيْكِ بِالرَّفْقِ، إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كَلِّهِ، وَ إِيَّاكِ وَ الْغُنْفَ وَ الْفَحْشَ" فقلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: "أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قَلْتُ؟" قد قلت: وَعَلَيْكُمْ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمُ، وَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي" <sup>3</sup> . و في موقف آخر عن أنس بن مالك"رضي الله عنه" قال: "مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَ عَلَيْكَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟" قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ" قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ؟" قَالَ: "لَا، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَ عَلَيْكُمْ..." <sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري ،Hadith رقم 2298 ،كتاب الجزية ،باب اذا غدر المشركون بال المسلمين ،ج3،ص:1156.

<sup>2</sup>- السام:معنى الموت.

<sup>3</sup>- صحيح البخاري ،Hadith رقم 5901 ،كتاب الاستئذان ،باب ،كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ،ج5،ص:2308.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري ،Hadith رقم 5903 ،كتاب الاستئذان ،باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ،ج5،ص:2309.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

فما نلحظه في الحديثين أن اليهود لا يدعون كيدهم و مكرهم حتى في الألفاظ، يتلاعبون بها ليغيّروا من دلالتها الحسنة، إلى دلالات تتلاءم مع نفسياتهم الشريرة المعادية لأهل الإسلام، فكان التحريف للفظة "السلام" إلى لفظة "معادية" السلام" رغم ذلك البون الشاسع و الفرق العظيم في اللفظتين في المعنى حتى و إن تقاربتا نُطقا.

أمّا في خطابه للنصارى فنجد النبي "ص" يدعوهم إلى العبودية، و يؤكد لهم وحدانية الله و ألوهيته، و عدم الإشراك به ، و خطابه لهم فيه رقة لا تكون مع اليهود ، لما قاله تعالى عنهم: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَّاوةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى..." المائدة:82.، فمن خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للنصارى الذي تظهر فيه تلك الخصائص : كتابه صلى الله عليه و سلم إلى هرقل و قومه و فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى هَرْقَلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلِمْ، وَ اسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرْتَبَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِنْمَاءُ الْأَرِيَسِيَّنِ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّْلُوا فَقُولُوا إِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" <sup>1</sup>.  
فيَظُهُرُ هَذَا الْحَدِيثُ رِعَايَةً الرَّسُولِ "ص" دِيَانَ الْمُخَاطِبِ مِنْ خَلَالِ: صِيغَةِ "الْسَّلَامِ" الْمُقيِّدَةِ بِـ "عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى" ، لِأَنَّ الْمُخَاطِبَ كَافِرٌ لَا يُبَيِّنُهُ بِالسَّلَامِ ، وَ بِذَلِكَ كَانَتْ بِرَاعِةِ الْإِسْتِهْلَالِ مُؤْنِسَةً لِلْمُرْسِلِ إِلَيْهِ مُخْفِزَةً عَلَى إِتَّبَاعِ الْهُدَى ، وَ مُحْذِرَةً مِنِ التَّوْلِي عَنْهُ.

. النداء بصيغة: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" ، وَ النَّصَارَى مِنْهُمْ أَوْلَوْا الْكِتَابَ وَ أَهْلَهُ.

. تَتَمَّمَ الْحَدِيثُ فِيهَا اِقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ" تَنْطِيقٌ عَنِ الْوَصْفِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي الْآيَةِ السَّالِفَةِ الْذِكْرِ (آلِ عِمَرَانَ: 82-83).

. الدُّعْوَةُ إِلَى التَّأكِيدِ عَلَى عِبُودِيَّةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَ دُمُّ الإِشْرَاكِ بِهِ لِقُولِهِ تَعَالَى: "وَ لَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" لِأَنَّ النَّصَارَى وَ صَفَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: "اَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (التوبَة: 31).

### ب - السياق و مراعاة البيئة:

كثيراً ما يكون للبيئة الأثر الواضح في تكوين شخصية المرء، لذلك راعى الرسول صلى الله عليه و سلم هذا العامل المؤثر سواء تعلق الأمر بالوسائل التعبيرية كالدعاء و غيرها، أو ما تعلق بالمفردات و الألفاظ و الأساليب

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، حديث رقم 07 ، كتاب بدء الوحي ،باب كيف بدأ الوحي على رسول الله، ج 1، ص: 09.

عومما، نظرا لما تتميز به بعض البيئات عن غيرها، و من هذا القبيل اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة "الدعاة" على كفار مكة في "الحرم"، لما له من مكانة خاصة في نفوس العرب و أهل الجاهلية، بحكم أن الدعوة فيه لا تردد، لذلك تراهم يعظمون عندهم أن يدعى عليهم فيه، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى عليه وسلم كان يصلّي عند البيت، و أبو جهل و أصحابه جلوس، إذ قال بعضهم البعض: أيّكم يجيء بسلّى حَرُور بني فلان فيَضَعُه على ظهر محمد إذا سجد...؟ فانبعث أشقي القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى عليه وسلم و وضعه على ظهره بين كتفيه، و أنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، و يحيل بعضهم على بعض، و رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش ثلاث مرات"، فشقّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: "و كانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمي: اللهم عليك بأبي جهل، و عليك بعتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و الوليد بن عتبة، و أمية بن خلف، و عقبة بن أبي معيط" و عَدَ السابع فلم يحفظ، قال: "فأو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عذّ الرسول صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب، قليب بدر..." .

و في الحرب التي دارت رحاحها بين المسلمين و المشركين في بداية الدعوة إلى الله التي كان من حلالها المشركون يعادون الرسول الله و يسبّونه هو و من معه من المسلمين، ارتأى رسول الله "ص" أن يختار أشدّ الكلام على المشركين وقعا و أنفداً ذكراً و سيراً بين العرب، لذلك دعا الشعراة المسلمين من الأنصار خاصة، لما صرّح عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لحسان بن ثابت الأنصاري: "أهُجْ فُرِيشَا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رِشْقِ الْبَنْبِلِ"، فقال له حسان بن ثابت ميدياً رغبته الشديدة في ذلك: "وَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَفْرِيَنَّهُمْ بِلْسَانِ فَرْيِيْلِ الْأَدِيمِ.....، لِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ لِهِسَانَ إِنَّ رُوحَ الْقَدْسِ لَا يَزَالْ يُؤْيِدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ لِهِسَانَ: "هَجَاهُمْ حَسَانُ، فَشَفَقَ وَ اشْتَفَى".<sup>2</sup>

\*ليظهر أثر البيئة و مراعاتها في التخاطب حين عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اختيار ألفاظ وتعابيرات

<sup>1</sup> صحيح البخاري، حديث رقم 273، كتاب الوضوء، باب إذا القى على ظهر المصلى قدر، ج 01، ص: 90.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 3041 ،كتاب بده الخلق،باب ذكر الملائكة، ج 3، ص: 1176.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

من البيئة التي يعيش فيها المخاطبون، مما جعل "البيان النبوى" يستمد صوره من واقع البيئة التي يعايشها المخاطب، و العربي يُعايش البيئات الثلاث الصحراوية و البحرية و الحضرية، فانتزاع صور التشبيهات النبوية من واقع تلك البيئات لتكون أكثر واقعية و تأثيراً على نفسه و عقله و قلبه<sup>1</sup> و من ذلك:

\* قوله صلى الله عليه و سلم: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَ إِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَ بَيْنَهُمَا شَبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبَرَأَ لِدِينِهِ وَ عَرْضِهِ، وَ مَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي بِرُعْيِ حَوْلِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعِ فِيهِ، أَلَا وَ أَنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ".<sup>2</sup>.

ففي الحديث تصوير لحدود العبد في الحلال و الحرام و ما بينهما من الشبهات بصورة الراعي مع الحمى كثيراً ما يميل إلى الرعي فيه ، فيتجاوز حدود حماه، فيتهلك محارمه، مثله كمثل الواقع في الشبهات حين يخترق محارم الله، و بذلك يقع في الحرام، فالغرض تشبيه تمثيلي، الغرض منه التحذير من الوقع في الشبهات حيث شبه الرسول صلى الله عليه و سلم حال الذي لا يتحرر عن الشبهات فيقع في الحرام بحال الراعي الذي يرعى حول الحمى المحظور- حمى الملك- و لا يبتعد عنه، فتغلبه غنمته، فتقع في ما حماه الملك فيتعرض للعقوبة"<sup>3</sup>، و هذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، حيث مثل - صلى الله عليه و سلم - الأمر المعنوي المدرك بالعقل بالأمر المشاهد المحس، و وجه الشبه هو عدم التحرر من الوقع فيما يضر، و بذلك تحصل العقوبة.<sup>4</sup>

لتتضاح صورة حدود الله تعالى التي يجب مراعاتها و عدم تجاوزها حين صورها عليه الصلاة و السلام أمراً بالمعروف و نهيًّا عن المنكر، لا سيما حين صور القائم على هذه الحدود و الواقع فيها بصورة قوم في سفينة في البحر جرى لهم ، كما قال عليه الصلاة و السلام: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَ الْوَاقِعُ فِيهَا كَمَثِيلٍ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ أَمَاءِ مَرُوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْفًا، وَ لَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، إِنَّ يَتَرَكُوهُمْ وَ مَا أَرَادُوا هَلْكُوا جَمِيعًا، وَ إِنْ أَخْدُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا وَ نَحْوُا جَمِيعًا".<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- محمد يوسف، معجم التشبيهات النبوية في صحيح البخاري، دار البيان- القاهرة: 1995، ص: 77.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري ،Hadith رقم 52، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، ج 1، ص: 28.

<sup>3</sup>- بسيوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، ط 1/2010، ص: 115.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ، ص: 115.

<sup>5</sup>- صحيح البخاري، Hadith رقم 2361، كتاب الشركة، باب هل يقع في القسمة ، ج 2، ص: 882.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

ففي قول الرسول صلى الله عليه و سلم: "مثُلَ الْقَائِمِ... كَمُثُلَ قَوْمٍ اسْتَهْمَمُوا... فِيهِ تَشْبِيهٌ تَمْثِيلٌ" ، لأنّ وجهة الشبه صورة متعددة...و هذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس، فإنّه إذا وقع في الصدر بعث المعنى إلى النفس بوضوح و جلاء، مُؤيَّدًا بالبرهان ليقتضي السامع ، و إذا جاء بعد تمام المعاني كان البرهان الذي ثبتت به الدعوى، و الحجّة التي توجب الإذعان، مثل قول الشاعر:

**لا يُنْزَلُ الْحَمْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا\*\*\*كَالنَّسُومُ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمُقْلِ<sup>1</sup>**

### 03-السياق و مراعاة المكانة و المنزلة:

لا سيما و أنّ المخاطب يشغل منزلة أو مكانة ما سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم غيرها، فإنّ ذلك يعكس لا محالة الأثر الذي ينبغي مراعاته أثناء التكلم معه و مخاطبته، هذا الجانب رعاته العناية الإلهية حين نهى المولى عز و جل الصحابة في قوله: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (النور: 63). و رعاته السنة النبوية في أحاديث المصطفى صلى الله عليه و سلم وعدّته نهجاً نهجه الرسول صلى الله عليه و سلم في خطاباته مثل الأنبياء الذين سبقوه "كموسى عليه السلام" حين أرسله الله إلى فرعون، فقد بيّن الله تعالى حاله و كيف يخاطبه بما يناسب حاله "... ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشِي" طه: 44.

فخاطب عليه الصلاة و السلام الملوك و الرؤساء بعد أن اختار أهم وسيلة تتناسب و تتلاءم معهم و هي "إِرْسَال الرِّسَائِل"-الكتب- فقد خاطب هرقل في رسالته: "مَنْ حَمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَ رَسُولَهُ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الْوَوْمِ..."<sup>2</sup> ، فالرسول صلى الله عليه و سلم لم يقل إل هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: "عظيم الروم" ، أي الذين يعظمونه و يقدسونه، و قد أمر الله تعالى بالإلانة في القول لمن يدعى إلى الإسلام في قوله تعالى: "فَقُوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا" طه: 44. و غير ذلك...<sup>3</sup> ، و جاء في "فتح الباري": أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُخْلِ هذا الحديث من إكرام مصلحة التالف<sup>4</sup>.

لتظهر من جهة أخرى براعة الرسول "ص" في اختيار الألفاظ التي من شأنها أن تؤثر في المخاطب و منزلته ، لا سيما الاطمئنان على الملك في حالة إسلامهم، كما نجد في رسالته إلى هرقل، فتكررت مادة

<sup>1</sup> - الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ، مكتبة رحاب، الجزائر، ط 2/ 1986، ص: 29.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، حديث رقم 07، كتاب بدء الولي، ج 1، ص: 10.

<sup>3</sup> - الإمام النووي، شرح صحيح مسلم ، دار الفكر-بيروت، ط 2/ 1392هـ . ج 12/ ص: 89.

<sup>4</sup> - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 1، ص: 37.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

"السلام" في الرسالة ما يقارب السّت مرات: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى هِرقلِ عَظِيمِ الرُّؤُومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرَّتَيْنِ...".

هذا التكرار في أصول مادة: "أسلم" يجعل من المخاطب يشعر بمعناه من أول الخطاب إلى آخره، بأنّ المقصود هو "الإسلام"، وأن لا خوف على ملكه إن صَحَّ إسلامُه ، وأن الشعور بالاطمئنان معناه طاعة النبي صلى الله عليه و سلم و إتباع دينه، لكن هرقل خاف على نفسه و عن ملكه خوفاً من قومه، قال "ابن حجر": لو نفطّن هرقل لقوله صلى الله عليه و سلم في الكتاب الذي أرسله إليه أسلم تسلّم، و حمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة تسلّم. لو أسلم . مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُ ، لَكُنَّ التَّوْفِيقَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى ..<sup>1</sup>.

من جهة أخرى راعى النبي صلى الله عليه و سلم "أسلوب الملاطفة" في التعامل مع القوم خاصة الأشراف منهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له "ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالَ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ" ، فرُبِطَ بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما ذا عندك يا ثَمَامَةُ؟" ، فقال: "عندِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمِ" ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلِّنْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شَاءَتْ" ، فَتَرَكَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدَوِ كَرَرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَطْلَقُوا ثَمَامَةً، فَانطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ... " ثُمَّ اعْتَمَرَ وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: "أَصَبَّوْتَ؟" ، فَقَالَ: لَا وَلَكِي أَسْلَمْتَ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهُ لَا يَأْتِيْكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حَنْطَةٌ حَتَّى يَأْذِنَ فِيهَا النَّبِيُّ "ص" <sup>2</sup>".

فالحديث نموذج من ملاطفة القلوب لمن يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم حَلْقٌ كثير، لذلك عمد الرسول "ص" إلى الخطاب بأسلوب "الاستفهام" متبعاً "بنداء": "ما ذا عندك يا ثَمَامَة...؟" بغرض التلطف المادف إلى إلامة القلوب إلى الإسلام.

و لعلّ من الأمثلة التي توحّي فعلاً ببراعة الرسول صلى الله عليه و سلم لمنزلة مخاطبه توصيته "معاذ بن جبل" رضي الله عنه، حين أرسله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن واليًا و قاضياً و داعياً إلى دين الله تعالى.. إذ

<sup>1</sup>- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص: 37.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 4114، كتاب المغازي ، باب حديث ثمامة بن أثال....، ج4، ص: 1590.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

قال معاذ : "إِنَّكَ سَتَأْتِي فَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، إِذَا حِشَّهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...".<sup>1</sup>

في بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه حال من يأتيهم ليدعوهם ويتولى أمرهم على بصيرة دليل على هذه المراعاة "ستأتي قوماً أهل كتاب تهيد و توطئة للوصية، ليست جموع همته عليها، لكن أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبادة الأولئك".<sup>2</sup>

### 4-السياق و مراعاة الجنس و العمر:

إن المتأمل في الخطاب النبوى يجد أنه لم يكن حكراً على الرجال دون النساء، بل خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال و خص النساء بالحديث، كما خاطب الشباب والأطفال، هذا ما يعكس رعاية صلى الله عليه و سلم المتعلقة بجنسهم من جهة و بالعمر و السن من جهة أخرى.

فكان عليه الصلاة و السلام حين يخاطب النساء فإنه يُناديُّهُنَّ و يصفُهُنَّ بما يدلُّ على وصف الأنثى إذا كان الخطاب مختصاً بهن في قوله: "يا معاشر النساء... تصدقُنَّ، فإِنِّي أُرِتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"<sup>3</sup>. أو بصيغة: "يا نساء المسلمين": قوله صلى الله عليه وسلم: "يا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرْنَ جَارَةً جَارِهَا وَ لَوْ فِرْسَنِ شَاءَ"<sup>4</sup>. و حين طلب النساء من صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهن يوماً يختصهن بالحديث، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظُهن و أمرُهن، فكان فيما قاله لهن: "ما منكن من امرأة تُقدِّم ثلاثةً من ولديها لم يبلغُوا الحُنُّتَ إلا كانوا لها حِجاجاً من النار": فقالت امرأة منهن يا رسول الله: و اثنين؟ فأعادها مرتين: ثم قال: "و اثنين".<sup>5</sup>.

فتداء المخاطب أو وصفه "معشر النساء"، "نساء المسلمين"، "امرأة". لأن النبي صلى الله عليه وسلم يختص النساء بالحديث، و يواجههن بالخطاب، فقد جاء الحديث بندائين من باب الإضافة تخصيصاً للمعنى بالنداء، "المعشر" في الحديث الأول مخصوص بالنساء، و في الحديث الثاني مخصوص بالمسلمات، و "النداء" عامة يخص النساء دون الرجال لكونهن المخاطبات، كما يعم النداء المسلمات من حضرن و من لم يحضرن لحظة الخطاب النبوى في ذلك الوقت.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 1425، كتاب الزكاة، باب ،أخذ الصدقة من الأغنياء ، ج2،ص:544.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر،فتح الباري بشرح صحيح البخاري- ج3،ص:358.

<sup>3</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 298، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ج1،ص:116.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري، حيث رقم 2427، كتاب الهبة، باب فضل الهبة والتحريض عليها، ج2،ص:906.

<sup>5</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 102/102، كتاب العلم، باب، هل يجعل للنساء يوم في طلب العلم، ج1،ص:50

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أما من حيث ألفاظ المخاطبة الملائمة لطبيعة الأنثى الخاصة بحالها و الملائمة لها، فقد كان لها نصيب الرعاية من باب الاختصاص ، كألفاظ "الحيض و النفاس" و غيرها كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا لا نرى إلا الحجّ، فقلَّ مَا كُنَّا بِسَرْفٍ حَضْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قَالَ: "مَا يُبَكِّيكِ؟" فَقُلْتُ: "وَاللهِ لَوْدَدْتُ أَيْمَانَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ، فَقَالَ: "مَالِكٌ: أَنْفَسْتِ؟" وَ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ؟ "أَنْفَسْتِ؟" ، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجَةُ عَيْنَرْ أَنْ لَا تَطْوِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي" .<sup>1</sup>

فجاء تعبير الرسول "ص" بـألفاظ: "النفاس" عدواً عن التعبير: "بالحيض" رغم كون اللفظ المعدول عنه هو المشهور في صيغ المخاطبة عند التعبير عن حالي، كما وظّف أسلوب الاستفهام بغرض "الاستفسار" للمرة الأولى: ما يبكيك؟ و بغرض التلطف و التقرير في المرة الثانية، ثم "حر" بعد الاستفهام بغرض التسلية و التخفيف من مصابها إن هذا أمر كتبه الله... و كلّها ألفاظ توحى بالدقة المتناهية في اختيارها لتلاءم مع حال المرأة، مثلها مثل لفظة: بنات آدم"الموحية بصيغة "الجمع" الدالة على مشاركة جميع النساء بلا استثناء، لأنّ النفس البشرية كثيرة ما تتسلّى و تتعزّز حين ترى مصابها يوجد من يشاركها فيه.

و لعلّ الأثر الواضح في تأثير "عُمِّر" المخاطب في أساليب النبي صلي الله عليه و سلم و أحاديثه اهتمامه بالأطفال في خطاباته ، مما يعكس الأثر الواضح لهذه المرحلة العمرية التي يعيشها الأطفال ذكوراً و إناثاً، و من ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلي الله عليه و سلم أحسن الناس خلقاً، و كان لي أخ يقال له: "أبو عمير" ، فكان إذا جاء رسول الله صلي الله عليه و سلم فرأه قال: "أبا عُمِّير، ما يفعل النَّعِير؟" نفر كان يلعب به، و في رواية: "يا أبا عُمِّير"<sup>2</sup> ، و في رواية أنه دخل عليه صلي الله عليه و سلم فوجده حزيناً فقال: مالي أرى أبا عمير حزيناً" فقالوا: "مات نَعْوَهُ الذي كان يلعب به، فجعل يقول: "أبا عمير ما فعل النَّعِير؟".

فمن هذا الحديث يتّضح اهتمام النبي "ص" بحال مخاطبه و عمره من خلال استشعاره لحال الحزن الذي كان عليه الصغير، باعتباره الموت لديه شيئاً محزناً من جهة، و أنّ الطائر لعبه من حياته و جزءٌ فيها، فيحزن لفقدانها، فخطوب من خلال نظرته هو للطائر، لا من خلال نظر الكبار احتراماً لمشاعره و أحاسيسه و مشاركته له في عواطفه.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 299.، كتاب الحيض، باب نقض الحائض المناسب ، ج 1، ص: 116.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 5851 ، كتاب الأدب ، باب الكلمة للصبي ، ج 5، ص: 2291.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أما من حيث جمال الأسلوب فيظهر أثر التصغير في قوله صلى الله عليه وسلم "عمير" ، "غير" اعتباراً للمخاطب (طفل صغير)، محققاً السجع بين الفواصل محدثاً تأثيراً في النفس لمخاطبته الودان و المشاعر أكثر من مخاطبة العقول.

في وقت تكون فيه أسلوبه صلى الله عليه وسلم من جملتين إنشائيتين ندائٍ: (أبا عمير) مع أداة محنوفة وأخرى استفهامية: "ما فعل النغير؟" وكلتا الجملتين موجزتان واضحتان لم يتعدَّ فيهما الألفاظ التي يفهمها

الطفل لأنَّ الطفل في مثل هذا السن لا يستوعب كلَّ ما يقال له، و ثروته اللغوية محدودة.<sup>1</sup>

و لعلَّ المرحلة الحدية بالاهتمام والرعاية نظراً لأهميتها كمرحلة أساسية في مراحل عمر الإنسان، هي مرحلة "الشباب" لما يتمتعون به من الطاقات المتقددة، و الحماسة، والعاطفة الجياشة و الفؤاد الذكي و القوة الفتية، لذلك راعى الرسول "ص" أحوالهم بسبب التغيرات التي تلحق بها و خصهم بنصائح و توجيهات منها: \* ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا معاشر الشباب منِ استطاعَ منْكم الباءة فليتَرُوْجْ، فإنه أبغضُ للبصر وأحْسَن للفرج، و منْ لمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ فِإِنَّه لَه وجاء" <sup>2</sup>. وقد خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بالخطاب لأنَّ الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ" <sup>3</sup>.

و قد جاء الحديث بأسلوب إغرائيٍ مرجحٍ من أسلوب النداء" يا معاشر الشباب" ، و بصيغة تركيبية مكونة من "جملة الشرط و جوابه" مقرئنا بالفاء، لأنَّ الأصل في الشباب أن يشعُّ رغبته إذا امتلك الباءة... و أنَّ الزواج هو الذي يشعُّ هذه الرغبة لذلك عليه أن يعمل به و يبادر إليه.

\* لقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أحاديثه على مراعاة حال مخاطبه بناء على الحالات السالفة مع عدم إهماله لناحية التركيب (الأسلوب) بدءاً من انتقاء المفردة، إلى حال التركيب إلى جودة العبارة مع اختيار الوسيلة التي يعبرُ من خلالها عن هدفه و مقصدِه و التي تنوَّع بين "الدعاء" و "الخطبة" و "الحوار" و "الtoshibah" ... و غيرها من الوسائل التي تلائم حال مخاطبه، ليتضح بعدها "بلاغته" صلى الله عليه وسلم حيث جاءت ألفاظه كالعقد الذي انتهى له أحسنُ الدُّرُر، ثم نُظمَتْ فيه أحسنَ نظمٍ، فكانت به الأحسن مجالاً و حسناً، فقال الباحث: "لم يسمع الناس بكلام قطْ أعمَّ نفعاً، و لا أسهلَ مخرجاً، و لا أقصدَ لفظاً و لا أعدلَ وزناً و

<sup>1</sup>- العامر نجيب، من أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية، مكتبة البشرى الإسلامية، ط 1/ 1410 هـ، ص 98.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 4778، كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة، ج 5، ص: 1950.

<sup>3</sup>- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 9، ص 108.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

لا أجمل مذهبًا، و لا أكرم مطلبًا و لا أحسن موقعًا، و لا أسهل مخرجاً، و لا أفصح معنى، و لا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم.<sup>1</sup>

و قال "الرافعي" في وصف ألفاظه: "مُسَدَّدُ الْفَظْ، مُحَكَّمُ الْوَضْعُ، حَزِيلُ التَّرْكِيبِ، مُتَنَاسِبُ الْأَجْزَاءِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلْمَاتِ، فَخَمْ الْجَمْلَةِ، وَاضْطَرَّ الْعَلْقَبَةِ بَيْنَ الْفَظْ وَ الْمَعْنَاهِ، وَ الْفَظُ وَ ضَرِيْبُهِ فِي التَّأْلِيفِ وَ النَّسْقِ، ثُمَّ لَا تَرَى فِيهِ حِرْفًا مُضطربًا، وَ لَا لَفْظَةً مُسْتَدَعَةً لِمَعْنَاهَا أَوْ مُسْتَكْرَهَةً عَلَيْهِ، وَ لَا كَلْمَةً غَيْرَهَا أَتَمَّ فِيهَا أَدَاءً لِلْمَعْنَى، وَ تَأْتِيَ لِسَرِّهِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ".<sup>2</sup>

و من أمثلة اختيار الألفاظ جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضْوَءَكَ لِلصَّلَاةِ. ثُمَّ اضْطَرَّجْ عَلَى شِقْكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ: "اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَ فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَ أَجْلَثْ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَ رَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأً وَ لَا مَنْجَأً مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ...". فلما رددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: اللَّهُمَّ... آمَنْتُ... قُلْتُ: "وَ رَسُولُكَ"، قَالَ: لَا، "وَ نَبِيِّكَ" الَّذِي أَرْسَلْتَ<sup>3</sup>. فالرسول "ص" يُرشد البراء بن عازب إلى الالتزام بالألفاظ التي جاء بها الذكر لأنها بُنيت على ما يقتضيه السياق.

و لعل السبب في إنكار النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اللفظ، أن لفظة "الرسول" يشمل كل رسول أرسله الله تعالى من البشر و الملائكة، فكان اختيار لفظة "النبوة" يعين الرسول البشري المقصود في الذكر ويخلاص الكلام من اللبس.

كما يشهد على بلاغته صلى الله عليه وسلم في اختيار الألفاظ و دقتها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ خَبِثَتْ نَفْسِي وَ لَكِنْ يَقُلُّ: لَقِسْتُ نَفْسِي"<sup>4</sup>، و "كَرِه لِفَظٍ "خَبِثٍ" لَأَنَّ مِنْ مَعْنَيِهِ الْبَاطِلُ فِي الاعْتِقَادِ، وَ الْكَذِبُ فِي الْقَوْلِ، وَ الْقَبْحُ فِي الْفَعَالِ"<sup>5</sup>، و هو حديث يعكس اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المقصود الملائم "للمقام" ، لأن الخبث في كلام العرب المكره، فإن كان من الكلام فهو الشتم، و إن كان في

<sup>1</sup>- المحافظ، البيان و التبيين، ج 2، ص: 17

<sup>2</sup>- الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410 هـ، ص: 325.

<sup>3</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 244، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، ج 1، ص: 97.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم 5825، كتاب الأدب ، باب لا يقل خبث نفسي ، ج 5، ص: 285.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه ، حاشية ج 5، ص: 285.

الملل فهو الكفر، وإن كان في الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار، و منه قيل لما يرمى من منفي الحديث: الحديث<sup>1</sup>.

و من حسن اختيار الألفاظ كذلك تعبيره "ص" بلفظة "أخ" أو إخوانكم" لما في اللفظة من معانٍ الملزمة والتآلُف، و التي تفوق أخوة النسب، فهي تطلق على الصديق، على أخوة الإيمان، أخوة القومية و الإنسانية وغيرها، و ذلك ما نجده في خطبة سبي هوازن حينما أراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يردد السبي على وفد هوازن بعد أن جاءوه مسلمين، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد: "إِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْدُدَ إِلَيْهِمْ سَبَبِيهِمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعُلْ، وَ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيهِ إِيَّاهُ مِنْ أَوْلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعُلْ" فقال الناس: قد طيّبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم لهم<sup>2</sup>. فكانت الاستجابة من الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن استشعروا في أنفسهم معنى "الأخوة" حين وصف الرسول صلى الله عليه و سلم الوفد بالإخوان أشعارا منه لهم بالقرب و الألفة و تذكيرا لهم بأعظم رابط تجمع بين الناس و هي رابطة الأخوة الإسلامية" إنما المؤمنون إخوة" (الحجرات: 10).

و في باب التعامل بالبيع والشراء يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَة طعام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ هُنَاءً، فقال: "ما هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟" فَقَالَ: "أَصَابِنْتُهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ" قال: "أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ بَلَّا، كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ عَشَ فَلَيْسَ مِنِّي؟" فـكان اختيار الرسول صلى الله عليه ملادة "عشَّ" دون غيرها مما يشتراك معها في المعنى كالتدليس والخداع، لما في هذه المادـة من دقة في التلاؤم مع مقام الخطاب وحال المخاطب، لأنَّ العـشَّ هو نقـيض النـصح، وقد عـشَّـه غـشـاً لم يـمحضـه النـصـحةـ، وـأـظـهـرـ له خـلـافـ ما يـظـهـرـهـ، فـهـيـ مـأـخـوذـةـ منـ الغـشـشـ أيـ:ـ المـشـربـ الـكـدرـ،ـ أوـ منـ الـغـشاـشـ:ـ وـ هوـ أـوـلـ الـظـلـمـةـ وـ آـخـرـهـ"ـ وـ كـلـاـهـمـاـ فـيـهـ اـختـلاـطـ فالـغاـشــ فـيـ بـيـعـهـ يـخـلـطـ الـحـسـنـ بـالـسـيـءـ،ـ لـكـنـهـ يـبـرـزـ الـمـحـاـسـنـ وـ يـخـفـيـ الـمـساـوـيـ.

<sup>1</sup>-ابن منظور:لسان العرب، مادة خبث.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم 2184، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئاً لوكيل ..، ج 2، ص: 810.

<sup>3</sup>- والصيرة من الطعام ما جمع بلا كيل ولا وزن ، بعضه فوق بعض.

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب ، مادة: غشش.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي وأثره في عملية التواصل

أما التدليس فهو إخفاء العيب ، وهو من الدلس، بمعنى الظلمة، جاء في "المقاييس" الدال و اللام والسين"؛ أصل يدل على ستر و ظلمة ، فالدلس دلس الظلم، و منها قولهم:لا يُدلّس:أي لا يخادع، و منه التدليس في البيع هو أنه يبيعه من غير إبانة عن عييه، فكأنه خادعه و أتاها في الظلام".<sup>1</sup>

أما الخداع فهو تدبير فيما ما يضرُّ الخصمَ خفية، حيث يختل المخادع من حيث لا يدرى و يعلم، و فيه إظهار خلاف ما يخفى كما في الغشٍّ و التدليس.<sup>2</sup>

ليظهر اهتمام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمخاطب في باب اختيار المفردات المناسبة لحاله في باب براعته صلى الله عليه و سلم في التأليف حين عرض تلك الألفاظ منتظمة مع غيرها في سياقات تحمل دلالات مختلفة،تنوعت فيها اللغة بين المفرد و المثنى و الجمع، و مجئها معرفة تارة، و نكرة تارة أخرى،مرة بصيغة المذكر، و أخرى بصيغة التأنيث، بتتنوع في صيغ الأسماء المشتقة و غيرها من حالات المفردة في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، كلها تهدف إلى غرض واحد يتماشى مبدئيا مع لهجة المخاطب، من باب مخاطبة كل قوم بلهجتهم من جهة، و تضفي على بلاغته صلى الله عليه و سلم ميزة خاصة جعلت من الدارسين يعترفون ببلاغته و فصاحته صلى الله عليه و سلم من جهة أخرى، فقد كان صلى الله عليه و سلم أوضح العرب لسانا و أوضحهم بيانا، و أعدهم نطقا، و أمدتهم لفظا، و أبينهم لهجة، و أقواهم حجة، و أعرفهم بموانع الخطاب، و أهدائهم إلى طرق الصواب، تأييدا إلهيا و لطفا سماويا، و عنابة ربانية، و رعاية روحانية<sup>3</sup>.

### خلاصة القول:

يتضح لنا من خلال هذا المعرض الموجز أن النبي صلى الله عليه و سلم كثيرا ما راعى في سبيل نجاح دعوته لل المسلمين و غيرهم من المسلمين حال مخاطبه و العوامل المؤثرة فيهم بدءا من: بدء الكلام بالتسليم، لين الكلام و طبيه، المبني على انتقاء الألفاظ و الجمل الحسنة عند مخاطبة الناس، مع اجتناب الكلام الفاحش و الألفاظ البذيئة السيئة.

كثيرا ما راعى في أسلوب العرض عليه الصلاة و السلام إضافة إلى المعاني و الأساليب البلاغية المختلفة و اختيار الوسائل و القوالب التعبيرية أمرتين أساسين: "العلم و العقل" ، و بقدر النقص فيما يكون النقص في أدب التخاطب، فحصول الأدبدين معا هو الحكمة التي قال عنها الله تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء، و من يؤت

<sup>1</sup> - ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط 1/1411هـ، ج 2، ص 296.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ج 2/ص: 161.

<sup>3</sup> - الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص: 230.

## الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً" ، الآية ...، و لأنّ الغفلة في أدب التحاطب تورّث جفاء في الطبع و سوءاً في الخلق و نقصاً في الحبّة ، و هذه من أكبر العوامل التي راعاها الرسول صلى الله عليه و سلم في خطاباته ليحقق بمحاجة لدعوته، مراعياً في ذلك ما أسماه التداوليون "سياق الحال و المقال" من جهة ، و يرسّي دعائم هذا الدين الذي أخرج به البشرية من جحور الأديان إلى عدل الإسلام من جهة أخرى.

# الفصل الثالث

الأفعال الكلامية في الحديث النبوي

.الشّريف.



## مباحث الفصل:

أ- المبحث الأول:

الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي .

ب- المبحث الثاني:

أقسام الكلام عند القدماء ، و التمييز بين الخبر و الإنشاء.

ج- المبحث الثالث:

البعد التداولي لأفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف.

1 - الأفعال اللغوية المباشرة و غير المباشرة .

2 - الأفعال الكلامية في الحديث النبوي حسب تصوّر "سييرل" .



### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

نقطة :

إن الناظر إلى علم اللغة الحديث يجده يتجه في دراسة اللغة - باعتبارها ظاهرة اجتماعية تمثل بؤرة التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة - اتجاهين مختلفين، إذ يميل الأول إلى دراسة اللغة دراسةً شكليةً معزولةً عن كل سياق ومحضولة عنه سواء كان ثقافياً أو اجتماعياً، وذلك بالتركيز على دراسة النظام اللغوي وعلاقة عناصره بعضها البعض، لأن اللغة من منظور دراستهم لا تدرس بوصفها خطاباً، بل بوصفها نظاماً مجرداً وينعكس ذلك في أعمال "دوسوسيير"، وفي كل الاتجاهات التي اتّكأت على محاضراته ودراساته "كالبنيوية" "والنحو التوليدى التحويلي" وغيرها، أمّا الثاني فهو اتجاه اهتم بدراسة الاستعمال اللغوي، من خلال الضوابط التي تتحكم في هذا الاستعمال والاستخدام ، مع التركيز على دور المقام أو السياق غير اللغوي في التواصل الإنساني، فكان أن أعطى اهتماماً بالغاً بعناصر العملية التكلمية التواصلية، بدءاً من "المتكلم والسامع" والعلاقة بينهما ، غير بعيدين عمّا يرافق الكلام من حركات الجسم، وتغييرات الوجه، وكذا من يشاركون في الاتصال اللغوي، وكذا بنية الحديث، وقدرة السامع على فهم مقاصد المتكلم، مع التركيز على مدى استجابته لهذه المقاصد وما يتطلبه التواصل من معانٍ مقامية ، لينحصر هذا الاتجاه في أصحاب "اللسانيات التداولية والاجتماعية"<sup>1</sup>.

لذلك جاءت التداولية من خلال عناصرها التحليلية رافضةً ما نادى به "دوسوسيير" مركزةً على دراسة الحديث الكلامي أو نظرية "أفعال الكلام" باعتبارها أهم الجوانب الأربعة التي يقوم عليها البحث التداولي بدءاً من "الإشاريات" ، "الافتراض المسبق" ، و"الاستلزم الحواري" ، وكذا "الفعل الكلامي" .

لذلك تُعدُّ "نظرية الأفعال الكلامية" الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته وذلك باعتبار أن الفعل الكلاميّ عنصرٌ مهمٌ في كثير من الأعمال التداولية، وبذلك أصبح نواة مركبة وفهوماً أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكليٍ دلاليٍ انجازٍ تأثيرٍ ، ويُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوصل بأفعال قوله إلى تحقيق أغراض انجازية كالطلب، والوعد، والوعيد.....، وغایات تأثيرية تُحصّ رُدود فعل المتلقى "كالرفض والقبول" ، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسسياتياً، ومن ثم انجاز شيء ما<sup>2</sup> .

فمن هذا المنطق يحدد الدكتور "مسعود صحراوي" ، بالاستناد على ما كتبه الفيلسوفان "ج - ل - أوستين" ، وتلميذه "سيرل" أن الفعل الكلامي: هو ذلك التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسسي الذي يُجزه

<sup>1</sup> - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص: 57.

<sup>2</sup> - صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام ، ص: 40

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الإنسان بالكلام، ومن ثم فال فعل الكلامي عنده يُراد به ذلك الانجاز الذي يؤديه المتكلّم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: "الأمر والنهي ،والوعد والسؤال، والتعيين والإقالة والتعزية ..... "، فهذه كلّها أفعال كلامية

1"

فال فعل الكلامي من هذا المنطلق هو انجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به بعرض تحقيق التواصل، وذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات ،ومن ثم التأثير في الملتقي عن طريق حمله على فعل ما، أو تركه أو تقرير حكمٍ من الأحكام ،أو تقديم وعد، أو السؤال عن أمر ما، أو إبرام عقد من العقود.....

ليبقى مفهوم الفعل الكلامي مفهوما نظرياً حديث النشأة، لم يكن ليولد إلا في رحاب "الفلسفة التحليلية الغربية" التي مهد لها الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه"(G.FREGE) في مؤلفه: "أسس علم الحساب" ،والذي كان بمثابة انقلاب فلسفىٌ جديـدـ، أحـدـثـ قـطـيعـةـ مـعـرـفـيـةـ وـمـنـهـجـيـةـ بـيـنـ الـفـلـسـفـتـيـنـ الـقـدـيـمـةـ والـحـدـيـثـةـ، كـمـاـ رـيـطـ مـفـهـومـيـنـ تـداـوليـيـنـ هـامـيـنـ هـمـاـ: "الـإـحـالـةـ وـالـاقـضـاءـ" <sup>2</sup>، لـيـعـمـقـ فـيـهاـ الـبـحـثـ الـفـلـسـفـيـ وـالـنـسـاـوـيـ "لـوـدـفـيـغـ فـيـتـغـنـشـتـايـنـ" مـؤـسـسـاـ لـنـفـسـهـ تـيـارـاـ فـلـسـفـيـاـ جـدـيـدـاـ سـمـاـهـ: "فـلـسـفـةـ الـلـغـةـ الـعـادـيـةـ" <sup>3</sup>، وبـذـلـكـ اـحـتـضـنـ نـظـرـيـةـ الـأـفـعـالـ الـكـلـامـيـةـ هـوـ وـعـدـ مـعـيـنـ مـنـ الـبـاحـثـيـنـ الـآـخـرـيـنـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ أـنـ السـبـيلـ إـلـىـ فـهـمـ إـلـإـنـسـانـ لـذـاتـهـ وـلـعـالـمـهـ هـوـ "الـلـغـةـ"ـ، فـنـادـواـ بـضـرـورـةـ اـخـاذـهـاـ مـوـضـوعـاـ لـلـدـرـاسـةـ فـيـ أـيـ مـشـرـوعـ فـلـسـفـيـ يـرـومـ فـهـمـ الـكـونـ وـمـشـكـلـاتـهـ، وـقـدـ تـجـلـىـ ذـلـكـ فـيـ أـبـاجـاتـ:

-أدموند هوسـلـ: زـعـيمـ تـيـارـ الـظـاهـرـيـةـ الـلـغـوـيـةـ (phénomologie du langage).

-رودولف كارنابـ: زـعـيمـ تـيـارـ الـوضـعـائـيـةـ الـمـنـطـقـيـةـ (positivisme logique).

-أوستـينـ: فـيـ مـحـاضـرـاتـهـ: "كـيـفـ نـصـنـعـ الـأـشـيـاءـ بـالـكـلـمـاتـ"ـ "how to do thinks with words"ـ، وقد

ترجمـ إـلـىـ الفـرـنـسـيـةـ: 'quand dire c'est faire'ـ تـلـمـيـذـهـ: سـيـرـلـ : j.searle <sup>4</sup>.

وـمـعـ إـلـقـارـ بـنـشـأـةـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ فـيـ خـضـمـ جـهـودـ الـفـلـاسـفـةـ الـغـرـبـيـيـنـ إـلـاـ أـنـاـ لـانـدـعـ لـهـ أـثـرـاـ فـيـ الـمـورـوثـ الـلـغـوـيـيـ العـرـبـيـ، وـتـرـاثـهـ الـلـسـانـيـ، وـهـوـ التـسـاؤـلـ الـذـيـ يـطـرـحـ نـفـسـهـ.

<sup>1</sup> المرجع السابق ، ص: 10

<sup>2</sup> مـسـعـودـ صـحـراـوـيـ ، التـدـاوـلـيـةـ عـنـ الـعـلـمـاءـ الـعـربـ ص: 20

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص: 20

<sup>4</sup> المرجع نفسه ، ص: 21

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

- ما حظّ الأفعال الكلامية "من حيث الاهتمام" في التراث اللساني العربي؟ وكيف نظر هؤلاء العلماء إلى الأفعال الكلامية أثناء حديثهم عن الكلام ، وما يتربّع منه حين قسموه إلى خبر و إنشاء؟؟؟  
- وكيف تعرّى هذا التقسيم دائرة اللغويين، ليشمل البحث دائرة الفقهاء والأصوليين؟ ، ثم كيف ساهم البحث اللغوي في بلورة الأفعال الكلامية من خلال جهود العلماء الفرنسيين أمثال "اوستين وسيل"؟

### 01- الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:

إنّ الأفعال الكلامية "كمصطلح" لم تكن لتدرس في التراث اللساني العربي إلاّ ضمن مباحث "علم المعانٰ" لأنّ موضوع هذا الفرع اللغوي في التراث هو: "تبيّن خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان .... ليحتذر بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الكلام ذكره..."<sup>1</sup> وتحديداً ضمن نظرية "الخبر والإنشاء" ، فهي تُعتبر عند العرب - من الجانب المعرفي - مكافئةً لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصررين....<sup>2</sup>.

لذلك اشتغل في باب البحث فيها عديدٌ من علمائنا العرب ضمن مؤلفاتهم على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية، فاهتمّوا بها اهتماماً كبيراً ، وعقدوا لها فصولاً وأبواباً ، بعد أن عمّقوا البحث في أُسسها ومبادئها وتسمياتها المختلفة، فكانت نظرية "الخبر والإنشاء" محلّ اهتمام الفلاسفة والمناطقة، والفقهاء والأصوليين ، خاصة حين درسوا المعانٰ الوظيفية وتحديد المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعانٰ بغرض فهم النّص القرآني، ليتبّع ذرّة الاهتمام عند النحاة والبلغيين من أمثال "سيبويه" و"الجرجاني" و"السكاكى" فدرسوا الخبر والإنشاء، وحاولوا التّمييز بينهما في أبواب "أقسام الكلام" وتركيبيه ، وما يتصل به من الاستحسان وغيره....

وإذا كان "علم المعانٰ" من خصائصه تبيّن خواص التركيب في الكلام من حيث الإفادة سعيًا منه لتطبيق هذا الكلام وفق ما يقتضيه سياق الحال، فإنّ تلك الخاصية "خاصية التركيب" متعلقةً بما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارياً مجرّد اللازم له، لكونه صادرًا من "البلّغ" ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازماً له لما هو حيناً...<sup>3</sup>، وذلك لأنّ الفهم هو ما يتبارى في ذهن السامع ؛ كالقصد هو "الإخبار" عن حال "زيد" عند سماع عبارة مثلاً: "زيد منطلق" ، "زيد يأكل" ، لذلك يقول "السكاكى": "وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب": إنّ زيدًا منطلق " إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن

<sup>1</sup>- صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص: 49

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 49.

<sup>3</sup>- السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص : 247 – 248.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

يكون مقصودا به "نفي الشك" ، أو رد الإنكار، أو من تركيب: "زيد منطلق" من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار ، أو من نحو: "منطلق" بترك المسند إليه من أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفاده لطيفة مما يلوح بها مقامها.....<sup>1</sup>.

فالتركيب إذن مختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني ، حيث يكون التركيز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالاتٍ حرفيَّة أم دلالاتٍ ضمنية ، وكلها تُفهم من المقام وبحسب مقصود المتكلم، وهذا ما تقوم عليه الدراسات الدلالية الحديثة: "القصد والإفادة".

### 02- أقسام الكلام عند القدماء(التمييز بين الخبر والإنشاء وأراء العلماء العرب فيه):

إن المتأمل في نظرية "الخبر والإنشاء" في التراث العربي يلحظ ذلك الاختلاف الواضح في التمييز بين الأسلوبين، لأن "البحث النظري" من حيث المفاهيم والمصطلح لم يولد منذ يومه الأول مكتتملا محدد المعالم واضح القسمات، بل الواقع أنه مر بمراحل قبل أن يستوي على سوقه، ويستقر على أساس واضح المعالم بفضل انتقال تلك النظرية من آراء وملحوظاتٍ متفرقة إلى أصول ناضجةٍ ومباحثٍ مؤسسةٍ، لاسيما بعد اعتماد أدوات التحليل المنطقي والتدابلي....<sup>2</sup>، وبذلك تعددت التقسيمات وانختلفت وتضاربت الآراء وتنوعت بتنوع المراحل والعصور، ولعل وجه الاختلاف بالتحديد حاصل عند العلماء قدّمها حين قسموا الكلام على أقسام كثيرة، عددها "السيوطني" بلغ بها عشرة أقوالا: ما عُرف "بالقسمة الثنائية" ، أجمع المحققون على انحصره في الخبر والإنشاء ....<sup>3</sup>.

لنجد تقسيما آخر كان يضاهي القسمة الثنائية قوًّا وانتشارا وهو "التقسيم الثلاثي" لأن رهطا من النحويين أخرجوا الطلب من الإنشاء ، وتحرير هذا الأخير للدلالة على "ما اقترب وجود معناه بوجود لفظه" ذلك ما نجده عند "ابن هشام" في "شذور الذهب" يقسم الكلام إلى أضرب ثلاثة: "خبر وطلب وإنشاء" "فالأول هو الخبر" ، والثاني إن تأخّر وجود معناه عن وجود لفظه" ، فَطَلَبٌ ، وإن اقتربنا فإنشاء ، لكنه ما ليث أن تبيّن له الخطأ الذي وقع فيه، فعدل عنه كل مَعْدِلٍ بقوله: "وَقَلْتُ ، وَهُوَ خَبَرٌ وَطَلَبٌ وَإِنْشَاءٌ ، وَأَقُولُ هَذَا التَّقْسِيمُ تَبَعْثُثُ فِيهِ بَعْضُهُمْ وَالتحقيق خلافه، وأن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأن الطلب من أقسام الإنشاء، ..... وأن مدلول

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص: 248.

<sup>2</sup> - صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 58.

<sup>3</sup> - السيوطني ، مع المجموع: تحقيق : عبد العالى سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط 2 / 1987 ، ج 1 ، ص: 34.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

"قم" حاصل عن التلفظ به لا يتأخر عنه، وإنما يتأخر عنه "الامتثال" وهو خارج عن مدلول اللفظ ، ولما احتضن هذا النوع بأنّ إيجاد لفظه إيجاد معناه سمي إنشاء.....<sup>1</sup>.

فمصطلح "الإنشاء" مثلا لم يُحظ بالرواج في مصنفات الأولين، فكان قسيم الخبر لديهم هو "الطلب" ، لذلك لا نجد للإنشاء ذكرًا عند كثير من أرباب المعاني ، وهو ما يفسّر عدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء باعتباره أحد القسمين الأسلوبين الأساسيين، فلا نجد له ذكرًا عند "الجرجاني" ، ولا عند حلفه "أبي يعقوب السكاكى" ، ولا عند الفلاسفة الذين ساهموا بقسطٍ وافرٍ في التقسيمات البلاغية، ولا سيما في موضوع "التمييز بين الخبر والإنشاء" كـ"الفارابي" ، وـ"ابن سينا" مما يُشير إلى عدم شيوخ هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصاً بين البلاغيين....<sup>2</sup>.

لذلك فقد عَبر عنه أغلبهم بمصطلح "الطلب" ، عدا فئة قليلة هُدّيت إلى جعله "قسيماً للخبر" بدءاً من القرن الخامس الهجري "نجم الدين الكاتبي" (ت 493 هـ) الذي استخدمه استخداماً مدققاً، ثم تخلّى في كتابات "محمد بن علي الجرجاني" (ت 729 هـ) فأشاعه بين الدارسين بقوله: "الإنشاء كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى ....<sup>3</sup>. ثم ما لبث أن استقر الإنشاء قسيماً للخبر، ينهض ويقوم التعريف بينهما على أساس مختلف تعلق بها الدارسون لما تعدد عليهم تعريفها تعرّيفاً حدّياً، ولعل أكثرها دوراناً في مصنفاتهم الثلاثة التالية:

### أ-المعيار الأول: الصدق والكذب:

يُعدّ هذا المعيار محلّ إجماع بين العلماء العرب، وهو التمييز بحسب الشرط المبدئي المعروف ، فالخبر: "هو ما يقابل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، وقد تعددت النصوص المأثورة عن علماء تلك المرحلة من عمر البلاغة العربية ، وكثُرت كثرةً بالغةً تدلّ على إجماعهم على ذلك"<sup>4</sup>، ذلك ما نجده عند "نجم الدين الكاتبي" الذي يقول في باب التمييز بين الخبر والإنشاء: "والكلام التام إن احتمل الصدق فهو الخبر والقضية ، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء.....<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن هشام الأنباري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، د، ت ، ص: 32 .

<sup>2</sup> - صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 54 .

<sup>3</sup> - الجرجاني الشريف محمد بن علي ، الإشارات والتبيهات في علم البلاغة ، تعليق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط 1 ، 2002 ، ص: 86.

<sup>4</sup> - صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب - ص: 58/59.

<sup>5</sup> - الكاتبي نجم الدين ، الرسالة الشمسية- القاهرة- مطبعة الحلبي ط 2/1957 ، ص: 42.

أما "ابن سينا" فيقسم الكلام إلى "خبر" و"طلب" على أساس هذا المعيار، ويرى أنّ الكلام لا يخرج عن هذين القسمين (الخبر والطلب)، وعليه فإنّ الخبر أو القضية هو الذي يصلح أن يُصدق أو أن يُكذب، وبعض ذلك (يقصد الكلام) ليس قضية ولا خبراً، وهو الذي لا يصلح لذلك، فالأول كقولك: "زيد كاتب"...والآخر كالتركيب الذي في "الدعاء والمسألة والأمر والنهي والنداء ..<sup>1</sup>

وَمَا يُجِبُ ذِكْرُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَنْ مَفْهُومُ الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ -وَإِنْ كَانَا مِنْ أَظْهَرِ الْمُفَاهِيمِ الَّتِي رَسَخَتْ فِي التَّقَلِيدِ الْلُّغُوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ-، إِنَّهُ يَظْلِمُ مَفْهُومًا مُمْبَسِطًا، تَرْدَدُ الْقَدِيمَاءُ أَنفُسُهُمْ فِي ضَبْطِهِ وَبِيَانِ مَرَادِهِ، بَيْنَ قَائِلٍ: إِنَّهُ مَطَابِقَةُ حَكْمِ الْخَبَرِ وَعَدْمِ مَطَابِقَتِهِ لِلْوَاقِعِ، بَلْ مَطَابِقَةُ حَكْمِهِ لِاعْتِقَادِ الْمُخْبِرِ صَوَابًا كَانَ أَوْ خَطَأً أَوْ عَدْمِ مَطَابِقَتِهِ، ذَلِكَ أَنَّ مِنْ اعْتِقَادِ أَمْرًا فَأَخْبِرُ بِهِ، ثُمَّ اسْتَبَانَ خَلَافَهُ لَا يَوْصِفُ بِالْكَذْبِ وَإِنَّمَا يُقَالُ: "اَخْطَأَ" ، فِي وَقْتٍ قَدْ يَوْصِفُ هَذَا الْمِعْيَارَ "بِالنَّفْضِ" لِوُجُودِ أَخْبَارٍ لَا تَوْصِفُ إِلَّا بِالصَّدْقِ وَحْدَهُ كَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلاً، وَآخَرِي لَا تَوْصِفُ إِلَّا بِالْكَذْبِ وَحْدَهُ كَأَخْبَارِ مُدَّعِيِ النَّبُوَّةِ، وَأَخْبَارِ الْمَتَّحِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ "بِالْجَاحِظِ" مثلاً إِلَى إِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ مُحْصُورًا فِي الضَّرِبَيْنِ السَّابِقَيْنِ فَأَضَافَ قَسْمًا ثَالِثًا لَا يَوْسِمُ الْخَبَرَ فِيهِ بِالصَّدْقِ أَوْ الْكَذْبِ عَلَيِ النَّحوِ التَّالِيِ:

**القسم الأول: الخير الصادق:** وهو الذي يطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.

القسم الثاني: **الخبير الكاذب**: وهو الذي لا يطابق فيه الحكم الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.

القسم الثالث: الخبر غير الصادق ولا الكاذب: وهو الذي يطابق فيه الحكم الواقع أو لا يطابقه مع عدم اعتقاد المخبر له.<sup>2</sup> إلا أن المعمول به في أوساط الدارسين هو انحصر الخبر والأقوال الصادقة أو الكاذبة على أساس من مطابقة الحكم للواقع أو عدمه.

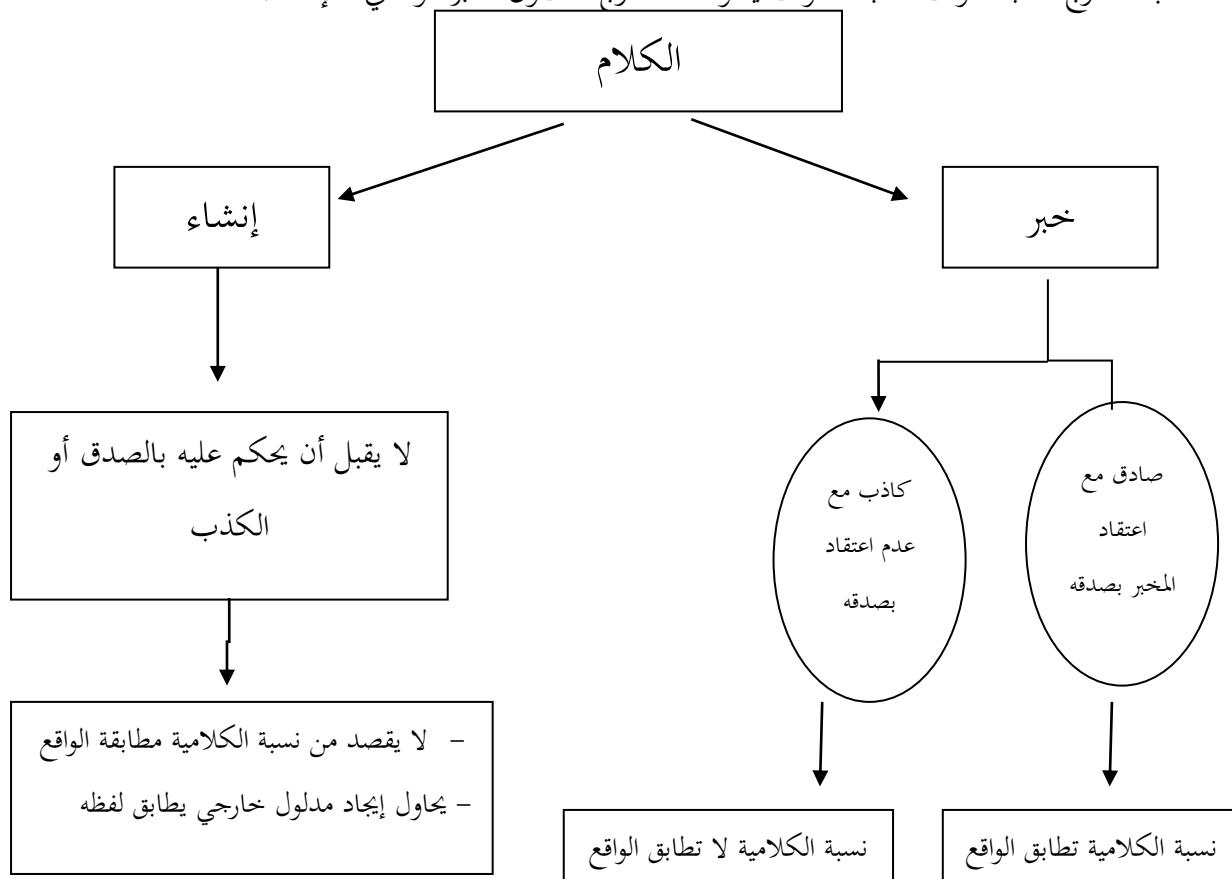
**بـ- المعيار الثاني: مطافة نسبة الكلام النسبة الخارجية:**

إذا كان الاتفاق حاصلاً في أنّ الخير هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فقد أكّد العلماء والباحثون وجوب مراعاة قصد المتكلم واعتقاد المخْرِج، فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقةً لنسبته الخارجية مع اعتقاد المخبر بـ"الكلام صادق"، وإذا كانت نسبة الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية مع عدم اعتقاد المخبر بـ"الكلام كاذب"، لذلك نرى (الشريف الجرجاني) يذهب إلى وجوب أن يُعْتَدَ بالنسبة التي في الكلام

<sup>1</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العربية - ص: 60

<sup>2</sup>- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 19.

من حيث مطابقتها بنسبة أخرى ، معرفا الإنشاء بأنه: "كلام لفظه سبب لنسب غير مسبوق بنسبة أخرى .."<sup>1</sup>، وعليه لا يحتمل المطابقة ولا عدمها، لكون المطابقة في واقع الأمر نسبة، وكل نسبة توجب مُتَسَبِّبٍ سابقين عليها، أمّا الخبر فإنه "وإن كان لفظه سبباً لنسبة هي صورة الكلام، لكنها مسبوقة بنسبة أخرى هي حكاية عنها، فإن تطابقا فالخبر صادق، وإلاً فكاذب .."<sup>2</sup>، ولعله هو المعيار الذي ارتأه الخطيب القزويني "في إيضاحه": مُعرِّفاً وموضحاً الفرق بين الأسلوبين" ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج، فالأول "الخبر" والثاني "الإنشاء".....<sup>3</sup>.



هذا المعيار أبرز ما اعتمد في سبيل تمحیص الخبر من الإنشاء، والجدير بالذكر أن النظريات اللغوية العربية رکز أصحابها مع حرصهم الشديد على دراسة الخبر والطلب دون سائر المعانٰ الأخرى، والتي تدخل دائرة "الإنشاء غير الظلي" لأنّ السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئاً "الخبر والطلب" المنحصر بحكم الاستقرار في أبوابه المعروفة "كالاستفهام، والنداء، و الأمر، والنهي وغيرها ، لذلك لقى "الجزء الذي يستدعي مطلوباً حاصلاً

<sup>1</sup>-الجرحاني الشريف ، الإشارات والتبيهات في علم البلاغة ،ص: 86 .

<sup>2</sup>-المراجع نفسه ، ن.ص

<sup>3</sup>-القزويني الخطيب ،إيضاح في علوم البلاغة ،ص: 17 .

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

في اعتقاد المتكلم وقت الطلب"، اهتماما بالغا حتى استنفذ حظه في الدراسة والتحليل، وذلك نظرا لما يتمتع به من تنوع وتأثر خطابي من شأنه أن يحدد نشاط المتكلمي ويثير شعوره ويجذب انتباهه، فينعكس ذلك على المخاطب ليصير أكثر تجاوبا مع المتكلم، أما القسم الآخر " الذي لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب" ويتتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، فلم تتوقف مصادر البلاغة الأولى عنده إلا قليلا، وعلى استحياء، لأن معظم أنواعه أخبار في الأصل نقلت إلى معنى الإنشاء....، لذلك نجد أنّ "الخليل بن أحمد" تناول تركيب التعجب مثلا في عبارة: "ما أحسن عبد الله!" " منزلة شيءٍ أحسن عبد الله" ، فهو تمثيل ولم يتكلّم به، يصير به التعجب في الأصل خبرا<sup>1</sup>، وأفضل عنده "سعد الدين التفتازاني" (ت 971 هـ) بقوله: "فإنشاء إن لم يكن طلباً كأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ..... ونحو ذلك فلا يبحث عنها لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها ، ولأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء...".<sup>2</sup> .

أما الخبر إضافة إلى أن الأصل فيه يلقى لأحد الغرضين:

01/ إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم "فائدة الخبر" وهو في الأصل يقوم على أساس أن من يلقي إليه الخبر أو من نوجه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه ، ويراد إعلامه أو تعريفه به، فسمّاه البلغيون "فائدة الخبر" لأنّه يتمثل في جمع الأخبار التي يعي المتكلم من ورائها تعريف مَنْ يخاطبه بشيءٍ أو أشياء يجهلها.

كما في الخبر التاريخي عن أبي سفيان "أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وأمره عثمان مدة خلافته نحو اثني عشر سنة وتغلب على الشام محارباً لعليّ أربع سنين، فكان أميراً ومالكاً نحو أربعين سنة:، فمثل هذا الخبر قُصد به إفادة من يلقي إليه بمضمونه، وذلك لما اشتمل عليه من حقائق تاريخية عن أول الخلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان ، من حيث إسلامه، واستكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم له، مدة ولادته وملكه على الشام ... فالغرض من الخبر هو "فائدة الخبر" .

02 أَمَا الغرض الثاني من الخبر فهو ما سماه البلغيون: "لازم الفائدة" وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه - أي المتكلم - عالم بحكم الخبر أي مضمونه، نحو قوله: "إِنَّكَ لِتَكْظِمُ الْغَيْظَ، وَتَحْلِمُ عَنْدَ الْغَضَبِ،

<sup>1</sup> - سبيوه، الكتاب، ج 01/ص: 72.

<sup>2</sup> - التفتازاني سعد الدين ، المختصر على تلخيص المفتاح ، الباني الحلبي ، مصر ، د ت ، ج 02 ص: 236.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

ونغفو عند المقدرة، وتصفح عند الزلة، وتستجib لنداء المستغيث بك ... . وقول "المتنبي" مخاطباً "سيف الدولة" مُثنياً على شجاعته:

**تَدُوسُ إِلَكَ الْخَيْلُ الْوَكُورَ عَلَى النَّرِيِّ \*\*\* وَقَدْ كَثُرْتُ حَوْلَ الْوَكُورِ الْمَطَاعِمُ**

فالمثال الأول لا يقصد به أن يفيد مخاطبه شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه من "كظم الغيط، والحلِم ساعة الغضب، والعفو مع المقدرة، الاستجابة لنداء المستغيث لأن ذلك يعلم المخاطب عن نفسه قبل أن يعلم المتكلّم، وإنما كان الغرض أن يبين له - أي المتكلّم - أنه عالم لما تضمنه هذا الكلام، ومثله من الكلام بتجده عند "المتنبي" في مخاطبة "سيف الدولة" فهو لا يقصد أنه وهو يحارب الروم ويتبعهم ويطارد قُلُولهم بجيشه في قمم الجبال حيث وكور حوارج الطير، فقتلهم وصنع من جثثهم وليمة متناشرة حول أوكرارها، وإنما أراد المتنبي أن يُبيّن لـسيف الدولة أنه عالم بما ضمنون الخبر الذي أورده في بيته، ولا يقصد أن يفيد مخاطبه عِلْمًا بما ضمنون البيت ، لأن سيف الدولة لا يجهله ، بل يعلم قبل علم المتنبي به.

فالخبر سواء كان الغرض منه "فائدة الخبر" أو "لازم الفائدة" لا يأتي على ضرب واحد من القول، وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، ذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان، لذلك جعل البلاغيون المتألقي للخبر بين ثلاثة مراكز بحسب قوة دلالته وضعفها ، فإنما أن يكون خالي الذهن - أي لا يعلم عن الخبر شيئاً - أو متربداً في تصديقه، أو منكراً له، بناء على ذلك قسموا الخبر على ضروب هي<sup>1</sup>:

أ. الخبر الابتدائي: هو النوع الذي يناسب خالي الذهن، فلا يحتاج إلى شيء من المؤكّدات ، إذ يلقى إليه الخبر حالياً من أدوات التوكيد، يقول عنه "السكاكبي": "... فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن مما يُلقى إليه، ليحضر طرفاها عنده، وينتقلش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر، ثبوتاً أو انتفاء، كفى في ذلك الانتقاد حكمه ، ويتمكن لمصادقه إيه حالياً ، فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً<sup>2</sup> ، ومن أمثلة ذلك قول المتنبي في أبيات:

وَكُلَّ اُمَرَئٍ يُولِي الْجَمِيلَ مُحَبِّبٌ \*\*\* وَكُلُّ مَكَانٍ يُنِيبُّ الْعَرَّ طَيِّبٌ

لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى \*\*\* حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

<sup>1</sup> - السكاكبي ، مفتاح العلوم، ص: 258.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ، ص : 258.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

فالمتنبي يلقي الخبر في هذه الأمثلة إلى مخاطبٍ خالي الذهن من حكمه، أي مضمونه، فجاء به خالياً من أدوات التوكيد، وهذا هو الخبر "الابتدائي".

- **الخبر الطليبي**: فيه يكون المخاطب مُتَرَدِّداً في الحكم شاًغاً فيه، ويُبغي الوصول إلى اليقين في معرفته فـيُحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويَحْلُّ فيه اليقين محلَّ الشك، يقول "السكاكى" في هذا النوع: "إذا ألقاها إلى طالب لها، متَحِير طرفها دون الاستناد، فهو منه "بين بين"، لينقصَه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقد بإدخال "اللام" في الجملة، أو "إن" ... نحو: لزيَّد عارفٌ، إن زيداً عارف...<sup>1</sup>، ومثال ذلك قول "أبي العلاء المعرى":

إِنَّ الَّذِي بِمَقَالِ الزُّورِ يُضْحِكُنِي \*\*\*

إِذَا مَا أَصْلَى أَلْفَ غَيْرِ زَاكِ \*\*\*

وَقَدْ يَغْشِي الْفَتَى جُجَّعَ الْمَنَى \*\*\*

فالشاعر يوجه الخبر الذي تضمنه كلّ بيت إلى مخاطب متَرَدد في حكم الخبر ومضمونه، وهذا حسُن توكيده الكلام له بمَؤَكِّدٍ واحدٍ فيه، تمكيناً له من نفسه، وحسماً للشك في حقيقته، وهذا من "الخبر الطليبي" وأداة التوكيد واحدة فيه، فهي "إن" في البيت الأول، و"ما" الزائدة في البيت الثاني، و"قد" في البيت الثالث.

- **الخبر الإنكارى**: هو النوع الثالث والضرب الثالث للخبر، فيه يكون المخاطب مُنكرًا لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يُؤكَد الخبر بمَؤَكِّدين أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف ويسمى هذا الضرب: "إنكارياً" ، وفيه يقول "السكاكى": "... وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ليردّه إلى حكم نفسه استوجب حكمه ليترجع تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: "إِنِّي صَادَقْ" : مَنْ يَنْكِرْ صَدْقَكَ إِنْكَاراً، "إِنِّي لَصَادَقْ" : مَنْ يَبَالِغْ فِي إِنْكَارِ صَدْقَكَ<sup>2</sup> : ومثال ذلك قوله تعالى: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِنَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ" (يس: 14-16).

فألقي الخبر في المرة الأولى مؤكداً بأداة واحدة (إنا إليكم مرسلون)، وما كان الإنكار شديداً جاء تأكيد الخبر للمرة الثانية بأداتين هما: "إن" المشددة مع اللام" "إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ" . ويسمى هذا النوع من الخبر إنكارياً.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص: 259، 258 .

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

وقد لخص صاحب "المفتاح" الأضرب الثلاثة من خلال ذلك الحوار الذي أجراه على لسان "أبي العباس" حين سأله الكندي: إني أجد في كلام العرب حشو: إذ يقولون: "عبد الله قائم": ثم يقولون: إنّ عبد الله قائم": ثم يقولون: إنّ عبد الله لقائم" والمعنى واحد؟ !!! . قال: بل المعانٍ مختلفة، وذلك إنّ قوله: "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه (ابتدائي)، وقولهم: "إنّ عبد الله قائم": (طلي): جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إنّ عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه (إنكارٍ) ....<sup>1</sup>.

لنخلص في الأخير إلى أنّ الحكم على الخبر يكون على حسب ما يخطر في نفس القائل من أنّ سامعه خالي الذهن أو مُتَرَدِّد أو منكِرٌ، فإذا كان متعددًا في حكمه حسن توكيده له لتمكين مضمون الخبر في نفسه، وإنْ كان منكراً لحكم الخبر وجب توكيده له على حسب إنكاره قوة وضعفًا، ومن الأدوات التي يؤكِّد بها الخبر: "إنّ، أنّ، لام الابتداء، اللام المزحلقة، الحروف الرائدة، أما، ألا الاستفناحيتين، حروف التنبيه، ضمائر الفصل، نونا التوكيد، القسم، التكرار ...".

### 04- الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي المعاصر:

إنّ نظرية "الأفعال الكلامية" من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية، بل هي من أهمّ الأسس التي قامت عليها في منظومة البحث اللغوي الغربي المعاصر، لا سيما وهي النظرية التي نادى أصحابها بضرورة التجسيد الحقيقى للاستعمالات اللغوية في الواقع، فهي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، لذلك كان اهتمامها بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وانجاز أفعال وتأثير وغيرها ... وكلّ ما من شأنه أن يُنفع العملية التواصلية بين المتحدثين.

لذلك جاءت هذه النظرية لتساهم في تغيير تلك النظرة التي سادت منذ أيام "دو سوسير" في معالجة الظاهرة اللغوية، فأولت الأهمية للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي المنجزة من قبل الإنسان، بمجرد تلفظه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محددة.

في الوقت نفسه تعتبر نظرية "الأفعال الكلامية" واحدة من أساسيات "التحليل التداولي" حين نظرت إلى اللغة وبيّنت أنّ الوضعية الأساسية لها غير كامنة أساساً في إيصال المعلومات والتعبير عن كوامن النفس، بقدر ما هي مؤسسة تتکفل بتحويل الأقوال إلى أفعال ، إذا صدرت ضمن مقام يسمح بذلك، فموضوع الدراسة ليست

<sup>1</sup> - السكاكي ، مفتاح العلوم، ص: 259.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الجملة، و"إنما إنتاج التلفظ في مقام خطاب". . L'objet a étudier ce n'est pas les phrases, mais encor enunciation dans la situation de production d'une «discours. » وهو ما أوصى به زعيم هذه النظرية "جون أوستين" من خلال كتابه: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" حين ضمّنه دعوةً صريحةً بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقاً لمقامات المخاطب. لقد نشأت" فكرة أفعال الكلام "من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة – مجال نشأة التداولية وتطورها – وهو: "أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل انحاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه"<sup>1</sup>، وذلك بعد ما كانت الفلسفة الوصفية المنطقية تشتغل مقاييساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما وهو مقاييس الصدق والكذب<sup>2</sup>، مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو "العبارات الخبرية"، كأن تصف واقعاً ما، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع نحو: "الجو جميل": صادقة في حالٍ واحدةٍ هي جمال الجو واقعاً، وكاذبة في غير ذلك، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يقبل إلا إذا كان خاضعاً للتحقيق والتجريب، وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها..<sup>3</sup>.

ولم تكن نظرية "الأفعال الكلامية" لتكتمل وتصبح كنظيرية في اللغة صادرة عن مُنْبِعٍ وظيفيٍ تداوليٍ يعالج القوة الكلامية للوحدات اللغوية، وتعني بجميع أشكال التعامل القولي « interaction verbale »، إلا بعد أن مررت بمرحلةين أساسيتين، وذلك بناءً على جهود مؤسسيها الأوائل من جهة، ثم الذين جاءوا بعدهم وساهموا في تطوير جهود أساتذتهم الأوائل من جهة أخرى، ويمكن أن ندرس مراحل التأصيل لهذه النظرية من خلال:

أ - مرحلة الظهور والنشأة والتأسيس عند: ج.ل. أوستن.

ب - مرحلة النضج والضبط المنهجي عند: ج.ر. سيرل.

إن الاتفاق حاصل في أن نظرية أفعال الكلام التداولية جاءت لتغيير تلك النظرة التقليدية للكلام، التي كانت تعتمد أساساً على الاستعمال المعرفي والوصفي للكلام، ونظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، فألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل، فأي معلومة تقدم لشخص ما، مثاره بواسطة شيء ما وتسعى إلى تحقيق هدفٍ ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في تلك الحياة العادية للناس...<sup>4</sup>.

#### أ. مرحلة التأسيس والنشأة:

<sup>1</sup> - فان ديك ، علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة محمد سعيد البحيري ط1-2001. ص:18.

<sup>2</sup> - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص:89-90.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص:90.

<sup>4</sup> - ينظر: Bakhtine : esthetique de la creation verbale : Galinard – paris P :29

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إنّ نشأة التداولية وفق نظريات ظهرت كُلُّها على أساس أنّ اللغة البشرية لا تنجز إلا بتدخل السياق باللغة وبمستعملتها، جعل هناك محاولات عديدةً تهدف إلى احتضان ما تميّز به التداولية أثناء نشأتها، لعلّ في مقدمتها محاولات الهولندي "هانسون" الذي قدم في 1974 تصوّراً مميزاً وهو الأول من نوعه يهدف من خلاله إلى توحيد أجزاء التداولية، وفق درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر<sup>1</sup>، فقسم الموروث التداولي إلى "ثلاث درجات أو أقسام" تخضع أساساً إلى علاقة المتخاطبين بالسياق.

ولعلّ الدرجة الثالثة التي يعنيها "هانسون" تتمثل في "أفعال الكلام" التي أولت الأهمية للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي، المنجزة من قبل الإنسان بمجرد تلقيه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محددة.

ويعتبر "أوستين" الوريث الشرعي ، المؤسس الفعلي لهذه النظرية خاصة حين أوصى "بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقاً لمقامات التخاطب" ، إذ تبيّن لديه أنّ اللغة ليست مجرد أداة نقل الأفكار ووصف الأشياء، وإنما هي ميدان ننجز فيه أعمالاً «Actes» لا تنجز إلا في اللغة ، وباللغة.

وهو أحد فلاسفة "جامعة أكسفورد" في القرن 20، وأحد أهمّ النقاد المعروفين، حيث كانت آراؤه محطة اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس واللغة والمجتمع، وغيرها من العلوم الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، وقد ألقي سلسلة من المحاضرات في "جامعة أكسفورد" ما بين عاميّ 1952 و 1954، كما ألقي بمجموعة أخرى من المحاضرات في "جامعة هارفرد" عام 1955، وقد جمعت محاضراته الأخيرة في كتاب طُبع بعد وفاته عام 1962 وعنوانه: "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" أو "كيف ننجز الأفعال بالكلمات".

يقول "جون ليونز": "... لقد كان هدف أوستين في البداية – على الأقل – أن يتعدي ما كان يُعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أنّ الوظيفة الوصفية والمهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عباراتٍ خبرية صادقة أو كاذبة<sup>2</sup> فانطلق في تفسير نظريته من انتقاد الفكرة السابقة التي تعتبر أنّ كلّ الأقوال يمكن إخضاعها لمعايير الخطأ أو الصواب، ويرى نتيجة لذلك أنّ هناك أساليب وتعابير لغوية لا يمكن وصفها بأيّها خطأة أو صائبة، بل أنّنا حين تتلفظ بـ ". Speech Acts

لقد ميّز "أوستين" في مرحلته الأولى – بعد أن ظهر تأثيره في فكره بالفيلسوف اللغوي التنساوي "لودفيغ فيتسيشتاين" (1889-1951) وبفلسفته التحليلية، خاصة حين انضمّ إلى فلاسفة "اسكفورد" بقصد دراسة اللغة

<sup>1</sup> - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية ص:78-79، فرانسواز ارمينيكو: المقارنة التداولية ، ص:41.

<sup>2</sup> - جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق: ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1/1987 ص:191.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الطبعية مؤسساً لاتجاه جديد أطلق عليه اسم: "فلسفة اللغة العادية": التي تعتمد على مفاهيم ثلاثة هي: "الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة"<sup>1</sup>، فميز بين نوعين من الأفعال، أو قسم الكلام إلى قسمين:

1. **أفعال إخبارية أو تقريرية:» Constatif «:** وهي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي، ويحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي أفعال أو قسم من الكلام مجده الخبر الذي يحتمل قيمتي: "الصدق والكذب".

2 **أفعال أدائية أو إنسانية:» Performatif «:** ليست لهذه الأفعال خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب فهي تستخدم لأنجاز فعل، أو هي التي ينجز بها المتكلم عملاً، ولا يقتصر على مجرد الكلام به، ومن أشرطة بناه توافر عناصر الإرادة والقصد والقدرة، وحسن النية<sup>2</sup>، ونحوها من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة، وتحلها أعملاً ناجحةً، وتسمى هذه الشروط "شروط الملائمة".

ثم ما لبث "أوستين" في مرحلة ثانية من مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية أن راجع وعده في التقسيمات التي وضعها للتمييز بين "الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية"، لأنّه لاحظ أنّ الأخبار "كذلك موصولة الغرئي بالعناصر المقامية شأنها في ذلك شأن الإنسانيات" ، معتبراً الوحدات الكلامية الخبرية صنفاً من صنوف الوحدات الكلامية الإنسانية، مما جعله يعيد النظر في البحث عن معايير تقسيمية أخرى، وذلك حين رأى أنّ الفعل الكلامي مركب من "ثلاثة أفعال" تشكّل كياناً واحداً، وتوّدّي في الوقت نفسه الذي يُنطق فيه بالفعل الكلامي، من منطلق ذلك الماجس الذي كان يشغل "أوستين" هو الجواب عن السؤال: ماذا نفعل عندما نتكلّم؟ .

إنّ ما نصنعه يتجلى في ثلاثة أعمال تُعدّ جوانب مختلفة لعملٍ خطابيٍّ كاملٍ *Acte de discours* « integral تختزل مختلف الوظائف اللسانية على النحو التالي:

1. **عمل القول:» l'Acte de locution:«** : ويسّمى فعل القول أو الفعل الصوتي أو اللغطي، أو الفعل اللغوي: "ويراد به التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح ،...، أو في إنتاج أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول، أو هو: "تركيب الألفاظ في جمل مفيدة طبقاً للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلالي".

2 **عمل مقصود بالقول:» l'Acte d'illocution:«**: ويسّمى: الفعل المتضمن في القول أو الفعل الغرضي" أو "الانجازي" ، ويقصد به ما يؤديه الفعل اللغطي أو الصوتي من وظيفة في الاستعمال، إذ غاية

<sup>1</sup>- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية: ص:51-52.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 95.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، الاعتراض، الموافقة، القبول ، النصح وغيرها ...، فلذلك يُعدّ هذا الفعل قطب الرحى لنظرية الأعمال الكلامية، ولبّها الذي غدت تُعرف به.

3. عمل التأثير بالقول: « l'Acte perlocution » : وتسمى الفعل الناتج عن القول، أو الفعل بواسطة القول ، أو "الفعل التأثيري" : « Acte perlocutionnaire » : وهو ما يتركّه الفعل الانجذابي من تأثير في السامع أو المخاطب، سواءً أكان التأثير تأثيراً جسدياً أم فكريّاً، والغاية منه حمله على اتخاذ موقفٍ، أو تغيير رأيٍ، أو القيام بعملٍ ما ... .

وُيعدّ الفعل الانجذابي ركيزة الأفعال الكلامية عند أوستين حتى سميت نظريةه، "بالنظرية الانجذابية" ، "نظريّة الفعل الانجذابي" ، وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلّم، وعلى السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه . ولهذا يلعب مفهوم قصد المتكلّم « intention » (القصدية) دوراً مركزياً في نظرية أفعال الكلام.

واستناداً إلى مفهوم "القوة الانجذابية" ، ارتَأى أوستين أن يصنف الأعمال التي ينجزها بواسطة اللغة إلى أسس خمسة<sup>1</sup>.

- **الأفعال اللغوية الدالة على الحكم:** (الحكمية أو الحكميات): « les verdictifs » : وهي كلّ فعل يدلّ على حكمٍ يصدره محكم أو حكم مثل: حَكْمٌ، قَدْرٌ، شَخْصٌ، وَصَفَّ، حلٌّ، ... الخ.

- **الأفعال اللغوية الدالة على الممارسات أو القرارات (الانفاذيات)** « les exercitifs » : وهي كلّ فعل يُعبر عن اتخاذ قرارٍ أو ممارسته في صالح شخص أو ضده كالتعيين، العزم، الطرد،....، عَيْن، حَرَم، أَذْن نصّ اختار، طرد، ...

- **الأفعال الدالة على الوعد والتعهد (الوعديات):** « Commissifs » : يتمثل فيما يقطعه المتكلّم على نفسه من عهود ووعود، مثل: وَعَدَ، تعَاهَدَ، تَعَاقَدَ، كَفَلَ، التَّزَمَ . الخ.

- **الأفعال الدالة على السلوك أو السيرة(السلوكيات):** « les comportatifs » : وهي كلّ فعل يتمثل فيما يكون ردّ فعل لحدث ما : كالاعتذار، التعاقد، القسم، الشكر، اللعن..

- **الأفعال العرضية (العرضيات):** « les expositifs » : وهي الأفعال التي يُؤتى بها لتوضيح وجهة نظر وبيان الرأي مثل: اعترف، اثبت، وافق، أكّد، وهب، فسر...<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>-فرانسواز ارمينكو، المقارنة التداولية. ص: 62.

<sup>2</sup>- الجيلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحيى ، دم ج، الجزائر، 1992 ،ص: 22

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إلا أنّ هذا التقسيم لم يكن ليرضي حتى "اوستين" نفسه، ولم يستطع أن يتحقق ما يسعى إليه في وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، بسبب تداخل هذه الأفعال فيما بينها، يجعل أفعال الحكم مثلاً يمكن تصنيفها في أفعال الممارسة والعكس صحيح، لذلك ظلت أعماله تفتقد للأسس المنهجية الواضحة، لذلك لم تحدّد معاً هذه النظرية إلاّ بعد أن تلقف تلميذه "سirل" حصيلة ما قدمه أستاذه، فسعى إليه إلى إكسابها نضجاً وضبطاً منهجياً، ومن ثمّ صياغتها ضمن نظرية محكمة، وذلك في المرحلة الثانية من مراحل الأفعال الكلامية، وهي مرحلة النضج والضبط المنهجي مع "سirل".

### ب- مرحلة النضج والضبط المنهجي :

هي المرحلة الثانية في نشأة فكرة الأفعال الكلامية بعد الجهد الذي وضعها "اوستين" في تحديد المفاهيم المركزية في النظرية، إلاّ أنّ وريثه الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" John searle «عَدَّ في كثير من هذه المفاهيم والتصنيفات، فلقد أعاد تناول نظرية "اوستين" وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: "المقصود، المواقف"، وبالفعل يمكن اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي انجرت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقها..<sup>1</sup>

ويمكن أن نوجز- اختصاراً- بمفهود "سirل" في هذه المرحلة من خلال تداركه لما وقع فيه أستاذه من خلال : - التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية، على أساس التّمييز بين أربعة أفعال نتجزها معاً في الوقت نفسه وهي: " فعل القول، الفعل القضوي، الفعل الانجازي، الفعل التأثيري." (تقسيمه عمل القول إلى قسمين: الفعل النطقي، الفعل القضوي)، فهو يميّز بين أربعة أقسام:

فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي).      الفعل القضوي (الإحالى، والحملى).

الفعل الانجازي (على نحو ما فعل اوستن)<sup>2</sup>      الفعل التأثيري: (على نحو ما فعل اوستن)

العمل الكلامي عند سيرل لا يحدد قصد المتكلم وحده، بل لابد من تضافر العُرف اللّغوي والاجتماعي معاً . - نص سيرل على أنّ للقوة الانجazية دليلاً يُدعى "دليل القوة الانجazية" ، الغرض منه إظهار نوع العمل الانجازي الذي يؤديه المتكلم عقب نطقه للجملة كالنبر والتنغيرم ...

<sup>1</sup>- آن رو يول، حاك موشلار، التداولية اليوم ،علم حديث في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ، دار الطليعة بيروت ط 1- 2003 ص: 33.

<sup>2</sup>- بوجادي حلية ، في اللسانيات التداولية ، ص: 99.

\*\* الفعل الإحالى acte de reference: يسهم في ربط الصلة بين المتكلمين (المتكلم والسامع)، الفعل الحملى acte de prédication: هو الإسناد ، أي نسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

- طور سيرل "شروط الملازمة": إذ جعلها أربعة وطبقها على الفعل الانجازي تطبيقاً محكماً، هذه الشروط هي:

**1 شرط المحتوى القضوي:** يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضويٌّ، والقضويٌّ نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع متحدث به ، أو خبر، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية.

**2 الشرط التمهيدي:** ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً على انجاز الفعل.

**3 شرط الإخلاص:** ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصاً في أداء الفعل.

**4 الشرط الأساسي:** يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

- ميّز سيرل " بين الأفعال الانجazية المباشرة، والأفعال الانجazية غير المباشرة، فالمباشرة « direct » التي تُطابق قوّتها الانجazية مقصود المتكلم، والأفعال الانجazية غير المباشرة « indirect » هي التي تخالف قوّتها الانجazية مقصوده، لذلك فنَّ سيرل هذه الظاهرة ( الأفعال الكلامية غير المباشرة ) في نسقٍ من القواعد الاستدلالية المرتبطة بقدرة المخاطب على تأويل ما لم يصرّح به المتكلم من أفعال كلامية، قد تكون مُلزمَةً أو غير مُلزمَةٍ، ولا يمكن للسياق إلَّا أنْ يتدخل بجدارة لفهم وتأويل هذا النسق الاستدلالي عن طريق المعرفة المسبقة للمخاطبين وعن طريق قوانين الخطاب .

- تصنيفه للأعمال الكلامية في أُسرِّ خمس معايداً بذلك اقتراحاً آخر وهي :

أ. التقريريات: أو الإخباريات « les assertifs »: والغرض منها وصف واقعة معينة من خلال قضية « proposition » وتتميز باحتمالها الصدق والكذب، وباتجاه المطابقة فيه من القول إلى العالم حيث يكون القول مطابقاً للواقع الموجود في العالم الخارجي، فضلاً عن تميّزها بالصدور عن حالة نفسية مُعيّنة عنها بالاعتقاد « croyance » .

ب. الطلبيات: « les dérèctifs »: وتسمى التوجهات أو الأمريات: والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، أو بعبارة أخرى يطلب فيها مطابقة العالم للقول، والشرط العام لهذه الأفعال هو إلزام المتكلم ليفعل شيئاً في المستقبل، وكذا أن يكون شرط المحتوى القضوي مُعيّناً عن فعل مستقبلاً للمخاطب، وقدرة المخاطب على انجاز ما طُلب منه .

ج- الوعديات: أو الإلزاميات : « les promissifs »: والغرض منها أن يلتزم المتكلم بالقيام بعملٍ ما في الزمن المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة فيها مثل الطلبيات من العالم إلى القول. لكن الفرق يمكنُ في مُنْفَذ القول: فهو المستمع في الأفعال التوجيهية (الطلبيات)، والمتكلم في الأفعال الإلزامية (الوعديات)، كما أنَّ المتكلم في

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الفئة الأولى يحاول التأثير على السامع لانجذار فعلٍ ما، بينما لا يمارس أيَّ تأثير على السامع في الفئة الثانية (الازميات)، بل يحاول إلزام نفسه بانجذار فعلٍ ما.

د- التعبيريات أو البوحيات: «les expressives»: وتسمى الاخصاصيات، والغرض منها التعبير من حالة نفسية سيكولوجية انتقالية تجاه الواقع الخاصة التي تمثل مضمون القول، كما أنه لا يشترط في أفعال هذه الفئة اتجاه مطابقة، إذ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات، ومطابقة الكلمات للعالم، بل يقصد بها صدق القضية المرتبطة بالمتكلم أو المخاطب، فأفعاله كثيرة ما تكون: الشكر والاعتذار، الترحيب، التهنئة....

هـ الإعلانيات، الإيقاعيات، التصرحيات: «les declaratifs»: والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، واتجاه المطابقة في الفعل الإعلاني قد يكون من القول إلى العالم ومن العالم إلى القول، أي الاتجاه المزدوج، ولا يحتاج إلى شرط، إذ يكفي انجذارها بنجاح لتحقيق المطابقة.<sup>1</sup>

و خلاصة القول في هذا العرض فإن نظرية الحديث الكلامي – التي تعدّ أهم ما في الدرس التداوily – لم تعرف كنظرية لها أسسها الفلسفية و ضوابطها المنهجية إلاّ على لدى "أوستن" و تلميذه "سييل" فهما اللذان أعطيا هذه النظرية بعدها الفلسفية و العلمي، حين درسا فلسفة اللغة العادلة أو" اللغة المستعملة " محللين ظواهر اللغوية، و الصيغ الكلامية التي ينشأ فيها "الحديث الكلامي أو الفعل الكلامي".

و بدراستنا لهذه النظرية مع محاولة تطبيقها على "البيان النبوي" في أحاديث المصطفى "ص"، جدير بنا أن نتساءل عن:

- ما حظُّ هذه النظرية التداوily من حيث الاهتمام عند علماء العربية؟، وما مدى إسهاماتهم في دراسة ما سُمي "بأفعال الكلام المباشرة و غير المباشرة" التي جاء بها "سييل"؟.

- كيف نظر علماء العربية إلى الوظيفة الحجاجية التي تؤديها أفعال الكلام المباشرة و غير المباشرة، حين تقارب هذه التداوily بأساليب الطلب الإنسانية؟.

- ما مدى "تحلي تقسيمات العرب" و "سييل" للأفعال اللغوية في "الحديث النبوi الشريف" من خلال الفعل المباشر و غير المباشر؟.

- ما الدور الذي يلعبه "السياق" كعنصر فعال من شأنه أن يُساهم في تحديد الغرض من الفعل الكلامي المنجز وخروجه عن معناه الأصلي ليرسم أغراضاً في شكل أفعال لغوية مقصودة بالقول أو ناتجه عنه؟.

<sup>1</sup> - صلاح إسماعيل ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة، ط1- 1993 ،ص:232-238

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إنَّ مثل هذه التساؤلات حتماً تجرّ إلى الوقوف حول حقيقة أنَّ نظرية أفعال الكلام التداولية جاءت لُتعيِّنَ تلك النظرة التقليدية للكلام ، التي كانت تعتمد أساساً على الاستعمال المعرفي و الوصفي للكلام، و نظرت إلى اللّغة باعتبارها قوّة فاعلة في الواقع و مُؤثّرة فيه، لأنَّ أيّة معلومة تقدّم لشخص ما ، مُثارة بشيء ما ، و تسعى إلى تحقيق هدف ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في تلك الحياة العاديّة للناس " .

### 05- بعد التداولي "الأفعال الكلام" في الحديث النبوي الشريف.

#### 1- الأفعال اللغوية المباشرة ،الأفعال اللغوية غير المباشرة.

إنَّ "ال فعل الكلامي " يُعد عنصراً مهماً في الكثير من الأفعال التداولية، باعتباره كُلّ ملفوظٍ ينهض على نظام "شكليٍّ دلاليٍّ إنجازٍ تأثيرٍ" ، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازية، و غایات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقى، و بذلك يطمح هذا "ال فعل الكلامي " إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسساتياً و من ثم إنجاز شيء ما<sup>1</sup> .

قد شاع استخدام مصطلح "ال فعل الكلامي " بين الدارسين و اختلفت تعريفاته لاختلاف المراجعات الاستيمولوجية التي ينطلقون منها، و حسب المتفق عليه فإنَّ فعل الكلام يعني: "لغة ما" ، أو التحدث بما يعني تحقيق الأفعال اللغوية<sup>2</sup>، و ذلك لما للفعل الكلامي من وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب من أهمها "وظيفته الحاجية" التي تزيد من فاعلية الانجازية التي أرادها له "أوستن" و "سيرل" ، و لا سيما تلك المرتبطة بلغطي "التأثير و الاقناع" .

لتبيّن جهود "أوستن" و "سيرل" في مجال الأفعال الكلامية مهمّة و فعالة، و لعلَّ البحث الأساسي لأعمالهما التحليلية هو "الأفعال المتعلقة بالصيغة المباشرة" ، وشروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة كالسؤال و التقرير .. و استعمال مختلف الوسائل التي يتوفّر عليها المتحدثون لكي يتواصلوا، و يبلغوا فعل الكلام إلى المتلقى .

فكثيراً ما يستعمل المخاطب الفعل الكلامي "المباشر" عندما يولي عنايته لتبلیغ قصدہ، و تحقيق هدفه الخطابي ، و رغبته في أن يُكلّفَ المتلقى بعمل ما، أو يُوجّهه لمصلحته من جهة، و إبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي، و يفترض أن يتوجه المخاطب بخطابه إلى التكثير من فائدة المتلقى، فيستعمل

<sup>1</sup>- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، ص:40.

<sup>2</sup>- بوقرة نعمان، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع 17 / 2006، ص:169.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده كالأمر و النهي الصحيحين<sup>1</sup>، و هذا ما عُرف في عرف التداوليين "بالأفعال الكلامية المباشرة".

و انطلاقاً مما تم ذكره سالفاً في جهود سيرل و أوستن في أفعال الكلام ، و تصنيفهما للأفعال الكلامية إلى إثباتية و تعبيرية و توجيهية ، و أفعال الوعد و أفعال الإعلان... نجد أن "سيرل" قد أضاف إليها تصنيفاً آخر حين ألح على انقسام الفعل اللغوي إلى قسمين أساسين هما: "الأفعال اللغوية المباشرة ، و غير المباشرة".

**أ-الأفعال المباشرة:** مير "سيرل" بين ما أسماه "الأفعال الانجذابية المباشرة و غير المباشرة"، "أو الحرفية و غير الحرفية" ، فالأفعال الانجذابية المباشرة عنده تمثل في تلك الأقوال التي توفر على تطابقٍ تامٍ بين معنى الجملة و معنى القول ، فالقول في نظر "سيرل" "هو شكلٌ من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه مجموعة من القواعد" ، يعني أنه يجب أن توفر هناك مبادئ يتوقف عليها انجاز فعل ما ، أو تقرير سلوك معيّن، فمعنى ذلك أن يكون ما ينطقه مطابقاً مطابقةً تامة و حرفيّة لما يريد أن يقول .، و يعرف "سيرل" نفسه للأفعال المباشرة بقوله: "هي الحالات التي يمكن للمتكلم التلفظ بقول ما، و يراد منه ما صرّح به...".

لكن - ما تبيّنه إليه "سيرل" هو ذلك السؤال المطروح : "هل يكون معنى الجملة دائماً مطابقاً لمقصود المتكلم؟" ، وانطلاقاً من هذا التساؤل كشف سيرل أن "هناك حالاتٍ أخرى لا يكون فيها الفعل مباشراً لهذا مير "سيرل" نوعاً آخر من الأفعال اللغوية يتمثل في :

**ب-الأفعال الكلامية غير المباشرة:** إن "سيرل" من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة، و التي عرفها بعد أن تناول بالدراسة تلك الأقوال التي لا تدلّ صيغتها الظاهرة على ما تدلّ عليه، إذ لاحظ أن التأويل الكافي بحملِ اللغات الطبيعية يصبح مُتعَدّداً إذا اكتفينا بما تحتويه الصيغة من معلومات بقوله: "هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفاً تماماً لمعنى الجملة بطرق و كيفيات مختلفة ..".

و هذا يعني أنّها عبارةٌ عن أقوال لا توفر على تطابق بين معنى الجملة و معنى القول، حيث لا تدلّ صيغة الجملة على معناها، و إنّما تدلّ على معنى آخر مُغايرٍ لمعناها الظاهر، لذلك يرى "سيرل" أنّ هناك حالاتٍ عديدةً لتوضيح القضية الخامسة المتعلقة بالأفعال غير المباشرة، و يظهر هذا في قوله، "هناك حالاتٍ يستطيع فيها المتكلّم من أن يقول جملة، و يريد بها معناها الظاهر، لكن يدلّ أيضاً على مقولٍ ذات محتوى إسنادي مغاير، فعلاً: يمكن

<sup>1</sup>- بوقرومة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، مقاربة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزى وزو ، عدد 3 2003، ص 11، 12.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

للمتكلم أن يتلفظ بجملة، "هل في بإمكانك مدي بكندا؟"<sup>1</sup>، دلالتها لا تدل على استفهام بل طلب تقديم الملح، و انطلاقا من هذه الإشكالية يطرح "سيرل" تساؤلات عدّة هي بمثابة إشكاليات أهمها:

\*كيف للمتكلم أن يقول شيئاً يصوغه في عبارة خاصة ويقصد به شيئاً آخر.

\*كيف للمسمع أن يفهم ما لم يصرح به المتكلّم؟ بمعنى: كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المراد أو المسّتلزم خطابياً؟ و\*كيف يمكن ضبط و معرفة المعنى الذي تخرج إليه صيغة معينة من الصيغ الجملية كالاستفهام، والنداء، والأمر، والطلب، النهي...؟<sup>2</sup>.

و انطلاقاً م هذه الإشكاليات باشر "سيرل" تفسيره لظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة ، و قد ساعده على ذلك دراسته لكل ما هو مشترك بين المتكلمين و السامعين، أي أفهم على اتصال دائم، و كذا دراسته لمقررات المستمع العقلية والاستدلالية لاستخلاص نتائج معينة.

### 1 . دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة:

إن المجهودات التي قدمها "سيرل" فيما يتعلق بدراسة الأفعال الكلامية عامة و الأفعال المباشرة و غير المباشرة بصفة خاصة ، هي التي من خلالها يتمكّن المتكلّم من توصيل غاية أخرى من خلال تلفظه بفعلٍ معينٍ، و ذلك بمراعاة الظروف الخارجية المحيطة بعملية الحوار أو الخطاب، و الظروف النفسيّة التي تكتنف كلاً من المستمع والمتكلّم، إذ بين كيف يمكن للمتكلّم أن يقول شيئاً و هو يقصد إلى شيء آخر مغاير تماماً؟.

و فكرة الأفعال الكلامية "غير المباشرة" ليست جديدة على اللغة العربية، ذلك أن علماء العربية الأوائل تفطّنوا جيداً إلى هذه الظاهرة، و أعطوا لها حقها الوفير من الدراسة و التحليل، فمن الأوائل الذين اهتموا بظاهرة الأساليب الكلامية و ما تقول إليه من أغراض، نجد خاصة: "السكاكبي" ، و من المحدثين "أحمد المتوكّل" الذي يستلهم من التراث و يحاول تدقيق المفاهيم التي كانت لدى القدماء.

لذلك فقد كان للعرب "القدماء و المحدثين" إسهاماتٌ قيمة في مجال تناول الأفعال الكلامية المباشرة و غير المباشرة، و ذلك في نطاق دراستهم للأساليب الكلامية و أغراضها.

#### أ - جهود العرب القدماء "السكاكبي":

<sup>1</sup>- فنسواز أرمينكو ، المقارنة التداولية ، ص: 71

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 71.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إن الإفادة من كلام العرب تكمن في النظر أساساً في أقوال المخاطبين أثناء الحديث و حال المخاطب، لذا قالوا "لكل مقام مقال" ،فيقول "السكاكبي" مؤكداً ذلك : "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة ، و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".<sup>1</sup>

لذلك كان "علم المعاني" هو العلم الذي تختص فيه علماء العربية في تحليل الخطاب انطلاقاً من علاقته بالسياق، و ذلك ما أثني عليه "ابن خلدون": هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية و اللغة، و هو من العلوم اللسانية لأنّه متعلق بالألفاظ و ما تفيده، و يقصد الدلالة عليه من المعاني (... ) و يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أقوال المخاطبين أو الفاعلين، و ما يقتضيه حال الفعل، و هو محتاج إلى الدلالة عليه لأنّه من تمام الإفادة، و إذا حصلت للمتكلم فقد بلغ الإفادة في كلامه، و إذا لم يشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب ، فإنّ كلامه واسعٌ، و لكلّ مقامٍ عندهم مقالٌ يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة".<sup>2</sup>

و المتأمل في "مفتاح السكاكبي" يلحظ جملة القوانين التي درسها "السكاكبي" و الشروط المقامية التي تتحكم في انجاز "الخبر و الطلب": باعتبار أنّ السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئاً: "الخبر و الطلب"<sup>3</sup> ، هذه القوانين و الشروط المقامية تتحكم في انجازها على ما يقتضيه الحال، و يتفرع عن هذين النوعين أغراضٌ يدلّ عليها الكلام في حال ما إذا أُجري في غير مقامه .

ليعرض "السكاكبي" حصر أبواب النوع الثاني المتمثلة في "الاستفهام و الأمر و النداء و النهي... و يضع لكل باب شروطه التي تحّدده ، و تحريه على أصله في المقامات المناسبة ، و يذكر بذلك أدوات و حروف كل باب...".<sup>4</sup>

#### ب - جهود العرب المحدثين: أحمد المتوكل :

<sup>1</sup>- السكاكبي، مفتاح العلوم، ص: 70.

<sup>2</sup>- بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التوليدية،منشورات الاختلاف ، ط01، 2003،ص:167.:

<sup>3</sup>- السكاكبي: مفتاح العلوم،ص:81.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه : من 133-138.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

قام "أحمد المتوكل"<sup>\*</sup> بدراسة في ثنائية "الخبر و الإنشاء" عند العرب القدامى، و ذلك بتطبيق آليات اللسانيات الحديثة، حيث قام بتنصيّي أهمّ القضايا اللغوية التي تفطن إليها قدمى العرب، و حاول أن يُظهر حدود الوصل و الفصل ما بين دراسة العرب القدامى، و دراسة الغربيين الحديثة.

يُعطي المتوكل اسم "نظريّة أفعال الكلام" لجامعة من الظواهر الدلالية و التداولية التي تتجلى في النتاج اللساني العربي القدامى تحت اسم "أغراض" بمعنى أنّ الأغراض الكلامية العربية هي نفسها المقاصد التي تخيل إليها الجمل التعبيرية المختلفة، و التي قام علماء العربية بتحديدها حسب السياقات التي ترد فيها و هذا في مجال علم المعانى...".<sup>1</sup>

كما يرى المتوكل أنّ البلاغة باعتبارها "فناً يهتم بالكلمة معنا و استعمالاً" هي الضابط الأساس لظاهرة الأفعال الكلامية، إذ تكفلت بوصفها و دراستها و بطريقة نظامية، و ذلك انطلاقاً من تحديدات موضوعية و بعرض تلك الدراسة النظامية و ذلك بربطها بثلاثة أقسام (volets) مهمّة هي:

\*\* (ثنائية التقريري - الانجazi): و التي تتجلى عند العرب في ثنائية "الخبر ، و الإنشاء".

\*\* (الأفعال الكلامية المباشرة): و هي عند العرب تعرف بـ"الأساليب".

\*\* (الأفعال الكلامية غير المباشرة): و المتمثلة عند العرب في: "الأغراض". و يشير إلى أنّ الأغراض تستخرج من الأساليب التي هي الأصول، و الأغراض فروع لها".<sup>2</sup>

ففي القسم الثاني (الأفعال الكلامية المباشرة): يُعرف "المتوكل" هذا النوع من الأفعال بقوله: "نسمي الأفعال الكلامية المباشرة تلك الدلالات المرتبطة بالأقوال، و التي يُعبر عنها شكل القول نفسه مثل: "الإخبار، الاستفهام، الأمر ، النداء"، و هذه الأفعال تُشكّل القوّة الانجازية " forte illocitonnaire " المرتبطة بتلك الأقوال، و تلعب هذه القوّة دوراً في تحديد نوع الفعل، و هي تُعرف - حسب السكاكي - عن

طريق العلامات الشكليّة التي تظهر جلياً في نموذج يحلّله المتوكل<sup>1</sup>: "هل جاء محمد؟".

---

\* هو باحث مغربي في جامعة محمد الخامس بالرباط، متخصص في دراسة التداولية اللغوية ،من أهم مؤلفاته: الوظائف التداولية للغة العربية، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، اللسانيات الوظيفية، إلى جانب مراجع باللغتين الفرنسية و الانجليزية.

<sup>1</sup>-ahmed elmoutawakel, reflexion sur Théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe- faculté de lettres et des sciences humaines de rabat ,these et mémoire n 08,1982,p :162.

<sup>2</sup> -المراجع نفسه ، المتوكل، ص:163.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

-**المورفيمات الخاصة:** مثل أدوات الاستفهام: هل، الهمزة... و تظهر في النموذج "هل" للسؤال، حيث لكل قولٍ مورفيمات خاصة تحدّد نوعه.

-**العلاقات التنعيمية:** حيث يكمن الحيز التنعيمي في النموذج: في تنعيم السؤال/الاستفهام. ، و يحلّل المتوكّل النموذج نفسه تحليلاً دلاليًا بحيث يعطيه المعانى التالية:<sup>2</sup>

-**محتوى إسنادي:**و الذي يحوي إجمالاً قيمة المعانى المرتبطة بكلّ وحدة معجمية، و التي تمثل ما ينبع عن العلاقات النحوية،أي ما يُعرف عند علماء العربية بـ"المعنى الأصلي".

-**القوّة الإنسانية:**و التي تمثل في:

-**مورفيم استفهامي:**يكون في الأداة "هل".

-**حيز تنعيمي:** يشمل كل الأقوال الاستفهامية.

هذه القوة الإنسانية تُعرف عند علماء العربية بـ"الأسلوب".<sup>3</sup>،يلاحظ "أحمد المتوكّل" أن هناك اتجاهين في دراسة الأفعال الكلام المباشرة:

\*\***الاتجاه النحوي(الشكلي):**يتمثل "النحويون" فهو ينظر في عبارات الاستفهام و الأمر و غيرها على أنها بُني، و هم بالتالي يفصلونها عن وظائفها التداولية،لذلك نراه يعني بالأشكال التي تتحذّر بعض المعانى انطلاقاً من الهيئة الشكلية للجملة تعرف على أنها: "إخبار،استفهام.....".

\*\***الاتجاه التداولي:**الذي تجلّى معلمته في كتب "البلاغة و الأصول و أفعال الكلام" عند هؤلاء هي أفعال حقيقة تحقّقها الذات المخاطبة في مقامات بارزة<sup>4</sup>،أي في ظروف مناسبة بحسب ما تقتضيه الأحوال.

يقول (ابن الأثير):"إن البلاغي و النحوي يشتراكان في أن النحوي ينظّر في دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوي و تلك دلالة عامة،و صاحب البيان ينظر في فضلة تلك الدلالة و هي دلالة خاصة ،و المراد بما أن تكون على هيئة مخصوصةٍ من الحسن و ذلك أمر وراء النحو و الإعراب،ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم و المشور و يعلم موقع إعرابه،ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة و البلاغة.." .<sup>5</sup> يصل أحمد المتوكّل في دراسته لمختلف الشروط المعتمدة في مختلف التقسيمات إلى وضع تقسيم،يتلخص في أن

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، المتوكّل، ص: 174 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 175.

<sup>4</sup> - بلخير عمر ،تحليل الخطاب المسرحي،مرجع سابق،ص: 170.

<sup>5</sup> - ابن الأثير ،المثل السائر ، ص: 39.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الكلام يمكن أن يختصر في أسلوبي:الطلب و غير الطلب و يشمل الطلب: الاستفهام ، التمني ، النداء،....

و الطلب بنوعيه "الإيجابي و السلبي".<sup>1</sup> و تظهر طريقة تميزه للأفعال على نوعين هما:

-**النوع الأول:** يشمل الأفعال التي توضح الاعتقاد بأنّ واقعاً خارجياً يحوله المتكلّم إلى تمثيل ذهنيٍّ، و يرجعه المتكلّم إلى فعلٍ: **السؤال و التمني** ( فعل السؤال يسبقه حصول ذهني يتمثل في فكرة السؤال، و البحث عن التعليل، هذه الفكرة بحد لها مقابلاً في العالم الخارجي يكمن في الإجابة و التعليل).

-**النوع الثاني:** الأفعال التي تشير إلى أنّ واقعاً ذهنياً متحققاً، يعني أنّ التمثيل الذهني يتحقق في الواقع، و يرجعها إلى فعلٍ "النداء و الأمر" [بنوعيه: الإيجابي و السلبي] ("النداء سابقة ذهنية يكمن في اختيار اسم المنادي عليه، ثم يتم الإفصاح عنه و تحسينه في الواقع و بالتالي يتتحقق فعل النداء").<sup>2</sup>

ليخلص في الأخير إلى أن دراسة الأفعال الكلامية بمقتضى شروطها مهيأة لكي يتتحقق الفعل بنجاح، و هذا ببراعة القوة الإلزامية المفروضة، و من هذا المنطلق يأتي إلى تحديد نوعين من الأفعال<sup>3</sup>:

\***أفعال كلامية شديدة الإلزام:**(تحليل إلى المؤسسات،الأفعال الدينية،الأقوال العدلية،البيع،الشراء،...).فرض شروطاً دقيقة في تنفيذها و التي تدخل ضمن أفعال الممارسة(كما يسميتها أوستن).

\***أفعال كلامية ضعيفة الإلزام:**و هي الأفعال التي تخضع لشروط أقل إلزاماً، حيث تقتضي تحية بعض الشروط لإنجازها، و هي تمثل الجزء الأكبر من الأفعال اليومية العادية كالإخبار و الاستفهام، النهي، الأمر...".

و يشير "المتكلّل" إلى تلك القواعد المهمة التي تضمن نجاح الفعل، و تضبطه كي لا يكون هناك أي فشل في تحقيق، أو تحول الفعل المطلوب إنجازه إلى فعل آخر، و تمثل تلك القواعد المناسبة و الخاصة في<sup>4</sup>:

. قواعد لسانية:و هي التي تساهم في عرض القول كخطاب يحتوي على قواعد معجمية و تركيبية، بحيث لكلّ عنصر في الخطاب وحدة معجمية دالة، و يتدخل التركيب في ضم هذه الوحدات بطريقة متسقة لتعيين الدلالات، كأن يكون الفعل تماماً، بتوفّر جل شروطه التي تساهم في حصول الفائدة و الإفاده أثر سماعه.

. قواعد تداولية:و هي قواعد لها علاقة لها بوضعية المخاطبين و تمثل في:

\***توفر شرط الاستعلاء لتحقيق فعل الأمر:**(على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور).

<sup>1</sup>- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص: 171.

<sup>2</sup>- المتكلّل، ص : 176 - 177.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص: 170,171.

<sup>4</sup>- بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي، يتصرف، ص: 175.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

\***توفر شرط القدرة:** أي قدرة المستمع على إنجاز الفعل الموجه إليه للقيام به ،(و يشير المتكلّل أنّ مثل هذه الأفعال متداولة كثيراً عند العرب في ميدان شرح القرآن الكريم).

\***توفير شرط الإرادة:** أي إرادة المتكلّم أو السامع في تنفيذ الأمر.

\***توفر شرط و عامل الإقناع أو القصد أو الوعي في إصدار الأمر:**إذ يُستثنى من ذلك الأوامر الصادرة من شخص متخيّل عقلياً، لأنّه يُعدّ فعلاً غير مقبول.

#### 3 دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يشير الدكتور "بلخير عمر" أنّ العرب القدماء قد تنبّهوا منذ فترة طويلة إلى ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة و اعتبروها فروعاً لأصولها، ولذلك يشكّل ما أبحثوه من أبحاثٍ تقدّماً لا مثيل له في الدراسات اللغوية والأسلوبية<sup>1</sup>.

لقد تفطن "السكاكيني" إلى هذه الظاهرة و حاول تعقيدتها عن طريق فهم الآليات التي تحكم في تحقيق الفعل الكلامي غير المباشر، لذلك نرى "أحمد المتكلّل" يُثني على جهود الرجل يقول : "و تمتاز اقتراحات "السكاكيني" في مفتاحه عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة ، بأنْ تجاوزت الملاحظة الصرف، و تحمل أهمّ بذور التحليل الملائم للظاهرة ، أي التحليل الذي يضبط علاقة " المعنى الصريح " بالمعنى " المستلزم مقامياً "، و يصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استن梓امية واضحة، هذا بالإضافة إلى ميزة أخرى و هي أنّ تعقيد السكاكيني... ورد مؤطراً داخل وصفٍ لغويٍ شاملٍ، يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية: أصوات و صرف و نحو و معاني ..".<sup>2</sup>

إنّ ارتباط الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأخرى "بالخبر و الإنشاء" جعلت كذلك من "أحمد المتكلّل" يُضيف لكلّ صنفٍ منها شروطاً مقامية تحكم في إنجازه ، أي في إجرائه بمقتضى الحال، و يتفرّغ عن هذه الأنواع نفسها أغراضٌ تولّد في حال إجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام ، وبالنسبة للخبر، يمكن له إذا ما أُجري الكلام على غير أصله، أي على خلاف مقتضيات الحال أن يخرج عن قصده إلى أغراض مختلفة كالتلويح و التجهيل و غيرها.<sup>3</sup> ، أمّا بالنسبة (للطلب) الإنشاء: فإنّ أنواعه الأصلية تخرج إذا أُنجزت في مقامات تتنافى و شروط إجرائها على الأصل، إلى أغراضٍ فرعيةٍ تناسب هذه المقامات كـ الإنكار و التوبيخ و الزحر ...

<sup>1</sup>- بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي ، مرجع سابق، ص: 174.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 175.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص: 175.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و يمكن أن نلخص جهود البلاغيين "السكاكيني" في جملة القواعد(الشروط ) التي تضبط إجراءه على أصله،أي إنجازه في المناسب من المقامات،و أن تولد المعانى الفرعية يمكن أن نوجزها في:

\*خرج معانى الطلب الأصلية الخمسة، حين يمتنع مقاميا إجراؤها على الأصل إلى معانى أخرى ك الإنكار، التوبيخ، الزجر، التهديد.... .

\*يحصل في حال عدم المطابقة المقامية أن يتم الانتقال من معنى إلى معنى داخل معانى الطلب الأصلية نفسها، إذ يمكن أن يتولد مقاميا عن الاستفهام التمني ، و عن التمني الاستفهام...".

\*في حالة إجراء المعانى الخمسة غير مطابقة لشروط إجرائها على الأصل يحصل الانتقال إلى المعنى الثاني ، لأنّ عدم المطابقة المقامية يؤدي إلى حرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه من جهة ، ثمّ يتولد عن حرق شرط المعنى الأصلي معنى آخر يناسب المقام، يقول "السكاكيني":إذا قلت: "هل لي من شفيع" في مقام لا يتسع إمكان التصديق بوجود الشفيع، امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولد بقرائن الأحوال معنى التمني" ، كما إذا قلت لمن تراه يؤذى الأب: أتفعل هذا...؟، امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله و توجهه إلا ما لا تعلم ، فيتولد بذلك الإنكار و الزجر<sup>1</sup>.

و خلاصة القول: إنّ في الأفعال الكلامية غير المباشرة يستطيع المرسل أن يعبر عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة، بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا، وقد يغدو عن ذلك فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب و يفهمها المرسل إليه، و هذا يؤدي بنا إلى نتيجة مهمة: "مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد.."<sup>2</sup>.

و هذا يعني أنّ للخطاب معنى مباشراً له قوّة إنجازية حرفية تدلّ عليه ألفاظه حسب ما تم التواضع عليه في اللغة، غير أنه قد يمنح السياق للخطاب أكثر من قصد، "فلم يُعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل،- و إنّ عددها واحدا من مقاصده -فليس القصد الرئيس - إذ يختفي وراءه قصد آخر، اختار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، و هو إما الرفض أو التهكم، و لذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر.<sup>3</sup>

إنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة يحدّد معناها تفسيرها الظاهري ، أمّا قوّتها فتحدد بالتحقيق غير المباشر وقد فسرت هذه المسألة باللطافة و التأدب، بوصفه شيئا أساسيا باطنيا لاستخدام الأسلوب غير المباشر، فهو قدرة

<sup>1</sup>- بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص:176.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص:368.

<sup>3</sup>- الشهري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد بيروت 2004، ص: 367.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

يملكتها المتكلم والمستمتع معاً، كما أوضح "سيرل" و "غرايس"، بينما اعتبره "ليتش" مستوى سطحيا يتعلّق مباشرة بالعادات و الطبائع المترافق عليها ، كما اعتبرت عند الآخرين استجابة لدّواع سياقية تجعل المرسل يعدل عن استعمال الخطاب المباشر بـ دوافع معيّنة كالسلطة أو مراعاة للتأدب....، و من هنا نصل إلى أنّ الفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة عن دلالتها من مقتضى الظاهر ، و هي أفعال سياقية لا يُدرك معناها إلّا من خلال القرائن اللسانية و الحالية، و أضرّب الاستدلال العقلي.<sup>1</sup>

و كتيبة نهائيةٍ تخلص إلى أنّ العلاقة بين المعنى المباشر و غير المباشر مرتبطة بما يسمّيه القدامى "المنطق و المفهوم" ، إذ يعود الفعل المباشر إلى المنطق و هو ما يفهم مباشرةً أثر التلفظ بجملة ما، أمّا الفعل غير المباشر فيعود إلى المعنى الموضّح لمعنى التأويلات الخاصة بكلّ قولٍ تبعاً للسياق الوارد فيه.

كما تقرّر أخيراً: أنّ دراسة المتوكّل ناجحة إلى حدّ بعيد ، حيث تمكّن من تطبيق النظرية اللسانية، و التداولية الحديثة على معانِي الكلام في العربية، كما استفاد كثيراً مما قدّمه البلاغة العربية في مجال دراستها للأغراض و المعاني .

و بعد هذا العرض البسيط لنظرية أفعال الكلام" ، و ما قدّم في إطارها من جهود سواء كانت قديمة أو حديثة نستخلص نتيجة هامةً مفادها أنّ هذه النظرية تدرس الكلام البشريّ وفق مستويين:

\*المستوى الظاهر أو الجليّ أو المباشر فيتناول معانِي الأقوال في طياتها.

\*المستوى الخفيّ و المتواري غير المباشر فيتناول المعانِي التي تحملها الأقوال في طياتها، و هذا ييرز الدور المهمّ و الفعليّ للسياق الخفيّ بالقول، و ما يشتمل عليه من ظروف و مقامات و أحوال المتحدثين و مقاصدهم و نواياهم و قدراتهم على إنجاز الأفعال و تحقيق مضامينها في الواقع.

و فيما يلي سنُسعي إلى استئثار بعض الآراء و النتائج التي حققتها نظرية أفعال الكلام ، و محاولة تطبيقها فيما يتعلق بتحليل النتائج المستخلصة من الخطاب النبوي الشريف الذي نحن بصدده دراسته مع الإشارة إلى أنّ هناك نوعاً ما من التداخل و التكميل ذلك أتنا لا نفصل بين تناولنا للأفعال المباشرة ، و الأفعال غير المباشرة إلّا في صورة ما يقتضيه الأسلوب الظاهري مع محاولة إبراز ذلك التكميل بين ما هو مباشر و غير مباشر... علماً أنّ الجانب التطبيقي يسعى للوقوف على أهمّ الملفوظات التي عدّت أفعالاً كلاميةً في الحديث النبوي الشريف و إبراز القوة الإنحرافية لهذه الأفعال الكلامية بنوعيها(حرفية و مُستلزمة)، مع محاولة الاستفادة في ذلك من الدرس التداولي عامّة، و نظرية الأفعال الكلامية خاصةً "لأوستن و سيرل" على وجه الخصوص ، هذا فضلاً عن التراث

<sup>1</sup>-بوقرومة حكيم، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية ، بحث في مجلة تحليل الخطاب ، تيزني وزو ص:19.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

البلاغي العربي، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن التركيز سيكون منصباً على أصناف الفعل الكلامي في الحديث النبوي، و الذي ستظهر - إن شاء الله - في الأساليب الإنسانية الطلبية. مع بيان أن أغراضها الإنجازية تتعدد حسب المقام و مقاصد المتكلّم من جهة أخرى.

فكيف كان تظاهر هذه الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف؟. ما هي القوّة الإنجازية المحقّقة من خلال هذه الأفعال الكلامية؟ ، وما هو الدور الذي يلعبه السياق المحيط بالقول و ما يشتمل عليه من ظروف و مقامات و أحوال المتحدثين و مقاصدهم؟...

### 06 . الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف: "حسب تصوّر وتقسيم "سيرل":

إنّ الأفعال الكلامية من أهم المركبات في التحليل التداولي و تعرف بأها أصغر وحدة تحقّق فعلاً عن طريق الكلام بإصدار أمرٍ أو توكيـد أو وعدٍ...و الذي من شأنه إحداث تغيير في وضعية أو موقع المتكلمين، بحيث يتوقف فـلـ شفرته على إدراك المتكلـي للطابع "القصدي" لفعل المتكلـم ، و هذا يعني أنه بمجرد النطق بأفعال الكلام تحول هذه الأفعال إلى إنجاز للفعل، لأنـه لا يوجد من وسيلة أخرى يمكن أن يقوم بها الشخص مثلا بفعل "الأمر، أو التوكيد أو الطلب "سوى أن ينطق بصيغته الأمر أو التوكيد أو الطلب ، فكلما أدى الفرد فعلـ كلامياً فإـه يـعـرـ عنـ نـيـةـ ...ـ وـ مـنـ يـصـدـرـ أـمـراـ فـهـوـ يـعـرـ عنـ رـغـبـةـ أوـ إـرـادـةـ...ـ".<sup>1</sup>

و لعلّ المـلـفـ الأـسـمـىـ منـ الرـسـالـةـ الـحـمـدـيـةـ هوـ السـعـيـ إـلـىـ إـحـدـاثـ التـأـثـيرـ وـ الـإـقـنـاعـ مـنـ خـالـلـ أـحـادـيـثـ الـمـصـطـفـيـ -ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ- فـكـانـ السـعـيـ لـإـدـرـاكـ الدـورـ الـذـيـ تـؤـدـيـ هـذـهـ أـفـعـالـ الـكـلـامـيـةـ فيـ إـحـدـاثـ الـوـظـفـةـ التـائـيـةـ الـاقـنـاعـيـةـ، وـ ذـلـكـ مـنـ خـالـلـ الـوقـوفـ عـلـىـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـأـحـادـيـثـ الـنـبـوـيـةـ مـعـ مـحاـوـلـةـ تـصـنـيفـهـاـ وـ فـقـحـهـاـ تقـسـيمـاتـ "ـسـيرـلـ"ـ،ـ مـعـ إـلـيـاشـارـةـ تـارـةـ إـلـىـ أـفـعـالـ إـنـجـازـيـةـ الـمـبـاـشـرـةـ،ـ وـ أـفـعـالـ إـنـجـازـيـةـ غـيـرـ الـمـبـاـشـرـةـ.

#### 1 . الإـخـبارـيـاتـ أوـ التـقـرـيرـاتـ " assertives :

من خلال ما سبق ذكره أنّ الغرض من الإـخـبارـيـاتـ هوـ نـقـلـ المـتـكـلـمـ لـوـاقـعـةـ ماـ مـنـ خـالـلـ قـضـيـةـ مـحـدـدـةـ يـعـرـ بـهاـ عـنـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ،ـ وـ الـغـرـضـ الـإـنـجـازـيـ الـعـامـ هوـ "ـالتـقـرـيرـ"ـ،ـ وـ اـبـجـاهـ الـمـطـابـقـةـ فيـ أـفـعـالـ هـذـهـ الصـنـفـ يـكـونـ مـنـ الـكـلـمـاتـ إـلـىـ الـعـالـمـ words to world وـ شـرـطـ إـلـحـاـنـ يـتـمـثـلـ فـيـ النـقـلـ الـأـمـنـيـ لـلـوـاقـعـةـ وـ الـتـبـيـبـ الـصـادـقـ عـنـهـاـ...ـ وـ بـعـبـارـةـ أـخـرىـ فـأـفـعـالـ هـذـاـ الـمـجـالـ تـنـقـلـ أـوـ تـصـفـ الـوـاقـعـ وـصـفـاـ أـوـ نـقـلاـ أـمـنـيـاـ،ـ إـنـاـذاـ تـحـقـقـتـ الـأـمـانـةـ فـيـ النـقـلـ

<sup>1</sup> -بلخير عمر ،تناول التداولي للخطاب الأدبي،مجلة "القصة" ،ع 02/1999 ،ص:70.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

أو الوصف تنجز إنجازاً ناجحاً و تاماً، و بذلك تكون أفعال هذا المجال عرضةً للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها ، وذلك للتيقّن من أمانة الوصف و النقل.

و يدخل تحت الإخباريات كلّ الجمل الإخبارية "سواء كانت منفيّة أو مثبتة أو مؤكدة، لذلك تراها تساق عادة لإفاده السامع أمراً يجهله و هو ما يسمى "فائدة الخبر" ، و ثبّت ما يعرفه في نفسه و تذكيره به، يسمى "لازم الفائدة" .، فيقول (**الخطيب القزويني**): "من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب أمّا بنفس الحكم كقولك "زيد قائم" لمن لا يعلم أنّه قائم، و يسمى "فائدة الخبر، و إما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عندك و لا يعلم أنك تعلم ذلك: "زيد عندك" و يسمى هذا "لازم الفائدة" "لازم فائدة الخير" .<sup>1</sup>

كثيراً ما تختلف الإخباريات في درجة قوتها الانجazية بحسب تحرّدّها من علامات النفي و التوكيد أو عدمها، و ذلك بحسب حال المخاطب (حال الذهن، متعدد، منكر) و غرضها الانجاري العام هو "التقرير" و هذه الأفعال إنجازاتها تتم من خلال خطوتين:

**الأولى:** تتمثل في أنّ الإنجاز يتحقق من خلال نطق الكلام و أدائه لها.

**الثانية:** من خلال "الإخبار أو الوصف": باعتبار أنّ الوصف و الإخبار غرضان إنجازيان، شأنهما شأن أيّ غرض آخر كالرفض أو القبول...".<sup>2</sup>

لكن هذا الإنجاز قد يظهر في "البنية السطحية من خلال استخدام ألفاظ إنجازية يعينها مثل: "أقسم، أعد...، أو من خلال كونها متضمنة في البنية العميقه للمنطق لتدلّ بمعناها العام على إنجاز الإخبار أو الوصف...".<sup>3</sup>

و تكون الإخباريات أفعالاً كلامية مباشرةً من جرّي استخدامها على أصل استعمالها ، بحيث يكون الجانب الانجاري الأبرز فيها هو "التقرير"، فمتى عبرت عن معاني مغايرة خرجت من صورتها المباشرة إلى أخرى غير مباشرةً. و من مواطن "الإخباريات" في الحديث النبوي و التي راعى من خلالها الرسول - ص- أقوال المخاطب في تلقّيه للخبر و التعامل معه.

#### أ. الخبر الابتدائي:

كثير من الأخبار التي يلقّيها الرسول "ص" على أصحابه من هذا الضرب، كون الصحابة ممن يصدق بخبره و لا يتردد فيه، لذا تأتي حالية من التوكيد، يغلب ذلك في مواطن "التعليم"، إذ يكون المخاطب راغباً في الخبر غير

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:215.

<sup>2</sup> - الصراف علي محمد، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1/2010، ص:61.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

متردّد فيه و لا منكِر له، و من ذلك حديث جبريل عليه السلام حين أتى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً على هيئة رجل، و كان النبي "ص" بارزاً للناس، فقال: مَا الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و بِلِقَائِهِ و رُسُلِهِ و تُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ؟ ثم قال: إِسْلَامٌ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، و تَقِيمُ الصَّلَاةَ و تُؤْدِي الزَّكَاةَ الْمُفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ .." ثم قال ما الإحسان؟ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ... ثم أَدْبَرَ فَقَالَ الرَّسُولُ "ص": "رُدُوهُ فَلَمْ يَرَوْهُ شَيْئًا . فَقَالَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ".<sup>1</sup>

إن المخاطب في هذا الحديث هو "جبريل" عليه السلام، إلا أن المقصود بالخطاب هم الصحابة، بل كبار الصحابة، الذين عرفوا الإسلام، و يهمُّهم معرفة مراتب الدين و الفروق بينها، فالمقام "مقام تعليم" و تعريض بحاجتهم إلى هذه المعرفة. "هذا جبريل جاء يعلم"، و على هذا فإنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب جبريل عليه السلام على أنه رجل جاء ليتعلَّم، و كما كان المقام مقام تعليم جاءت الأخبار حالية من أدوات التوكيد. لقد جاء "المنطق الإنجازي" في هذا الحديث مناسباً للهدف المتوجَّhi من وراء التعبير به، لا سيما أنَّ قوته تكمَّن في التقرير الذي أحدهُ الخطاب النبوي لركائز الإسلام بدءاً من تعريف الإيمان و تقريره أنه: إيمان بالله و ملائكته و رسالته و بالغيب. ثم تدرج إلى تقرير آخر و هو صيغة الإسلام المخصوصة في عبادة الله و عدم الشرك به و إقام الصلاة ... ثم في صورة تعريف الإحسان مُقيداً بأعلى مراتب العبادة التي يستشعر فيها العبد مراقبة ربِّه له، و بذلك أنجز الحديث "أفعالاً إنجازية" التقرير، الوصف، الإخبار، من خلال حديث صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و رغم أنَّ المقام مقام تعليم (تقرير) لأركان الدين، فالسائل راغب في المعرفة لا مُتردداً فيها و لا منكراً لها، إلا أننا نلحظ إضافة إلى القوة الإنجازية الحرفية (التقرير) أنَّ الحديث أنجز فعلًا إنجازياً غير مباشر: يتمثل في "المدح و الشاء" على "جبريل عليه السلام" لا سيما و هو المعلم الذي جاء يعلم الناس دينهم، إشارة منه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فضل المعلم على الرغم من أنَّ جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، و مع ذلك سمَّاه الرسول "ص" مُعلِّماً لأنَّ حُسن السؤال نصفُ العلم، و لأنَّ الفائدة إنْبَنَتْ على السؤال و الجواب معاً.<sup>2</sup>

أمّا عن الأفعال الواردة في الحديث فهي بكلِّ أصنافها ذات "أبعادٍ تداولية" فلها قوى متضمنة في القول كما يقول "سيِّرل" أي ملء اللفظة بقوَّة إنجازية معينة، و هذا ما نلمسه في الأفعال: تؤمن بالله، تؤمن بالبعث، تعبد الله، تقيم الصلاة، تؤتى الزكاة، تصوم رمضان... فالفعل "القضوي" لهذه الأفعال يعبر عن طريق المضارع

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 50. كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، ج 01، ص: 28.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 01، ص: 154.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

عن "التجدد" من جهة، و عن تلك الأعمال التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، أملأً في تحقيق الغاية من وراء الحديث، "أركان الدين و الإيمان"، لتظهر القوة المتضمنة في هذه الأفعال من خلال الدعوة إلى إنجازها وفق ما نصّت عليه نصوص الشريعة الداعية إلى الاستقامة على هذا الدين ، لا سيما ما رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلى درجات الإيمان و هي "الإحسان" ليبيقي الفعل الناتج عن هذا القول ظاهراً من حلال ما ترك من أثر في الواقع، و لعل قول السائل: "صدقت" عقب كلّ جواب في الأجوبة الثلاثة كما هو في أطراف الحديث الأخرى<sup>1</sup> ، دليل على تقبّل الخبر من جهة، و على عقد العزم على وجوب مراعاة الآداب المذكورة سالفاً ، لأنّ الحديث اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة و الباطنة من عقود الإيمان ابتداء و حلاً و مملاً، و من أعمال الجوارح ، و من أخالص السرائر، و التحفظ من آفات الأعمال من جهة أخرى.

#### ب . الخبر الظليبي:

كثيراً ما يلجأ المتكلّم إلى تأكيد الخبر استحساناً، و يخاطب به من يجدو و عليه التساؤل و التعجب أو التردد والظنّ، أو هو ما يحتاج متلقيه إلى تأكيد من قائله: بأحد أدوات التوكيد، مثل: "اللام" ، أو "إنّ" حتى يقضي على حيرة و شكّ المتلقى ، و من أمثلة هذا النوع في الحديث النبوي ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَيِّ سَيِّفِ الْقَيْنِ وَ كَانَ حِشْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ وَ قَبَّلَهُ وَ شَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَ إِبْرَاهِيمُ يَجْوُدُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرُؤَفَانِ ، فَقَالَ لَهُ "عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ": "وَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ" ، ثُمَّ اتَّبعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ "النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَ الْقَلْبَ يَخْرُنُ ، وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرِضِي رَبَّنَا ، وَ إِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمْحَزُونُونَ..."<sup>2</sup>.

صورة من صور أساليب النبي صلى الله عليه و سلم الذي ينتهي بالإقناع و التغيير و التأثير ، من منطلق معرفة أحوال المتقين و المخاطبين و مراعاتها، لأنّ مخاطبة العقول و القلوب فنّ لا يجده إلا من يمتلك أدوات الإقناع ، مع توافر الظروف المناسبة لإحداث التغيير، و لعل المخاطب حينما رأى عيني النبي صلى الله عليه وسلم تذرفان تَوَهَّمَ أنّ النبي "ص" حصل له مثلما يحصل للناس من الجزع و التفجّع، و ضُعف الصبر، مع كونه ينهى عن ذلك، فتساءل مُتعجباً،.. "أي: الناس لا يصبرون على المصائب و يتفحّجون ، و أنت تفعل ك فعلهم!" فاستغرب

<sup>1</sup>- ينظر طرف الحديث رقم 4777

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 1241، كتاب الجنائز، باب قول النبي "ص" إننا بك لحزنون" ، ج 01 ، ص: 439.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

ذلك منه لأنّه يدلّ على ضعف النفس، و العجز في مقاومة المصيبة بالصبر، و يخالف ما عهده منه من الحثّ على الصبر، و النهي عن الجزع، فأجاب صلی الله عليه و سلم بقوله: "إِنَّمَا رَحْمَةً" أي الحالة التي تشاهدها مني يا "ابن عوف" رقة و رحمة على المقوض، يبعث على التأمل فيما هو عليه، لا ما توهمت من الجزع و قلة الصبر، لهذا كان حال المخاطب مقتضياً أن يؤكد له الخبر ليؤكّد توهمه و يُريل تعجبه. "إِنَّمَا رَحْمَةً، مُؤكّدةً بالأدلة" إنّ.

لقد أبخرت هذه العبارة "إنما رحمة" -على وجائزها- فعلا إنجازيا مباشرا، يتمثل في الوصف و التقرير حين وصف رسول الله صلی الله عليه و سلم حالة البكاء بالرحمة مؤكدة بالأدلة "إنّ" ، ليظهر فعل إنجازي آخر غير مباشر مؤثر في تغيير القناعات و هو أسلوب "العاطفة أو أسلوب الخطاب النفسي" ، و الذي يفسّره "البكاء المباح و الحزن الجائز" ، و هو ما كان بدموع العين و رقة القلب من غير سخط لأمرٍ، و هو أبئ شيء وقع فيه هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمته ، و عيادة الصغير، و الحضور عند المحتضر، و جواز الإخبار عن الحزن...<sup>1</sup>، و لم يكن ليتأتى ذلك إلا من خلال خبرة الرسول صلی الله عليه و سلم بالنفس الإنسانية، باعتبارها تمتلك قوة التفكير فتكون محتاجة إلى إقناع عقلي، و قوة وجدانية تحتاج إلى إقناع عاطفي نفسي، ولذلك عذر النبي صلی الله عليه و سلم التوجه إلى العاطفة مؤازرا في أساليب الإقناع و التأثير للتوجّه إلى العقل، لأنّ العاطفة كثيرة ما تكون عوناً على استعمال المدعو واجتنابه.

و مثال ذلك في الباب نفسه ما أورده البخاري من أسلوب الخطاب العاطفي الذي يعتمد إلى استشارة العاطفة في النفس لدفعها إلى الإقناع و التأثير، فيجذب النفس إلى الإنابة بالتذكير لها ترغيبا و ترهيبا، و ذلك ما روی عن النبي صلی الله عليه و سلم من حديث عبد الله بن عمر قال: اشتكي سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي "ص" يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله، فقال صلی الله عليه و سلم: "قد قضى" ، فقالوا: "لا يَا رَسُولَ اللهِ، فبكي النبي "ص" فلما رأى القوم بُكاء النبي "ص" بكوا، فقال صلی الله عليه و سلم : "أَلَا تَسْمَعُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بَدْمَعِ الْعَيْنِ وَ لَا يُحْزِنُ الْقَلْبِ، وَ لَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا، وَ أَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَوْ يَرْحَمُ، وَ إِنَّ الْمِيتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ..."<sup>2</sup>.

لقد أبخر هذا الحديث أفعالا إنجازية كثيرة منها: "التبني، الإخبار، و التقرير، "تجلى ذلك في حديث النبي صلی الله عليه و سلم حين ألقى الخبر مزوجا بنوع من الترغيب تارة و بالترغيب تارة أخرى، مؤكداً بأدوات التوكيد، "إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بَدْمَعِ الْعَيْنِ وَ لَا يُحْزِنُ الْقَلْبِ، وَ لَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا، وَ أَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَوْ يَرْحَمُ، وَ إِنَّ الْمِيتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ..."

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري: ج3، ص: 200/201.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم 1242، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض ، ج1، ص: 39.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

السالفة تجلّى فعل إنجازي آخر غير مباشر يتمثل في "التحذير عند إطلاق العنان للسان، لا سيما و هو سبب التعذيب، خاصة و أنّ رسول الله "ص" أورده في صورة جواب لشرط لأداة شرط محفوظة مع فعلها، و كان التقدير: "يُعذب بهذا أو يرحم إن قال سوءاً".

و لم يكن هذا ليحصل من وراء هذا الإلخبار إلا من خلال معرفة الرسول "ص" أنّ للقلوب أفعالاً، و للأفعال مفاتيح، كما أنّ للقلوب أبواباً، و لكل منها مفتاح، فكان يرقى بالمريض، ويعظم من حضره، ملمساً إلى أجر هام هو كف اللسان عمّا يحرّم قوله ، بأسلوب و عظي تتدفق منه ينابيع الحكمة، وتلين له القلوب و تتأثر به، ليقي الغرض الإنجازي لهذه الأفعال كلّها هو "الحث و الترغيب" فيما يرسمه الرسول "ص" من مبادئ في معاملاته من جهة ، و الترهيب من أمورٍ تختلف في درجة قوتها الإنجازية، و تزداد القوة كلّما زاد التأكيد بأدوات التوكيد من جهة أخرى.

#### ج . الخبر الإنكارى:

فيه يقول "السكاكى": "و إذ ألقاها إلى حاكم فيها بخلاف ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه لترجم تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: "إني صادق" من ينكر صدقك إنكاراً، و "إني لصادق" من يبالغ في إنكار صدّقك، و "و الله إني لصادق" ... و يسمى هذا النوع من الخبر إنكاراً...<sup>1</sup>، بمعنى أنه إذا كان المخاطب عالماً بالخبر، و لكنه ينكره، فيجب إلقاء الخبر بمؤكدين أو أكثر، تبعاً لدرجة الإنكار قوة و ضعفاً، لذلك يخاطب بمثل هذا النوع من الخبر من غالب عليه التكذيب، أو من يبدو عليه علامات الإنكار فيؤكّد وجوباً بأدوات التوكيد بحسب المقام.

إنّ الحديث عن الإنكار يحتم الوقوف عند موقف رسول الله "ص" من قومه تجاه دعوته إلى ربّه، منها موقف المشركين في بداية الدعوة، حين خرج رسول "ص" حتى صعد الصفا فهتف: "يا صَبَاحَاهُ، فقالوا: "من هذا الذي يهتف؟ قالوا" محمدٌ، فاجتمعوا إليه، فقال: "يا بَنِي فُلَانٍ، يا بَنِي فُلَانٍ، يا بَنِي عبد مناف، يا بَنِي عبد المُطَّلب..." فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيْتُمْ لِوَ أَحْبَرْتُكُمْ أَنْ خِيلًا تَخْرُجُ بَسْفَحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكْنُثُمْ مُصَدَّقِي؟، قالوا: ما جرَبْنَا عَلَيْكَ كَذِبَا، قال: "فإِنِّي نذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ".<sup>2</sup>، فحقيقة الموقف تتطلب وجوب التأكيد لصحة ما جاء به الرسول "ص" ، لذلك أكّد الرسول الخبر للمشركين، لأنّهم من يتوقع

<sup>1</sup>- السكاكى: مفتاح العلوم، ص: 259, 258.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم 4492، كتاب التفسير، باب و أندر عشراتك، الأقربين، ج 4، ص: 1787.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

منهم التكذيب و الإنكار، بل هو ما تقرر عنده "ص" بخبر من الله تعالى في حديث "ورقة بن نوفل" في بداية نزول الوحي، و لقد أكتفى الرسول "ص" بأداة واحدة للتأكيد "إني"، ليكونه قد قدم في الكلام ما يقرّر صدقه عندهم.

ليتجلى الخطاب "الإنكاري" مع الكفار قوله صلى الله عليه وسلم لليهود: "يا معاشر اليهود، وإنكم تتقوى الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتم بحق، فأسلموا..." قالها ثلاث مرات<sup>1</sup>. ليعكس هذا الحديث مبالغة الرسول "ص" في تأكيد علمهم برسالته، لأنّهم قوم يُهتّ و أهل كذب و تكذيب، لذلك كانوا يقولون في كلّ مرّة: ما نعلم ( تتمة الحديث ).

هذا الحديث نموذج من نماذج "الإنكار" يعكس صورة اليهود في تعاملهم مع الرسالة الحمدية، فأنكروا ذلك رغم علمهم بما جاء به من الحق، فأكّد الخبر عن طريق "القسم فو الله"، و "إن" و "اللام المزحلقة"، "إنكم لتعلمون"، و "الأداة" "إن"، "إني جئتم"، و التكرار: قاله ثلاث مرات، فجاء الحديث مؤكداً بعدة مؤكّدات لأنّ الأخبار تختلف في درجة قوتها و شدّتها الإنجازية بحسب أحوال المخاطب.

ليحمل الخطاب النبوي إلى اليهود محمل فعل إنجازي غير مباشر حسب طبيعة المخاطب و المقام ، بسبب ما تولد من دلالات أخرى مناسبة للموقف بمعرفة القرآن، فتحولت من صورة دلالية خبرية إلى صورة دلالية خبرية أخرى، أو قل إلى فعل كلامي آخر، من إخبار إلى توجيه ، "كأن يتتحول الخبر إلى الأمر" ، كما يُعبّر عن ذلك "الزركشي": "إنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته، و إنّه مما ينبغي أن يكون واقعاً و لابد"<sup>2</sup> ، مما يحتم وجوب الإيمان برسالة الرسول "ص" و أنّ ما جاء به هو الحق ، و هو القوة الإنجازية الحرافية من وراء الخطاب النبوي، مما يحتم غرضاً إنجازياً متّملاً في الحث و الترغيب في الإيمان بتصديق ما جاء به الرسول - صلى الله عليه و سلم - و برسالته.

\*\* حين أنكر الناس إمارة "أسامة بن زيد" رضي الله عنه على البعث الذي بعثه رسول الله "ص" ، و طعنوا فيه كما طعنوا من قبل في إمارة أبيه، أكّد الرسول "ص" فضله و استحقاقه للإمارة، كما كان أبوه كذلك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "بعث النبي "ص" بعثاً ، و أمرَ عليه" أسامة بن زيد" ، فطعنَ بعضُ الناسِ في إمارته ، فقال النبي "ص" "إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلٍ، وَ أَمِّمُ اللَّهُ أَنَّه

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 3966، كتاب فضائل الصحابة، ج 03، ص: 1424.

<sup>2</sup>- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص: 218.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

كان حَلِيقًا لِإمارة، وَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْيَ، وَ إِنَّ هَذَا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْ بَعْدِهِ...<sup>1</sup>.

نصُ الحديث يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة "مؤتة" من جهة ، و مكانته عند رسول الله "ص" من جهة أخرى، كون رسول الله "ص" ما بعث "زيد بن حارثة" في جيش قط إلا أمره عليهم رغم صغره ، ورغم كونه مولى" .. و لأنَّ الجيشَ الذي كان عليه "أسامة" فيه أبو بكر و عمر !!!،و الصنيع نفسه مع الحَبَّ بن الحَبَّ. حين بدأ معلم الإنكار "من قبل الصحابة على صنيع رسول الله "ص" خطب على المنبر: "قد بلغني أنكم قلتم في أمارتكم - يريد أسماء... نص الحديث -، عمل بعدها التأكيد القوي للأخبار" الخبر" حين استعمل "القسم" و "ائِمَّةُ اللهِ" ، "إِنَّ، لَام الابتداء" على سبيل الخبر الإنكاري، لكون المخاطبين يطعنون في إمارة أسماء وهذا الطعن فيه تحذير له و تصغير ل شأنه، و سيقع في نفس أسماء بسبب ذلك ما سيقع، فأراد رسول الله أن يرد عليهم إنكارهم و طعنهم، و بذلك يقرر فضله في أنفسهم وفي نفس أسماء ، و هو العرض الإنمازي المتوكى من وراء الحديث .

لينجز الحديث فعلاً إنمازياً مباشراً و هو "الإخبار مع التقرير" ، و فعلين إنمازيين غير مباشرين، أوهما: "سلبي" يتضمن الذمّ و التشنيع لأفعال بعض الصحابة تجاه إمارة أسماء رضي الله عنه ، و الآخر" إيجابي" يتضمن المدح و الثناء و المحبة التي يُكَثِّفُها رسول الله "ص" لزيد بن حارثة" رضي الله عنه فهو المحبوب عنده ، لذلك أقرَّ الصحابة باحترامه و محبتة لأنَّه من صالحهم..." ، كما جاء في أطراف الحديث الأخرى.

و لما كان الموقف موقف إخبار و إنكار، و الأخبار تختلف في درجة قوتها و شدتها الإنمازية بحسب أحوال المخاطب أكد رسول الله صلى الله عليه و سلم مُراده بأدوات الإنكار من جهة مشيراً إلى عدم الرضا على هذا الصنيع بعبارة "تطعنون" ، الواقع في جواب الشرط، بصيغة المضارع الدال على التجديد ، و العاكس لموقف الصحابة من إمارة الوالد و ابنه، (لأنَّ الطعن من طعن بالفتح: في العرض و النسب، و بالضم: بالرّمح و اليد)، فكان الردّ قوياً مؤكداً داحضاً مُؤرّعاً بين الترهيب و الترغيب، بغية توصيل ما أراده إلى النفوس بواسطة "القسم، إنَّ، اللام المزحلقة، لام الابتداء...".<sup>2</sup>

\* قد يأتي الخبر مؤكداً سعياً لمراعة حال المخاطب، لا لقصد إفادته أو إخباره " فعل إنمازياً مباشراً" ، و إنما لأغراض لا ينظر فيها إلى كون المقام مقام إنكار أو تساؤل أو تردد فيؤكد الخبر، و إنما يأتي التأكيد لترسيخ الخبر و تكينه في نفس المخاطب ترغيباً أو ترهيباً، أو تسلية و تطبيباً أو إشعاراً بالاهتمام و غيرها ، و هو ما

<sup>1</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 3524، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أسماء بن زيد بن حارثة، ج 3، ص: 1365.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري: ج 7، ص: 101.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

يُعرف في العرف التداولي "بالأفعال الإنحازية غير المباشرة".

\* انعكس فعل التسلية و تطبيب النفس "كفعل إنحازى غير مباشر" في حديث "أم حارثة بن سراقة" رضي الله عنه، لما جاءت حين استشهد ابنتها حارثة في غزوة بدر إلى النبي "ص" عن أنس بن مالك: "أنَّ أَمَّ الْرَّبِيعِ بَنْتَ الْبَرَاءِ، وَ هِيَ أَمُّ حَارِثَةَ بْنَ سُرَاقةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، قَوْلَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَا تُخَدِّنِنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَ كَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ عَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَ إِنْ كَانَ عَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ: يَا أَمَّ حَارِثَةَ إِنَّ هَا جَنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَ إِنَّ هُوَ لَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَ إِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى...".

يرسم الحديث موقفا صعبا "لأم حارثة" ، جاءت مستفسرة عن مصير ولدها بعد موته في معركة بدر فرأى النبي "ص" ما بها ، و ما هي عليه من عظم المصاب لولدها لعظم منزلة الابن عند أمه،... فكان الجواب بتقرير مآلته في الآخرة. ، فلم يكتفي "بأنه في الجنة" ، بل أكد ذلك بمؤكّدات "إن+أن+اللام" ، و لعل الهدف و الغرض من مراد ذلك كله قصد النبي "ص" إلى الاطمئنان و التسلية عن فقد الابن ، و هو الفعل الإنحازى غير المباشر من وراء إلقاء الخبر".

و من مواطن التأكيد بالأسلوب الخبرى في مقام الثناء على العمل الصالح العظيم بداع الإعجاب من رسول الله "ص" من جهة، و إشعار المخاطب بحسن صنيعه من جهة أخرى، قصة "طلحة" ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، و كان أحب أمواله إليه "بييرحاء" و كانت مُستقبلة المسجد ، و كان رسول الله يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية: "لَن تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُونَ" آل عمران: 92، قام أبو طلحة إلى رسول الله "ص" فقال : "إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: "(الآية)... وَ إِنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ "بييرحاء" وَ إِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَ ذُحْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حِيثُ أَرَأَكَ اللَّهُ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ: "بَخِ بَخِ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، .. وَ قَدْ سِعْتُ مَا قُلْتَ، وَ إِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ".<sup>2</sup>

إن ما فعله أبو طلحة رضي الله عنه من تصدقه بأحب أمواله معروف عظيم يستوجب الثناء و الشكر وإظهار الإعجاب به ، و هو الفعل الإنحازى غير المباشر الذي ارتآه الرسول "ص" ، حيث عبر عن ذلك: "ذلك مال رابح" ، مُستعملا تأكيد الخبر عن طريق: "التكرار" لما فيه من إشارة للبعيد و تحصيل الجزاء و الثواب ، ثم "بخ بخ"

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 2654، كتاب الجهاد، باب من أتاهم سهم غرب فقتله، ج 03، ص: 1034.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 1392، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج 02، ص: 531، 530.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

: كثيرا ما استعملها العرب عند تفخيم الأمر و تعظيمه و تدحّه و تفضيله و الإعجاب و الرضا به".<sup>1</sup>، معتبرا عن ذلك كله بجملة اسمية تحمل معنى ثبوت الأمر و دوامه، وبصيغة صرفية "رابح" اسم فاعل من فعل لازم أقرب ما تكون صفة مشبهة لتعطي مزيدا من الدلالة على ثبوت الريح و دوامه ، و هذا من الجزء العظيم لأبي طلحة رضي الله تعالى عنه مقابل معروفة العظيم.

ليأتي غرض إنجازي غير مباشر آخر في موطن إشعار المخاطب بالاهتمام، و من ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى امرأة من الأنصار أتت النبي "ص" مع أولاد لها، فقال النبي "ص" و الذي نفسي بيده إنكم لا أحب الناس إلى قلها ثلاثة مرات<sup>2</sup>، و عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي "ص" النساء والصبيان مقللين، قال: حسبت الله قال من عرس، فقام النبي "ص" ممتنا أو قال ممثلا فقال: اللهم آتني من أحب الناس إلى قلها ثلاثة مرات<sup>3</sup>.

أورد البخاري هذا الحديث في باب ذكر فضائل الأنصار و محبة الرسول "ص" لهم و لأبنائهم، ليعكس هذا الحديث اهتمام النبي "ص" بهم و محبته لهم و لأولادهم ، لا سيما و هو الذي له فضلهم و نصرتهم، لتأتي هذه الحبّة و الاهتمام مؤكدة "بالقسم" أولا: والذي نفسي بيده... ثم: أن، اللام المزحلقة، إنكم، لأحب... إضافة إلى دور التكرار و أهمية التأكيد للمراد "قلها ثلاثة" كما لا يمكن إهمال ما للموقف و السياق من دور في تأكيد هذه القوة الإنجازية ، من إقبال الرسول "ص" على من يحبّ مسرعا، فرحا بهم، قيامه إليهم، مظاهر البشاشة على وجهه... كلها مؤكّدات تخدم السياق الذي أورد فيه رسول الله "ص" قوته الإنجازية الكامنة من وراء إلقاء هذا الخير المفعمة بالحبّة و الاحترام لأنصار و أبناء الأنصار.

\*\* إن ما أورد في هذا الباب "الإخباريات" والذي كان مقتضاها على الأساليب الخبرية فقط، دون الإنسانية، يوحى بما يلي:

- الغرض الإنجازي العام: هو "الإخبار"، لذلك كثيرة ما تكون المطابقة في أفعال هذا الصنف من الكلمات إلى العالم، فيأتي الخبر ناقلا للواقعة معتبرا عنها واصفا إياها وصفا و نقا أمينا.

- كان التعبير عن الإخباريات في الأمثلة المقدمة بجمل خبرية تراوحت بين الاسمية و الفعلية، ماضية، مضارعة، مثبتة، منافية، أو مؤكدة، سبقت كلها لإفاده السامع و تأكيده لما يريد المتكلّم في ذهن مخاطبه.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مادة: بخ.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري حديث رقم 3575، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي للأنصار، ج 03، ص: 1379.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري ، حديث رقم 3574. كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي للأنصار، ج 03، ص: 1379.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

- تختلف الإخباريات في درجة قوّها الإنجازية بحسب أدوات التوكيد التي استعملها الرسول "ص" لذلك جاءت متراوحة بين: الظليبي وإنكاري، وقبلها كان الابتدائي.

- الأنماط الخبرية "الإخباريات" إذا امتنع إجراؤها على أصل استعمالها تولّدت منها دلالات، وخرجت إلى عدّة معانٍ غير مباشرة" كالثناء، المدح، التحقيق، الترغيب، الوعيد... " وهي أفعال إنجازية غير مباشرة.

- تحصر القوى الإنجازية المباشرة للإخباريات في : الوصف، الإخبار، التقرير، بينما القوى الإنجازية المستلزمة فكانت : "المدح، الثناء، الترغيب، الترهيب....".

### 02. الطلبيات "التوجيهيات" " directives "

كما تمت الإشارة إليه من قبل، أنّ الطلبيات: الغرض منها حمل المخاطب على أداء عملٍ معين، فهي تضم كلّ الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغضّ النظر عن صيغتها ليتمثل غرضها الإنجازية في التأثير في المتكلّم ليفعل شيئاً أو ينجز شيئاً....<sup>1</sup>

إنّ الغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثّل في محاولة المتكلّم التأثير على المتلقّي ليفعل شيئاً ما، و يقوم بأداء عمل من الأعمال، و المسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم و القول هو المتلقّي(المخاطب)، و الشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقّي على أداء الفعل المطلوب كما يُعبّر عن ذلك "سيrol".

يضمّ هذا المجال في الحديث النبوي مجموعة كبيرة من الأفعال الإنجازية (و هي لبّ الدراسة) و التي تدرج في قوّتها الإنجازية باختلاف السلطة بين المتكلّم و المخاطب لتنجز من خلال منطوقات إنجازية مباشرة، أو من خلال منطوقات إنجازية غير مباشرة ،بناء على سياقات و مقامات مختلفة، و بذلك تتعدد الدلالات و الإنجازات للمنطق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطق ،والذي يحدد دالياً لا بالدلائل الموضوع له، و إنما بقصد المتكلّم و المقام، و يدخل في هذا الباب كلّ الجمل الطلبية سواء كانت: "استفهاماً، أمّ نهياً، أمّ أمرًا، أمّ نداء، أمّ عرضاً، أمّ تحضيضاً،...".

و قبل أن نقف عند هذه الأساليب في الحديث النبوي محدّدين الفعل الكلامي المباشر(الغرض الإنجازي المباشر و غير المباشر) حري أن نُوضّح مدلول:

أ- **الحمولة الإنجازية:** يقصد بها ما يواكب عبارة لغوية ما من قوى إنجازية. باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن ترد فيها هذه العبارة.

<sup>1</sup> - صلاح إسماعيل ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 233.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

بـ-قوّة إنجازية حرفية / قوّة إنجازية مستلزمـة:لتأمـل الجملـتين التـاليـتين :ج 1 : "من في هـذا الـبيـت"؟، ج 2: "هل تصاحبني إلى المسرح"؟. فـعند قـراءـة الجـملـتين تـداـولـيا نـجـدـ أن "ج 1" وـارـدةـ في مقـامـ تحـمـلـ فيهـ كـقـوةـ إـنـجـازـيةـ

مجـردـ سـؤـالـ، فيـ حينـ أـنـ الجـملـةـ "ج 2" مـقـصـودـ بـهاـ استـدـراـجـ المـخـاطـبـ إـلـىـ مـصـاحـبـةـ المـتكلـمـ إـلـىـ المـسـرـحـ لـذـلـكـ

-ـتـنـحـصـرـ حـمـولةـ الجـملـةـ الـأـوـلـيـ إـلـىـ إـنـجـازـيةـ فيـ مجـردـ قـوـقـاـهـ إـلـىـ إـنـجـازـيةـ الحـرـفـيـةـ "الـسـؤـالـ" "الـاسـتـفـاهـاـ"ـ،ـ فيـ حينـ أـنـ الجـملـةـ

الـثـانـيـةـ "ج 2" تـحـمـلـ إـضـافـةـ إـلـىـ السـؤـالـ قـوـةـ إـنـجـازـيةـ مـسـتـلزمـةـ مـقـامـيـاـ يـمـكـنـ اـعـتـبارـهـاـ التـمـاسـاـ..ـ.

-ـفـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـتـميـزـ بـيـنـ القـوـتـيـنـ إـلـىـ إـنـجـازـيـتـيـنـ الحـرـفـيـةـ وـ المـسـتـلزمـةـ مـقـامـيـاـ يـمـكـنـ إـبـرـادـ الفـرـقـيـنـ الـأـسـاسـيـنـ التـالـيـينـ:

أـ.ـ تـظـلـ القـوـةـ إـنـجـازـيةـ مـلـازـمـةـ لـلـعـبـارـةـ الـلـغـوـيـةـ فيـ مـخـتـلـفـ المـقـامـاتـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـرـدـ فـيـهـاـ،ـ أـمـاـ القـوـةـ إـنـجـازـيةـ

الـمـسـتـلزمـةـ فـهـيـ مـرـبـوـطـةـ مـقـامـيـاـ لـاـ يـتـمـ تـولـدـهـ إـلـاـ فـيـ طـبـقـاتـ مـقـامـيـةـ مـعـيـنـةـ،ـ مـثـالـ ذـلـكـ أـنـ "ج 2" يـمـكـنـ أـنـ

تـدـلـ فـيـ جـمـيعـ المـقـامـاتـ عـلـىـ السـؤـالـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ تـرـدـ حـامـلـةـ الـالـتـمـاسـ إـلـاـ بـمـقـتضـىـ شـرـوـطـ مـقـامـيـةـ.

بـ.ـ تـأـخـذـ القـوـةـ مـسـتـلزمـةـ نـتـيـجـةـ لـخـاصـيـةـ "؟ـ"ـ وـضـعـاـ ثـانـيـاـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ القـوـةـ حـرـفـيـةـ منـ خـالـ حـالـتـيـنـ اـثـنـيـنـ.

\*ـيمـكـنـ أـنـ تـلـغـيـ إـلـغـاءـ تـامـاـ،ـ كـمـاـ هوـ شـأنـ القـوـةـ "الـالـتـمـاسـ"ـ بـالـنـسـبـةـ لـلـجـملـةـ "ج 2"ـ،ـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـؤـولـ عـلـىـ

أـسـاسـ أـنـهـ دـالـةـ عـلـىـ السـؤـالـ المـحـضـ،ـ إـذـاـ وـرـدـتـ مـقـصـودـاـهـ بـهـ مـجـردـ الـاسـتـفـاسـ عـنـ إـمـكـانـ مـصـاحـبـةـ المـخـاطـبـ

المـتكلـمـ لـلـمـسـرـحـ.

\*ـلاـ نـتوـصـلـ إـلـىـ القـوـةـ مـسـتـلزمـةـ إـلـاـ عـبـرـ عـمـلـيـاتـ ذـهـنـيـةـ اـسـتـدـلـالـيـةـ تـنـافـوتـ مـنـ حـيـثـ الطـولـ وـ التـعـقـيدـ،ـ فيـ حينـ أـنـ

الـقـوـةـ حـرـفـيـةـ تـؤـخـذـ مـبـاشـرـةـ مـنـ صـيـغـةـ الـعـبـارـةـ ذـاـهـبـاـ،ـ مـثـالـ ذـلـكـ أـنـ القـوـةـ إـنـجـازـيةـ "الـسـؤـالـ"ـ فيـ الجـملـةـ (2)ـ دونـ

وـاسـطـةـ مـنـ خـالـ الـوـسـائـطـ الصـورـيـةـ "الـبـنـيـةـ السـطـحـيـةـ":ـ"أـدـأـ اـسـتـفـاهـمـ هـلـ+ـتـنـغـيـمـ؟ـ"ـ بـيـدـ أـنـ القـوـةـ مـسـتـلزمـةـ

"الـالـتـمـاسـ"ـ تـسـتـوجـبـ مـنـ الـمـخـاطـبـ الـقـيـامـ بـسـلـسـلـةـ مـنـ الـاـسـتـدـلـالـاتـ كـيـ يـسـتـنـجـ أـنـهـ مـقـصـودـ الـمـتكلـمـ".ـ

يـعـرـفـ "أـحـمـدـ الـمـتـوكـلـ"ـ القـوـةـ إـنـجـازـيةـ بـقـوـلـهـ:ـ"ـ وـ يـقـصـدـ بـالـقـوـةـ إـنـجـازـيةـ حـرـفـيـةـ الـقـوـةـ إـنـجـازـيةـ الـمـعـبـرـ عـنـهـاـ فـيـ الجـملـةـ

بـالـتـنـغـيـمـ أـوـ بـأـدـأـهـ الـاسـتـفـاهـمـ أـوـ بـصـيـغـةـ الـفـعـلـ،ـ أـوـ بـفـعـلـ مـنـ زـمـرـةـ الـأـفـعـالـ إـنـجـازـيةـ "سـأـلـ،ـقـالـ،ـوـعـدـ...ـ".ـ<sup>1</sup>

فـيـ حينـ عـرـفـ القـوـةـ إـنـجـازـيةـ مـسـتـلزمـةـ قـائـلـاـ:ـ وـ يـقـصـدـ بـالـقـوـةـ إـنـجـازـيةـ مـسـتـلزمـةـ:ـ الـقـوـةـ إـنـجـازـيةـ الـتـيـ تـسـتـلزمـهـاـ الجـملـةـ

فـيـ طـبـقـاتـ مـقـامـيـةـ مـعـيـنـةـ.ـ وـ نـوـضـحـ مـاـ سـبـقـ ذـكـرـهـ بـالـمـثـالـ التـالـيـ:ـ<sup>2</sup>ـ"ـهـلـ إـلـىـ خـرـوجـ مـنـ سـبـيلـ"ـ الـمـعـنـىـ الـصـرـيـحـ لـهـذـهـ

الـجـملـةـ مـُشـكـلـ مـنـ "ـمـحتـواـهـاـ الـقـضـوـيـ"ـ وـ "ـقـوـقـاـهـ إـنـجـازـيةـ"ـ،ـ فـالـمـحتـوىـ الـقـضـوـيـ نـاتـجـ عـنـ ضـمـ مـعـانـيـ مـكـونـاـهـاـ وـ هـيـ

الـرجـوعـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ مـرـةـ أـخـرىـ بـعـدـ الـمـوـتـ،ـ فـيـ حينـ كـانـتـ قـوـقـاـهـ إـنـجـازـيةـ حـرـفـيـةـ،ـ وـ الـمـؤـشـرـ

<sup>1</sup>ـ المـتـوكـلـ أـحـمـدـ،ـ درـاسـاتـ فـيـ نـحـوـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـوظـيفـيـ،ـ صـ:ـ106ـ

<sup>2</sup>ـ صـحـراـويـ مـسـعـودـ،ـ الـتـدـاوـلـيـةـ عـنـ الـعـلـمـاءـ الـعـربـ،ـ درـاسـةـ تـدـاوـلـيـةـ،ـ صـ:ـ35ـ

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

لها بالأدلة "هل: هي الاستفهام، و يكون بذلك:

. المعنى الصريح: المحتوى القضوي للجملة + القوة الإنجازية الحرفية.

. أمّا المعنى الضمني : لهذه الجملة، فيتألف من معندين جزئيين هما:

المعنى الغرفي : و هو الاقتضاء: أي اقتضاء حالم "الرجوع إلى الحياة الدنيا".

معنى حواري استلزامي: هي تبني المتكلمين من المخاطب (الله) في هذا المقام أن يردهم إلى الحياة الدنيا.

ليبقى الحديث عن دلالات القوة الإنجازية لا يخرج عن نطاق تداولية أفعال الكلام، فقوة المنطوق الإنجازية تعدّ جزءاً من بنيته الدلالية، وقد تم تحديد القوة الإنجازية للفعل الإنجازي على أنها: "الشدة أو الضعف اللذان يعبّر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معيّن، أيًا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة".<sup>1</sup>

لتتجلى القيمة الإنجازية للجمل عندما يؤدي استعمال فعل لغويٍ إلى حصول فعل إنجازيٍ معين، و هذا الفعل هو النتيجة البسيطة لدلالة هذه التعبيرات اللغوية دلالة طبيعية... كاجمل الاستفهامية التي تُعدّ جملة إنجازية سواء كان مصريحاً بفعلها الإنجازي ، أو لم يصرّح به، فالصيغة اللغوية لها قيمة إنجازية إذا كان استعمالها يؤدي إلى إنجاز فعل السؤال، أو لأنّها تملك "قوة تداولية" pragmatic force خاصة بها، على حدّ تعبير "ديكرو". فـ"القوة الإنجازية هي القيمة التي تعطي للأقوال عند الاستعمال ، مرادًّا بها فعل من الأفعال، إنّما نوع الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم عند التلفظ به في ظروف معينة".

"إن تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد حسب السياق الذي يراد فيه يجعل من الأفعال التوجيهية أو الطلبية تتعدد في هذا الباب لتشمل:

### أولاً . أسلوب الاستفهام:

إنّ اعتماد الأساليب الإنسانية الطلبية من أهمّ الخصائص التداولية البارزة في الحديث النبوي الشريف لأنّها تمنح حرية و جمالاً واسعاً للتعبير و الإقناع و التأثير، و أيضاً لأنّها تشغل حيزاً كبيراً في نظرية الأفعال الكلامية التي تمثل الجانب المادي في النظرية التداولية.

و لأنّ من أبرز ما يُوطّر العملية التواصلية هو إنجاز فعل ما، فالمتكلم إذ يتفوّه بملفوظ تراه ينجز فعلاً تتحدد طبيعته من خلال السياق الذي ورد فيه ، كما يرتبط الفعل الإنجازي بمقاصد المتكلم، وهذه المقاصد لها دور

<sup>1</sup>- الصرف علي محمود، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية و معجم سياقي، ص: 267.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

مركزي في نظرية الفعل الكلامي، لأنّه يكفي الفعل الكلامي لوحده، بل لا بدّ من توفر الفرق اللغوي أيضاً.<sup>1</sup> لذلك يرى "فان ديك" أنّ أفعال الكلام غرض رئيسي للتداولية، وفي حال تكلمنا فإننا نُنجز شيئاً ما، كما يرى بأنّ الأمر أكبر من مجرد التكلم، إذ أنّ استعمال اللغة ليس إنماز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي.<sup>2</sup>

يعدّ "الاستفهام" أحد الأساليب الإنسانية التي تدخل في باب علم المعاني، و هذا الأسلوب يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ سياقية مختلفة، كما يجعل ثراءه الدلالي واضحاً، و بذلك يتم فهم دلالته على عدة اعتبارات تدخل جميعها تحت مصطلح السياق، سواء كان لغويأ أو مقامياً، أو حتى لفظياً، من حيث البناء اللغوي بمستوياته الصوتية و الصرفية و التركيبية، لا سيما طريقة نطق الجمل<sup>3</sup>، و ظواهر التطريز الصوتي، المصاحبة لهذا النطق، و منها النبر، التنغيم، الفوائل الصوتية...).

أضف إلى ذلك دور السياق المقامي، لا سيما ما يمكن أن نسميه، "مكانة المرسل" أو "صاحب النص"، "مكانة المتلقى"، أو من يوجه إليهم النص أو الكلام، "مكانة النص نفسه" ، و كذا الظروف المحيطة بأسلوب الاستفهام والتي تتصل بالأسلوب و تساعده على فهمه، و بذلك تقارب هذا الأسلوب تداولياً من خلال:

- معرفة طريقة النظم أو الصياغة التي صيغ بها أسلوب الاستفهام.

- الإلمام الشامل بالسياق الكلّي للاستفهام: أي سياق الحديث و علاقـة الرسـول "ص" بالـمسؤول، و طـريـقة نـطقـه "ص" لـلاـستـفهمـ، الـظـروفـ وـالـمـلـابـسـاتـ الـتـيـ أـلـقـيـ فـيـهـاـ أـسـلـوبـ الـاسـتـفهمـ.

- الوقوف على مكانة "النص" باعتباره نصاً مقدساً بعد القرآن الكريم ، و باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي...، فكيف كان الاستفهام النبوي؟ كيف وُظِّف الاستفهام لتأدية ما أريد التعبير عنه من معانٍ ودلائل؟ وما الأغراض المتوجحة من وراء الاستفهام؟.

- ما القوى الإنحازية المختلفة في أسلوب الاستفهام؟ وما المواطن التي كان فيها الاستفهام مباشراً، و ما المواطن التي خرج فيها الاستفهام إلى قوة إنحازية مستلزمـةـ مقـاماـ؟...

<sup>1</sup> - نخلة أحمد محمود، آفاق البحث اللغوي المعاصر، ص: 54

<sup>2</sup> - فان ديك، النص و السياق، ص: 277.

<sup>3</sup> - حبلص محمد يوسف ،البحث الدلالي عند الأصوليين، عالم الكتب، القاهرة، ط 1991، 01، ص: 31 .

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

### 1 . الفعل الكلامي المباشر: "الاستفهام الحقيقي":

وردت في بعض أحاديث الرسول "ص" أحاديث كان فيها الاستفهام حقيقياً، وهو الاستفهام الذي يقصد به طلب معرفة أمر تجهله، كما عبر عن ذلك (ابن فارس): "إن الاستفهام نوعان: الأول قائم على الأصل اللغوي، وهو الاستفهام الحقيقي و الذي يكون ظاهره موافقاً لباطنه، كـسؤالنا عما لا نعلم، فنقول: ما عندك؟ ومن رأيت؟، و الثاني الاستفهام المجازي، و أشار إلى خروجه عن الأصل اللغوي إلى معانٍ مجazية، و هذه المعانٍ كثيرة أطال في استقصائها حتى أوصلها إلى خمسة عشر معنى".<sup>1</sup>

و من أمثلة الاستفهام الحقيقي عن أبي حمزة قال: كت أقعد مع ابن عباس: يجلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إنّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي "ص" قال: "مَنِ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟" قالوا: ربعة، قال: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ حَزَارِيَا وَ لَا نَدَامِي".<sup>2</sup>

الحديث أورده البخاري في باب تعليم الوفد القادم من حي ربعة يسألون رسول الله "ص" عن أمور دينهم و دنياهم، تضمن لهم دخول الجنة و يخبرون أقوامهم إذا رجعوا إليهم. ليظهر:

- **الفعل الكلامي:** "مَنِ الْوَفْدُ؟" "مَنِ الْقَوْمُ؟" ، ويتحسّد في فعل السؤال الذي تستدل عليه بحرف الاستفهام "من".

\*\***الفعل الدلالي:** المكون من القضية التي جاء من أجلها الوفد مساء لـ "ص" جعله يستفهم لعدم علمه بهم.

\*\***الفعل الإنجازي:** يتمثل في جملة الاستفهام، "من الوفد؟" و التي تتكون حمولتها الدلالية من:

. **قوّة إنجازية حرفية:** تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة "من" + (التنعيم).+؟.

. **قوّة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في الاستفسار، لأنّ الرسول "ص" يجهل حقيقة الوفد، و بذلك يستفسر عنه ولعلّ الاستفسار هو الذي كان سبباً في شرح مراد أسئلة الوفد فيما بعد (يراجع تتمة الحديث)، و الذي وضح من خلاله الرسول "ص" ما يجب القيام به ، و ما يجب تركه، ليظهر فعل إنجازي آخر في قول الرسول "ص": "أتدرؤن ما الإيمان بالله وحده؟" قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و أنّ تُعطُوا من المغْنِم الْخُمُس". (تتمة الحديث).

إنّ جهل الوفد بالأمر الفصل الذي يدخل الجنة، و يخبرون به القوم من ورائهم جعلهم يسألون الرسول "ص"

<sup>1</sup> - ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص: 289.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 53، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج 01، ص: 29.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

حتى عن طعامهم وشرابهم ، (كما في نص الحديث الطويل) طلبا للاستفسار، بدليل "قرينة السياق" الله ورسوله أعلم، فيكون الفعل الكلامي: "أتدرؤن ما الإيمان بالله وحده" مُتوكّنا من:

\*\* **فعل دلالي**: يتمثل في القضية التي يريد لها رسول الله "ص" من وراء تحديد الأوامر و النواهي التي تختتمدخول الجنة.

\*\* **فعل إنجازي**: يتكون من الجملة الاستفهامية: لوجود الأداة: "الممزة" + جملة الاستفهام، و التي تتكون من: . قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام : "أتدرؤن؟".

. **قوّة إنجازية مستلزمة**: الممثلة في "الاستفسار" المصاحب بعنصر التشويف الذي رسم من خلاله رسول الله "ص" معالم سؤاله، و حثّهم على الاحتفاظ بأوامره و نواهيه، وختم بها حديثه "أحفظوهن، و أخبروا بهن من ورائكم". (تمة الحديث).

فلنلاحظ من خلال النموذجين تطابق القوّة الإنجازية الحرفية المتمثلة في الاستفهام مع القوّة الإنجازية المستلزمة "الاستفسار" ، لأنّ السياق يقضي التطلع إلى معرفة المجهول و الرغبة فيه، علما أنّ الفعل الإسنادي للنموذج الأول يتكون من الجملة الاسمية "مبتدأ و خبر" "من الوفد": خبر مقدم (اسم الاستفهام ، ومبتدأ مؤخر معرفة) أمّا الثاني فصدر بمحنة الاستفهام لا محل لها من الإعراب "أتدرؤن..." ، بعدها "مضارع" يفيد التجدد، مرفوع بشبوت النون.. و موضوعه (فاعله) واو الجماعة التي يقصد بها رسول الله "ص" القوم الوافدين.

و مما يعكس أبرز ما يُميّز أسلوب الاستفهام و هو قدرته العالية على تبييه النفس و إثارة الذهن و استعماله المخاطب للنظر و التدبر و التأمل ، و لعلّ منشأ ذلك أنّ الاستفهام أصلاً يصدر عن نفس ثائرة راغبةٍ حريصة في طلب الفهم و المعرفة، فيخرج الاستفهام ، ليثير الوجдан و ينبع الأذهان ، " فهو يُهيئ النفس للتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر و مشاعر و صور هي التي جاشت في نفس مُلقيه...".<sup>1</sup>

\* أورد الإمام النووي في "رياض الصالحين" في باب: التعاون على البر و التقوى: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ "ص" لَقِيَ رَكْبًا "بِالرَّوْحَاءِ" مَكَانًا قَرَبَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ "فَقَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ. "قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟" قَالَ: "رَسُولُ اللَّهِ." فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيبًا فَقَالَتْ: أَلَهَ دَأَ حَجَّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَ لِكِ أَجْرٌ".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط2/1408 هـ ، ص:244، بتصريف.

<sup>2</sup> - النووي أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، تج:عبد العزيز رياح ، دار السلام،الرياض،1991،ص:91.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الحديث صورة من صور حوار الرسول مع صحابي التقى بهم بالروحاء... صيغة جهل كل طرف في الحوار بالآخر ، مما جعل الاستفهام كفيلا لتهيئة النفس و ما يجيش فيها من خواطر طلبا للتعلّم و الفهم، فكان سؤال الرسول "ص" "من القوم" ؟ استفهاماً بغض الاستفسار ، بدليل إجابة القوم "المسلمون" ، مما يعكس عدم معرفة النبي "ص" لحقيقة القوم ، وعدم العلم بهم، لترسم معاً فعل كلامي آخر في صورة استفهام: "من أنت" ، فأجاب الرسول "ص": "رسول الله" لجهل القوم بمعرفة سابقة له، فيحمل الفعل الكلامي تداوilyا على وجود:

\*\***فعل دلالي:** يتمثل في القضية المهمة في السؤالين و المتمثلة في جهل كل طرف للآخر، و سعيه إلى معرفته.

\*\***فعل إنجازية:** يتكون من الجملة الاستفهمية: "من القوم" ، "من أنت؟" بوجود أدلة الاستفهام "من للعقل" وتشكل حمولتها الدلالية من:

. قوة إنجازية حرفية: الاستفهام .(أداة + جملة الاستفهام +?)

. قوة إنجازية مستلزمة: تمثل في "الاستفسار" ، و هو الغرض المتونجي، لأن الاستفهام حقيقي، يعكس جهل المتكلم بما يسأل عنه، أما الفعل الاسنادي لهذا الفعل الكلامي فهو الجملة الاسمية المكونة من الخبر "اسم الاستفهام من" ، و المبتدأ"ال القوم، أنت" ، إذ يُحيط الأول إلى الوفد الذي لاقى الرسول "ص" بالروحاء" ، و الثاني: إلى رسول الله "ص" المعبر عنه بالضمير المنفصل "أنت" ، ليعكس الاستفهام أخيراً تطابق القوة الإنجازية الحرفية مع القوى الانجازية المستلزمة في فعل كلامي مباشر هو الاستفهام.

\* في كتاب المغاري في غزوة بدر و خيبر، خرج الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي "ص" و ساروا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هندياتك؟ و كان عامر رجلاً شاعراً حذاء، فنزل يحدو بالقوم ويقول:  
اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهتَدِينَا \* وَ لَا تَصْدِقُنَا وَ لَا صَلَّيْنَا

فاغفر فداء لك ما اتقينا \* و ثبت الأقدام إن لاقينا

فقال الرسول "ص" من هذا السائق؟ ، قالوا: "عامر بن الأكوع" ، قال: "يرحمه الله.." .<sup>1</sup>

يتجلّى الفعل الكلامي في أسلوب الاستفهام: "من هذا السائق؟" ، سؤال أو استفهام من عند رسول الله "ص" يسأل من خلاله عن حادثي القوم في غزوة خيبر؟ حين استمع إلى "هنديات" الصحابي، لأنها كانت هذه هي عاداتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير، فينزل بعضهم يسوقها، و يحدو في تلك الحال.<sup>2</sup> ، فالفعل الكلامي: "من هذا السائق؟" يتكون من:

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 3960، كتاب المغاري، باب غزوة خيبر، ج 04، ص: 1537.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، حديث رقم: 4196، ج 07، ص: 535 .

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

\*\* **فعل إسنادي:** في شكل جملة اسمية مصدره بالأداة "من" للعاقل(خبر مقدم) ، و اسم الإشارة مع بدله "موضوع للخبر المقدم (مبتدأ مؤخر)". ليحيل هذا الفعل الكلامي إلى استفسار رسول "ص" عن السائق الذي كان يحدو الإبل و يتحتها على السير حين نزلوا ديار "خبير" ، و هي القضية الدلالية لمدلول"من السائق" ، و التي أراد من خلالها الرسول "ص" الاستفسار عن صاحب الحداء رضي الله عنه ، حتى دعا له بالرحمة و في رواية بالمغفرة "يرحمك الله، غفر لك ربُّك" ، و ما استغفر رسول الله "ص" لإنسان يخصه إلا استشهاده.<sup>1</sup> ، جعلت رجلاً من القوم يعقب : وجبت يا نبي الله (تمة الحديث).

\*\* **فعل إنجازي:** يتكون من الجملة الاستفهامية، من هذا السائق؟ و تشكل حمولتها الدلالية من: . قوّة إنجازية حرافية: الاستفهام الحقيقي. (الأداة+ جملة الاستفهام+?).

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "الاستفسار" ، فكان التطابق واضحًا بين القوّة الإنجازية للفعل الكلامي مع معناه الحرفي ، لأن الرسول "ص" يجهل من الحادي" ، و قد يكون سبب "الجهل" ما ارتبط بالفعل الكلامي من دلائل للسياق "مشيا ليلاً" من جهة ، و اشتغال الرسول "ص" بأعدائه في غزوة خمير من حصار، و إشعال نار،... و غيرها من جهة أخرى.

#### 2. الفعل الكلامي غير المباشر"الاستفهام المجازي" :

يكون الاستفهام حقيقياً مباشراً بشروط معدّة للاستفهام، تتمثل هذه الشروط في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالباً العلم به، و هذا هو المقصود بإجراء الاستفهام على أصله، الذي هو الاستخبار و طلب العلم، فيكون فعلاً كلامياً مباشراً ، و هذا في أقل الحالات، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار و طلب العلم خرج عن غرضه الأصلي إلى أغراضٍ تواصليةٍ فرضتها المقامات التي ورد فيها الاستفهام ، و امتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعى غير مباشر، و من أبرز هذه المعاني: "التقرير، النفي ، الإنكار ، التعجب، التشويق، التحضيض، و غيرها...".

ولعل السبب في خروج الاستفهام عن الأصل في أحاديث المصطفى "ص" يرجع إلى أنّ: "الاستفهام أكثر أساليب الكلام تعبيراً عن المعاني في المواقف و المواطن التي يراد بها التأثير في الناس، و تحييجة مشاعرهم، و إلهاب أحاسيسهم، و صولاً إلى استعمالتهم إلى صفات الإيمان، و حملاً على التزام أحكام الله، و دعا لهم عن الوقوع في

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

محارمه، و لذلك كان رسول الله "ص" يستعمل الاستفهام ليكمن في نفوسهم المعاني التي يريدها من وراء دعوته للناس ، و من المعاني التي يمكن للاستفهام أن يؤديها بصيغ غير مباشرة.

### أ. التقرير:

يدخل التقرير في طلب الإقرار بمضمون الكلام و حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده، "حتى لكانّ مضمون الكلام المراد تقريره أصبح عند المخاطب مستقراً ثابتاً، فتقرير الإنسان الشيء: جعله في قراره، و قررتُ عنده الخبر حتى استقر، و يقال: أقررت الكلام لفلان إقراراً، أي يبنّته حتى عرفه...".<sup>1</sup> ، و أصل مادة "قرر" دائرة على دلالة الاستقرار ، فنقول: قرّة و أقرّة في مكانه فاستقرّ<sup>2</sup> ، و منه أخذ معنى "التقرير" فهو طلب السائل من المسؤول أن يقرّ بثبوّت أو نفي مضمون الاستفهام، و يعترف به اعترافاً مستقراً، يشبه استقرار الماء في الأرض، بحيث لا يتّأتأي للسامع أو المسؤول بعد الإنكار، لذلك عرقه أهل البلاغة بأنه: "استفهام غايته حمل السامع على الإقرار".<sup>3</sup> و الاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوّته أو نفيه.

و من المواطن التي تونّح فيها الرسول "ص" التقرير في بعض استعمالاته لأسلوب الاستفهام: عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله "ص" يوم حنين، قسم في الناس المؤلفة قلوبهم ، و لم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا (حزناً) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: "يا معاشر الأنصار: ألم أجدكم ضاللاً فهذاكم الله بي، و كُنْتُمْ مُتَفَرِّقينَ فَالْفَكُمُ اللَّهُ بِي، و كُنْتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي..."، كلّما قال شيئاً قالوا: الله و رسوله أمن.<sup>4</sup>

يعكس الحديث موطننا من مواطن تعامل الرسول "ص" مع أصحابه من الأنصار في غزوة "حنين" .. بعد تقسيم الغنائم.. لكن حزّهم كان بادياً إذ لم يصبهم ما أصاب المؤلفة قلوبهم... فجمعهم الرسول "ص" بعد أن بلغه صنيعهم ، و خطب فيهم ما تم ذكره من نص الحديث.

اشتمل الحديث على فعل كلامي: "يا معاشر الأنصار": "ألم أجدكم ضاللاً؟" ، "كُنْتُمْ مُتَفَرِّقينَ.. و عالة فَأَغْنَاكُم الله بي؟ و لأنّ المقام مقام عتاب ولو على صنيعهم ، إلا أنه أراد أن يقرّرهم بفضل الله عز وجل عليهم بسببه، فاشتمل الفعل الكلامي على:

<sup>1</sup>- ابن منظور: لسان العرب، مادة "ق. ب. ر." .

<sup>2</sup>- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>- الزناد الأزهر ، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي ، ط، 1992، ص: 112.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم: 4075 ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف، ج 4 ، ص: 1574.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

\*\* فعل دلالي: مضمونه القضية التي أراد الرسول "ص" تذكير القوم بها إقراراً بفضل الله ورسوله على الأنصار بهذا الفضل في قوله: "الله و رسوله أمن".

\*\* فعل إنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام المصدرة بأسلوب النداء للتبني، و التي تتكون حمولتها الدلالية من: قوّة إنجازية حرفية: يمثلها الاستفهام: "ألم أجدكم ضللاً فهذاكم الله بي...".

. قوّة إنجازية مستلزمة: تمثل في التقرير، المتونخي من مراد الاستفهام بطريقة غير مباشرة ، حين اختار الرسول "ص" المعاني المستفهم عنها و الترتيب فيما بينها لكونها من أعظم التعم التي حصلت للأنصار ببركة الرسول "ص" عليهم، و فيها يقول "ابن حجر": رَبِّ الرَّسُولَ "ص" مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ يَدِهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرَبَّىٰ بِالْغَاءِهِ، فَبِدَا بِنِعْمَةِ الإِيمَانِ الَّتِي لَا يَوْازِيْهَا شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِ الدُّنْيَا" ضللاً، هداكم" ، و ثالثة بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال" متفرقين = فألفكم" ، "عاله = فأغناكم" ، لأنّ الأموال تبدل في تحصيلها و قد لا تحصل، و قد كان الأنصار قبل الهجرة في غاية التناحر و التقاطع مما وقع بينهم من حرب بُعَاثٍ و غيرها... فزال ذلك كله بالإسلام...".<sup>1</sup> ، و ذلك بهدف واحد هو التقرير، لتجسيد خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر ضمني نفهمه من السياق بدليل سكوت الأنصار من جهة، وردّهم: "الله و رسوله أمن" ، اقرار واعتراف بفضل الرسول "ص" عليهم بفضل الإسلام من جهة أخرى.

\* في موقف دعوته "ص" قومه، و في مرحلة: "و انذر عشيرتك الأقربين". خرج رسول الله "ص"، فقام على الصفا، و قال في القوم كما رواه ابن عباس رضي الله عنه : "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ثُرِيدًا أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدْقًا، قال: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ".<sup>2</sup>

حديث أورد البخاري في باب تفسير " و انذر عشيرتك الأقربين" يعكس تعامل الرسول "ص" مع قومه في نشر دعوته، فسؤاله "ص" بعد أن قام في الناس خطيباً يدرك من خلاله يقيناً قبل أن يسألهم "أنه" يعلم حاله معهم وحالهم معه، لكنه أراد أن يُقرّ حقيقة صدقه عندهم" حين أراد أن يجهز بدعوته التي تختلف ما هم عليه من الشرك و الكفر، و هذه هي حقيقة الفعل الكلامي: "أكتتم مصدقي؟" ، و ما تحمله من فحوى و مضمون حديث الرسول "ص" إلى قومه، ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلاً إنجازياً يتمثل في جملة الاستفهام "أكتتم مصدقي"؟ المصدرة بالهمزة التي يراد بها التصور و التصديق، و الذي تتكون حمولته الدلالية من:

<sup>1</sup>- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 8، ص: 60.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 4492، كتاب التفسير، باب و انذر عشيرتك الأقربين. ج 4، ص: 1878.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قوّة إنجازية حرفية: استفهام: "أَ+ كُتُم مُصْدَقٍ +؟".

. قوّة إنجازية مستلزمة: و المتمثلة في التقرير، و هو الهدف الذي أراده الرسول "ص" من إقراره و تثبيته أمام قومه حين جمعهم، لأنّه لا يستفهم عن شيء مجهول، بل اتّخذ التقرير مطيّةً من وراء الاستفهام لتكون مدخلاً إلى دعوّتهم و إنذارهم مؤكّداً ذلك: "إِنِّي نذير لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ" قال "ابن حجر": أراد بذلك تقريرهم بأئمّهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب<sup>1</sup>. ليظهر مرة أخرى خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى المعنى الضمني، مما يعكس عدم التطابق بين القوّة الانجازية الحرفية ، و القوّة الانجازية المستلزمة مقامياً.

### ب . النّفي :

إنّ مدلولَ كلمة "النّفي" في معاجم اللغة تدور كثيراً حول الطرد و الإبعاد، فتقول العرب: نفيت الرجل و غيره أنفيه نفياً : إذا طرده... و نفي الشيء نفياً: جَحَدَهُ، و في الحديث : المدينة كالكبير تنفي خبثها.. "أَيْ تُخْرُجُهُ عَنْهَا".<sup>2</sup> يأتي هذا المعنى اللغوّي للنّفي وارداً كذلك في أسلوب الاستفهام، لأنّ المستفهم الذي يقصد من وراء استفهامه النّفي يتطلّب من المسؤول أن يستبعد نقىض النّفي و هو الإثبات، بل عليه أن يُقرّ بالسلب، أي سلب مضمون الحكم الذي تضمنه الاستفهام ، و شرط دلالة الاستفهام على النّفي أن يصح حلول أدلة النّفي محلّ أدلة الاستفهام.<sup>3</sup>

فكثيراً ما يخرج الاستفهام إلى النّفي في الكلام النبوي لأنّ أسلوب الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تنكير، و لما كان المسؤول يحيّب بعد تفكير و رؤية من هذه المسألة بالنّفي كان في توجيه السؤال إليه حملأ له على الإقرار بهذا النّفي، و هو أفضل من النّفي ابتداء...<sup>4</sup>، و من مواطن هذا الغرض الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَيْنَ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ ذَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ ذَرَنِهِ شَيْءٌ، قال: فَذَلِكَ مِثْلُ الصلواتِ الخمسِ يَعْلَمُ اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج 08، ص: 588.

<sup>2</sup>-ابن منظور، لسان العرب، مادة "نفي" ،

<sup>3</sup>-عرفة عبد العزيز عبد المعطي ، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط 1984، ص 02، 124.

<sup>4</sup>-لاشين عبد الفتاح ، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، مصر، ط 1976، 01، ص: 159.

<sup>5</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 505، كتاب مواقف الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة ، ج 01، ص: 198.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

نموذج من نماذج الاستفهام أورده البخاري في باب الصلوات الخمس كفاراة، فيه بيان أن المرأة كما يت遁س بالأقدار المحسوسة في بدنها و ثيابه و يطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهّر العديد من أقدار الذنوب حتى لا تُبقى له ذنبًا إلا سقطته، و هذا مضمون الفعل الدلالي لهذا الفعل الكلامي.

ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام: "هل يبقى من درنه شيء؟" ، مصدر بحرف الاستفهام "هل" الداخلة على الفعل المضارع القابل للتجديف ، و الدال على المبالغة في نفي الذنوب، لأن جواب الصحابة لم يقتصر في الجواب على "لا" ، بل أعاد اللفظة تأكيدا بجواب منفي يبيّن حقيقة الفعل الاستنادي" . لتكون حمولة الفعل الكلامي الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: "استفهام" هل + يبقى من درنه شيء +؟ .

. قوّة إنجازية مستلزمـة: وهي النفي، قال "ابن حجر": هو استفهام تقريرٍ متعلّق بالاستخبار، أي أخبروني هل يبقى...؟<sup>1</sup> ، وكانقصد من الاستفهام هو "التقرير" و إنما آثر الرسول "ص" التعبير عنه بأسلوب الاستفهام حنّا لهم على التفكير و التدبر في أثر الوضوء و الصلوات الخمس...و قد قصد الرسول "ص" بالذرن المنفي بقاوته قد يكون ماديا فيكون الأمر خاصا بالتفكير في آثار الوضوء، و قد يكون معنويا و المراد به الذنوب التي يغسلها الوضوء و تمحوها الصلاة، لذلك عقب "ص" على إقرارهم "بالنفي" بقوله: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بمن الخطايا".

و لعل السر في عدول الرسول "ص" بالاحتياز إلى أسلوب الاستفهام عن النفي الصريح، أن النفي الصريح حكم قد يقصدونه، و يجوز عدم تصديقه، و قد لا يأبه له الصحابة، لكن إقرارهم هم بنفيه فيه مزيد من التذكير لهم، و هو واقع في نفوسهم و أبلغ من أن يُعبّر عنه بالنفي الصريح، و هو الدليل على عدم تطابق القوّة الإنجازية الحرفية مع الإنجازية المستلزمـة للاستفهام ، خروج الاستفهام من معناه الحقيقي.

\*نموذج آخر للاستفهام المنفي ما أورده الرسول "ص" حكاية عن ربه في حديث سالم بن عبد الله بن أبيه أنه أخبره: أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "إِنَّمَا بَقَائُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِّنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَةِ الْعَصِيرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِirاطاً، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ إِلَيْنَا فَعَمِلُوا إِلَى صَلَةِ الْعَصِيرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِirاطاً، ثُمَّ أُوتِيَنَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطِيَنَا قِirاطِينِ قِirاطِينِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هُؤُلَاءِ قِirاطِينِ وَأَعْطَيْتَنَا

<sup>1</sup> - العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري: ج 02، ص: 15.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

قِيراطاً قِيراطاً، وَ نَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَجَالاً؟، قال: "قال الله عز وجل "هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئاً؟، قالوا: لا، قال: "هُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءْ".<sup>1</sup>

\*نموذج من نماذج حديث رسول الله "ص" عن رب العزة، أورده في بيان الرد على اعتراض اليهود و النصارى، هل ظلموا من حقهم شيئاً؟ ، في أن يعمل اليهود إلى نصف النهار و النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر، و يعمل المسلمون من صلاة العصر إلى صلاة المغرب على ضعف أجر ما لكل فريق منهم، فكان الرد منهم: "نحن أكثر عملا و أقل عطاء"، قال الله: "هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟" قالوا: لا، قال: "فإنه فضلي أعطيه من شئت". فتعكس البنية الدلالية للاستفهام أن الله عز و جل أراد أن يقررهم بتنفي الظلم عنهم بدليل إيجابتهم بـ "لا". و ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام "هل ظلمتكم" مصدرة بحرف الاستفهام "هل" ، و تكون حمولتها الدلالية من: قوة إنجازية حرفية:استفهام "هل+ ظلمتكم+؟".

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في النفي، لأن السياق يوضح أن الله عز و جل أراد أن يقررهم بتنفي الظلم عنهم بدليل الإجابة بـ "لا" ، و بدليل صحة حلول "ما" النافية مكان حرف الاستفهام: "هل" لتجلى بلاغته في سر اختياره الاستفهام أسلوبا للتعبير و استبعاد أسلوب النفي الصريح. كون اليهود و النصارى اعتبروا على تفضيل أمّة محمد "ص" بالأجر مرتبين ، كان الأوقع أن يقرروا هم على أنفسهم بالنفي، و هذا أبلغ من التعبير بالنفي الصريح، و هو ما يعكسه عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية (الاستفهام) مع قوتها المستلزمة (النفي).

و لعل العبرة من الحديث أن فضل الله الذي أقام به عمل ربع النهار مقام عمل النهار كله هو الذي اقتضى أن يقوم إدراك الركعة الواحدة من الصلاة الرباعية التي هي العصر، مقام إدراك الأربع في الوقت، فاشتركت في كون كلّ منها ربع العمل، و حصل بهذا التقرير الجواب عمن استشكل وقوع الجميع ، مع أن الأكثر إنما وقع خارج الوقت، فيقال في هذا ما أجيبي به أهل الكتابين "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...".<sup>2</sup>

### ج. التسويق:

إن النفس الإنسانية كثيرا ما تستجيب للإشارة غالبا، فتهيج المشاعر و تتحرك ، لأن الإثارة: من ثار الشيء ثورا و ثورانا، يعني حاج، و يقال ثارت نفسه، جاشت ، و التسويق من مادة "الشوق" التي تعني نزع النفس إلى شيء، و الشوق حركة الموى ، و يقال: شق ، إذا أمرته أن يشوق إنسانا إلى الآخرة، و شاقني شوقا : شوقي: يعني : هاجني

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 532، كتاب موافقة الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر ، ج 01، ص: 204.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن الحجر:فتح الباري، ج 02، ص: 48.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

، فتشوّقت، إذا هيج شوقك...<sup>1</sup>. لتلتقي الإثارة و التشوّيق في توجيه السامع أو المتلقي إلى الانتباه، بتحريك مشاعره نحو أمرٍ محظوظ يرغب فيه السائل ، بقصد استعماله نحو ما سيلقيه إليه بعد الاستفهام، لذلـك عمد الرسول "ص" إلى استخدام "الحوار" والتحفيز والتـشوـيق إلى ما بعده، في أسلوب: "الاستفهام التـشوـيقـي" ، من حال:

- أن يستفهمـ الرسول "ص" عن الشيء الذي لا يـعرفـه الصحابة تـشوـيقـاً إلى معرفـته و التـسـاؤـلـ عنه.
  - أن يـسـأـلـ النبي "ص" الصحابةـ عن الشيءـ المـعـلـومـ دـلـالـتـهـ عـنـهـمـ ليـضـيـفـ إـلـيـهـ دـلـالـةـ جـدـيـدةـ،ـ وـ هيـ أـوـلـىـ منـ الدـلـالـةـ المـعـهـودـةـ،ـ وـ يـشـعـرـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ أـنـ النـبـيـ "صـ"ـ سـيـضـيـفـ شـيـئـاـ،ـ لـذـاـ تـراـهـمـ يـجـتـرـسـونـ فيـ الجـوابـ.
  - أن يستثيرـ النبيـ "صـ"ـ رـغـبـةـ الصـحـابـةـ فـيـ التـعـلـمـ وـ المـعـرـفـةـ حـينـ يـسـتـفـهـمـ عـنـ تـرـكـ إـخـبـارـهـ بـالـعـلـمـ.
- لـذـلـكـ كـثـرـتـ مواـطنـ الاستـفـهـامـ التـشوـيقـيـ فـيـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ الشـرـيفـ بـصـورـ دـخـولـ هـمـزةـ الـاسـتـفـهـامـ "أـ"ـ عـلـىـ "لـاـ"
- لـتـعـطـيـ معـنـيـ الـاسـتـفـاتـاحـ وـ التـنبـيـهـ "أـلـاـ"ـ فـيـ مواـطنـ عـدـدـةـ مـنـ الـأـدـبـ الـنـبـوـيـ مـنـهـاـ:

عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن ملك يقول: قال رسول الله "ص": "ألا أخبركم بخير دور الأنصار"، قالوا: بل يا رسول الله، قال: "بَنُو النَّجَارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَرْجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالَّا مِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "وَ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ".<sup>2</sup>

كثيراً ما ورد هذا النوع من الاستفهام في الحديث النبوي الشريف مصدرـاـ بـهـمـزةـ الاستـفـهـامـ الدـاخـلـةـ عـلـىـ "لـاـ"ـ،ـ التيـ تـفـيدـ التـنبـيـهـ وـ التـشوـيقـ وـ الـاسـتـفـاتـاحـ حـسـبـ المـقـامـ "أـلـاـ أـخـبـرـكـ"ـ،ـ المـتـضـمـنـ فـعـلـاـ دـلـالـيـاـ يـعـكـسـ معـنـاهـ "الـقـضـوـيـ"

إـبرـازـ الرـسـوـلـ "صـ"ـ مـكـانـةـ الـأـنـصـارـ عـنـهـ،ـ لـاـ سـيـماـ وـ هـمـ الـذـينـ نـصـرـوهـ وـ آـوـوهـ حـينـ هـاجـرـ إـلـيـهـمـ فـخـاطـبـ الرـسـوـلـ

"صـ"ـ فـيـهـمـ نـفـوسـهـمـ الـلـيـنـةـ وـ قـلـوـهـمـ الـرـقـيـقـةـ لـإـدـرـاكـهـ "صـ"ـ هـذـهـ السـمـةـ فـيـهـمـ مـرـاعـيـاـ حـقـهـمـ وـمـعـتـرـفـاـ بـتـأـيـيـدـهـمـ لـهـ،ـ وـ

نـصـرـهـمـ دـيـنـهـ،ـ بـأـسـلـوـبـ الـاسـتـفـهـامـ "أـلـاـ أـخـبـرـكـ...ـ"ـ،ـ وـ هـوـ الـفـعـلـ الـكـلـامـيـ الـذـيـ مـهـدـ إـلـىـ شـوـقـ الـأـنـصـارـ عـامـهـمـ

إـلـىـ مـعـرـفـةـ الدـارـ الـتـيـ نـالـتـ الـخـيـرـ دـوـنـ غـيرـهـاـ مـنـ دـورـ الـأـنـصـارـ،ـ لـتـكـوـنـ حـمـولـتـهـ الدـلـالـيـةـ مـنـ:

ـ قـوـةـ إـنـجـازـيـةـ حـرـفـيـةـ:ـ تـتـمـثـلـ فـيـ الـاسـتـفـهـامـ:ـ "أـلـاـ +ـ أـخـبـرـكـ +ـ ؟ـ"ـ.

<sup>1</sup>- ابن منظور: لسان العرب، مادة: ثور، شوق.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 3579 ، كتاب، فضائل الصحابة ، باب ، فضل دور الأنصار ، ج 3 ، ص: 1380.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. **قوة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في التشويق الذي أراده الرسول "ص" من الاستفهام ، و الذي انعكس في تلهفهم شوقا لمعرفة المراد منه، بدليل الإجابة بحرف الجواب، "بلى" رغبة منهم وشوقا لمعرفة ما أراده الرسول "ص" من سؤاله.

و قد آثر الرسول "ص" أسلوب الاستفهام للتعبير عن هذه المعاني بدلا من الخبر مثلا: "خير دور الانصار كذا و كذا..." لأنّ مقام الإثارة و التشويق بلغ حدّه حين استوى الرسول "ص" على نفوس جميع سامعيه، كما أن الخبر قد لا تتحقق معه هذه الغاية، إضافة إلى أنّ صيغة الاستفهام فيها جذب للاهتمام، فإذا اجتمع جذب الانتباه مع التشويق فقد بلغت الإثارة غايتها، و هذه هي الغاية من سؤاله "ص" ، ليتحلى في هذا النموذج عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية مع المستلزمة مقاميا بدليل أنّ الرسول "ص" لا يستفهم عن شيء يجهله، و إنما استفهم شوقا مُرغبا في مضمون السؤال و الاستفهام.

\* عن أبي هريرة، قال:..... قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات و النعيم المقيم، قال : كيف ذلك؟ قالوا: صَلَوْا كَمَا صَلَيْنَا، وَ جَاهَدُوا كَمَا جَاهَدُنَا، وَ أَنْفَقُوا مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، وَ لَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ، قال: أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ تَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ، وَ لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِّثْلِ مَا جَئْنُوكُمْ بِهِ إِلَّا مِنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ " تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَ تُحْمِدُونَ عَشْرًا وَ تُكَبِّرُونَ عَشْرًا.. ".<sup>1</sup>

نموذج من استفهام الفقراء من المسلمين حين أتوا النبي "ص" ورأوا ما حصله الأغنياء من درجات و نعيم مقيم.. بفضل أموالهم.. فرأى الرسول "ص" "شكواهم إليه" ، فخاطب فيهم عواطفهم و نفوسهم تشويقا و ترغيبا، لأنّهم رأوا استثنار الأغنياء بالثواب رغم اجتماعهم معهم في العبادات من صلاة و جهاد و صيام و غيرها، إلا أنّهم تميزوا بالصدقات من مفضول أموالهم، فتلهمت أنفسهم إلى معرفة ما العمل الذي يجعلهم يتميزون عنهم به، بل يسبقونهم، و من لا تميل نفسه إلى هذا الخير....

كان ذلك هو **الفعل الدلالي** لمضمون الاستفهام النبوي: "ألا أخبركم" و "محتواه القضوي" ، لت تكون حمولته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** استفهام من همزة الاستفهام الداخلية على "لا" التي تفيد الاستفتاح و التنبية، و المضارع الدال على التجديد(أخبركم)، مع موضوعه (فاعله) العائد على رسول الله "ص" و كاف الخطاب العائد على القراء من الأنصار.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 5970، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ج 5، ص: 2331

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قوة إنجازية مستلزمة: متمثلة في التشويق، و هو الغرض المتوجى من وراء الاستفهام ، و ذلك حين استدرج الرسول "ص" الفقراء من الأنصار إلى الخير العظيم المتحقق للأجر العظيم تشويقا لهم، فكان التلهف واضحًا لمعروفة هذا الخير بدليل أنّ الرسول "ص" لم ينتظر الإجابة عن سؤاله ، بل واصل الكلام مباشرة عقب الاستفهام إخباراً و تشويقاً ، مبيناً فضل الذكر بعد الصلاة من تسبيحٍ و تحميدٍ و تحليلٍ و تكبيرٍ.

فالنموذج النبوي يُجسّد فعلاً لغويًا غير مباشر لم تتطابق فيه القوة الإنجازية الحرفية مع المستلزمة مقامياً، لأنّ السياق المقامي لا يقصد به إنجاز المعنى الأصلي للاستفهام، بل خرج إلى معنى آخر ضمّني ولدته ظروف المقام و ملابساته.

### د . الإنكار:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أنّ المستفهام عنه أمرٌ مُنْكَرٌ عُرْفًا أو شرعيًا...<sup>1</sup> . و جاء في "اللسان" : الاستنكار: استفهامك أمّا تُنْكِرُه.<sup>2</sup> ، هذا الاستفهام كما يراه "الجرجاني" يكون ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجلُ و يرتدعُ و يعي بالحواب،.. إما لأنّه قد ادعى القدرة على فعلٍ لا يقدر عليه،... و إما لأنّه همَّ بأن يفعل ما لا يستحق فعله، فإذا روجع تنبهَ و عرف الخطأ، و إما لأنّه جوَّز وجودَ أمرٍ لا يوجد مثله"<sup>3</sup> .. و الاستفهام الإنكري يكون على أوجه:

الأول: إما إنكار للتبيّخ على أمرٍ قد وقع في الماضي، أو في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل بمعنى "ما ينبغي أن يكون. ذلك الأمر الذي كان" الإنكار التوبخي.

الثاني: إنكار التكذيب: بمعنى "لم يكن" أي أنّ المخاطب إن أدعى وقوع فيما مضى "معنى لم يكن" ، أو في بالاستفهام الإنكري تكذيباً له في دعواه، و إما إنكار التكذيب في الحال أو المستقبل بمعنى "لا يكون" نحو قوله تعالى: "أَنْلِزُ مُكْمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" هود:28. بمعنى "لا يكون الإلزام" ويسمي هذا النوع : الإنكار التكذيبـي.<sup>4</sup>

و يُسمى الإنكار التوبخي "إنكار الواقع" ، و ذلك لأنّ الأفعال المنكرة واقعة، و المراد تقبيلها و التعجب منها، و توبيخ فاعلها، لأنّه لم يكن ينبغي أن يقع، و يسمى الإنكار التكذيبـي "إنكار الواقع" لأنّ الأفعال المنكرة

<sup>1</sup> - عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية ، ص: 98.

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة "نكر".

<sup>3</sup> - الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص: 85.

<sup>4</sup> - عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية ، ص: 100.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

غير واقعة، و المراد نفي وقوعها حتى لا يظن ظانٌ أنها يمكن أن تقع ..".<sup>1</sup>

و من مواطن الاستفهام الإنكارى أو قل: "الإنكار التوبىخى" ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله "ص" إلى الخرقة، فصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَرَمُّا هُمْ، وَلَحْقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَا قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، فَطَعَنْتُهُ بِرُغْبَى حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا، بَلَغَ النَّبِيُّ "ص" ، قَالَ: يَا أَسَامَةُ: "أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قَلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا... فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ...".<sup>2</sup>

حديث تضمن معنى الاستفهام بغرض "الإنكار" من صنيع "أسامة بن زيد" حين أقدم على قتل الرجل بعد تلفظه بالتوحيد، حاملاً معنى اللوم و العتاب حتى لا يقدم أحدٌ على قتل من تلفظ بالتوحيد، و إعراض عن قبول العذر فيه زجر شديد على الإقدام على مثل ذلك... هذا الصنيع جعل "أسامة" يستصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح ، في مقابل هذه الفعلة ، لما سمع من الإنكار الشديد حتى تمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله للإسلام، و هذا هو الحمل التداوily من جهة الفعل الدلالي لأسلوب الاستفهام في مضمونه القضوي لتكون حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرافية: تمثل في أسلوب الاستفهام بفعل الإسناد العائد على أسامة ، والمكون من الهمزة والفعل "أقتلته" (التاء فاعل)، و المفعول به (الماء المتصلة به).

. قوّة إنجازية مستلزمـة: تمثل في الإنكار و التوبـخ: و هو الغرض الذي خرج إليه أسلوب الاستفهام لما فيه من زجر و إنكار على صنيع أسامة بن زيد عن الإقدام عن فعل ذلك.<sup>3</sup> ، ومنه يظهر عدم تطابق القوة الإنجازية الحرافية مع القوة المستلزمـة مقامياً، لأنّ في ذلك تعليماً و إبلاغاً في الموعظة، و إنكاراً على أسامة ترك العمل بما ظهر من اللسان، (عذر أسامة..) ، و هو الدليل على ترتيب الأحكـام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة. كما عـبر عن ذلك "القرطـبي" في حديثه الذي أورده "ابن حـجر".<sup>4</sup>

\*نموذج آخر من نماذج أحاديث المصطفـى "ص" في إنكاره صنيع بعض أفعال صحابـته رضـي الله عنـهم كـموقف إنـكارـه على أسـامـة صـنـيعـه معـ المرأةـ المـخـزـومـيـةـ التيـ سـرـقـتـ ، فيـ حـدـيـثـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ:ـ أـنـ قـرـيشـاـ أـهـمـهـمـ

<sup>1</sup> - قطبي الظاهر، بحوث في اللغة (الاستفهام البلاغي)، ص:34.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 4021، كتاب المغازي، باب بعث النبي "ص" أسامة إلى الخرقة، ج 4، ص: 1555.

<sup>3</sup> - العسقلاني ابن حـجر:فتح الباري، ج 12، ص: 224.

<sup>4</sup> - العسقلاني ابن حـجر:فتح الباري، ج 12، ص: 224.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله "ص" فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ "حب رسول الله "ص" فكلمه أسامه، فقال رسول الله "ص": أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟، ثُمَّ قَامَ فَأَخْتَطَبَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْمُضَيِّفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَئِمَّةُ اللَّهِ لَوْلَا أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا...".<sup>1</sup>

ففي الحديث إنكار شديد من الرسول "ص" على أسامه في موقف الشفاعة"مغرون بنوع من التعجب، من أن يأتي أسامه هذا الأمر، و هو أدرى الناس بعزمته لرسول الله ، و أما الإنكار فمستفاد من كون المطلوب الشفاعة فيه حدّا من حدود الله ، مع علمهم اليقيني جمّعا و أسامه خاصة أنّ رسول الله -ص- لا يتهاون في تطبيق شرع الله، و هو الفعل الدلالي المتضمن للقضية التي ورد فيها أسلوب الاستفهام كفعل كلامي ، أما الفعل الإنجازي فتشكل من:

. **قوّة إنجازية حرفية:**تمثل في الاستفهام: (أ+تشفع في حد ...؟) و المكونة من الممزة للاستفهام، الداخلة على المضارع المرفوع القابل للتجديد.

. **قوّة إنجازية مستلزمة:**تمثل في الإنكار، حيث قال "ابن حجر": و هو استفهام إنكاري توبّيحي لأنّه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك...<sup>2</sup> ، وقد جاء الإنكار من رسول الله "ص" باعتباره تناول الأمر من جهة أنه حدّ من حدود الله المنصوص عليها، فلا يمكن التجاوز بطلب الشفاعة فيه؟ !!! ، فشدد في إنكاره رغم العلاقة التي كانت بين الرسول "ص" و أسامه ، و هي علاقة "الحب" ،فبين الحديث درجة الإنكار لأنّ المراد من استفهام الإنكار "أن يقيّد موقفا هو للمتكلّم من سامعه، يتمثّل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، و هذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقرير ، و أدناها العتاب و اللوم، و ما بينهما درجات تلوّون فوق السياق...".<sup>3</sup> ، ليظهر مرة أخرى عدم التطابق بين القوّة الإنجازية الحرفية و القوّة المستلزمة في هذا الحديث.

و قد أنكر الرسول "ص" على الصحابي صنيعه توبّيحا له، و استخدم أسلوب الاستفهام في الإنكار لما في الاستفهام من استثارة للنفس و شدّة التنبيه لها، على تتأمل في سوء صنيعها، لذلك فالرسول "ص" يعاتب وينكر بأسلوب الاستفهام للتخفيف من حدة الإنكار على أصحابه رضوان الله عليهم، و "كأنّه عقاب نفسيّ

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 3288، كتاب الأنبياء، باب حديث العار، ج 03، ص: 1282.

<sup>2</sup>- ابن حجر: فتح الباري، ج 12، ص: 106.

<sup>3</sup>- الزناد الأزهر ، دروس في البلاغة العربية، ص: 15.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

بالمخاطب "بتصدور شيءٍ مُشينٍ منه، حتى وإن كانت وسيلة العقاب مادية "اللسان" و "معنوية" هي دلالة الاستفهام".

ليبقى الاستفهام ثريًا غنيًّا بالدلائل التي يخرج إليها وفق المقام والسياق ، و ما يمليه كل واحد منهما، جعلت من الخطاب النبوي يَبْتَكِرُ أسلوب تواصلية فعالة، حرص من خلالها الرسول "ص" على أن تتجاوب معها النفس البشرية بإبعادها المختلفة المحسدة في خطاب العقل مرة، و النفس مرة أخرى، شوقا و تطلعًا ومرة أخرى استنتاجًا و عِتابًا، لَوْمًا و تقريرًا و غيرها، و كأنها تجعل من شأن أسلوب الاستفهام حلقة تواصلية بين المتكلم و سامعه تسعى إلى التأثير في النفس مع إقناعها.

لذلك نُسجّل في أحاديث أخرى كثيرة خروج الاستفهام إلى قوة إنجازية مستلزمة مقاميا تمثل في: "التلطيف، الإيناس، العتاب، الحث، الأمر، الاستدراج، الإعلام، التبشير، ... و غيرها من القوى التي يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا	القوة الإنجازية الحرفية
الاستفسار: التقرير، الإنكار، النفي، التشويق، التحفيز، الاستبطاء، التوبيخ، الحث، و الترغيب في الفعل ...	الاستفهام-(الأداة + جملة الاستفهام)

#### ثانيا . أسلوب الأمر:

كما تمت الإشارة من قبل، فإنه يقصد بالأمر طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء و الإلزام، و بعبارة أخرى هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو إدعاء، و يتصرف زمه للاستقبال، و يقوم على عمليتين أساسيتين: أو هما: عملية التلفظ و النطق بالأمر. ، وثانيهما : عملية استجابة المأمور و القيام بالفعل المأمور به، و "عادة ما يُؤدي الأمر بصيغة "افعل"، و لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع "لتفعل"، و اسم الفعل وبال مصدر الذي يؤتى به بدلا على التلفظ ب فعله".<sup>1</sup>

كما يؤدي الأمر باستعمال اشتقاتات مادة أمر "المعجمية"، أو أفعال أخرى معجمية مثل "يجب"، ... و علو درجة الأمر شرط في بقاء التركيب على دلالته، لأنّ الأمر قد يخرج إلى دلالات أخرى تفهم من السياق و قرائن المقام، و عليه يتولّد مقاميا بامتناع إجراء الأمر على أصله: "التعجيز، التحدي، الالتماس، ...،" و الاختلاف بين هذه الأفعال هو في درجة "قوتها الإنجازية": فالأمر مثلا أقوى في الأداء الإنجازي من الالتماس، و

<sup>1</sup>-دفة بلقاسم، بنية الجملة الطلبية و دلالتها في سور المدنية، دار المدى للطباعة والنشر ، الجزائر، د ط، 2008، ص: 28

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

لهذا يُعدّ أقوى الحالات الفرعية بمحال التوجيهات ، "إذا فالقضية ليست قضية لغوية صرفة، بل لغوية تداولية، فليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل يلزم إدراك مكانة المتكلم أو الأمر، لأنّها هي التي تحول دلالة الصياغة من صورتها المباشرة الدالة على الأمر إلى صورة أخرى مغايرة".<sup>1</sup> ليكون بناء الموقف اللغوي لتركيب الأمر على الوضع التالي:

– الأمر: هو المتكلم ، وعلو درجته شرط فيبقاء التركيب على دلالته.

– المأمور: هو المتلقّي الذي يُوجه إليه الأمر، وانخفاض درجته شرط بقاء الأمر على أصله.

– المأمور به: هو الفعل الذي يُطلب حصوله، وقد يكون مُعللاً لإقناع المأمور.

يلعب السياق الدور الكبير في تحديد المعنى ، لذلك أكد علماء اللغة على دور السياق في فهم الدلالة المرجوة<sup>2</sup> ، فاللغة نفسها تمارس في مواقف حياتية، و بين أناسٍ في بيئات مختلفة، يحدث بينهم نوعٌ من التفاعل اللغوي ، يتّسّع النصّ أو الحديث الذي لا يمكن أن يفهم فيما صحيحاً وأمنياً إلا من خلال التعرّف على الموقف و السياق التارخي و الاجتماعي له، و من خلال معرفة علاقة المتكلّم بالمستمع أو المنشئ بالمستقبل.

و لأهمية الأمر في الحديث النبوي الشريف لا سيما حين يتعلق باستنباط الأحكام الشرعية، نقارب هذا الأسلوب تداولياً ، وذلك لمعرفة الدلالات التي توخاها الرسول "ص" خاصة و أنه يمثل شيوعاً كبيراً في الخطاب النبوي بصفة عامة.

وسعياً منا للوقوف على حقيقة الأمر "كفعل لغوي مباشر" و تحديد "قوته الإنحازية" و ما يخرج إليه الأمر من دلالات "كفعل لغوي غير مباشر" ، و بذلك تتعدد قواه الإنحازية المستلزمة حسب المقام و السياق.

**1 . الفعل الكلامي المباشر: الأمر الحقيقى :** يقول "السكاكى" في "مفتاحه":..."الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها،أعني استعمال نحو: "انزل، لينزل، نزال، وصه" عل سهل الاستعلاء"<sup>3</sup>، و يرى أنّ هذه الصور و التي من قبيلها هي موضوعة لاستعمال على سهل الاستعلاء،فالأظهر أنّها موضوعة لذلك ، و هي حقيقة فيه، ليتبدّل الفهم عند الاستعمال نحو: "قم ، ليقم زيد" ، وتوقف ما سوء من الدعاء، و اللتماس والندب، و الإباحة، و التهديد، على اعتبار القرآن.... فالمتكلّم هو المسئول على أن يعبر على ما يقوله عن

<sup>1</sup>-الصرف على محمد، في البرجماتية...الأفعال الإنحازية في العربية ،ص:111.

<sup>2</sup>-محمد العيد، اللغة و الإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات و النشر، القاهرة، ط1/1989، ص:29.

<sup>3</sup>-السكاكى، مفتاح العلوم، ص:428.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الأمر، حيث إذا فشل أن يكون كلامه أمراً، لم يتعدّ أن يكون التماساً أو دعاء... الخ.<sup>1</sup>

و يشترط في جريان الأمر إلى أصل معناه، أن يكون الأمر أعلى مرتبةً من المأمور، يقول "السكاكى": "لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، و من ثم كان الاستعلاء من هو أعلى رتبة من المأمور، استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، و إلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، و إلا لم تُنْدِي غير الطلب، ثم إنما حينئذ تولد حسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام...".<sup>2</sup>

### \* الشروط المُعَدّة لفعل الأمر:

- **قواعد تداولية:** كثيراً ما ترتبط بوضعية المتحاطبين.
- أن يتتوفر شرط الاستعلاء والسلطة، على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من المأمور.
- أن يتتوفر شرط القدرة: على الأمر أن يكون قادراً على إصدار الأمر.
- **الإرادة:** إرادة المتكلم في إصدار الأمر.
- **الاقتناع:** أو القصد.<sup>3</sup>

فمن أجل ذلك تحمل "القصدية المباشرة" ضمن الصيغ اللغوية و البلاغية التي اتفقت عليها القدماء والمحدثون، فهي قسمان، أساليب حقيقة، و أخرى مجازية.

و من الأسلوب المباشر لأسلوب الأمر ك فعل كلامي تجسس فيه طلب الفعل من جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى على جهة الحقيقة و الإلزام بفعله، ما روى عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم "أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: انه طَلَقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ "ص" فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ "ص" ثُمَّ قَالَ لِرَاجِعِهَا، ثُمَّ يُسِكِّنُهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضُ حَتَّى تَطْهَرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطْلِقَهَا فَلْيُطْلِقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسِسَهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ...".<sup>4</sup>

فيظهر الفعل الكلامي "ليراجعها" في شكل أمر على صيغة، "ليفعل" في صورة المضارع المجزوم بلام الأمر، و هو أمر لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لمراجعة زوجته بعد أن طلقها طلاقة واحدة ، و هي حائض، فأمره رسول الله

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص: 428.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 429 .

<sup>3</sup>- بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص: 174.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 4625، كتاب التفسير / الطلاق، ج 04، ص: 1864.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

"ص" أن يراجعها ،ثم يمسكها حتى تظهر، ثم تخipض عنده حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تظهر من حيضتها، فإن أراد أن يطلقها فليطلقها قبل أن يجتمعها، فتلك العدة التي أمر الله بها أن تطلق لها النساء كما علمه رسول الله "ص" ،و هذا هو الفعل الدلالي لمضمون الفعل الكلامي، "ليراجعها" ليحمل هذا الفعل الكلامي فعل إنجازيا تتكون حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: "الأمر الصريح: "ليراجعها". على صيغة "ليفعل".

. قوّة إنجازية مستلزمة: تمثل في: الوجوب لأنّ الأمر على حقيقته، فينتقضُ الوجوب بقرينة مراجعة ابن عمر زوجته، إذ لو كان التعبير على غير صورة الأمر الحقيقى لتوهم ابن عمر أو حتى "عمر" نفسه أنّ الحكم ليس على سبيل الوجوب والإلزام والختم، بل لا يفهّم معنى الوجوب من الصنيع: "أرى أن يراجعها، ليته يراجعها، كان الأفضل أن يراجعها" ، و لتأسّس عليها عدم العصيان فيمن طلق امرأته و هي حائض".

ليظهر تطابق القوّتين الإنجازيتين في مقام الأمر الذي يفيد الوجوب، على اعتباره عند الأصوليين: "ما يستحق تاركه العقاب على تركه، بمعنى أنّ تاركه لو عوقب على تركه لكان ذلك ملائماً لنظر الشارع، و لابد في معنى الوجوب من ترجيح الفعل على الترك بما يتعلّق به من الذم أو الشواب الخاص...".<sup>1</sup>

\* ومن أمثلة الأمر الحقيقى الذي يقتضي الوجوب في صورة الأمر الصريح دائماً، لكن بصيغة : "إفعل" بسبب ارتباط توجّه هذه الصيغة في الأصل للمخاطب الحاضر، إذ كان الغالب في حديثه "ص" توجيهه لملتلقين حاضرين أمامه، فينشأ ذلك التفاعل بين المنشئ "الرسول" "ص" ، و المستقبل "الصحابة" ، و من أمثلتها: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله "ص" حين جاءه أصحابه يعودونه، صلى بهم جالساً و هم قياماً، فلما سلم قال: "إذا جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكربوا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإن صلى قائماً فصلوا قياماً...".<sup>2</sup>

فجاء الأمر على صورة القصد لمعناه الأصلي، بمعنى وجوب التنفيذ في الفعل الكلامي: "كبروا، اركعوا، اسجدوا" على سبيل الوجوب والختم، تطابقت فيه القوّة الإنجازية الحرفية للأمر على صيغة "افعل" مع قوتها الإنجازية المستلزمة التي تقتضي وجوب متابعة الإمام في الصلاة، و عدم سبقه تكبيراً و ركوعاً و سجوداً.

وهو الفعل الدلالي لمضمون الأفعال الكلامية "كبروا، اركعوا، اسجدوا" ، لتحمل هذه الأفعال قوى إنجازية ، تتكون حمولتها الدلالية من :

<sup>1</sup>-الآمدي علي بن محمد ،الإحکام في أصول الأحكام ،دار الحديث ،القاهرة ،ط/1404هـ، ج1، ص:138، 139.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 371، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح ، ج1، ص: 149.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قوّة إنجازية حرفية: "الأمر الصريح بصيغة "افعل" ، "اركعوا ، اسجدوا " .

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الوجوب على صورة القصد لمعناها الأصلي .

\* من الأحاديث التي استوجب فيها الأمر وجوب التنفيذ لصدره منه "ص" ، على سبيل التكليف الإلزام لأنَّ مخالفته ترتب عليها العقوبة في حديث أبي هريرة أنَّ رجلاً من "أسلم" ، أتى النبي "ص" وهو في المسجد، فقال: يا رسول الله إنَّ الآخر قد زنى، يعني نفسه، فأعرض عنه، فتنحى لشِقٍ وجهه الذي أعرض قبله، فقال يا رسول الله إنَّ الآخر قد زنى، فأعرض عنه... فتنحى له الرابعة، فلما شهدَ على نفسه أربع شهاداتٍ دعاء، فقال: هل يكُنُون؟<sup>1</sup> ، قال: لا، فقال "ص": "إذهبوا به فارجموه..." و كان قد أحسن .

صيغة الأمر الصريح "إذهبوا، ارجموه" على صيغة "افعل" تشكّل فعلاً كلامياً يقتضي دلالياً وجوب الأمر بالرجم بعد الذهاب به، و هو حد الرجم على من اعترف على نفسه بالزنا و هو عاقل، مُحسن. ليحمل الفعل الكلامي فعلاً إنجازياً تمثل حمولته الدلالية في:

. قوّة إنجازية حرفية: أمر بصيغة "افعل" "إذهبوا، ارجموه". و المتضمن كل منهما عائداً على محمول الفعل والمتمثل في "اهاء" في ارجموه، و "اهاء" في شبه الجملة المتمم لمعنى الفعل "إذهبوا" في قوله: "به" .

. قوّة إنجازية مستلزمة: تمثل في وجوب تطبيق الفعل، فهو أمر وجوب يتحمّل فعله، و هذا ما فهمه الصحابة، لا سيما و أنَّ دليل الوجوب يتمثل في قيام الصحابة برجْمِه، و إقامة الحدّ عليه باعتباره زانياً محسناً و نلمس هذا في تتمة الحديث "فرجمناه بِمُصْلِي الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا أَذْلَقْتَهُ الْحِجَارَةَ جَمَرْ" أسرع هارباً، حتى أدركناه بالحرّة، فترجمناه حتى مات"<sup>2</sup> ، و في حديث آخر:... "فأمر به أن يُرجمَ في المصلّى، فَلَمَّا أَذْلَقْتَهُ الْحِجَارَةَ جَمَرْ ، حتى أدركَ بالحرّة فُقِيلَ".<sup>3</sup>

### 2 - الفعل الكلامي غير المباشر: الأمر المجازي:

تبين مما سبق أنَّ المعنى الحقيقي للأمر كما وضع له، يظل الأصل اللغوي فيه ثابتاً، إلا أنَّه لا يتقييد بتركيبة النحوية" أو صيغته النحوية ، و إنما تنزاح فيه اللّغة إلى اتجاهات جديدة كما تقول الدراسات الأسلوبية، فلا تقتضي الإلزام بتنفيذ الطلب المضمّن في الجملة على وجه الإيجاب... و إنما يستخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق. لذلك اتسعت دائرة المعاني التي يدور عليها الأمر المجازي و ضمّت الأمر و المأمور المتّكل و المخاطب

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 4970، كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و المجنون وأمرهما ، ج 50، ص: 2020 .

<sup>2</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 4970، كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و المجنون وأمرهما ، ج 50 ، ص: 2020.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه: حديث رقم: 4969، كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و المجنون وأمرهما ، ج 50 ، ص: 2020 .

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف

و مضمون الأمر الذي لا يُسأل المأمور عن تنفيذه... فقد اخترت الدلالة على التحديد و التعين. و حين عظمت دلالة الأمر ثراء، فإنّ أساليبه كثيرة التنوع في الإيّاه، مما يدلّ على جمالية طرائق الأمر بأشكال لافتة للانتباه في الخطاب النبوى ، في صورة تمتّج فيها الصورة اللغوية مع السياق بمعانيه ،لتتجلى فيها صورة "الأمر غير المباشر" في شكل فعل كلامي بعيد عن الأمر الحقيقى يعكس الأغراض التي يخرج إليها الأمر منها:

### 1/2 . الدعاء:

الدعاء: اسم و مصدر و مثله (الدعوى)، و فعله دعا، يدعوا...و قد سماه "ابن فارس" المسألة.<sup>1</sup> ، و يتوجه الأمر بكلامه إلى من هو أعلى منه على صيغة التضرع و الضعف و الابتهاج ،والرجاء و الاستكانة و الاستعطاف ... فمن التضرع قوله تعالى: "رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ..."<sup>2</sup> النحل:19...". رَبَّنَا آتَنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "البقرة"201، كما وقع الدعاء بالانتقام في قوله تعالى: "رَبَّنَا اطْمِسْنَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ" يونس:88، و ذلك لأنّهم كفروا و ظلوا ، و لا مطمع في إيمانهم... فكثيرا ما يرد الأمر للدعاء إذا كان متوجها من العبد إلى ربّه عزّ و جلّ، أو من هو أدنى مرتبة من يأمره، فيكون أمره حينئذ على سبيل الدعاء، كما في قول "المتنبي" يخاطب سيف الدولة و يرجوه متوسلا أن يخلصه من كيد الحسد:

**أَزْلْ حَسَدَ الْحَسَادَ عَنِ بَكْبِتِهِمْ \*\*\* فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتُهُمْ لِي حُسَدًا**

و فيه يظهر أنّ "المتنبي" لم يكتفِ بالأمر غير المباشر، وإنما جأ إلى أسلوب التعليل غير المباشر لإظهار رغبته وطمعه في الرجاء و التوسل.

و قد ذكر البلاغيون أنّ "الدعاء" من المعاني التي تُستعمل في صيغة الأمر لغرض طلب الفعل على سبيل الاستعاء تكليفا و إلزاما، لذلك حفل الخطاب النبوى بصيغة الأمر التي وردت، و كانقصد منها "الدعاء" كما في الحديث الذى ترويه عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله "ص" كان إذا أتى مريضا ، أو أُويّ به عنده يمسح بيده اليمنى و يقول: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ اذْهِبْ الْبَأْسَ، اشْفِهِ وَ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقْمًا...".<sup>2</sup>

ورد في هذا الباب نفسه بصيغ مختلفة: "اذْهِبْ الْبَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ...".

<sup>1</sup> - ابن فارس:الصاحبي في فقه اللغة، ص:184.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري:Hadith رقم: 5410، كتاب الطب، باب رقية النبي "ص"، ج 50، ص: 2168.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

ومنها: "أمسح البأس، رب الناس، يديك الشفاء لا كاشف له إلا أنت".<sup>1</sup>

لعل من الصفات التي قد تعرّض المرض، وتأثير في شخصيته وسلوكه "المرض"، إذ غالباً ما يصاب الشخص بضعف النفس و وهن القلب مصحوباً بغمّ و هم، لذلك نجد رسول الله "ص" يخاطب المريض ما يُظهر مراعاته لحاليه ، طالباً لهم الشفاء و باعثاً فيهم الأمل.. و هذا ما تضمنه الفعل الكلامي: "اذهب البأس، اشفه" بصيغة الأمر الصريح "افعل" و هو المضمون الدلالي لهذا الفعل الكلامي".

ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلاً إنجازياً تتكون حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تمثل في الأمر الصريح: "اشف، اذهب" و محمولة الفاعل المستتر وجوباً في فعل الأمر العائد على المأمور مجازاً هو الله عزّ و جلّ، لأنّ الأمر من أسفل إلى أعلى.

. قوّة إنجازية مستلزمـة: تمثل في "الدعاء" ، لأن الخطاب من أسفـل إلى أعلى ، يبعث على التفاؤل بطلب الشفاء من الله تعالى بالربوبية "رب الناس" ، لأن الشفاء من "أفعال الربوبية" لا يملـكه غيره، مع الاعتراف والتذلل" لا شفاء إلا شفاؤك" بطريقة النفي والاستثناء ، و هي طريقة من طرق القصر في علوم البلاغة، و التي تضمن التأكيد في قوله "ص": "أنت الشافي" ، و هو " فعل إسنادي" من "مبـدأ و خـبر" ، لتربط الصيغة الحديـشـية ألفاظـ مشتقةـ توحـي كلـها بـمعـنى "الـشـفاء لـحالـ المـريـض" بدـءـاً من "اـشـفـ، الشـافـيـ، شـفـاءـ، شـفـاؤـكـ، شـفـاءـ..." وكلـها تـفـاؤـلـ و طـلـبـ و دـعـاءـ.

ليـظهـرـ الحديثـ تـداولـياـ صـورـةـ الـأـمـرـ عـنـدـ خـروـجـهـ مـنـ صـورـتـهـ الـحـقـيقـيـةـ إـلـىـ صـورـةـ مـجاـزـيـةـ تـفـيـدـ الدـعـاءـ ، لأنـهـ مـنـ أـقـلـ مـنـزلـةـ إـلـىـ أـعـلـىـ مـنـزلـةـ ، دـلـيلـ عـلـىـ دـعـمـ تـطـابـقـ الـقوـةـ إـلـيـنـجـازـيـةـ الـمـسـتـلـزـمـةـ مـقـامـيـاـ مـعـ الـقوـةـ إـلـيـنـجـازـيـةـ الـحـرـفـيـةـ لـلـأـمـرـ: "اـشـفـ، اـذهبـ". ، بصـيـغـةـ "افـعـلـ" ، المـبـنيـ عـلـىـ حـذـفـ حـرـفـ الـعـلـةـ فـيـ الـأـوـلـ ، وـعـلـىـ السـكـونـ فـيـ الـثـانـيـ.

\* عن ابن عباس أنَّ النَّبِيَّ "ص" دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوئًا، فَقَالَ "ص": مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأَخْبَرَ بِهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِهْهُ فِي الدِّينِ".<sup>2</sup> ، وهو حديث أورده "البخاري" في "باب الوضوء" يعكس صنيع الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه في تعامله مع الرسول "ص" ، حين قدم له ماء وضوءاً ليتوضاً به استحياء.... فقابل الرسول "ص" ذلك بالفعل الكلامي: "فقـهـهـ" في شـكـلـ "أـمـرـ صـرـيـحـ" بصـيـغـةـ "افـعـلـ" ، مـتـضـمـنـةـ الـدـعـاءـ ، وـهـيـ دـلـالـةـ الـفـعـلـ "فقـهـهـ". ليـتـكـونـ هـذـاـ الـفـعـلـ الـكـلـامـيـ كـفـعـلـ اـنـجـازـيـ منـ حـمـولـةـ دـلـالـيـةـ تـمـثـلـ فـيـ

. قـوـةـ إـنـجـازـيـةـ حـرـفـيـةـ: هيـ الـأـمـرـ: بصـيـغـةـ "افـعـلـ" معـ مـوـضـوـعـهـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ الـفـاعـلـ الـمـسـتـتـرـ وـجـوـبـاـ تـقـدـيرـهـ "أـنـتـ"

<sup>1</sup>- المرجع السابق: ج 05، ص: 2168.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 143، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ج 01، ص: 66.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و مفعوله :الضمير المتصل العائد على "ابن عباس" رضي الله عنه. في الفعل : "فقهه" .

. قوّة انْجَازِيَّةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ تتمثل في "الدُّعَاء" ، لأنَّه من أَسْفَل إِلَى أَعْلَى، و لِعُلُّ الْمَنَاسِبَةِ فِي الدُّعَاء لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالْتَّفْقِهِ فِي الدِّين وَضُعُّهُ الْمَاء... فَفَعْلُهُ يَدْلِلُ عَلَى ذَكَائِهِ فَنَاسِبُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالْتَّفْقِهِ فِي الدِّين لِيَصُلَّ بِهِ النَّفْعُ.." .<sup>1</sup>

و كثيرة ما كان الدُّعَاء يُسْبِقُهُ "الْأَمْرُ" لِلرَّغْبَةِ الْجَازِمَةِ مِنَ الرَّسُولِ "صَ" فِي الْإِسْتِجَابَةِ لِلْدُّعَاء. وَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ

الْمُخَاطَبِ الْمَدْعُوِّ لَهُ بِحَرْصِ النَّبِيِّ "صَ" عَلَى حَصْولِ الْمَدْعُوِّ بِهِ وَ تَحْقِيقِهِ ،مَا يَكُونُ لَهُ الْأَثْرُ الْعَظِيمُ فِي نَفْسِ "الْمَدْعُوِّ لَهُ" مِنْ خَالِلٍ مَضْمُونِ الدُّعَاء.

\* وَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَأْتِي نَمُوذِجاً لِلْدُّعَاء ، بِصِيغَةِ الْأَمْرِ الْصَّرِيحِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ "صَ" يَدْعُو مِنَ الْلَّيلِ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ...اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَ بِكَ أَمْنَتُْ وَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْكَ أَنْبَتُْ، وَ بِكَ خَاصَّمْتُ، وَ إِلَيْكَ حَاكَمْتُْ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُْ".<sup>2</sup>

تضمن هذا الحديث عدة معانٍ بُدِّأتُ "بِالْتَّمَهِيدِ" للطلب بالأمر الصريح في الدُّعَاء، جاءَ هذَا التَّمَهِيدُ وَالتَّقْدِيمُ بَيْنَ يَدِيِ الْطَّلَبِ بِإِعْلَانِ مَوْقِفَيْنِ: أَوْلَاهُما: إِعْلَانُ حَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَإِيمَانُ الْمُطْلَقِ بِهِ بِرِبوَيْتِهِ وَ قِيَومِيَّتِهِ.. وَ هَذَا مَوْقِفُ الْإِذْعَانِ الَّذِي يُمْثِلُ أَحَدَ مَوْقِفَيِّ التَّمَهِيدِ لِلْطَّلَبِ. ، وَ ثَانِيهِما: مَوْقِفُ الدَّاعِيِّ نَفْسِهِ فِي صِيغِ أَفْعَالِ مَاضِيَّةٍ: "أَسْلَمْتُ، تَوَكَّلْتُ، حَاكَمْتُ..." أَوْرَدَهَا "صَ" "مُقَيَّدَةً" بِأَسْلُوبِ التَّقْصُرِ بِتَقْدِيمِ الْجَارِ وَ الْمُجْرُورِ "بِكَ" فِي كُلِّ مَرَّةٍ، لِيَأْتِي الْطَّلَبُ فِي أَعْقَابِ هَذِهِ التَّمَهِيدَاتِ وَ كَأَنَّهُ نَتْيَاجٌ لِهَا: "فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَ مَا أَخْرَتُ" وَمَا أَسْرَرْتُ، وَ أَعْلَنْتُ..." ، لِيُخْرِجَ الْطَّلَبَ مِنْ كُونِهِ أَمْرًا صَرِيْحًا إِلَى التَّضَرُّعِ وَ الدُّعَاء، وَ هُوَ مَضْمُونُ الْفَعْلِ الْكَلَامِيِّ، "أَغْفِرْ لِي" .

وَ الَّذِي يَتَضَمَّنُ فَعْلًا انْجَازِيَّا يَتَمَثَّلُ فِي الْأَمْرِ الْصَّرِيحِ بِصِيغَةِ "أَفْعَلَ" مِنْ أَسْفَلِ إِلَى أَعْلَى، بِفَعْلٍ إِحْالِيٍّ، إِحْالَةٍ إِلَى الذَّاتِ الْإِلهِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الإِشَارَةِ إِلَيْهَا بِالضميرِ الْمُسْتَترِ فِي: "أَغْفِرْ". لِتُجْسِدَ هَذِهِ الْجَمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الْأُمْرِيَّةِ فَعْلًا انْجَازِيَّا تَتَكَوَّنُ حَوْلَتِهِ الدَّلَالِيَّةِ مِنْ:

. قوّة انْجَازِيَّةٌ حُرْفِيَّةٌ: الْأَمْرُ الْصَّرِيحُ. بِصِيغَةِ "أَفْعَلَ" ، وَ الْمَكْوُنَةُ مِنَ الْفَعْلِ ، وَ الْفَاعِلُ الْمُسْتَترُ وُجُوبًا.

. قوّة انْجَازِيَّةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ: تتمثل في الدُّعَاء وَ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى طَلَبًا لِلْمَغْفِرَةِ. ، وَ بِذَلِكَ أَنْجَزَ الْفَعْلَ الْكَلَامِيَّ فَعْلًا لِغُوْيَا غَيْرَ مُبَاشِرٍ أَفْرَزَهُ سِيَاقُ الْحَالِ، وَ قَرَائِنُ الْأَحْوَالِ وَ قَصْدُ الْمُتَكَلِّمِ وَ غَرْبَهُ مُتَمَثِّلًا فِي الدُّعَاء، وَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُطْلَبُ إِلَّا بَعْدَ "تَمَهِيدٍ" كَلَّهُ إِقْرَارٌ وَ اعْتِرَافٌ وَ إِذْلَالٌ وَ خُضُوعٌ طَمَعًا فِي الْمَغْفِرَةِ.

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر :فتح الباري، ج 01، ص: 295.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 1069، كتاب التهجد بالليل، ج 01، ص: 377.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و كثيرا ما نصادف هذا النموذج "التمهيد . ثم . الطلب" في الحديث النبوي الشريف ، مثل الحديث الذي يرويه شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي "ص" قوله: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتنِي و أنا عبدك ، و أنا على عهْدك و وعْدك ما اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أبوءُ لَكَ بِعِمَّتِكَ عَلَيَّ وَ أَبُوءُ لَكَ بِدُنْيِي "كلها تمهيد" ، ليأتي (الطلب) الجواب: "... فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ...".<sup>1</sup> ، ولعل ذلك نجح أنتهجه رسول الله "ص" إقتداء بأخيه يوسف عليه السلام في موطن الإقرار والاعتراف طلباً و دعاء، في قوله تعالى: "رَبِّنَا مَنْ أَنْتَ أَنْتَ رَبُّ الْأَنْوَارِ إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوْفِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ...". يوسف:101.

### ب- الإباحة و التخيير:

الإباحة في عرف اللغة: مصدر فعله "أباح" ، ونقول "أباحت الشيء": أحلته لك ، و أباح الشيء: أطلقه، أي أظهره و أعلنه، و منه يقال: باح بسره، إذا أظهره. ، و أباح الرجل ماله: أذن في الأخذ و الترك و جعله مطلقاً للطرفين، و استباحه الناس: بمعنى: أقدموا عليه.<sup>2</sup>

أما معناه عند الأصوليين فيقول علماء الأصول: إن الحكم الشرعي إذا كان غير جازم في الطلب أو الترك، فإما أن يكون طلب الفعل و تركه على السوية بينهما ، و هذه هي الإباحة، و إما أن يقتضي بترجم حانب وجود الفعل فيكون النـدـبـ، و إما أن يترجم حانب الترك ف تكون الكرـاهـةـ...<sup>3</sup>.

و معنى هذا أنّ الأمر يأمر المخاطب على سبيل الإباحية ليعلمه أو ليأذن له فيه ، و بهذا المعنى يتقدّم المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي للإباحة. ، والإباحة قد تتعلق بفعل مباح ، كقوله تعالى: "وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا" (البقرة:187)، أو تتعلق بالتخيير بين فعلين يجوز الجمع بينهما دون تعين ، و هما على السواء، أو تتعلق بالتخيير بين أمرتين دون تعين، غير أنّ أحدهما أولى من الآخر بالاختيار: "فيقول صاحب اللسان": "خـيـرـهـ بـيـنـ شـيـئـيـنـ:ـأـيـ فـوـضـتـ إـلـيـهـ الـخـيـارـ"<sup>4</sup> ، فهو يختار أفضلاهما.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: حيث رقم: 5947، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج 05، ص: 2324.

<sup>2</sup> - الفيومي أحمد محمد ،المصباح المنير ،ص: 39.

<sup>3</sup> - الشوكاني محمد بن علي ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، تج: محمد سعيد البدرى ،دار الفكر بيروت ط 1 / 23، ص 1992

<sup>4</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة: خير.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف

و جاء التعبير عن الإباحة بصيغة الأمر في الخطاب النبوى في موضع عدّة منها: حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله "ص": "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِنَ حَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتَ...".<sup>1</sup>

تضمن هذا الحديث فعلاً كلامياً وقع جواباً لشرط حازم "من"، يتمثل في صيغة الأمر "فليقل خيراً أو ليصمت"، و لعل التعبير بالقول كما أشار "ابن حجر" يدخل فيه كل كلام و هذا من "جواع الكلم"، لأن القول كله إما خير و إما شر، و إما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها و ندبها، فإذا ذكر فيه على اختلاف أنواعه، و دخل فيه ما يقول إليه، و ما عدا ذلك مما هو شر، أو يقول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت...".<sup>2</sup> و هذا هو الفعل الدلالي لمضمون، "فليقل": كفعل كلامي تضمن فعلاً إنجازياً بقوة دلالية تمثل في:

. قوّة إنجازية حرفية: "الأمر" فليقل" مضارع مجزوم بلام الأمر، و (موضوعه) فاعل مستتر وجوباً تقديره هو.

. قوّة إنجازية مستلزمة: تمثل في "التخيير": بدليل أنه لا يمكن الجمع بين قول الخير و الصمت في آن واحد، فكلاهما في مقدور المخاطب أن يفعله، إذ يقول علماء الأصول: "... و لا تخير إلا بين مقدور و مقدور...".<sup>3</sup> فكل من الصمت أو التكلم بخيرٍ مباحٍ للمخاطب، و القصد من وراء الأمر بهما هو إباحة اختيار أحدهما، و لا لوم على ترك الآخر، لأن المتقلي يُجير على أن يختار إما قول الخير، و إما السكوت أو الصمت عن الكلام، و في ذلك "تداوilyاً" أكبر دليل على خروج الأمر عن معناه الحقيق من جهة، و عدم التطابق بين القوتين الانجازيتين لفعل الأمر من جهة أخرى.

و ما نلحظه في خروج الأمر إلى "التخيير" اقتراحه بحرف العطف "أو" ، و كان المتكلّم لا يريد أن يُبيح للمخاطب بهذا الأمر السعي إلى كليهما، بل إلى إباحة تخييره بينهما، و أن أحدهما أفضل من الآخر في الاختيار، فأنت تُخبره ليتحمّل نتيجة اختياره.

و من النماذج التي خرج فيها الأمر إلى الإباحة: عن عائشة رضي الله عنها أنّ أباً بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام "مِنْ تُدْفَقَانَ وَ تَضَرِّبَانَ، وَ الرَّسُولُ "ص" مُتَعَشِّشٌ فِي ثُوبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٌ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ "ص" عن وجهه و قال: "دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّكَ أَيَّامُ الْعِيدِ، وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مِنْ...".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 5672، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله... ج 5، ص: 2240.

<sup>2</sup> - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 10، ص: 503.

<sup>3</sup> - خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 08، د.ت، ص: 108.

<sup>4</sup> - صحيح البخاري: حديث رقم: 944، كتاب العيد، باب إذا فاته العيد يصلّي ركعتين، ج 01، ص: 335.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إنّ وضع الأمر "دعهما" في سياق الحديث مقرّونا بملابسات المقام و سياقاتها تجعل منه يُفهم على المعنى المراد منه، فالحال حال عيد... العيد سرور و فرح... و الموقف في بيت رسول الله... ضرب الدف و إنشاد الشعر، كأنّها ملامح "للسياق التداولي" توحّي بتَوْهِم أبي بكر أنّ فعل الجاريتين لا يجوز، أو هو محظوظ... ليأتي فعل الأمر الصريح: "دعهما" ليزيل ذلك التَّوْهِم من جهة ، و ليفهم المخاطب من جهة أخرى أنّ الرسول "ص" قد أباح ذلك في هذا الموقف، و في هذا الحال. من جهة أخرى ، فإذا كان الأمر أمراً بترك ما ظنّ المأمور فعله مذموماً أو محظوظاً، كان ذلك الأمر دالاً على إباحة ذلك الفعل، و هذا هو مضمون الفعل الدلالي للفعل "دعهما" كفعل كلامي في صيغة الأمر الصريح.

ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلاً اسناديّاً يتمثّل في فعل الأمر "دعهما" بموضوعه (فاعله) المستتر وجوباً وإحالة إلى المفعول به عن طريق الضمير المتصل: "هما". لتكون الحمولة الدلالية للفعل الإنجازي مكونةً من قوتين:

قوّة إنجازية حرفية: تمثل في الأمر الصريح. "دعهما".

ـ قوّة إنجازية مستلزمة: أفرزها المقال و سياق الحال ، مُمثلة في الإباحة، بدليل أنّ رسول الله "ص" منع زجر الجاريتين و انتهارهما من قبل أبي بكر الصديق، و ذلك حين استعمل الرسول "ص" تبريراً للإباحة و هو أسلوب التعليل بقوله، "إنّكما أيّام عيد". فالملامح "حال عيد، و مقام سرور، و هو مباح... فدللّ الأمر على الإباحة بتركهما على ما هما عليه، و فيه الدليل على عدم تطابق القوتين الإنجازيتين لفعل الأمر : "دعهما".

### 2-3. النّصح والإرشاد:

كثيراً ما يدور النصح في العربية "حول طلب ما، لا إلزام فيه"<sup>1</sup>، و يقتضي ضمناً حث المقصود على الأخذ بالنصيحة، و ذلك إذا أراد الأمر من مأموره تقديم النصيحة، و لا يلزم المخاطب على الالتزام بها و المقيد بها إلا على سبيل أنّ فيها الخير له، لذلك توجّه إليه بصيغة الأمر على اعتقاد المنشئ للنصيحة أنّ مقصوده سيستجيب له فيما يتصل به ، و يُرشّدُ إليه .

و قد ورد الأمر في الخطاب النبوي في مواطن عدّة ، و بصيغ الأمر المختلفة مقصود بها النصح و الإرشاد و الحثّ ، كما في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عباس و انفرد بروايته الترمذى، قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ "ص" يوماً، فقال: "يَا غَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكِ كَلْمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ تَجْدُهُ تجاهك، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَ إِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَ أَعْلَمُ لَوْ أَنَّ الْأُمَّةَ...". و في رواية أخرى: أحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّحاء يعرّفك في الشدة ، و أعلم أنّ ما أخطئاك لم يكن ليصيبك، و ما أصابك لم يكن ليخطئك ،

<sup>1</sup> - عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية ، علم المعاني .....، ص: 84

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و اعلم أن النصر مع الصبر ، و أن الفرج مع الْكَرْبِ، و أن مع العسر يُسْرًا ..<sup>1</sup>.

كثير في هذا الحديث الشريف أسلوب "الأمر" الذي اقتربن "بالشرط" ، و ذلك ما يناسب مقام النصح و التعليم.<sup>2</sup> ، تعكس الأوامر فيه بلاغة رسول الله "ص" -الدالة على جوامع الكلم... بدءا من "التمهيد" بالنداء، ثم حصر أمور ينبغي أن يتتبّعها و يهتمّ بها ليعطيها بعناية و اهتمام جملة الأوامر: "احفظ الله، استعن بالله، اسأل الله، تعرّف الله..." كلها أوامر صريحة تتعلق بشرائع الله تعالى و أحكامه و دينه ، في صورة بلاغية تحسّد فيها المحسوس بالمعنوي و المعنوي بالمحسوس امثلا و إقامة لشرع الله و تحقيقه، ليعقب بعدها بفعل الأمر كذلك "اعلم" لتنبيه المخاطب و تحذية نفسه و الوقوف على ما يراد من أخبار، ليكون المعني من الأمر كذلك من هذه الأفعال هو إثارة الانتباه و إيقاظ الأحاسيس و تحذية النفس للتلقى.<sup>3</sup>، و لعل ذلك هو مدلول الفعل الدلالي لجملة الأوامر السالفة الذكر.

ليتضمن "ال فعل الكلامي": "احفظ، استعن، اسأل، تعرف، اعلم... و المكونة إسناديا من الفعل الصريح مع موضوعه" الفاعل المستتر وجوبا تقديره "أنت" ، و فعلا إنما ت تكون حمولته الدلالية من: . قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح بصيغة: "افعل".

. قوة إنجازية مستلزمـة: تتمثل في النصح و الإرشاد، لأنّ الرسول "ص" في مقام تعليم و نصح بدليل: "أني أعلمك" ، الدال على النصح و الإرشاد للصحابي خاصة و للمسلمين عامة، رغبة منه "ص" في حيث و إياهم على التمسك بما ينبغي أن يكونوا عليه من حيث العقيدة، و ذلك بحفظه، و ترثي ما أمر الله و رسوله بتركه وإتيان ما أمر الله و رسوله بالإتيان به ، و يستعينوا به وحده لأنّه الوحيد القادر على العون حقيقة.

كما نلحظ من خلال الحديث أنّ مضمونه و أكتبته قوّتان إنجازيان لنفس المحتوى القضوي حيث أجز الأول فعلا لغويا مدلولا عليه بصيغة الأمر : "افعل" ، إلا أنّ السياق المقامي الذي أورد فيه جعله ينجز قوة إنجازية مستلزمـة، متمثلة في "النصح" باعتباره فعلا لغويا غير مباشر..

\*\* و بسبب ارتباط الأمر بدلاته الأصولية على الحث و التدب، لذلك تكون دلالة التدب أظهر و أنساب من النصح و الإرشاد ، لا سيما إذا تعلق المأمور به بالآخرة، و إن لم تخالصيـة من إفادـة معنى النصح و الإرشاد أيضا، و من ذلك حديث أبي شريح العదوي قال: سمعت أذنـاي و أبصرـت عينـاي، حين تكلـمـيـ

<sup>1</sup>-بسـيونـي عبد الفتـاحـ، بلـاغـةـ تـطـيـقـيـةـ درـاسـةـ لـمسـائـلـ الـبلـاغـةـ منـ خـالـلـ النـصـوصـ ، صـ: 123 .

<sup>2</sup>-الرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>-المراجع نفسه ، ص: 128 .

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

"ص" فقال: "من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته؟ قال: "و ما جائزته يا رسول الله". قال: "يوم و ليلة و الضيافة ثلاثة أيام" ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه...".<sup>1</sup>

إن القصد من وراء أوامره "ص" هو حث المسلمين على الاستجابة لما يدعوههم إليه من إكرام الجار، و إكرام الضيف بحسن ضيافته، و الإحسان إليه خاصة إذا كان فقيراً بالصدقة إليه، إعلاماً بذلك من "ص" أن ما يحثهم عليه فيه الخير لهم ، فلا ينبغي أن يفوتوا على أنفسهم، و إن خالقوه لم يستحقوا العقاب ، و إن استحقوا اللوم و العتاب، أما إذا أتبعوه و نفذوا فلهم الثواب على الفعل .

جاء في ذلك من مدلول **ال فعل الكلامي المباشر**: "فليكرم مرتين" ، بصيغة المضارع المقاون بلام الأمر "فليفعل" و المكون أساساً من محمل الفعل "يكرم" و موضوعه "فاعله" ضمير مستتر وجوباً تقديره "أنت" مُتضمناً فعلاً دالياً فحواه الدعوة إلى الإكرام و الإحسان للضيف و للجار. ليتضمن هذا الفعل الكلامي فعلاً إنجازياً تتكون حمولته الدلالية و مشكلة من:

. قوّة إنجازية حرافية: الأمر الصريح "يكرم". بصيغة المضارع المقاون بلام الأمر.

. قوّة إنجازية مستلمة: تمثل في "الحث و الندب" ، لأنّ الأصوليين يقرّون أنّ المندوب مساوٍ للمباح في التخيير بين الفعل و الترك من غير حرج، غير أنّ المندوب يزيد أنّه معه التواب على الفعل، و هذا ما ارضاه الرسول "ص" من حثه و توجيهه، و لذلك فالمندوب إليه و خاصة عنه "عليه الصلاة والسلام" فيه معنى القربة إلى الله عزّ و جلّ وهو "النّدب". مِنْ تَصْدِيقٍ عَلَى الْمَعْسَرِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ إِكْرَامِ الْجَارِ وَ الْمُضِيَافِ، لِمَا لَهُذِهِ الْأَفْعَالِ "الأوامر" من ثواب عند الله ، بسبب ما يتضمنه معناها القضوي الذي تدلّ عليه، جعلت من الرسول ، يُرغّب فيها جاعلاً إياها من علامات كمال الإيمان بالله و اليوم الآخر.

#### د- التعجيز:

يرتبط هذا الغرض من أسلوب الأمر المضمن في القول بالمحاطب، ومدى قدرته على القيام بالفعل،" و هو مطالبة المحاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهاراً لعجزه و ضعفه و عدم قدرته"<sup>2</sup>. و ذلك من قبيل التحدى إظهار والعجز، كقول الشاعر:

**أروني بخيلاً طال عمرًا بُخله \*\*\* و هاتوا كريماً مات من كثرة البذل<sup>1</sup>**

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 5673، كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله... ج 03، ص: 2240.

<sup>2</sup>- عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية ، علم المعاني، ص 76.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

فإذا قلت ملن يدّعى أمرا ليس في وسعه: "إفعله" امتنع أن يكون المطلوب بالأمر حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليك بامتناعه ، و توجه إلى مطلوبٍ ممكِن الحصول مثل: بيان عجزه و تولد التمجيز و التحدي...".<sup>2</sup>  
و قد عبر "الزرکشي" عن التمجيز قائلاً: "و يكون: حيث يتضمن الأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب إظهاراً لعجزه...".<sup>3</sup>

و من المواطن التي ظهر فيها الأمر المراد منه التمجيز الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أأن رسول الله "ص" قال: "إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيِوْا مَا خَلَقْتُمْ".<sup>4</sup>  
و قد أورد البخاري هذا الحديث في مواطن متعددة من الصحيح، تشتراك كلها في احتواء الحديث على فعل كلامي "أحيوا"، أمرٌ من الله تعالى للمصورين بإحياء ما يصورون ب nefخ الروح في ما كانوا يصورون إن استطاعوا، و لن يستطيعوا إنما هو أمرٌ تعجيزٌ لثبات العجز عن القيام بالفعل لدى المخاطب، "أي اجعلوه ذا روح، كما قدرتكم و صورتمه" ، وهذا هو الفعل الدلالي لل فعل الكلامي: "أحيوا".

ليشمل هذا الفعل فعلاً إسنادياً مكوناً من الجملة الفعلية الأمرية "أحيوا" و موضوع الفعل المتمثل في الضمير المتصل المعبر عنه "بواو الجماعة" و الدال على المصوريين. أما الفعل الإنجازي لهذا الأمر فتشكل حمولة الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح: "أحيوا" على صيغة "أفعل".

. قوّة إنجازية مستلزمـة: يقتضيها المقام بـسيـاق الحال و هي "الـتمـجيـز" ، رغم أنـ زـمـنـ الأمـرـ هو "ـيـوـمـ الـقـيـامـةـ" فـيـقـالـ لـهـمـ و "ـهـمـ يـعـذـبـونـ" و أـحـوجـ ماـ يـكـوـنـونـ إـلـىـ عـفـوـ اللـهـ وـغـفـرـانـهـ. فـيـتـعـدـىـ التـمـجيـزـ إـلـىـ نـوـعـ مـنـ التـقـرـيـعـ وـالـتـوـبـيـخـ بـقـرـيـنـةـ نـسـبـةـ الـخـلـقـ إـلـيـهـمـ ، كـمـاـ عـبـرـ عـنـ ذـلـكـ إـلـمـامـ"ـابـنـ حـجـرـ": "...فـإـنـماـ نـسـبـ خـلـقـهـ إـلـيـهـمـ تـقـرـيـعـاـ لـهـمـ بـمـضـاهـاتـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ خـلـقـهـ، فـبـكـتـهـمـ بـأـنـ قـالـ إـذـاـ شـاـبـهـتـمـ بـمـ صـوـرـتـمـ مـخـلـوقـاتـ اللـهـ تـعـالـىـ، فـأـحـيـوـهـاـ كـمـاـ أـحـيـاـ هوـ".

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص: 77.

<sup>2</sup> - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص: 417.

<sup>3</sup> - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص: 253.

<sup>4</sup> - صحيح البخاري، حديث رقم: 5607، كتاب اللباس، باب عذاب الصور يوم القيمة، ج 5، ص: 2220.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

من خلق...".<sup>1</sup> ، ليظهر عدم تطابق القوتين الإنجازيتين ، بدلالة المستلزمة مقاميا على "التعجيز" لأنّه لا يطالب "بالإحياء" إلّا من يقدر على الخلق !!! و هذا فقط من قدرته عزّ و جل.

\*\*نموذج يطابق الحديث الأول دلالةً و قضيّةً، أورده "البخاري" في الباب ذاته بغرض التعجيز ، في الحديث الذي يرويه "أبو زرعة" قال:دخلت مع أبي هيرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوّراً يصوّر، قال:سمعت رسول الله "ص" يقول: "و من أظلم من ذهب يخلق كخليق فليخلقوا حبةً، و ليخلقوا ذرةً...".<sup>2</sup>

يظهر في هذا باب التعجيز بديلاً من دلالة الفعل الكلامي، "فليخلقوا حبةً، فليخلقوا ذرةً" كفعل كلامي بصيغة "فليفعل" كجواب على صيغة الاستفهام: و من أظلم؟ بمضمون قوة إنجازية مستلزمة يستدعي التعجيز عن الخلق و لو حبةً ، و لو ذرة... !!! و هذا ما يستدعيه المقام و السياق، لتبقى دلالة التعجيز دائمة بدوام صدور الأمر إلى المصوريين في المثال الأول ، في كلّ وقت و حين ، و إلى الذين يضاهون خلق الله من حبة أو ذرة في المثال الثاني .

### هـ - التأديب:

جاء في "منجد اللغة والأعلام" أنّ الأدب من أدب، أدباً بمعنى هذبه و راض أخلاقه ، فهو مؤدب ، و من تأدّب بمعنى تعلم الأدب...<sup>3</sup> ، و زاد "صاحب المصباح":...أدبته، يعني علمته رياض النفس و محاسن الأخلاق وأدبته تأدّبها : وبالغة و تكثير ، و منه قيل: أدبته تأدّبها ، إذا عاقبته على إساءاته ، لأنّه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب.<sup>4</sup> ، و الناظر في السيرة النبوية عامة يلحظ كيف كان الرسول "ص" حريصا على أن يعلم ، بل يؤدّب أصحابه و مناطق التأديب كي يكونوا نماذج في بناء صرح هذا الدين في شكل "إستراتيجية تحاطبية" ، يجسّد من خلالها المرسل درجة علاقته بالمرسل إليه أو المتلقى ، و أن يعبر عن مدى احترامه و رغبته في الحافظة عليها، لا سيما وهو الذي أثني عليه التعبير القرآني: "إنا أرسلناك رحمة للعالمين" ..

و من المواطن التي استعمل فيها الرسول "ص"الأمر بغرض التأديب ، ما أورده البخاري في باب أفرده في ذلك سماه "باب الأدب" أثناء حديثه عن الأطعمة في الحديث الذي يرويه عمرو بن أبي سلمة إذ يقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله "ص" ، و كانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله "ص" : يا غلام ، سِم الله و

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري، ج13، ص648.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 2609، كتاب اللباس، باب نقض الصور، ج50، ص: 2221.

<sup>3</sup>- المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق، بيروت ، ط، 1997. مادة: أدب ، ص: 36.

<sup>4</sup>-الفيومي أحمد بن علي ، المصباح المنير ، مادة"أدب" . ص: 10.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف

كُلَّنِ يَمِينِكَ، وَكُلَّنِ مَا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تُلْكَ طُعْمَتِي بَعْدُ..<sup>1</sup>. وَ قَالَ أَنْسٌ: قَالَ النَّبِيُّ صَ: "اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَ لِيَاكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مَا يَلِيهِ.."<sup>2</sup>

من خلال نص الحديثين يحرص الرسول "ص" على تلقين آداب الأكل في حضرة الطعام للغلمان، كي يكروا على هذا الأدب، بدءاً من استحباب التسمية على الطعام في أوله، والأكل والشرب باليمين، وكرامة ذلك بالشمال، وأن يأكل الطاعم مما يليه. وقد اشتمل الحديثان على فعل كلامي: "كل، سـ" المكون كلّ منهما من:

فعل استنادي يتكون من محمول الفعل (سـ، كـ) و موضوعه الفاعل المستتر وجوباً تقديره أنت، و المتضمن قضية تأديب الرسول "ص" لبعض أصحابه في بيان طبيعة الأكل والشرب في حضرة الطعام ، ينبع عنه "استلزم منطقى "بين المعلم و المتعلم من خلال رغبة الأول في التعليم ، و استجابة الثاني لذلك ، بدليل طرف الحديث: "فما زالت تلك طعمتي بعد.." ، أما الفعل الإنجازى فتشكل حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر بصيغة : "كل، سـ".

. قوّة إنجازية مستلزمـة: مقامياً : تتمثل في تأديب الرسول "ص" لبعض الصحابة أثناء الأكل ، ما يحتم كنتيجة للتأديب و التعليم اجتناب الأعمال التي تُشبه أعمال الشياطين و الكفار ، و استحباب تعليم آداب الأكل والشرب، و فيه مزية لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر و مواظبه على مقتضاه<sup>3</sup> . كما يعكس الحديث مواكبته لقوتين إنجازيتين، أبحرت الأولى فعل الأمر الصريح المدلول عليه حرفياً بصيغة "سـ، كل" ، إلا أنّ السياق المقامي لا يقصد به الأمر بل التأدب ، و الذي يمثل فعلاً لغويًا غير مباشر على حدّ تعبير "سيـل" في محاضراته.

لتبقى أغراض أخرى في شكل أفعال لغوية غير مباشرة لأسلوب الأمر في الحديث النبوى الشريف يمكن عرضها في خلال الجدول المولى ، و تقتضي الرجوع إليها في ثانياً كتب الحديث النبوى الشريف، لنخلص إلى أنّ للأمر قوى إنجازية مباشرة و مستلزمـة مقامية تتمثل في:

القوى الإنجازية المستلزمـة	القوة الإنجازية الحرفية
الوجوب، الندب، التحير، الإباحة، الدعاء، التعحـيز، التهدـيد... .	الأمر الصريح: (افعل ،ليفعل)، إضافة إلى اسم ال فعل، النـائب المـصدر عن الفـعل.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 5061، باب التسمية على الطعام، ج 05، ص: 2056.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 5062، الباب نفسه، (الأكل باليمين)، ج 05، ص: 2056.

<sup>3</sup>- العسقلاني ابن حجر:فتح الباري، ج 09، ص: 599.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

### ثالثاً: . أسلوب النهي:

النهي هو طلب الكف على وجه الاستعلاء، أو طلب الترک ، و له صيغة واحدة هي "ال فعل المضارع المسبوق بلا النافية" ، التي تفيد وجوب الامتناع عن الفعل و تركه استعلاءً ، فالطلب من النهي ينزلته من الأمر...<sup>1</sup> .

و قد يُستعمل لتوجيه المتلقي أو الغائب، و للنهي درجات تقدر بناءً عل السياق التداولي ، و ذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوّة ، و أهمية الأمر المنهي عنه، كما يمكن استعمال ألفاظ معجمية للدلالة على النهي كمادة: "حرّم، حَظِرَ، منع". و "نَهَى" و "مُشْتَقَاهَا" ، أو الألفاظ الدالة معجميا على الترک و إن كانت بصيغة الأمر، مثل: "دع و ذر، كف" ، وكذلك الألفاظ الدالة على عدم "الخلٰ" بأسلوب النفي "لا يحلٰ" "لا يجوز" .<sup>2</sup> و لا يختلف النهي عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل، يقول "السكاككي": "...و النهي مُحدّث به حذو الأمر ، في أنّ أصل الاستعمال : "لا تفعل" أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادق ذلك أفاد الوجوب ، و إلا أفاد طلب الترک فحسب".<sup>3</sup>

و الشروط المعدّة لإجراء النهي على أصله هي: "شرط الاستعلاء" ، "الزام المخاطب به" .. و إذا احتل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله خرج إلى أغراض تواصيلية يفرضها السياق ، فيها يقول "السكاككي": "... ثم إن استعمل على سبيل التضيّع ... سمي دعاءً، و إن استعمل في حق المساوي في الرتبة سُمّي التماساً، و إن استعمل في حق المستاذن سُمّي إباحةً... و إن استعمل في مقام تسخّط الترک سمي: تهديداً.<sup>4</sup>

### . الفعل الكلامي المباشر: "النهي الحقيقى" :

"طلب الكف عن شيء ما على جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى بتنفيذه على وجه الإلزام والإيجاب... هي الصيغة من النهي تفيد تشریعا ما في النواهي الاعتقادية الدينية خاصة ، و النواهي الدنيوية عامة أو تشديد الرغبة في وقوع فعل على هيئة مُعيّنة... لذلك ارتبط أسلوب النهي باستنباط الأحكام الشرعية... هذا الحكم إما أن يكون خطاب طلب و اقتضاء، و أو لا يكون ، و أنه إن تعلق بطلب اقتضاء فهو أن يكون طلبا بإتيان فعل أو طلبا باحتساب فعل أو تركه ، كل واحد منهما إما جازم أو غير جازم، فما تعلق بالطلب الجازم

<sup>1</sup> - ياسين عبد العزيز، الأساليب الإنسانية في البلاغة العربية ، مطبعة السعادة، ط1989، 01، ص:313.

<sup>2</sup> - عبد المادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط2004، 01، ص: 351.

<sup>3</sup> - السكاككي: مفتاح العلوم، ص:429.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ص، ن.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

لل فعل فهو الوجوب... و ما تعلق بغير الجازم فهو الندب ، و ما تعلق بالطلب الجازم للترك هو الحرمة ، و ما تعلق بغير الجازم منه فهو الكراهة".<sup>1</sup>

لذلك فخطاب الشارع بطلب الترك ، ترك الفعل سواء أكان على جهة القطع و الجزم أو غير ذلك من معانٌ تستفاد من السياق و قرائن الأحوال ، هو ما تناوله البلاغيون تحت مصطلح "أسلوب النهي" ، و هو المقصود و ورده بصيغة "لا تفعل" . و هي صيغة مخصوصة للنهي ، و أن "لا تفعل" تفيد التحريم عند تجردها عن القرائن ، فهي حقيقة في طلب الإمتناع أو الترك أو التحرير...".<sup>2</sup>

و قد استعمل النبي "ص" النهي بمعنى "التحريم" ، و من أمثلة ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه،أن رسول الله "ص" قال: "لَا تَلْقُوا الرِّكَبَانَ وَ لَا يَبْعِثْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعٍ بَعْضٍ، وَ لَا تَنَاجِشُوا، وَ لَا يَبْعِثْ حَاضِرٌ لَبَادٍ، وَ لَا تُصْرُوا الْفَنَمَ ، وَ مَنْ ابْتَاعَهَا فَهُوَ بَخْيَرُ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَتَّهَلَّبَا: إِنْ رَضِيَّهَا أَمْسَكَهَا ، وَ إِنْ سَخِطَّهَا رَدَّهَا وَ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ...".<sup>3</sup>

فيظهر من خلال الحديث المتضمن لصيغ النهي الصريحة المكونة من "المضارع مع لا النافية" ، دلالة النهي على التحرير دلالةً واضحةً،أوردها "البخاري" في باب "البيوع" ، و هو باب المعاملات بين المسلمين في أمور دينهم، و دنياهם ليتضمن الفعل الكلامي أفعالاً دلالية متضمنة في مدلول : "لَا تلْقُوا الرِّكَبَانَ، لَا يَبْعِثْ ، لَتَنَاجِشُوا، لَا تُصْرُوا، .." كلّها أفعال دلالية تتضمن النهي (التحريم) في باب تلقي الركبان و إن لا يبع المسلم على بيع أخيه... و كلّها أسس أخلاقية تقوى دعائم المجتمع المسلم.

ليكتون الفعل الكلامي من فعل إسنادي موضوعه النهي الصريح "لا تفعل" ، و محموله الفاعل المستتر مرتة، و الضمير المتصل مرة أخرى، العائد على المسلم عامة. و المتضمن قضية البيع في أحد أنواعه ، و هو بيع "تلقي الركبان" ، لتخلّل الفعل الكلامي في حمولته الدلالية قوتان إنجازيتان: قوة إنجازية حرافية: النهي الصريح: "لا تفعل" ، لا تلْقُوا، لا يَبْعِثْ .

. قوة إنجازية مستلزمـة: تمثل في "التحريم" ، إذ لا يجوز للمسلم أن يسمع بالسلعةقادمة إلى البلد، فيخرج يتلقاها من الركبان خارج البلد، فيشتريها من هناك، ثم يدخلها فيبيعها كما شاء ، لما في ذلك من التغيير بأصحاب

<sup>1</sup>- الآمدي علي بن محمد ،الإحكام في أصول الأحكام ، ج 01، ص:138-139.

<sup>2</sup>- يراجع اختلاف الفقهاء و الأصوليين في المسألة ، و هذا الرأي انفرد به الإمام الجولياني "البرهان في أصول الفقه" ، تحقيق عبد العظيم محمود... دار الوفاء، مصر، ط 1418، هـ ، ص:199.

<sup>3</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 2043، كتاب البيوع، باب النهي للبائع أن لا يغفل الإبل... ج 02، ص:755.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

السلعة والإضرار بأهل البلد من تجار و غيرهم ..<sup>1</sup> ، مما يعكس أنّ النهي لصالح العباد و ليس بمحرد الرغبة في التحرير أو التشديد على الناس، لذلك جاء "التحرير" مطابقاً للقوة الإنذارية الحرافية "النهي" باعتباره فعلاً كلامياً مباشراً، و بذلك يضمن للمجتمع بناءه الاجتماعي السليم بإقامة دعائمه الاقتصادية و توضيحها.

و لعلّ هذه القوة الإنذارية المستلزمة هي التي أقرّ بها علماء الأصول حين يكون الغرض الأساسي للنهي هو "التحرير" و الفعل المنهي عنه هو "المحرّم" فيقول "الجويني": "هو ما زجر الشارع عنه و لام على الإقدام عليه".<sup>2</sup> "و عرّفه" الآمدي": "...هو ما ينتهض فعله سبباً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له ، و من أسمائه أنه محظوظ و معصية و ذنب".<sup>3</sup>

فالنهي الذي يقتضي التحرير هو الذي يدلّ على أنّ الشارع بطلب الكف عن فعله طلباً حتماً...<sup>4</sup> ، أي الذنب الذي يجب معه اجتناب ما نهى عنه القرآن الكريم، أو نهى عنه الرسول "ص" لأنّ مخالفة نهيه عليه الصلاة و السلام يتربّ عليها العقاب شرعاً سواءً أكان دنيوياً أو آخرworld أو فيهما معاً.

#### . الفعل الكلامي غير المباشر: "النهي المجازي".

إنّ أكثر ما يدلّ عليه استعمال أسلوب "الأمر و النهي" في الحديث النبوي الشريف هو التعبير عن أبعاد العلاقة بالأخر ، و في خروجهما عن الغرض الأصلي الذي يساقان لأجله ، سواءً أكان طلب الفعل على وجه الاستعلاء في الأمر، أو طلب الكف في النهي ، إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق بعيدة عن الأصل في صيغة النهي عن سبيل الاستعلاء إلزاماً بالكف ، و تحريماً للفعل، و من هذه الأغراض كأفعال لغوية غير مباشرة:.

#### أ. النصح والإرشاد:

قد يخرج النهي في هذا الغرض فيكون للتوجيه في أمرٍ من الأمور أو للتنبيه عليه على سبيل النصح والإرشاد ، و من ذلك حديثه "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه"أن رجلاً قال للنبي "ص" أَوْ صِنِي "، قال: لا تغضب، فردد مواراً، قال: لا تغضب...".<sup>5</sup>

فيعكس الحديث فعلاً كلامياً يتمثل في النهي "لا تغضب" و الذي جاء ردّاً على الصحابي الذي أراد الوصية من رسول الله "ص" فولّد المقام توجيه النصيحة لطالبه، ليتكون هذا الفعل الكلامي من:

<sup>1</sup>- أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم، دار الفكر ، ط 1976، 08، ص: 321.

<sup>2</sup>- الجويني، البرهان في أصول الفقه، تج: عبد العظيم محمود ، دار الوفاء، مصر ، ط 04، 1418هـ ، ج 01، ص: 216.

<sup>3</sup>- الآمدي:الأحكام في أصول الأحكام، ج 01، ص: 156.

<sup>4</sup>- خلاف عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، ص: 113.

<sup>5</sup>- صحيح البخاري:Hadith رقم: 5765، كتاب الأدب ،باب الحذر من الغضب ، ج 05، ص: 2267.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

\* **فعل دلالي:** مضمونه القضية التي أرادها رسول الله :ص " من مدلول "لا تعصب" لأنّ الغضب يجمع الشر كله"<sup>1</sup> ، فهو مدعو إلى اجتناب أسبابه ، و لا يتعرّض لما يجلبه.

\* **فعل إسنادي:** يتمثل في الفعل المضارع "لا تعصب" و موضوعه الفاعل المستتر تقديره أنت.

هذا الفعلان يتقاطعاها "استلزم حواري" يتكون من طلب و جوابه، عمل فيه المتكلم على تأكيد "جواب الطلب" عن طريق التكرار بدليل قول "الراوي" فردد مرارا ، و لعل السائل كان غضوبا ، و كان "ص" يأمر كلّ واحد بما هو أولى به ، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب. ليواكب هذا الفعل فعلا إنجازيا تكون حمولته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** تتمثل في النهي الصريح "لا تعصب". بصيغة :"لا تفعل".

. **قوة إنجازية مستلزمة:** ولّدها المقام و السياق " و هو النّصّح" ، مما يعكس عدم تطابق القوّتين الإنجازيتين لأنّ النّصّح هو العرض المتونجي، بيانا منه "ص" من قوله "لا تعصب" من الحكمة و استحلاب المصلحة في ذرء المفسدة ، مما يتعدّر إصلاحه و الوقوف على نهايته.

\* في النموذج التالي الدليل الواضح على نصح رسول "ص" أصحابه، كما فعل مع عبد الرحمن بن سمرة، الذي قال: قال رسول الله "ص" لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنّت عليها، و إن أعطيتها عن مسألة وكلّت إليها، و إذا حلفت على مين فرأيّت غيرها خيرا منها، فأت الذي هو خير، و كفر عن مينك".<sup>2</sup>

إن رغبة عبد الرحمن بن سمرة في الإمارة كانت جليّة واضحةً ، لأنّه في نفسه يملّك القدرة على تولّيها، إلا أنّ النبي "ص" نهاد عن سؤلها و الحرص عليها، بالفعل الكلامي: "لا تسأل" ، مغضّدا النهي بـ"أسلوب الشرط و جوابه" ، مبيّنا العلة و مدى خطورة المنهى عنه. و يتكون الفعل الكلامي من:

\* **فعل إسنادي:** يتمثل في محول الفعل : "تسأل" ، و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا تقديره "أنت".

\* **فعل دلالي:** المكوّن من القضية التي تتمثل في طلب الإمارة ، و تحذير الرسول "ص" ناصحاً الصحاّي خوفا من الفتنة التي يمكن أن يتعرّض لها في موقع الإمارة و مُغرياتها.

ليربط الفعل الدلالي بين "اقتضاء" ما يتربّع عن طلب الإمارة في صورة "الشرط" الذي بيّنه رسول الله "ص" و لما يستلزم "منطقيا" النتيجة المترتبة عنها بطريقة:

<sup>1</sup>- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ، ج 10 ، ص: 586.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 6343، كتاب كفارات الإيمان، باب الكفارة قبل الحث، ج 50، ص: 2472.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

— إن أُوتيتها عن مسألة ← وَكُلْتُ إِلَيْهَا.

— إن أُوتيتها من غير مسألة ← أَعْنَتْ عَلَيْهَا.

و هو "تفصيل بعد إجمال" ، مُبيّناً علة النهي في الأسلوب ، بـ"الخبر المؤكّد""إِنْكَ....." ، و الذي اشتمل تركيبيه النحووي على موقفين مُتقابلين ، جاءت كلّ مقابلة في أسلوب شرط و بذلك "ينسحب" التوكيد الذي تصدر به الأسلوب الخبري على الشرطين معاً. لينجز بذلك فعل النهي **فعلا إنجازيا تتكون حمولته الدلالية من:**  
**قوّة إنجازية حرفية:**تمثل في النهي الصريح: "لا تسأل".

**قوّة إنجازية مستلزمة:**تمثل في "النصح والإرشاد" لأنّ التبيحة المنهى عنها و المراد الوصول إليها واضحة جليةً، إذ يستطيع المسلم أن يحدد لنفسه أي السلوكيين أهدى سبيلاً، ليس من دلالة النهي وحدها ، بل من التوضيح و البيان الذي يضع المسلم أمام مقارنة بين النتيجتين ، و الذي يُسلّم إلى الترفع عن طلبها من جهة، أو حين تأتيه راغمةً دون مسألة من جهة أخرى.

### ب . الكراهة:

من المواطن التي يخرج فيها النهي عن حقيقته،أن يأتي لبيان كراهة الفعل الذي حصل من المخاطب ، و هو الموطن الذي قد يحتاج فيه المتكلم إلى البرهنة عمّا استكرره من "مستقبله" ، كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه. قال: بينما نحن نصلّي مع النبي "ص" إذ سمع جلبة رجالٍ ، فلما صلّى، قال: "ما شأنكم؟" قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: "فَلَا تَفْعِلُوا" ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا و ما فاتكم فأئثروا...".<sup>1</sup>

فقد اشتمل الحديث على فعل كلامي: "لا تفعلوا" في صورة نهي صريح، كراهة منه "ص" لصنع ذلك الوفد من الصحابة ، رغم "كون المخاطب" و هم الصحابة كانوا حريصين على إدراك الصلاة بالإسراع إليها حتى لا يفوّهم شيء منها... ، فكان النبي "ص" موضحاً العلة من ذلك بأسلوب "الشرط و جوابه" - "إذا أتيتم فعليكم بالسكينة". بعد أن أدى النهي "لا تفعلوا" كراهةً لصنعهم.

و قد اشتمل الفعل الكلامي على :

\* **فعل دلالي:**يتمثل في مضمون الفعل "لا تفعلوا" ، و من القضية التي تتمثل في نهي الرسول "ص"

<sup>1</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 610، كتاب الآذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة" ، ج 01، ص: 228.

الفصل الثالث.....الأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف

للسابقة عن فعلتهم حين أحدثوا الجلبة، فأفسدوا على الناس خشوعهم، لا سيما وأنَّ الإسناد كان مكوناً من محمول الفعل: "تفعلوا" المجزوم بلا النهاية، و موضوعه: الفاعل الضمير المتصل المعتبر عنه بـ"أبو الجماعة" إشارة إلى الصحابة رضوان الله عليهم.

لتشتغل القضية في فعلها الدلالي من "اقتضاء" مردُّه علمُ الرسول "ص" بما في هذا الصنيع من أثرٍ خاصة حين تعلق بالخشوع في الصلاة من جهة، و كونه كان "مفاجئاً" بدليل سبق الحديث بـ " بينما" المتعلق بالظرف "إذ" للدلالة على الفجائية من جهة أخرى، مما يستلزم من الصحابة العمل على ترك صنيعهم اقتداءً بنهي رسول الله "ص"، أما الفعل الإنجازي لهذا الفعل الكلامي فتشكلت حمولته الدلالية من: قوَّة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي " لا تفعل".

وَذَلِكَ مَا أَكَّدَهُ الْإِمَامُ الشُّوكَانِيُّ أَنَّهُ تُسْتَفَادُ الْكَرَاهِيَّةُ إِذَا نَصَ النَّبِيُّ صَ عَنْ فَعْلٍ هُوَ لَهُ غَيْرُ مُحِبٌّ، وَتَرَجَّحَ فِيهِ جَانِبُ التَّرْكِ عَلَى الإِتِيَانِ...<sup>1</sup>

ج - التأنيض:

اربط هذا الغرض من النهي في إحدى مواضعه بمحطّة من محطّات الهجرة النبوية المباركة... حين قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله "ص" لما رأى سُرَاقةَ بنَ مالكَ يَتَبَعَّهُمْ، وَ هُمْ فِي طَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الرَّسُولُ "ص" لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...".<sup>2</sup> وَ لِعَلَّ السَّبَبِ فِي حَزْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ هُوَ خَوْفُهُ عَلَى الرَّسُولِ "ص" ، فَنَهَاهُ الْمُصْطَفَى تَسْكِينًا لِقَلْبِهِ، فَكَانَ النَّهِيُّ بِالْفَعْلِ الْكَلَامِيِّ: "لَا تَحْزُنْ" وَ الَّذِي تَكُونُ مِنْ:

\* فعل إسنادي: مُكوّن من محمول الفعل "تحزن"، و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا العائد على أبي بكر الصديق تقدّيه "أنت".

\* فعل دلالي: يتكون في القضية التي تتمثل في حُزن أبي بكر الصديق عليه صاحبه في المиграة، وهذا ما

<sup>1</sup> الشوكاني، علم ابن محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، ج 01، ص: 23.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري: حديث رقم: 3420، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج 03، ص: 1324.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

اقتضته ملابسات السياق المحدّد لأحداث الهجرة ، و المعبر عنها: "أَتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ" ، و فعل إنجازي: تتشكل حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي: "لا تحزن".

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في تأنيس الرسول لصاحبه، دفعاً للخوف و القلق، مُؤكداً ذلك بالأسلوب الخبري "إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا". لإزالة ذلك التردد و الشّك ، و هو من ضرب الخبر الظبي كما تم شرحه سالفا.

### د. الإنكار:

كما تم ذكره ، فإن الإنكار أن يُظهر المتكلّم عدم قبول ما يصدر من مخاطبٍ لهلة أو لأنجحى ، خاصة إذا تعلق الأمر بأمور العقيدة أو المعاملات بين المسلمين ، ومن النهي في مقام الإنكار على المخاطب نحيمه "ص" على التفضيل بين الأنبياء والذي من شأنه أن يؤدي إلى التنازع و الخصوم، أو حتى الإنقاذه من قيمة المفضول، ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة في سباب الرجلين ..رجل من المسلمين ..ورجل من اليهود، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين ، فغضب المسلم ..ولطم وجه اليهودي..فذهب اليهودي و أخبر الرسول "ص" ..فقال الرسول "ص": لا تُخِيِّرُونِي في مُوسَى فـان.....) وفي رواية أخرى:....لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ....) <sup>1</sup>.

إنّ المقام مقام إنكار لما في ذلك من باعث على الخصومة و التنازع بين المسلمين وغير المسلمين ، فأنكر الرسول "ص" ذلك بالفعل الكلامي : "لا تخِيروني ، لا تُفضِّلُوا" ..ويكون هذا الفعل من : فعل دلالي : وما يتضمنه الفعل من تخيير و مفاضلة بين الأنبياء ، مُشكّل من فعل إسنادي : طبيعته الفعل المضارع المجزوم بلا النهاية ، و موضوعه :فاعله الضمير المتصل المعبر عنه بـأو الجماعة، مع إحالة الفعل الكلامي على الرجلين المתחاصمين . ليتشكل الفعل الكلامي من فعل إنجازي تتكون حمولته الدلالية من :

قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي الصريح (لا +المضارع المجزوم).

قوّة إنجازية مستلزمة : ولّدها المقام بـملابسات السياق "...جدال .. خصام.." مما حتم إنكار الرسول "ص" لصنيع الرجلين معا ، فنهى الرسول ص مُنكراً لهذا الصنيع على المתחاصمين خاصة وعلى المسلمين عامة ، و ذلك إظهاراً لمكانة الأنبياء عند الله عز وجل ، فلا يمكن الانتقاد من قيمتهم ، و يظهر ذلك من خلال تعقيب النبي "ص" عن إنكاره بما جاء في تتمة الحديث .

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 2280 ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص و الخصومة ... ج 2 ص: 894

<sup>2</sup>- المرجع نفسه حديث رقم 3233 ، كتاب الأنبياء باب : وَانْ يُونِسْ لِمَنِ الْمُرْسَلُونَ ج 3 ص: 1254

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

وخلالصة الحديث عن النهي ، انه كثيرا ما كان مرتبطا بالغرض الأصلي منه وهو "التحريم" ، بسبب ارتباطه بالميدان التشريعي، وذلك ما تعبّر عنه القوة الانجذابية الحرفية غالبا حين تطابقها مع ما يستلزم المقام ، إلا انه قد يخرج إلى دلالات أخرى انحذافية مستلزمة ، تتنوع بتتنوع السياق الذي ترد فيه صيغة النهي كما في الجدول التالي :

قوى انحذافية مستلزمة	قوة انحذافية حرفية
الكرامة ، النصح و الإرشاد ، التأنيس ، الإنكار ، الدعاء ، التحذير ، الإباحة .....	النهي ..... لا تفعل

#### رابعاً: أسلوب النداء :

النداء تركيب طبقي ، يقصد به تنبيه المخاطب (المنادى) ودعوته للإقبال على المتكلّم لإبلاغه أمراً يريده، بأدوات تسمى أدوات النداء ،...لتكون الجملة الندائّية من :أداة النداء مذكورة أو محنّفة ، والمنادي الذي لا يظهر في البنية السطحية للجملة ،والمنادي : وهو المخاطب ، والمنادي له : أي جواب النداء ، أي المضمون المراد تبليغه للمنادي ، وقد يكون هذا المضمون: جملة خبرية ، جملة طلبية ، أو شرطية .....

وكثيراً ما يقترب النداء بمقاصد أخرى كالأمر و النهي والإخبار ، فالنداء فعل كلامي يعتبر مدخلاً لأفعال كلامية أخرى هي الهدف المقصود مباشرة من تنبيه المنادى و دعوته للإقبال على الداعي ،"فالنداء كالغرض الثاني لا يطلب لذاته إنما يطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى ، وعمل النداء من قبيل خاص ، فهو مُمهَّد لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر المعاني و المقاصد ، وليس من قبيله "<sup>1</sup>

لذلك فالنداء ليس مقصوداً لذاته ، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له ومنه تكون القوة الانجذابية للنداء هي التنبيه ( أداة النداء+منادي) وطلب إقبال المدعو على الداعي ، أمّا القوة الانجذابية في جواب النداء فتكون أمراً أو نهياً أو إخباراً أو وصفاً أو دعاء ... ومثال ذلك في هذه الحالة ما ورد عن المureور قال : لقيت أبا ذرٍ "بالربدة" ، عليه حلة وعلى علامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إن سَابَبْتُ رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ص" : يا أبا ذرٍ أعيّرته بأمه ، إنك أمرُوا فيك جاهيلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليُلِّسْهَ مما يلبس ، ولا تُكلِّفهم مَا يغلُّهم ...<sup>2</sup> ، لتجلى أول صورة من صور النداء المكونة من :

<sup>1</sup>- محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة العربية للخطاب بيروت ط 1، 2001 ج 2، ص: 681.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم 30 كتاب الإيمان بباب المعاصي من أمر الجahيلية ج 1، ص: 20 .

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

### أ-أداة النداء + المنادى المضاف + مضمون النداء:

هذا المضمون إقرار لحقيقة ما وقع من سباب بين أبي ذر الغفارى و صاحبه ، رغم مكانة "أبي ذر" في الإسلام ، فاشتمل هذا المضمون على تركيب تداوليٌّ مكونٌ من أفعال كلامية هي :

- . يا أبو ذر - نداء - للتنبيه والإقبال على المنادى.
- . أعتبرته ؟ - استفهام - للإنكار والتوبیخ .<sup>1</sup>
- . إنك امرؤ فيك جاهلية - جملة خبرية - لغرض الوصف والتوبیخ .
- . قوى انحازية مستلزمة .
- . فليطعمه - أمر - الوجوب ( جواباً لشرط ) .
- . وليلبسه - أمر - الوجوب ( جاباً لشرط معطوف ) .
- . لا تكلفوهم - نهي - التحرير .

لذلك يؤخذ النداء "تداولياً" على أنّ قوته الانحازية هي التنبيه ( الأداة + المنادى ) و طلب إقبال المدعو على الداعي ، و المكونة من الأداة "يا" لنداء القريب و البعيد ، و المنادى المضاف "أبا ذر" ، أما القوى الانحازية في "جواب النداء" ف تكونت من : الإنكار ، التوبیخ ، الوصف ، الوجوب ، التحرير ، ناتحة و مستلزمة كلّها عن أفعال كلامية تراوحت بين "الأمر" ، و "النهي" ، و "الخبر" .

### ب-صورة النداء: أداة نداء + منادي مفرد مبني + مضمون النداء :

كثيراً ما شاع هذا النوع من التركيب الندائي في الحديث النبوي لشيوخ النداء في مواطن خاصة ، و كان فيها النداء مقصوداً خصّ به النبي "ص" واحداً من أصحابه، إلا أنّ العبرة قد تكون لجميع المسلمين ، ومن ذلك نداءه "ص" في الحديث الذي يرويه أسامة بن زيد حين بعث إلى "الحرقة" ، وما وقع منه حين قتل الأنباري برمحه، فقال الرسول ص : يا أَسَامِةً أَقْتَلْتُه بعد أن قال : لا إله إلا الله ...<sup>2</sup>.

جاء الخطاب النبوي مبدوعاً بالنداء إظهاراً لصاحب الأمر ، و إنكاراً لما أقدم عليه من قتل الأنباري في صورة "منادي مبني على الضم" لأنّ "اسم علم مفرد" مسبوق بأداة النداء ، أما مضمون النداء فقد أنجز فعلاً كلامياً يتمثل في الاستفهام : "أقتلته؟ بعد ما قال .." ، فالقوية الانحازية الحرافية للنداء "يا أَسَامِة" هي التنبيه ، أمّا مضمون النداء فجسّدت قوته الانحازية المستلزمة معنى "الإنكار" وفق ما يملئه المقام و الحدث ، و يمثل ذلك :

- . يا أَسَامِة - نداء - التنبيه والإقبال على المنادى .

<sup>1</sup>-العسقلاني بن حجر ، فتح الباري ج 1، ص: 107 .

<sup>2</sup>-صحيح البخاري حديث رقم 4021 كتاب المغازي باب بعث النبي ص ... ج 4 ص: 1556 .

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. أُفْتَلَتْهُ - اسْتَفْهَامٌ - الإِنْكَارُ .

. قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . جَمْلَةُ خَبْرِيَّةٍ - التَّقْرِيرُ وَ الاعْتَرَافُ .

فَكَانَ مَضْمُونُ النَّدَاءِ "جَمْلَةُ اسْتَفْهَامِيَّةٍ" لِلْإِنْكَارِ ، أَعْقَبَتْهَا "جَمْلَةُ خَبْرِيَّةٍ" تُصَنِّفُ الْحَالَةَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْأَنْصَارِيَّ

مَا يُعْكِسُ إِنْكَارَ الرَّسُولِ "صَ" لِصُنْعِ أَسَمَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

\* هُو نَدَاءٌ فِي صُورَةٍ تَعْكِسُ مُلَازِمَةَ الصَّحَابَةِ رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِلرَّسُولِ صَ فِي حَلِهِ وَ تِرْحَالِهِ ، اغْتِنَامًا لِلْفَرَصَةِ

فِي التَّعْلِمِ ، وَ مَعْرِفَةِ أَمْرَيِ الدِّينِ وَ الدِّنِيَا ، فِي صُورَةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ مَعاذَ بْنَ جَبَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قَالَ:

كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حَمَارٍ يُقَالُ لَهُ "غُفْرَانٌ" ، فَقَالَ الرَّسُولُ صَ: "يَا مَعَاذُ ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى

الْعِبَادِ ، وَ مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟" قَالَ: "اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ" ، قَالَ: "إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ،

وَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.....<sup>1</sup>"

يَبْدِأُ الْحَدِيثُ بِعِرْضٍ لِحَالِ الصَّحَابَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ "صَ" فَرِيَّا مِنْهُ وَ مُشَارِكَةً لَهُ فِي حَيَاتِهِ الْعَادِيَّةِ ... فَاغْتَنَمَ

الرَّسُولُ "صَ" وَجْهَ أَسَمَّةَ رَدِيفَاهُ لَهُ عَلَى ظَهَرِ حَمَارِهِ ، فَنَادَاهُ نَدَاءً يُشَعِّرُهُ مِنْ خَالِلِهِ بِمَدِي قَرِيبِهِ مِنْهُ ، "يَا أَسَمَّةَ"

لِيَلْفَتَ اِنْتِبَاهَهُ إِلَى مَضْمُونِ النَّدَاءِ ، وَهِيَ الْجَمْلَةُ الْاسْتَفْهَامِيَّةُ: "هَلْ تَدْرِي .....؟" ، وَهِيَ فَعْلٌ كَلَامِيٌّ غَيْرُ

مُبَاشِرٌ تَضَمِّنُ قَوْتَهُ الْإِنْجَازِيَّةِ الْمُسْتَلِزَمَةِ مَعَنِي "التَّشْوِيقِ" وَ "التَّرْغِيبِ" ، جَعَلَتْ مِنَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ يَدِي الرَّغْبَةِ

فِي مَعْرِفَةِ الْمَرَادِ مِنَ الْاسْتَفْهَامِ . لِتَكُونَ الْجَمْلَةُ النَّدَائِيَّةُ مِنَ أَفْعَالِ كَلَامِيَّةٍ تَمَثَّلُ فِي :

- يَا أَسَمَّةً - نَدَاءً - لَفْتُ الْأَنْتِبَاهَ .
- هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ - اسْتَفْهَامٌ - التَّشْوِيقُ .
- حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ - جَمْلَةُ خَبْرِيَّةٍ - التَّقْرِيرُ .
- قَوْيَ إِنْجَازِيَّةٌ مُسْتَلِزَمَةٌ مَقَامِيَّاً
- لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - نَهْيٌ - التَّحْرِيمُ .
- حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ ..... - جَمْلَةُ خَبْرِيَّةٍ - التَّقْرِيرُ .

فَقَدْ جَاءَ مَضْمُونُ النَّدَاءِ جَمْلَةً طَلْبِيَّةً ، اخْتَلَفَتْ قَوْتُهُ الْإِنْجَازِيَّةُ الْحَرْفِيَّةُ مَعَ الْمُسْتَلِزَمَةِ مَقَامِيَّاً ، لِيَعْقِبَ بِهِ جَمْلَةُ خَبْرِيَّةٍ

بِغَرْضِ "الْتَّقْرِيرِ" ، ثُمَّ أَرْدَفَ الْجَوابَ بِجَمْلَةٍ طَلْبِيَّةٍ كَانَ فِيهَا "النَّهْيُ" صَرِيْحًا بِغَرْضِ "الْتَّحْرِيمِ" .

ج . أَدَاءُ نَدَاءٍ غَيْرَ ظَاهِرٍ + مَنَادِيُّ (اللَّهُ) + مَضْمُونُ النَّدَاءِ :

<sup>1</sup> - صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ حَدِيثُ رَقْمِ: 2701 كِتَابُ الْجَهَادِ ، بَابُ اسْمِ الْفَرْسِ ، ج 3 ص: 1049.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

هذا النموذج الذي كثيرة ما اقترب بصيغة النداء (**اللهم**) ، والتي تُشكّل شيئاً كبيراً في الخطابات النبوية ، والتي حُذفت فيها الأداة مع "لفظ الحاللة" وذلك لشعور المنادى بقربه من المولى عز و جل ، فتُحذف الأداة في البنية السطحية للنداء ، كما في حديث عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، أنّ عائشة أخبرته: سمعت النبي "ص" وأصغت إليه قبل أن يموت ، وهو مُسند إلى ظهره يقول : "**اللهم اغفر لي وارحمني وألحيني بالرَّحْمَةِ الْأَعْلَى**" .<sup>1</sup> وهو النداء الذي يُصوّر مَرْضَ الرَّسُول "ص" وهو يسأل ربه طالباً منه الرحمة والغفرة ، ومضمون النداء في الحديث جملة طلبية أمرية ، دللت على "الدعاء" ، لأنّ الأمر من أقل منزلة إلى أعلى منزلة ، ومحذف حرف النداء من الجملة الندائية ، وبقي لفظ الحاللة مع ميم العظمة ، لينجز المضمون أفعالاً كلامية هي :

- . اللهم - نداء - للتعظيم .
- . اغفر لي - أمر - الدعاء .
- . ارحمني - أمر - الدعاء .
- . ألحيني - أمر - الدعاء .

فمضمون النداء اختلفت فيه القوة الانجazية للأمر مع قوته الانجazية المستلزمة "الدعاء" ، لأنّ المقام مقام دعاء و تضرع إلى الله تعالى ، ورسوله "ص" في سكرات الموت مُسندًا ظهره إلى خديجة ، وهو مضمون جملة النداء .  
\*والصيغة ذاتها ، وفي المقام نفسه ، مقام "الدعاء" ، بحدتها في الحديث النبوي الذي يرويه قتادة رضي الله عنه ، قال : سمعت أنساً ، قال : قالت أم سليم للنبي "ص": أَنْسٌ خَادِمُكَ ، فقال النبي "ص": "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ" .<sup>2</sup>

جاء النداء في هذا الحديث "بأدلة مخدوفة" في مقام دعوة النبي "ص" لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ، استعمل فيها الرسول "ص" صيغة (**اللهم**): تضرعاً و طلباً من الله عز وجل ليقبل مضمون ندائيه ، فمضمون النداء جملة طلبية أمرية تحسّد فيها الأمر كقرة انحازية حرفيّة ، متمثلة في أفعاله الصريحة : "أكثر" ، "بارك" ، بغضّ "الدعاء" ، لينجز هذا المضمون أفعالاً كلامية هي :

- . اللهم - نداء - للتعظيم و الابتهاج .

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 4176 ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ، ج 4 ص: 1614

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 5975 ، كتاب الدعوات ، باب وصل عليهم ... ج 5 ص: 2333.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

قوى الجازية مستلزمة مقاميا . أكثر ماله - أمر - الدعاء.

. أكثر ولده - أمر - الدعاء .

. بارك له فيما أعطيته . أمر - الدعاء .

وقد جاء مضمون النداء جملة طلبية أمرية ، بحسبه فيها الأمر كفوة الجازية حرفية بصيغة (أفعل)، لكن قوتها الانجازية المستلزمة فولدها المقام ، وهو مقام "الدعاء و الابتهاج" ليجازي الله ما قام به الصحابي في حياته، خدمة للرسول عليه الصلاة والسلام.

لخلص في الأخير بعد عرض الحالة الأولى لمقارنة النداء "تداوليا" في الحديث النبوي الشريف ، من حيث طبيعة جملة النداء ، أو مضمون النداء ، إلى ما يلي :

\* جسد النداء صور "التنبيه" من حيث طبيعة أداة النداء ، والمنادى ، وذلك من باب الذكر و الحذف المتعلق بالأداة من جهة ، وطبيعة المنادى من حيث الإعراب ( مضافا ، نكرة ، اسم علم ، اسم مفرد....) من جهة أخرى .

\* امترجع طبيعة مضمون الجملة الندائية بين الحمل الطلبية و الحمل الخبرية ، لكن الأغراض المتواخة منها فقد اختلفت حسب القوى المستلزمة حسب المقام و السياق .

\* كثيرا ما كانت الأغراض المتواخة من النداء باستعمال ركني النداء (الأداة و المنادى) لغرض لفت الانتباه والإقبال وكذا التخصيص من جهة ، أو بعرض التعظيم و التمجيل تضرعا إلى الله تعالى إذا تعلق الأمر بالذات الإلهية من جهة أخرى .

. أما الحالة الثانية في "مقارنة أسلوب النداء" ، فيمكن أن يُنظر إلى النداء حين يخرج مضمونه عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى ، وفيه يتجسد النداء كفعل كلامي غير مباشر حين يتخلى عن لفت الانتباه، لظهور معان وأغراض أخرى تُفهم من خلال السياق و المقام ، ومن أمثلتها :

أ. التأنيس :

إن الأصل في النداء أن يكون لطلب إقبال المخاطب ، إلا أنه قد يأتي لأغراض أخرى يقتضيها الحال و سياق المقام ، كدلالة النداء في الخطاب النبوي على التأنيس و التسلية ، كما حدث في هجرة رسول الله "ص" ، حين نادى أبا بكر رضي الله عنه وهما في الغار في الهجرة إلى المدينة، وذلك حين خشي الصديق أن يدركهم العدو ،

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

فعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قُلْتُ لِرَسُولِ "ص" وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدُهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ الرَّسُولُ "ص" : مَا ظَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاشِينَ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا ...<sup>1</sup>

فجاء النداء ك فعل كلامي مكون من صيغة النداء "يا أبا بكر" موجهة إلى الصديق رضي الله عنه، مشكلاً فعلاً أنجazياً تكون حمولته الدلالية من :

. قوّة المجازية حرفيّة : النداء بتركيبة : "أداة + منادى مضاف ". " يا أبا بكر".

. قوّة المجازية مستلزمة : نلمسها من المقام وهي "التأنيس و التسلية" لقلب الصديق رضي الله عنه بعد الخوف الذي اعتراه ، تهدئه من روعه ، والذي بينه الرسول "ص" في حديث آخر : "أَسْكَتْ يَا أَبَا بَكْرَ : اثَانَ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا"<sup>2</sup> حيث وظف الصديق صيغة النداء : يا نبي الله لو أَنْ بعضهم طأطأ بصره لرأنا ... وهي محطة للنداء تختلف فيها القوّة المجازية الحرفيّة عن المجازية المستلزمة مراعاة لسياق المقام و الحال معاً .

### بـ- الإنكار:

يأتي النداء النبوي في مقام الإنكار و العتاب كما وجدناه في الأمر و النهي ، إلا أنَّ المصطفى "ص" وظف أداة واحدة هي "يا" لما فيها من قوّة في تنبيه المخاطب إلى خطئه، وإشعاراً بأهميّة الأمر المنكَر من قبله "ص" ومن ذلك ما أنكره الرسول "ص" على "أم سلمة" في حديث عائشة رضي الله عنها... قالت بعد أن كان الناس يتحرّون ب بدايهم يوم عائشة ، قالت عائشة : فاجتمع صواحيبي إلى "أم سلمة" فقلن : يا أم سلمة والله إنَّ الناس يتحرّون ب بدايهم يوم عائشة ، وأنا نريد الخير كما تريده عائشة ، فمرى رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيشما مكان أو حيشما مدار ، قالت : فذكرت ذلك أم سلمة إلى رسول الله "ص" قالت : فأعرض عني ، فلما عاد إلى ذكرت له ذلك فأعرض عني ، وما عاد في الثالثة ذكرت له ، فقال : "يا أم سلمة لا تؤذني في عائشة ، فإنه و الله ما نزلَ الْوَحْيُ عَلَيَّ وَأَنَا فِي حِفَافٍ أَمْرَأٌ مِنْكُنْ غَيْرَهَا ...<sup>3</sup>

فحمل الفعل الكلامي "يا أم سلمة" فعلاً كلامياً ، يتمثل في النداء المكون من "أداة النداء مع المنادى المضاف" في شكل كُنية يا "أم سلمة" ، و المشكّل لفعل المجازي تمثل حمولته الدلالية في :

. قوّة المجازية حرفيّة : تتمثل في النداء "يا أم سلمة".

. قوّة المجازية مستلزمة : تتمثل في "الإنكار" بياناً منه "ص" أَنَّ ما قامت به "أم سلمة" و صوبتها يُسيءُ

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 3453 ، كتب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين ج 3 ص: 1373

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 3707 ، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ، ج 3 ص: 1427

<sup>3</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 3564 ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة ، ج 3 ص: 1376.

## الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إلى مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله "ص" ، فكان الردّ عنيفاً توحى به عبارات السياق النبوي بما تحمله دلالة "أعرضَ عني" للمرة الثالثة ، وإفصاح "ص" عن هذا الإنكار ببيان مكانة عائشة عنده عن طريق "القسم" مُؤكداً بقوله : "والله ما نزل الوحي على ..... من جهة أخرى .

### ح- المدح و الشاء:

أورد الرسول "ص" في مواطن النداء ، النداء بغرض "المدح و الشاء" إبرازاً للقيمة وإظهاراً للشأن ، هذا الشأن الذي تميّز به صحابة دون آخرين ، من أمثلة ذلك : "أهل السفينة" في الحديث الذي خصّ به الرسول ص المهاجرين إلى الحبشة ، وإلى المدينة من الصحابة ، ... فيما يرويه أبو موسى الأشعري بعد عرض الجدل الذي كان قائماً بين عمر و أسماء بنت عميس رضي الله عنهما ... فلما جاء النبي "ص" قال : يا نبئ الله إنّ عمراً قال كذا وكذا ، قال : "فما قلت له ؟ قال : قلت له كذا وكذا ، قال ليس بأحقٍ في منكم ، فله وألاصحّ به  
هجرةً واحدةً، ولكلّكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان ...<sup>1</sup>

فحمل الفعل الكلامي "أهل السفينة" دلالة النداء على التخصيص أو الاختصاص بتركيب إسنادي حذفت منه الأداة وبقي المنادى المنصوب بالإضافة، أمّا الفعل الإنجازيّ له فتكتونت حمولته الدلالية من :  
قوّة المجازية حرفيّة: تتمثل في النداء . "أهل السفينة".

قوّة المجازية مستلزمة: تتمثل في مدح الرسول "ص" لصحابته أهل السفينة و ثناؤه عليهم باعتبارهم نالوا شرف ذلك بمحاجتين: الأولى إلى الحبشة والأخرى إلى المدينة المنورة ، ويظهر التخصيص بطريقة "التقديم و التأخير" "لكم" كمحاجّ وجحود العائد على المدح في صورة "خبر مقدم" على المبدأ المؤخر "هجرتان" ليؤكد ذلك عن طريق الضمير المنفصل "أنتم" تأكيداً للضمير المتصل في "لكم" لا سيما وأنّ الاختصاص من المعاني التي يدل عليها النداء .

### د- التوبيخ والتحسیر :

جاء النداء لهذا الغرض في المقام الذي نادى فيه الرسول ص "قتلى بدر" من الكفار وهم صناديق قريش إذ كان الرؤساء منهم قد طرحوه في "القليل" فذكرهم الرسول "ص" منادياً بأسمائهم وأسماء آبائهم ، في الحديث الذي يرويه أبو طلحة رضي الله عنه في شأن قذف أربعة وعشرين رجلاً من صناديق قريش في طوي من أطواء بدر ، خبيثٌ ... حتى قام على شفةِ الركيي " يجعل يناديهم بأسمائهم : "يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ..." وقال ابن حجر : "فنادى يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 3663 كتاب المغازي ، باب هجرة الحبشة ج 3 ص: 1407.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

أبا جهل بن هشام .....<sup>1</sup>. أَيْسُرُكُمْ أَنْكُمْ أطعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رِبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْتُمْ رِبُّكُمْ حَقًّا ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدهِ لَأَنْتُمْ أَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ( ردًا على عمر حين استغرب حديث رسول الله إلى الموتى ) ... قال قتادة : أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ (الرسول) تَوْبِيهًَا وَتَصْغِيرًَا وَنِفْرَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا<sup>2</sup>.

بصورة النداء تعكس نداء الرسول "ص" للمخاطب باسمه واسم أبيه إشارة إلى قبيلته وقبيلته وقبيلته وقبيلته، وهو الفعل الكلامي" يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ..... " ، إشارة منه إلى مكانتهم التي كانوا عليها، لكن المقام يدعوه إلى التحسير !!، ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلاً انجازياً ، تمثل حمولته الدلالية في :

**قوة الاجازية حرافية** : متمثلة في النداء في صورة : "أَدَاء+منادى اسم علم" .

**قوة الاجازية مستلزمة** : استلزمها المقام ، وهو تحسر النبي "ص" من جهة وتوبيخه وتصعيده لشأن العظماء في الجاهلية من أبناء قومه حين ماتوا على الشرك من جهة أخرى ، فناداهم توبيخاً وتحسراً رغم كونهم أمواتاً ، مما جعل الفاروق عمر : ما تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا ؟ ، استفهام للتعجب... ، ليزول هذا التعجب بجوابه "ص" عن طريق "القسم" تأكيداً منه لسماعهم لهذا التوبيخ والتقرير "والذي نفس محمد بيده..." فكان النداء كما قال قتادة: "تَوْبِيهًَا وَتَصْغِيرًَا وَحَسْرَةً وَنَدَمًا" وهذا ما أفرزته القوة الاجازية المستلزمة .

لنخلص أخيراً أنَّ أسلوب النداء واحدٌ من الأساليب الطلبية التي وردت في البيان النبوي وتراوحت صورته الاجازية بين الاجازية الحرافية بغرض لفت الانتباه، وبين الإجازية المستلزمة التي ولدتها السياق والمقام ، وخرج فيها النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ آخرٍ .

بالنظر لمحتوى "جملة النداء" : يتراوح مضمونها بين الجملة الخبرية تقريراً ووصفها وتأكيدها ، وبين الجملة الطلبية استفهاماً ، نداء ، نهياً ، أمراً ..... وتحتختلف أغراضها من جملة إلى أخرى حسب السياق وطبيعة الخطاب .

البنية السطحية لأسلوب النداء تراوحت بين الحذف والإظهار خاصة في "الأداة" ، أما "المنادى" فاستوفى حالات مجيهه ( مفرداً ، مضافاً نكرة مقصودة ، نحو ياغلام إني أعلمك كلمات .....).

طبيعة المنادى كانت حسب حال المخاطب ، فربما نادى بالاسم ، وربما بالكنية ، وربما نادى بالصفة فكان في نداء أقربائه وأصحابه يستخدم الاسم مثل : يا "فاطمة" يا "معاذ" في مواقف التخاطب العادي وهو العرف الشائع في خطابه - عليه الصلاة والسلام - إلى هؤلاء.

<sup>1</sup>- ابن حجر فتح الباري حديث رقم 3967 ، ج 7، ص: 346.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 3757 كتاب المغازي باب دعاء النبي ص على كفار قريش ج 4 ص: 1461.

### الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قد يخرج الرسول "ص" على هذه العادة باستخدام الاسم الكامل ، "يامعاذ بن جبل" ، يا "عباس بن عبد المطلب" ...، أو الاسم مع صلة القرابة : يا "فاطمة بنت رسول الله" ، يا "صفية عمة رسول الله" ...، إذا اقتضى المقام إلى ذلك .

. معرفة الرسول ص بأنساب قومه ، جعلته "ص" يراعي التسلسل النسبي من الأقدم إلى الأحدث ، في نداء بطون قريش "يا بني مُرّة" ، يا "بني عبد شمس" ، يا "بني عبد مناف" ، يا "بني هاشم" ، يا "بني عبد المطلب" ، يا "فاطمة" .....

. في بيان الأغراض المتوجحة من النداء ونحوه عن معناه الأصلي كان على سبيل المثال لا الحصر ، فهناك صيغ أخرى يخرج إليها النداء ، وتستفاد من السياق ك : (الندب ، التلهف ، التحسّر ، التكذيب ، المشورة ...) .  
ليبقى "تحليل المقام" في الخطاب النبوي يعكس صورة العلاقة القائمة بين الرسول "ص" وصحابته في مجتمعه ، وكيف يُقدّر الرسول "ص" هذه العلاقة موظفاً أفعالاً طلبية : كالاستفهام ، و النداء ، و الأمر ، والنهي ... يجعل من خطابه مُتصفًا بالحيوية والتأثيرية و الواقعية، فضلاً عن بلاغته صلى الله عليه وسلم وفضاحته، ولم يكن ليتأتى ذلك إلاّ بعد ربط السياق " بالمقام" ، من خلال العوامل التي تربط الأفعال الكلامية بعضها ببعض .

# الفصل الرابع

الحجاج وآلياته في الحديث

النبي الشريف



## مباحث الفصل :

**أ- المبحث الأول:**

الدلالة المعجمية للفظ الحجاج.

**ب- المبحث الثاني :**

الحجاج دراسة نظرية.

**ج - المبحث الثالث :**

الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

1 - الآليات البلاغية .

2 - الآليات اللغوية .

3 - الآليات المنطقية.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

توطئة:

تعدّ اللغة وسيلةً لنقل الأفكار التي يُترجمها الفرد برموزٍ لغويةٍ في مواقفه وسلوكيه ، وتحمل بين حروفها دلالاتٍ تختلف تبعاً لقصد المتكلم، فهي أداء التواصل بين مُرسل الكلمة ومُتلقّيه، ونتاج الفكر ووسيلة التوصيل، هذا يعني أنّ ثمة علاقةً وثيقةً بين اللغة والفكر ، مهدت السبيل لمفهوم التواصل اللغوي الذي يتطلب مهارة في استعمال أساليب التركيب المنتظم في مفردات ، تُعبّر عن المعاني المقصودة من وراء الخطاب.

ولا يتأتّى هذا التّرابط والتّواصل إلّا بما يُعدّ أرقى أنواع التواصل وهو "لغة الخطاب" ، وما ينبغي على المتكلم من مراعاته أثناء التّخاطب مع غيره، لذلك كان حظّ الاهتمام بالخطاب "أو المُخاطب" كثيراً، ليس في اللسانيات الحديثة فحسب، بل امتدت جذوره حتى في الدراسات القديمة، مع اختلاف في الرؤى من فرع إلى آخر كالفلسفة واللسانيات والفقه والنقد وغيره .

لذلك جاءت الدراسات اللسانية الحديثة خاصة "اللسانيات التداولية" فأولت اهتماماً بعملية "التّخاطب" بعيدة كلّ البعد عن دراسة مكوناته من منظور القدامي ، والتي حُصرت في مكونين هما: المخاطب والمُخاطب فأضافت عناصر أخرى إلى المرسل والمُرسل إليه إضافة إلى "السياق" وماله من دور في تشكيله، وكذا المعرفة المشتركة بين طرق الخطاب، لذلك كان التركيز على عنصر التداول فيه و"المقصدية" من وراء إنشائه، وكذا تحديد الأهداف التي من شأنها نشأ الخطاب، وكيفية استخدام اللغة والتعامل معها... .

فمنذ نهاية عقد الخمسينيات في القرن العشرين شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحوّة نوعية، فكانت الدعوة لما سُمي: "بالبلاغة الجديدة" وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، فأصبحت تسعى لأن تكون علماً واسعاً يشمل حياة الإنسان كلّها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الاقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فلما تأثرت بها البلاغة، تنظر إلى اللغة كنسقٍ تتفاعل عناصره في إطار علاقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها، وقد انبثق عن هذا كلّه: "البلاغة البرهانية الجديدة"<sup>1</sup>.

لذلك كلّه يعتبر البحث في "الحجاج" من نتائج التحول العميق الذي أكتفى الدرس البلاغي الحديث وكان من إفرازاته أن تخلت البلاغة عن نزعتها المعيارية في فرض القواعد، لتهتمّ برصد الواقع فقط، وقد كان من أهمّ أسبابه التغيير الجذري الذي مسّ البحوث اللسانية بوجهٍ عام.

<sup>1</sup>- حشاني عباس ، مصطلح الحجاج، بواعته وتقنياته، بحث منشور في مجلة المخبر - جامعة بسكرة- العدد التاسع-2013، ص:269.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

لقد كشف تحدّد الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث عن طروحات علمية مغایرة أدى إلى ظهور "بلاغة جديدة" خاصة حين اعتمدت على العلاقة الالزمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع ،جعلت من الحجاج في رحاب هذا التحول، مطلباً أساسياً في كلّ عملية اتصالية تستدعي الإفهام والإقناع، وانطلاقاً من الدور الذي تلعبه نظرية الحجاج، أو من المفروض أن تلعبه جعل "بيرلان" يعتبر "أنّ البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج، فقد حصر الأولى في الأخيرة".<sup>1</sup>.

وبذلك كان الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية ،إلى جانب نظريات أخرى "كالتلفظ وأفعال الكلام" وغيرها... وهو يرتكز أساساً على الطريقة والأسلوب اللذين يتبنّاهما المتكلّم للتعبير عن معتقدات المتلقّي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله له، كالإشارات والعبارات والحجج وغيرها، لأنّ الحجاج يرتبط في أساسه بما تستدعيه أساليب إجراء اللغة، لذلك فمن الضروري أن نشير إلى أنّ الأمر لا يتوقف عند هذا الحدّ بل يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من مهمّة، ومستلزمات المتلقّي من جهة أخرى فالغاية التي يتأسّس عليها هي مواجهة العقول، وإنقاعها بالطرح المقدّم، ولذا فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الابيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير..<sup>2</sup>.

لندرك أنّ نظرية الحجاج تتّحاذ بها جوانبٌ مختلفة، لا تتعلق باللغة فحسب، بل ترتبط أيضاً بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي، وغيرها من المستلزمات التي تؤثّر وتشكل في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي.

ولعلّ الأهمية القصوى للحجاج في الدراسات الحديثة تعود إلى ما ركّزت عليه نظرية الحجاج في اعتمادها "البيان والحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، جعلت من الخطاب القرآني أولاً :خطاباً حجاجياً كونه جاء ردّاً على خطابات تعتمد عقائدً ومناهجً فاسدةً، فهو يطرح أمراً أساسياً يتمثل في عقيدة التوحيد ويُقدّم الحجاج بمستويات مختلفة المدعمة لهذا الأمر ،ضد ما يعتقده المتلقّون من مُشرّكين ومُلحدين ومجادلين ولعلّ في اختلاف مستويات التقديري هذه ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن الكريم، لأنّها خاصية أساسية من خصائص "الخطاب الإقناعي" الذي يعرّفه الدرس الحديث من الناحية الوظيفية من حيث: "إنّه موجّه للتأثير على آراء وسلوك المخاطب، وذلك يجعل أيّ قول مُدعّم صالحاً أو مقبولاً بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، إذا اعتبرنا أنّ هذه الصيغ هي أفعال كلامٍ ثمارٍ "وظيفة الإقناع" من خلال قوّتها الكلامية التي تتجلى بدورها من

<sup>1</sup> - محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلان وتطوره في البلاغة المعاصرة، بحث في مجلة عالم الفكر ص: 57.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص:68.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

خلال طرائق منطقية في البناء والربط وال العلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها". أما ثانيةً: فإنّ السمة الغالبة في الحديث النبوى الشريف هي مراعاة مستوى التفكير المختلف تبعاً لفكرة المخاطب، ونمط شخصيته التي تتباين بين شخصية تمثل للمنطق، وأخرى للعاطفة، وثالثة للحجاج والمحادلة، لذلك تنوع الأسلوب اللغوي النبوى في إقناع المخاطب والتأثير على فكره، وتغيير قناعاته بقدر ما اختلفت الوسائل التي وظفها الرسول "ص" بغية إقناع مخاطبه والتأثير فيه.

ولما كانت غاية النبي "ص" هي الدعوة إلى الله عز وجل وقف منهاج القرآن الكريم وأسلوبه في مخاطبة النفوس والعقول، فإنّ أساليب الخطاب اختلفت وتنوعت تبعاً لتباين تلك النفوس والعقول، واحتلافها، فأسلوب خطاب العالم يختلف عن أسلوب خطاب الجاهل، وأدوات التعبير التي يفهمها كلّ واحد منهم تتباين في مستوياتها، فقد يفهم العالم من إشارة ،على حين أنّ الجاهل يحتاج إلى تفصيل وبيان في تلقيه الخطاب ليفهمه ويقتنع به، لذا انقسم الأسلوب أسلوب النبي "ص" في مخاطبته ودعوته إلى ثلاثة أساليب هي:

- أسلوب الخطاب العقلي أو الاستدلالي.
- أسلوب الخطاب النفسي أو العاطفي.
- أسلوب الخطاب الجاهلي أو الاحتجاجي.

ولعلّ هذا التنوع في الخطاب عند الرسول "ص" يشير إلى الفكر الموسوعي له صلى الله عليه وسلم، وتمكّنه البلاغي وقدرته الذهنية لاختيار الأسلوب الذي يناسب المخاطب وحاله، في وقت عكس فيه قدرته "ص" الخطابية واستعمالاته لأساليب اللغة وتوظيفها في توجيه الدعوة إلى الله تعالى، وليعكس من جهة أخرى سبق النبي "ص" في خطابه وحديثه مع الآخرين أصحاب النظريات الحديثة في "فن الإقناع والتواصل اللغوي" التي تتطلب في الوقت الحاضر المران والخبرة العملية وغيرها ...

وبمَيْهُداً هذا التنوع في أساليب الحديث مع "الغیر" ، قضية تناولها القرآن الكريم باعتباره جاء لعموم الناس وعلى مختلف المستويات العقلية والعمريّة، فكانت الحكمة الربانية ، والأمر الرباني للنبي "ص" أن يُبلغ ويراعي تلك المستويات على اختلافها بما يناسبها من أساليب خطابية، في قوله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما هي أحسن..." ، ليبيّن تنوع أساليب حكمته "ص" في الحديث النبوى للمخاطبين من البشر ومراعاة أحوالهم وظروفهم في الخطاب والسلوك.

- فما مفهوم الحجاج وما هي أهم مُصطلحاته؟ وكيف تبلورت معلم نظرته بين العرب والغرب قديماً وحديثاً؟.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

- ما هي القواعد التي راعاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه مع المخاطب؟.
- كيف انعكست آثار الدراسات الحديثة ونظرياتها في دراسة الحديث النبوى الشريف؟.
- فيم تكمن أبرز الخصائص الحجاجية في الحديث النبوى الشريف حين يكون الخطاب جديلا احتجاجيا؟.
- ما هي أهم الآليات والطرق الحجاجية التي راعاها الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حديثه؟.
- ما العلاقة الرابطة بين الحجاج والإقناع في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع مخاطبه؟.

### المبحث الأول: الدلالة المعجمية اللغوية للفظة "الحجاج".

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي الإسلامي وغيرها من تداول مصطلح "الحجاج" أو "الاحتجاج" أو "المجاجة" في مجالات عدّة، وفي علوم عدّة، وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفى، التي كثيرة ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر والتأويل، لذا نجده مُستعملا في علوم شتى : "نحوٍ ولغةٍ وحديثٍ وفقهٍ وأصولٍ وفلسفهٍ". وبذلك فقد كثرت التعريف حول مفهوم الحجاج، ودارت "حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى" <sup>1</sup>. فميدان الحجاج واسعٌ فُتحت له أبواب البحث والدراسة لارتباطه بعلوم كثيرة.

فقد كان لعلم البلاغة الدور الهام في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب، وذلك لأنّها ترتكز على جانبيين اثنين في الخطاب، هما "البيان"، و "الحجاج" ،غاية إقناع المستمع.

وإذا كان الاهتمام بالحجاج قدّمه قدم التراث اليوناني ، فهو اليوم موضوع دراسات كثيرة في حقل الفلسفة واللغة على حد سواء، فلا يخفى أنّ النّظر في الحجاج والبحث في أصنافه لا يتّنّى إلا بالرجوع إلى أصوله اللغوية والفلسفية في التراث الإنساني، لذلك عمدنا أولاً : إلى كشف دلالته اللغوية في المعاجم العربية والأجنبية، ومن ثم تسلیط الضوء على جذوره في التراث العربي القديم، وعلاقته بمجاله المفهومي ، وصولا إلى الحجاج في الفكر العربي (البلاغة الجديدة) / مع التركيز على الآليات الحجاجية باختلاف أنواعها، لأنّها مناط التطبيق في الحديث النبوى الشريف من خلال أحدى حادث الرسول صلى الله عليه وسلم .

#### أ. مفهوم الحجاج: لغة:

إنّ المعنى اللغوي لكلمة "حجاج" باعتباره مصدراً للفعل "حجّ" في لغتنا العربية ،من خلال "لسان العرب" "لابن منظور" جاء على النحو: حجاجٌ، أَحاجِّهُ حِجاجاً وَمُحاجِّهُ حَتَّى حَجَجْتُهُ : أي: "غلبتُهُ بالحجج التي أدليتُ بها ... والحجة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دفع به الخصم، وقال"الأزهري": الحجّة: الوجه الذي يكون به

<sup>1</sup> - محمد العيد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصوص، الهيئة العربية للكتاب 2002 ، العدد : 60 ص: 40.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

الظفر عند الخصومة، وهو رجل مُحجاج: أي جدل، والتحاُجُّ: التخاصم، وجمع الحجة: حجج، حجاج ومحاجة وحجاجا: نازعه بالحجّة، حجّجته حجا: غالبه على حجته، وفي الحديث "فحجَّ آدم موسى" أي غلبه بالحجّة، واحتَجَ بالشيء: اتَّحَذَ حجّة ، قال "الأزهري": إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّمَا تُحْجَجُ أَيْ تُقْصَدُ، لِأَنَّ الْقَصْدَ لَهَا وَإِلَيْهَا ... وفي حديث الدجال: أَن يخرج وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حِجِيجُهُ أَيْ : مُحَاجَّهُ وَمُغَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الْحَجَّةِ عَلَيْهِ، والحجّة: الدليل والبرهان<sup>1</sup>،

أَمَّا (ابن فارس) في كتابه "مقاييس اللغة" فيعرّف الحجاج: يقال حاججتْ فلانا فحجّجْتُهُ: أي غلبتُه بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، مع الجمع حجج، والمصدر حجاج<sup>2</sup>، "ويمكن أن تكون مشتقة من هذا لأنها تُقصد، أو بها يُقصد الحق المطلوب"<sup>3</sup>.

ويُعرف (الجرجاني) "الحجّة": ما دُلِّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد<sup>4</sup>، فأساس الحجاج إذن عنده الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما، (القصد + الإقناع عن طريق الجدال الفكري).

نلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكلمة "حجاج" أنها تدور حول "التخاصم" و"التنازع" و"التغالب" واستعمال الوسيلة المتمثلة في الدليل والبرهان، أو هو: "النزاع والخصام" بالأدلة والبراهين والحجج، باعتبار أنّ الحجاج يتم بين طرفين مُتخاصمين أو متنازعين ، وبالحجّة يغلب أحدهما الآخر.

ويذكر (أعراب حبيب): أنّ السبب الذي جعل هذه المفردات: أي: الحجّة، الدليل، البرهان، ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البيان والبلاغة الاقناعية..<sup>5</sup>، أي أنّ المعاني القاموسية للفظة الحجاج تحمل دلالة ومعنى مُستمدٍ مما يشكّل سياقه أو شرطه التخاطبي، والمتمثل في التخاصم والجدل والغلبة عمليات مأخوذة من معانيها الفكرية والتواصيلية..<sup>6</sup>. في وقت نلحظ أنّ الأصل في الخصم والتنازع مدارهما –

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب: مادة: حجج.

<sup>2</sup>- ابن فارس، مقاييس اللغة ، ج 2 ، ص:30 .

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup>- الجرجاني - علي بن محمد الشريف - كتاب التعريفات-،ص:73

<sup>5</sup>- أعراب حبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري - ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته - إعداد حافظ إسماعيل علوى. عام الكتب الحديث، الأردن، 2001،ص:109.

<sup>6</sup>- المرجع السابق، ص:99.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

أساساً- الاختلاف مع الطرف الآخر ، لأنّ ظروف المعاشرة وداعي الصراع يقتضيان تصلباً في الرأي ، مما يدفع به إلى إفحام كلّ ما يملكه من الدلائل كي يُفحم به الخصم.

أما في القرآن الكريم فقد تكررت مادة "حجج" ستة عشرة مرة ، وقد جاءت لتفيد معانٍ متباعدة بين المخالفة والمخالفة بالحق في قوله تعالى: "قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ قَلُو شاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (الأنعام 49)، وفي قوله تعالى "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتِ التَّوْرَاهُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَأَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آل عمران 65-66)، وقوله تعالى "وَالَّذِينَ يُحَاجُّوْنَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبْ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ" (الشورى 16)، فمن شروط المجادلة أو الحاجة الربانية الصدق والعدل، وأما من يجادل بباطل فمضيرها الدحض والعقاب .

على أنّ هناك فرقاً دقيقاً بين "الجدال والخصام والحجاج" يقول (محمد الطاهر بن عاشور) في قوله تعالى: "أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258) فمعنى حاج: أي خاصم، لأنّ "حجاج" لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخالفة، وأنّه الأغلب أنه يفيد الخصم بالباطل<sup>1</sup>، وقال في شأن الجدل في قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ" (النساء 107)، والمجادلة: من الجدل وهو القدرة على الخصم والحجاج فيه ، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك<sup>2</sup>، وقال في موضع آخر: المجادلة: المخالفة بالقول وإيراد الحجة عليه تكون في الخير كقوله تعالى: "تُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ" ، وتكون في الشر ... "لَا جَدَالَ فِي الْحَجَّ"<sup>3</sup>.

وإذا أخذنا معنى الحجاج في اللغة الأجنبية بمحده يقابل لفظ" Argumentation " في الفرنسية، وهي بذلك تدلّ على معانٍ مقاربةٍ لتي هي في اللغة العربية ، فحسب "قاموس روبير " le grand Rober : فالحجاج : "هو القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في منافسة ما"<sup>4</sup>. كما نجد لفظة : "Argumenter" تشير إلى :

"الدفاع عن الاعتراض بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر مصحوبة بحجج..."<sup>5</sup>

وورد في قاموس "كامبريدج" أنّ الحجاج هو الحجّة التي تُعلّل أو تبرّز مساندتك أو معارضتك لفكرة ما...".

<sup>1</sup>- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، دار التونسية للنشر والتوزيع ، ج 2 ، ص : 31، 32 .

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ج 05 ص:194.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ج 12 ص : 60.

<sup>4</sup> -Le grand Robert , Dictionnaire de la longue française: Paris 1989,p :535

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص: 534 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

من خلال هذه التعريفات المعجمية نجد أنّ لفظة Argumentation لم تخرج عن إطار استعمال الحجة إنما للدفاع أو الاعتراض عن فكرة معينة، وهو التوافق بينها وبين معناه في العربية خاصة على المستويين الدلالي والوظيفي، فالكلّ يجعل من الجدل يقوم بين "المتكلّم والمتلقّي"، والأدلة التي يقدّمها كُلّ منهما لدعم موقفه شرطاً ضرورياً لتحقيق عملية المحاجة.

أمّا في اللغة الانجليزية الحديثة "فإنّ لفظة Argument" يُشير استخدامها إلى وجود اختلاف بين طفين ومحاولة كلّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، ذلك بتقدّيم الأسباب أو العلل: Reasons) التي تكون حجّة Argument مُدعّمة أو داحضة لفكرة أو رأيٍ أو سلوك ما<sup>2</sup>.

وتوسّح الدلالة اللغوية أنّ السبب الأول للحجاج هو وجود اختلاف بين طفين حول فكرة معينة واستخدامها آلية الإقناع لدعم أو دحض هذه الفكرة، وتقترب هذه الدلالة اللغوية من الدلالة الفلسفية إذ تُشير لفظة "حجّة" Argument عند "أندرية لالاند" بأنّها: "استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها أو هو الطريقة في استعراض وتنظيم الحجج وبنائها وتوجيهها نحو قصد معين يكون عادة: "الإقناع والتأثير"، فتكون الحجّة في سياق هذا العرض الدليل على الصحة أو الدحض"<sup>3</sup>:

نلاحظ أنّ المعنى الفلسفى قد يبيّن وظيفة وشكل الحجاج في الدراسات الحديثة، إذ يرى "آدام جون ميشال": أنّ "الخطاب الحجاجي مُوجّه للتأثير على آراء و سلوكيات المخاطب أو المستمع، وذلك يجعل أيّ قول مُدعّم صالحاً أو مقبولاً (النتيجة) وذلك ب مختلف الوسائل، بالنظر إلى قول آخر(الحجّة - المعطاة- الأسباب ) فتقول على سبيل التعريف أن المعطاة- الحجّة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية"<sup>4</sup> ، هذا التعريف الوظيفي يُبيّن الفرق بين الحجاج والبرهان، فالأخير يتميّز بإمكانية نقض(دحض) قضية، كما أنّ الحجاج سمتهم بالإضمار في غالب الأحيان، أمّا البرهان فسيمّعه الظهور.

### ب . الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج:

<sup>1</sup> -Combridge Advanced learners :Dictionary ,combridge un-press. 2<sup>nd</sup> 2004- p:56.

<sup>2</sup> -Longuan : Dictionary of contempray english longuen 1989p 28

<sup>3</sup> - لالاند اندرية، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الأول- تعرّيب خليل أحمد خليل منشورات "عوائدات" بيروت /باريس . ط-2 2001 ص 93-94

<sup>4</sup> - مسعودي الحواس ، البينة الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل نموذجاً(مقال في مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة ،الجزائر ع 14 ،سبتمبر 1999 ص: 229).

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إن مقاربة أولية لمفهوم "الحجاج" لأول وهلة تُظهر أنّه مفهوم عام يصعب حصره والإحاطة به، وذلك لما يتميّز به من كثرة المقول المعرفية التي تناولته، إذ نجد متواتراً في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة...<sup>1</sup>، لكنه مع ذلك يبقى "الحجاج" إستراتيجية لغوية، تكتسب بعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب، على اعتبار أنّ اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات مُعينة من السياق، في تلك العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، فالمتكلم يُدعم قوله بالحجاج والبراهين لإقناع الغير، والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقنع بذلك يعرفه: (طه عبد الرحمن): "كُلُّ منطق به مُوجَّهٌ إِلَى الغير لِإِفْهَامِه دُعْوَى مُخْصوصَةً يَحْقُّ لَهُ الاعتراضُ عَلَيْهَا..."<sup>2</sup>، بل يذهب إلى أبعد من ذلك في قوله: إنّه "لا خطاب بغير حاج، و لا مُخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المُلْدِعِي، ولا مُخاطب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المُعْتَرِض..."<sup>3</sup>.

ليتوسّع هو نفسه في تعريفه للحجاج في كتاب: "في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام". ويعطي للحجاج صفتين رئيسيتين: فهو "تداولي" لأنّ طابعه الفكري ثقافي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اختيارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الإشراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجهاً بقدر الحاجة ...<sup>4</sup>، فالصفة التداولية للحجاج تمنع الفرصة للحجاج في الاشتراك فيه دون استثناء، ومن أي مستوى.

أمّا الصفة الثانية، فهي كونه "جدلياً" لأنّ هدفه "إقناعي" قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأعمى من البنية البرهانية الضيقية، إذ تُبني الانتقالات فيه على صورٍ مجتمعةٍ على مضامينها أيّما اجتماع، وأن يُبطوئ في هذه الانتقالات الكثيُّر من المقدمات والكثير من النتائج ...<sup>5</sup>.

ليرتبط مفهوم الحجاج دائماً بالإقناع، وهو ما ذهب إليه كذلك (الشهري عبد الهادي بن ظافر) في "استراتيجيات خطابه" إذ عرّف الحجاج بعد ربطه بالإقناع في قوله: "الحجاج هو الآلة الأبرز التي يستعمل المرسل

<sup>1</sup>- طروس محمد ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء. المغرب، ط 1، 2005 ، ص: 06 .

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1997 ، ص: 226 .

<sup>3</sup>- المرجع نفس ، ص: 226 .

<sup>4</sup>- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 2000، ص:65.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

اللغة فيها وتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع ...<sup>1</sup>، فليس هناك مرسل يُرسل خطابا هباء إلا ومن ورائه هدف معين، وهو الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللغوية وحتى غير اللغوية كالإشارات والإيماءات .

وبسبب ارتباط الحجاج "بظاهرة الشعب" في مجالات استعماله يقول (صولة عبد الله) "...إذ أنتا نجد بعضهم يرى أنّ الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما: أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق وبذلك يكون الحجاج مرادفا للبرهان والاستدلال، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة محمل التقنيات البينية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ".<sup>2</sup>

وهذه الدلالات تتفق مع الدراسات الفلسفية الحديثة، إذ نجد في محمل أو جملة المفاهيم الحديثة للحجاج اتفاقا فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية - بالأساس - وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، ولعلّ أدلة هذه المفاهيم على ذلك مفهومان :

الأول: طريقة تحليل واستدلال: يقصد بها تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الآخرين في الاعتقاد والسلوك.

الثاني: عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.<sup>3</sup>

إنّ الباعث والمotor للحجاج هو الاختلاف، فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني وإلزامي، فنحن لا نخرج في أمر صارم واجب النفاذ، وإنما يكون الحجاج - كما يقول - في ما هو مرجح ومحتمل ومحتمل، كما أنّ الأدلة التي تقدمها الحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمةً فاصلةً فيما ثبتت أو تنفي، بحيث تُقرر ما تقرره، أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة التي لا تقبل احتمالاً خطأً أو ما تثبته أو صحته أو ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما ، تدور حولها محاجة حقيقة واحدة أو مطلقة، بل حقائق متعددة أو متدرجة، وعلى الأدلة أن تُرجح إحداها على الأخرى، وأن تصل إلى ما هو أقرب للصواب ....<sup>4</sup>

لذلك تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين: الأولى تعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وما تحكمه هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتكلمي، أما الثانية فتعتبر الحجاج بنيةً نصيةً وهما

<sup>1</sup>- الشهري عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص: 456.

<sup>2</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ط 2,2007، ص: 08

<sup>3</sup>- جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ط 2, 2000، ص: 105.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه: ص: 106.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

يتم التركيز فقط على الجوانب اللغوية ...<sup>1</sup>، وهذا التركيز على الجانب اللغوي جعل الحجاج يظهر بمظهر تواصلي من خلال ما يقوم به في العملية التواصلية ، إذ أنه يأتي كشكلٍ من أشكال التواصل والخطاب والحوار.<sup>2</sup>

ومن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناعُ المرسل إليه بما يراه، وتغيير في الموقف الفكري والعقدي، وهذا لا يتأتي بالإكراه وإنما بالإقناع، وفي ذلك يقول: "طه عبد الرحمن " : " وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الامتناع، فتكون ... أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإقناع من قوة استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين ..."<sup>3</sup>

وهي الحقيقة التي أفرّها "مسعودي الحواس" الذي يرى أنّ: "الخطاب الحجاجي هو خطاب مُوجه، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بُعدٌ حجاجي...".<sup>4</sup>

فالحجاج إذن وسيلة من وسائل الإقناع يتossـل بها المرسل للتأثير على المتلقـي أو دحض آرائه، أو حتى تغيير سلوكـه، فبـواسطة الحجـج المستعملـة ندرـك شخصـية ومنزلـة وإمـكانيـات هـذين القـطـبين "المرـسل والمـتـلقـي" ، وهـذا يختار المرـسل أدـواتـه اللـغـوـيـة وآلـياتـه الحـجاجـيـة بـصـفـةـ عـامـةـ ما يـجـعـلـ الحـجاجـ في شـكـلـهـ النـهـائـيـ :

"ترجـحـ خـيـارـ منـ بـيـنـ خـيـارـاتـ بـوـاسـطـةـ أـسـلـوبـ هوـ فيـ ذـاـتـهـ عـدـوـلـ عنـ إـمـكـانـيـاتـ لـغـوـيـةـ عـلـىـ أـخـرـيـ يـتـوـقـعـ

أـهـاـ أـكـثـرـ نـجـاعـةـ فيـ مقـامـ معـيـنـ...".<sup>5</sup>

لنـشيرـ فيـ نـهاـيـةـ هـذـاـ المـبـحـثـ أـنـ "الـحجـاجـ" عـبـرـ مـسـارـهـ التـارـيـخـيـ اـرـتـبـطـ مـفـهـومـهـ بـمـصـطـلـحـاتـ طـالـماـ اـعـتـرـتـ مـرـادـفـاتـ لـهـ، لـهـذاـ تـعـدـ مـسـأـلـةـ تـدـاـخـلـ المـصـطـلـحـاتـ أـوـلـ ماـ يـعـتـرـضـ الـبـاحـثـ فيـ هـذـاـ الحـقـلـ ، خـاصـةـ فيـ بـدـاـيـةـ نـشـائـهـ، لـذـلـكـ مـنـ مـسـتـحـسـنـ أـنـ نـشـيرـ إـلـيـ غـيـرـهـ مـنـ الـمـفـاهـيمـ الـتـلـقـيـهـ تـلـاسـهـ، وـتـحـتـمـ تـدـاـخـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ وـهـيـ كـثـيـرـةـ: "ـكـالـجـدـلـ ، الـبـرهـانـ ، الـاسـتـدـلـالـ الـبـرهـانـيـ فـيـ الـخـطـابـ ، الـحـوارـ ، الـتـجـاـزوـ ، الـمـنـاظـرـ ، الـمـخـاصـمـ ، الـمـنـازـعـ...ـ"

لـذـلـكـ كـانـ كـانـ التـعبـيرـ عنـ الـحجـاجـ بـأـشـكـالـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ الـعـبـارـاتـ وـالـأـسـلـيبـ الـتـرـوـمـ الـحـوارـ وـتـحـدـفـ إـلـىـ الإـقـنـاعـ

وـالـبـرـاهـينـ وـالـأـدـلـةـ الـكـوـنـيـةـ وـالـفـطـرـيـةـ، فـمـنـ أـوـجـهـ التـدـاـخـلـ وـالـتـشـابـهـ بـيـنـ الـحجـاجـ وـمـفـرـدـاتـهـ أـسـرـتـهـ الـمـورـفـيـمـيـةـ مـنـ

خـالـلـ:

المفهوم	المادة	قول اللغويين فيه(ابن منظور وغيره...)
---------	--------	--------------------------------------

<sup>1</sup>- ثابتـ يـعـيـنةـ ، الـحجـاجـ فـيـ رسـائـلـ اـبـنـ عـبـادـ ، مجلـةـ الـخـطـابـ ، دـارـ الـأـمـلـ ، الجزائـرـ عـ2ـ ، 2006ـ صـ286ـ

<sup>2</sup>- عـشـيرـ عـبدـ السـلامـ ، عـنـدـمـ نـتوـاـصـلـ نـغـيـرـ: مـقـارـيـةـ تـدـاـخـلـ لـآـلـيـاتـ التـوـاـصـلـ وـالـحجـاجـ إـفـرـيقـيـاـ الشـرـقـ الـمـغـرـبـ 2007ـ صـ12ـ

<sup>3</sup>- طـهـ عبدـ الرـحـمانـ ، فـيـ أـصـوـلـ الـحـوارـ ، صـ226ـ.

<sup>4</sup>- مـسـعـودـيـ الـحـواسـ ، الـبـنـيـةـ الـحـجاجـيـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، صـ330ـ

<sup>5</sup>- محمدـ سـالـمـ مـحـمـدـ الـأـمـيـنـ ، مـفـهـومـ الـحجـاجـ عـنـدـ بـيرـلـانـ ، صـ72ـ

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

<p>الحجـة، البرهـان، والـحجـة: الـوجه الذي يـكون به الـظـفـر عـنـد الـخـصـومـة وـهـو رـجـل مـحـاجـج أي جـدـل وـحـاجـة مـحـاجـة: وـحـاجـاـجاـ نـازـعـهـ الحـجـة.....  (ابـنـ منـظـورـ، لـسانـ العـربـ)</p>	<p>حـجـ جـ</p>	<p>الـحـاجـجـ</p>
<p>الـجـدـلـ: الـلـدـدـ فـيـ الـخـصـومـةـ، الـمـجـادـلـةـ: الـمـنـاظـرـةـ وـالـمـخـاصـمـةـ، وـقـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ(ماـ أـوـتـيـ الجـدـلـ قـوـمـ إـلـاـ ظـلـواـ) وـالـمـرـادـ بـهـ الـجـدـلـ عـلـىـ الـبـاطـلـ وـطـلـبـ الـمـقـالـبـةـ بـهـ لـإـظـهـارـ الـحـقـ .... (ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ)</p>	<p>جـ دـ لـ</p>	<p>الـجـادـلـةـ</p>
<p>الـمـحاـوـرـةـ وـالـحـوـارـ: الـمـرـادـةـ فـيـ الـكـلـامـ، وـمـنـهـ التـحـاوـرـ....(الـرـاغـبـ الـأـصـفـهـانـيـ مـفـرـدـاتـ الـقـرـآنـ)،....ـوـالـحـوـارـ: الـجـوابـ، فـيـقـالـ: كـلـمـتـهـ فـمـاـ رـدـ إـلـيـ حـوـارـاـ أوـ حـوـيـراـ أيـ حـوـابـاـ... (ـالـفـيـرـوزـبـاـدـيـ، الـقـامـوـسـ الـمـحـيـطـ)،...ـاسـتـحـارـ الـرـجـلـ أيـ اـسـتـنـطـقـهـ، وـهـمـ يـتـحـاوـرـونـ أيـ يـتـرـاجـعـونـ الـكـلـامـ، وـالـمـحـاوـرـةـ مـرـاجـعـةـ الـمـنـطـقـ وـالـكـلـامـ فـيـ الـمـخـاطـبـةـ....(ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ).</p>	<p>حـ وـ رـ</p>	<p>الـمـحـاوـرـةـ التـحـاوـرـ</p>
<p>الـبـرـهـانـ: هـوـ الـحـجـةـ الـفـاـصـلـةـ - الـبـيـنـةـ - يـقـالـ: بـرـهـنـ يـبـرـهـنـ بـرـهـنـةـ: إـذـ جـاءـ بـحـجـةـ قـاطـعـةـ لـلـدـدـ الـخـصـمـ (ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ).</p>	<p>بـ رـ هـ نـ</p>	<p>الـبـرـهـانـ</p>
<p>الـإـقـنـاعـ لـغـةـ الرـضـاـ، وـأـصـلـهـ قـنـعـ، تـقـولـ الـعـربـ: قـنـعـ قـنـعاـ وـقـنـاعـةـ، رـضـيـ ، أـقـعـنـيـ كـذاـ أيـ أـرـضـانـيـ، وـمـنـ أـمـثـلـهـمـ: "ـخـيـرـ الـفـتـيـ القـنـوعـ، وـشـرـ الـفـقـرـ الـخـضـوعـ"....(ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ)، وـالـإـقـنـاعـ: الـقـبـولـ بـالـفـكـرـةـ أـوـ الرـأـيـ وـالـاطـمـنـانـ إـلـيـهـ، اـقـتـنـعـ: قـعـ بـالـفـكـرـةـ أـوـ الرـأـيـ وـقـبـلـهـ وـاطـمـأنـ إـلـيـهـ...ـ(ـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـعـجمـ الـوـسـيـطـ)، تـقـدـيمـ الـحـجـجـ وـالـمـنـاقـشـاتـ لـحـمـلـ الـفـرـدـ عـلـىـ فـعـلـ شـيـءـ أـوـ الـاعـتـقـادـ بـشـيـءـ مـاـ... (ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ).</p>	<p>قـنـعـ</p>	<p>الـإـقـنـاعـ</p>
<p>الـمـنـازـعـةـ فـيـ الـخـصـومـةـ: مجـاذـبـةـ الـحـجـجـ فـيـمـاـ يـتـنـازـعـ فـيـهـ الـخـصـمـانـ وـقـدـ نـازـعـتـهـ منـازـعـةـ وـنـزـاعـاـ: جـاذـبـهـ فـيـ الـخـصـومـةـ وـبـيـنـهـمـ منـازـعـةـ: أيـ خـصـومـةـ فـيـ حـقـ....(ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ).</p>	<p>نـزـعـ</p>	<p>الـمـنـازـعـةـ</p>
<p>الـنـقـضـ: اـسـمـ الـمـنـقـوضـ إـذـ هـدـمـ...ـ نـاقـضـيـ وـنـاقـضـتـهـ: أيـ يـنـقـضـ قـوـلـيـ وـأـنـقـضـ قـوـلـهـ: وـأـرـادـ بـهـ الـمـرـاجـعـةـ وـالـمـرـادـةـ، وـنـقـيـضـكـ الـذـيـ يـخـالـفـكـ...ـ(ابـنـ منـظـورـ لـسانـ العـربـ).</p>	<p>نـقـضـ</p>	<p>الـمـنـاقـضـةـ</p>

وـخـلاـصـةـ القـوـلـ عـنـ دورـانـ الـحجـاجـ فـيـ مـجـالـهـ الـمـفـهـومـيـ فـيـ دائـرـةـ هـذـهـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـمـتـدـاخـلـةـ لاـ سـيـماـ بـحـضـورـهـاـ دـاـخـلـ الـخـطـابـ الـقـرـآنـيـ مـثـلاـ: نـقـولـ: إـذـ كـانـتـ الـحـجـجـةـ هيـ الـقـضـيـةـ أـوـ الشـقـقـ منـ الـقـضـيـاـ الـتـيـ تـعـدـمـ لـصـحـةـ قـضـيـةـ ماـ، أيـ مـقـدـمةـ الـبـرـهـانـ الـتـيـ تـعـرـفـ أـيـضاـ بـأـسـاسـ الـبـرـهـانـ، فـقـدـ أـكـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـيـهـاـ فـيـ أـكـثـرـ مـوـضـعـ،

## الفصل الرابع..... الحجاج وألياته في الحديث النبوى الشريف

ويمان مختلفه أرقها الحجحة البالغة التي أقامها على العباد في قضية الإيمان والكفر " قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ " (الانعام149)، ودعا المؤمنين إلى ضرورة التصدي بالحجحة وتحصيل الإقناع المرتكز على الأدلة والبرهان، فيكون بما الظرف عند الخصومة والنزع، مثلما سيكون بما التواصل عند التحاور والجدال بهدف الوصول إلى الحق، حتى أن الحوار والجدل ذاته يصبح حقا طبيعيا أمام الله الذي يعلم كل شيء "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ تَقْسِيمٍ وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " (النحل111).

### المبحث الثاني: الحجاج دراسة نظرية

#### 1- طبيعة الحجاج في الفكر اليوناني القديم:

لقد اهتم اليونان القديم بفنون الكلام، خاصة الخطابة والشعر والمناظرة، لأنها فنون يظهر فيها الإقناع وتطبيق ما يسمونه بـ"الجدل"، بذلك نجد أن فلاسفتهم أرسوا المبادئ الأساسية للقيم بهذه الأنشطة والقواعد الفنية والعقلية التي اعتمد عليها الفكر الحديث والمعاصر في تأطير النظريات المعاصرة.

ولعل آثار أرسطو من أهم الأعمال وأبلغها تأثيرا فيما يلحقها من أبحاث ودراسات بلاغية، خاصة ما تعلق فيها بالحجاج، لاسيما وأن أرسطو قدّم مفهوما للحجاج يجعله قاسم مشتركا بين الخطابة والجدل، وذلك أن الخطابة أو "الريطوريقا" بالمفهوم اليوناني، كما ترجمها العرب القديم هي: "فن الإقناع عن طريق الخطاب ... وأن الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية ، كما أكد ذلك "الفارابي" في قوله : " الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع..."<sup>1</sup> ....ولأن مهمّة الخطابة ليست الإقناع، بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجودة للإقناع...).<sup>2</sup> ،وكثيرا ما اقترب البحث في الحجاج عند "أرسطو" بعلاقة الحجاج بمحال الخطابة والجدل، فقد أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة، كما في الجدل، فهو القاسم المشترك بينهما، حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجاج<sup>3</sup>.

كما تناول "أرسطو" الحجاج من زاويتين مختلفتين مترافقتين: من زاوية "بلاغية" من زاوية "حدلية" ، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع ، ومن الزاوية الحدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظريتان المترافقتان تتكمalan في

<sup>1</sup>- الريفي هشام ،الحجاج عند أرسطو،منشورات كلية الآداب ، منوبة ،تونس،1998، سلسلة الآداب 1998(فريق البحث والبلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ...) ص:142.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه،ص: 144.

<sup>3</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم ، ص: 17

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

التحديد الذي رسمه "أرسطو" لمفهوم الخطاب، إذ يُبيّنه انطلاقاً من أنواع الحضور، ومن الرغبة في الإقناع وبُعدده في ثلاثة أنواع: "النوع الاستشاري"، "النوع القضائي"، "النوع القيمي".<sup>1</sup>

وقد ميّز بين ثلاثة مستويات من الحجاج (الأيتوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي: "الخطيب"، "المستمع"، "الخطاب".

. الأيتوس: "Ethos" البابث / الخطيب: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب، والصورة التي يقدمها عن نفسه.

. الباتوس: "Pathos" المتلقى / المستمع: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب في إثارتها لدى السامع / المستمعين.

. اللوغوس: "Logos": الرسالة / الخطبة: ويمثل الحاجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلي في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحاججي".<sup>2</sup>

ومن هنا يمكن القول: إن "البلاغة الحاججية" قد اتضحت معالمها مع "أرسطو" من خلال مؤلفه المعروف بـ"الخطابة" حيث يُعدّ أهم كتاب أُبَحِّر، ولعل تَميّز هذا الكتاب يرجع إلى تركيزه على الوظيفة الإقناعية التي استخلصها من بحثه ضمن المنطق الجدلية أو التواصل اليومي، مما أعطى للبلاغة بُعداً حجاجياً انعكس في اهتمامها بالحجاج ، ومقامات التواصل التي حصرها ضمن ثلاثة أجناس: القضائية، الاستشارية، والاحتفالية، قاده ذلك إلى وضع أُسس الدرس الحاججي، وقد دفع هذا "بيرلان" إلى نعته بـ "أب الحجاج" ، اعترافاً منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحاججي، وهذا ما جعل "بيرلان" يقف عند بلاغة أرسطو".<sup>3</sup>.

### 2- الحجاج في الدراسات العربية القدمة :

إن نظرةً سريعة في الحياة العقائدية والسياسية في البيئة الدينية والإسلامية كافية لبيان الفضل أو الدور الذي لعبه الحجاج باعتباره ضارباً بجذوره في الخطاب العربي، هذا الخطاب الذي اعتمد "البنية الحاججية" وتحلى من خلال القرآن الكريم والسنّة النبوية .

لقد كانت إستراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم، وأقوال رسول الله "ص" ، كما نجد الكثير من النماذج التي تجسد استعمال هذه الإستراتيجية في خطابات سبقت هذه الفترة بكثير ، وتمثل ذلك في "المنجزات الخطابية" و "المناظرات القبلية" في العصر الجاهلي ، ثم تنا مت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية بعدبعثة

<sup>1</sup>- طروس محمد ، النظرية الحاججية من خلال الدراسات البلاغية، ص: 15

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 18

<sup>3</sup>- بوزناشة نور الدين ، الحجاج في الدرس اللغوي العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 44، 2010 ، ص: 12

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الحمدية في كثير من السياقات ، وتبورت في كثير من العلوم "علوم الفقه وأصوله" و"علم الكلام وغيرها" .... ، فقد كان الإقناع مطيةً للخطاب في تلك المخاورات والمناقشات، وكانت إستراتيجيته مختلف آياتها هي الطريق الأقوم لإنزال مقاصد تلك العلوم وأفكارها وآرائها ....<sup>1</sup>.

ومع وجود عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية ، ونشأة التأليف فيها ، لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازا ، وقد لعبت المؤثرات الأجنبية دورا لا يُستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه من خلال كتب "أرسسطو" - شرحا وترجمة - فقد ظهر ذلك التغيير في الخطاب البلاغي العربي وبروز بلاغة جديدة عمادها البيان وال الحوار والحجاج والإصغاء إلى الآخر ، وذلك في وقت كان فيه صليلٌ السيف يعلو على صوت العقل<sup>2</sup> ، وفي هذا الجو الجديد يظهر "الجاحظ" مدافعا عن الحوار وثقافته ومحاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع ، أساسها مراعاة أحوال المخاطبين...<sup>3</sup>

كما اهتم "الجاحظ" "بالفعل اللغوي" واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية ، فالكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة ، فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: الوظيفة الخطابية: وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومناظرة ومناظرة ، وهي مصطلحات يُذكر الجاحظ من استعمالها ، وأما الوظيفة الثانية فهي الفهم والإفهام ، أو البيان والتبيين ، ولعلنا في غنى عن إثبات أنّ البيان في مفهومه العام يقتصر على أداء هذه الوظيفة .... فتحقيق التواصل لا يتم إلا من وجه الإفهام والتفهم<sup>4</sup>.

في حين أنّ مفهوم البيان عند "الجاحظ" تنازعه وظيفتان: أولهما إفهامية ، والثانية حجاجية (إقناعية) ، الأولى وما يتصل بها من عناصر المقام وخصائصه ، وأما الثانية فأساسها الفصاحة وإحكام الحجة ومعرفة أحوال المخاطبين ومستويات تقلّبهم ، وكذا اختيار المقال المناسب للمقام ، ومن هنا كان عماد البلاغة "تمام الأدلة وإحكام الصنعة"<sup>5</sup>

ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها "الجاحظ" مقتضيات المقام وما تحمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية ، وهيئته ، وصفاته الخلقية ، وما يحسن عليه وما يقبح ، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في المتكلم

<sup>1</sup>- الشهري عبد الهادي بن ظافر ، إستراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص: 447

<sup>2</sup>- محمد سالم محمد أمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 211 .

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، ص: 211.

<sup>4</sup>- صمود حمادي ، التفكير البلاغي عند العرب ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص: 195 .

<sup>5</sup>- الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص : 162

من حيث الحيرة والهدف للألة البلاغية والنصوص الاستشهادوية الضرورية لكل حجاج، هذا علاوة على تخيّر القالب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد ، ودفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية".<sup>1</sup>

ومن الجهدات التي تبلورت كذلك لدراسة الحجاج ما يخص الضوابط التخاطبية في المناظرات والتي يدوّنها القدماء لتقنيتها في بعض أعمالهم التأليفية التي كانت تهتم أساسا بعقد المناظرات وتفعيل الحجاج، بوصفها الممارسات التي يتم فيها الخطاب الرامي إلى تحقيق الإقناع أكثر من أي هدف آخر، ذلك ما فعله "الباجي" في مقدمة منهاجه حيث ذكر ما ينبغي للمناظر أن يتأدّب به مع المرسل إليه، ييد أنه لم يُغفل ما ينبغي أن يراعيه المرسل في حق نفسه..<sup>2</sup> وقد أورد في كتابه "النهاج في ترتيب الحجاج" أن الحجاج يُعد من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها مكانا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المخالف، ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجّة، ولا عُلِمَ الصحيح من السقيم، ولا المُوجَحُ من المستقيم.<sup>3</sup> فالحجاج عنده إذن من العلوم التي تتوفّر على أركان وركائز ووجوه لمفهومه، إذ يرى "الباجي" أن الحجاج مرادف للجدل، فلو لا الجدل لما قامت حجّة.

في حين كان اهتمام علماء البلاغة وأقطابها بفكرة "المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال" من خالل مقولتهم: "لكل مقام مقال" ، وهي الفكرة التي دعمها "أبو هلال العسكري" في قوله: "ولا يكُلُّم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوّك بكلام السُّوقَة، لأنَّ ذلك جهل بالمقامات ولا يصلح في كل واحد منها من الكلام وأحسن الذي قال: لكل مقام مقال"<sup>4</sup> ، إذ أن تحقيق التواصل الجيد بين المتكلم والمخاطب هو الغاية من مراعاة المقام، ويجب عدم استخدام الألفاظ الغريبة في العملية التواصلية وهذا ما يدعمه قوله: "واعلم أنَّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال ... فإذا كنت متكلّماً أو احتجت إلى عمل خطبةٍ لبعض ما تصلح الخطب، أو قصيدة لبعض ما يُراد له القصيد، فتحظ ألفاظ المتكلّمين ... فإنَّ ذلك هجنَة...".<sup>5</sup>

فما يُفهم من كلامه هو ربط المقام بتعبير الغرض المنشود، فإذا كانت خطبة فغرضها الإقناع ، ومقامها الخطاب، أمّا الشعر ففرضه الاستعمال والتأثير، ويجب على كلٍّ من الخطيب والشاعر استعمال الوسائل للتأثير في المتلقِي وإقناعه.

<sup>1</sup>- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 214

<sup>2</sup>- الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجية الخطاب، ص: 449

<sup>3</sup>- الباجي أبو الوليد، النهاج في ترتيب الحجاج، تج: عبد الحميد تركي، دار المغرب الإسلامي لبنان، ط 3 2000، ص: 08

<sup>4</sup>- العسكري أبو الهلال ، كتاب الصناعتين ، ص: 27.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص : 135

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

في وقت نجد "السكاكى" في "مفتاحه" بعد أن قسم البلاغة على أساس منطقى، إلى معانى وبيان وبديع، فقد ربط البيان بالدليل، لأنّ البيان وفروعه كالاستعارة والتشبّه... بمثابة الحجة أو الدليل بالنسبة إليه في الاستحالة والإقناع لذلك يقول: "من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل".<sup>1</sup>

وهذا القول ينطبق على قول "محمد العمري" في حديثه على حاجاجية الصور البينية لما قال: "الصورة تقوم مقام الحجة، وتعوضها تبعاً لحال المخاطب"<sup>2</sup> ، لأنّ هذه الصورة هي التي تُعبر عن حال المخاطب، وعن أحاسيسه ومعانيه التي يريد إرسالها إلى المتلقى. وهو نفسه الذي نجده يلخص "وظائف البيان" في ثلاثة وظائف

رئيسية:

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة الحياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الفهم.

- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمتال وجلب القلوب.

- الوظيفة الحاجاجية(حالة الخصم): إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.<sup>3</sup>

وهذا التقسيم يُظهر أنّ الهدف الأساسي للبيان هو المرسل إليه، وليس تزيين الخطاب، فهو يبحث عن كلّ السبل الكفيلة له، لتحقيق قوّة التأثير في هذا العنصر المهم في العملية التواصلية.

- كما تبلور مصطلح "الحجاج" عن "ابن خلدون" في "مقدمته"، حين أكدّ على ضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية للإقناع، خاصة في زمن كثُرت فيه المناظرات التي أساسها الجدل معتبراً الحجاج: "معرفة آداب المعاشرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ...." ، ولذلك قيل فيه: إنّه معرفة بالقواعد من الحدود والأداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره ...".<sup>4</sup>

واختصاراً لجهود أقطاب البلاغة العربية الآخرين "كالجرجاني" ، وغيره من الفلاسفة أمثال: "ابن طباطبا العلوي" ، "وابن رشيق" ، "ابن حازم القرطاجي" وآخرون، فقد وجها كلّهم البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية لإقناع الجمهور والتأثير فيه، لذلك نجد البلاغة عندهم تهدف إلى أمرتين: الوضوح (الارتفاع)، والتأثير (النفع).<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - السكاكى، مفتاح العلوم ، ص:218

<sup>2</sup> - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري لدراسة البلاغة العربية، دار الثقافة الدار البيضاء ط1 ص: 101

<sup>3</sup> - محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب ، د ت ، ص: 212

<sup>4</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، تحرير محمد الاسكندراني. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 2005. ص:422.

<sup>5</sup> - أعراب حبيب ، الحجاج والاستدلال الحاججي ، ص:44.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وتضمنت جهودهم البلاغية إشارات إلى ملامح الحجاج وأدواته البلاغية، وأهم ما ركز عليه البلاغيون العرب في دراستهم لفكرة المقام هو "المتلقى"، وكلّ ما يحيط به من ظروف خارجية، كما وصف ذلك "محمد العمري" فكرة مراعاة المقام والحال في البلاغة العربية: "بأنّها عنوان للعلاقة بين الخطيب والمستمع"، فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيراً بالدراسة الفنية والأخلاقية لمسلّم والتلقى، حاولوا أن يُدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"<sup>1</sup>.

### 3- تجلّيات الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

عرف الحجاج في العصر الحديث مفهوماً أدقّ وأعمق من المفاهيم السابقة" ذلك أنّ الحجاج قد أخذ شيئاً في الاستواء مبحثاً فلسفياً، ولغوياً قائماً الذات ... مستقلاً عن صناعة الجدل من ناحية، وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية<sup>2</sup>. ولم يكن ليستوي على سوقه إلا بعد أن عرف عدة توجهات ينتهي بعضها إلى البلاغة، وبعضها إلى المنطق، وبعض الآخر إلى منظور لساني تداولي، وبذلك استفاد الدرس الحجاجي من التراث اليوناني القديم، ثم بُعث في ثوب جديد ألا وهو: "النظرية الحجاجية"<sup>3</sup>.

وقد شَكَّل الحجاج في العصر الحديث حلقةً وصل بين علوم شتى تتजاذبه فيها البلاغة والتداولية من منظور زاويتين مختلفتين، لكنّ منهما طريقه وآلية الخاصة في الدراسة المستندة للموضوع تداولياً أم بلاغياً ... فنالت الدراسات الحديثة الحظّ الأوفر من الاهتمام عند الباحثين المعاصرین، مما جعل الحجاج يكسب نظرة جديدة استناداً للدرس الحجاجي القديم (الأرسطي)، وكانت الانطلاقـة الأساسية مع "بيرمان وزميله تيتيكا" في حديثهما عن "البلاغة الجديدة" و"ديكرو واكسومبر" في "التداوليات المدمجة" و"ميشيل ماير" في "نظرية المسوألة"، و"تولمان" من خلال "مشروعه الحجاجي"

#### أ- الحجاج عند بيرمان "البلاغة الجديدة":

<sup>1</sup>- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص: 21.

<sup>2</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم من حلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص: 02 .

<sup>3</sup>- بوزناشة نورالدين - الحجاج في الدرس اللغوي، ص: 02/01

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

يُعدّ "بيرلان" perlman "مؤسس البلاغة البرهانية الجديدة" التي جعلت من النظرية البلاغية أداة تفسير وتحليل غيرها من الظواهر الفلسفية والقانونية بالخصوص، مما ولد لديه الحاجة إلى بناء تصوّر نظري للحجاج والدفاع عن أهميته على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية .

Traite de La nouvelle Rhétorique "البلاغة الجديدة" وكتاب l'argumentation ، "مقالات في الحجاج" ، من أهم الكتب المصنفة في الحجاج، ظهر عام 1958، وقد لاقى هذا المصنف بخاحا كبيرا نظراً لمحاولات التجديد الجادة فيه ، من خلال السعي إلى إخراج حجاج قائم بحد ذاته ، له مميزاته وأهدافه ، فيقدم تعريفاً جديداً للحجاج، يجعله جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقى على الإقناع بما تعرضه عليه ، والزيادة في حجم هذا الإقناع ، معتبراً عن غاية الحجاج الأساسية إنما هي "ال فعل" - التأثير - في المتلقى على نحو يدفعه إلى العمل أو تحفيته إلى القيام بالعمل" <sup>1</sup> .

إنّ "بيرلان" من خلال مؤلفه مع صاحبه "تيتيكا" والذي ظهر باسم البلاغة الجديدة La nouvelle Rhétorique: (ترجمة عبد الله صولة الخطابة الجديدة)، (ترجمة صلاح فضل البلاغة الجديدة)، يُنزل الحجاج بين الخطيب وجمهوره، أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب والجمهور، وبحسب أنّ صلته بالخطابة واضحة (الأرسطية)، ويعرف الحجاج مع صاحبه: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، لما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم..."<sup>2</sup>

ف"بيرلان" يهدف من خلال صياغة نظريته إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته...<sup>3</sup> ، والغاية التي يسعى المؤلفان إلى تحقيقها من خلال هذه الدراسة : "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فانجح الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعthem على العمل المطلوب، أو هو ما وقف - على الأقل - في جعل السامعين مهينين لذلك العمل في اللحظة المناسبة..."<sup>4</sup>.

إنّ ما ألقاه "بيرلان وتيتيكا" يُنزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب والجمهور، ويجعلانه شيئاً مفارقاً للجدل من ناحية، وصناعة الخطاب من ناحية أخرى، رغم اتصاله بهما، فهو يأخذ من الجدل التمثيلي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقى، وإذعنه إذعاناً نظرياً لفحوى الخطاب، وما جاء فيه من آراء وموافقـ

<sup>1</sup> - دريدى سامية ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، لبنان ، ط1/2008.ص: 21

<sup>2</sup> - صولة عبد الله ، الحجاج أطروه ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) ، ص: 299

<sup>3</sup> - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 92.

<sup>4</sup> - صولة عبد الله ، الحجاج أطروه ومنطلقاته ، ص: 299

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل أو الإعداد له والحضور عليه، وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثير النظري والسلوكي العملي يشكل بلاغة جديدة ...<sup>1</sup>.

كما أنّ "بيرلان" أول عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتفي بالأساليب اللغوية بل تُولي اهتماماً بالظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام، خاصة أنّ نظرية البرهان عنده هي بحث في سُبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعال في الأشخاص، ويكون الحجاج عنده: "عبارة عن تصور مُعيّن لقراءة الواقع ، اعتماداً على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي يُنحبُ هذا الخطاب.." <sup>2</sup> ويربط وجود المعنى بالسامع "الذي لولاه لما كان الحجاج أصلاً" ، كما يربط بيرلان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح، وعوامل غير لغوية(نفسية واجتماعية)، تتمثل في الاحترام والوعي بظروف مختلف الأصعدة الاجتماعية والسياسية من خلال الملامح التالية<sup>3</sup>:

\*أن يتوجه إلى المستمع.. \*أن يُعرّ عنـه بلـغـة طـبـيعـة . \*مُسـلـمـاـتـهـ أوـ بـدـيـهـاـتـهـ لاـ تـعـدـوـ أـنـ تـكـوـنـ اـحـتـمـالـيـةـ .. لاـ يـفـقـرـ تـقـدـمـهـ إـلـىـ ضـرـورـةـ مـنـطـقـيـةـ بـعـنـيـ الـكـلـمـةـ . \* لـيـسـ نـاتـجـةـ مـلـزـمـةـ ، وـإـلـاـ فـقـدـ الحـجـاجـ أـثـرـهـ وـفـاعـلـيـتـهـ.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها "بيرلان وتيريكا" في دراسة الحجاج في<sup>4</sup> :

- محاولة تخلص الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة (أرسطو).  
- تخلص الحجاج من بوتقـةـ المـنـطـقـ وـالـأـبـنـيـةـ الـاسـتـدـلـالـيـةـ الـمـجـرـدـةـ، وـقـرـبـاهـ منـ مـجـالـاتـ اـسـتـخـدـامـ اللـغـةـ ، مـثـلـ الـعـلـومـ الإنسـانـيـةـ وـالـفـلـسـفـيـةـ وـالـقـانـونـيـةـ.....

- اعتبار الحجاج حواراً غير مرتبط بالجدل، فهو حوار بين الخطيب وجمهوره ، ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعباً بالمشاعر والعقول .

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حاجاجية.

- العملية الحاجاجية تنطلق من أطروحة ، وتتجه إلى الإقناع.

**بـ-الـحـجـاجـ عـنـ دـيـكـرـوـ: Ducrot، "نظـرـيـةـ الحـجـاجـ فـيـ اللـغـةـ":**

<sup>1</sup> دريدى سامية ، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 21

<sup>2</sup> محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلان، ص: 61

<sup>3</sup> المرجع نفسه ص: 61.

<sup>4</sup> طروس محمد :النظرية الحاجاجية ،ص: 44.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إن هذه النظرية التي وضع أنسها اللغوي الشهير الفرنسي "أوفالد ديكرو" منذ سنة 1973 هي نظرية لسانية تختتم بالوسائل اللغوية، وبأساسات اللغة الطبيعية التي يتتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، ثمّكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنما تنطلق من فكرة مفادها : "أننا نتكلّم عامة بقصد التأثير"<sup>1</sup> هذه النظرية تبيّن أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى "هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"<sup>2</sup>.

L argumentation dans la longue "، ليقرأ أن الحجاج متّحدّر في اللغة، أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج، ولا الحجاج عن اللغة، إذ يقولان في هذا الصدد: "إن الحجاج يكون بتقدیم المتكلّم قولًا 1 (أو مجموعة من الأقوال) يُفضي إلى التسلیم بقول آخر 2 (أو مجموعة من الأقوال)"<sup>3</sup>، حيث قول 1 يمثل الحجة التي ينبغي أن تؤدي إلى قول 2، ويكون من ناحية، و"عمل الاستنتاج" من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مُصرّحًا بها أم ضمنية.."<sup>4</sup> يرى "ديكرول" أن التعامل مع الحجاج يكون بتخيّل مقاصد عديدة ، منها الرغبة في التأثير والتوجيه والإقناع، حيث تترجم الأقوال إلى أفعال حسب "نظريّة الأفعال الكلامية" ، والتي يطلق عليها نظرية "الحدث الكلامي" ، "نظريّة الحدث اللغوي" ، "النظريّة الانجذابيّة" ، وتعود هذه النظرية في نظر أغلب الباحثين جزءاً من اللسانيات التداولية، وخاصة في مرحلة التأسيس عند "أوستن" ، وفي مرحلة النضج والضبط المنهجي عند تلميذه "سييل" ، وبعد هاتين المرحلتين حاولت بعض النظريّات المعاصرة أن تُعدّل فيها لتدخلها في إطارها العام وتحضّرها لطريق التحليل فيها ، ومن أبرز هذه النظريّات : "نظريّة اللسانيات التوليدية" ، و"لسانيات النص .."<sup>5</sup>، كما عملت هذه الأخيرة على معالجة الحجاج كظاهرة لسانية نصّية، لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلّمين وأدوارهم في

<sup>1</sup> - Ducrot-jéan cloude amxandre, L argumentation dans la longue , Piere mardaga, editeur 2 ; Bruxelle,P :07

<sup>2</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، العمدة فيطبع ، الدار البيضاء، ط 1 ، 2006، ص:14.

<sup>3</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 33

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ، ص: 34

<sup>5</sup>- المبخوت شكري ، الحجاج في اللغة ، جامعة الآداب والعلوم الفنون ،تونس، مجلة الآداب ، منوبة ، ص: 354 .

<sup>6</sup>- نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص: 59 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وألياته في الحديث النبوي الشريف

أفعال الكلام، بالإضافة إلى ذلك هناك الوقوف عند العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدواتٍ لسانيةً، ثم تشيرُ "سلام الحجاج" داخل المنطوقات والأقوال...<sup>1</sup>.

ويهتم "ديكرو" بتأكيده على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج، هذه القوانين تدخل في تحديد المحتويات الحجاجية، حيث تكمن وظيفة قوانين الخطاب في تحديد المعالم والدلالات الحجاجية، فالخطاب ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضاً، وهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العملية التأثيرية هي التي تُدعى الحجاج بالنسبة لنا، ونقول عن المتكلم أنه يقوم بحجاج حينما يقدم القول ق 1 أو (مجموعة الأقوال)، وغايتها في ذلك حمله على الاعتراف بقول آخر ق 2 (أو أقوال)<sup>2</sup>، على الرغم من أن هذه العملية لا تتم بهذه البساطة، إذ أنه ليس بمجرد التلفظ بقول معين ق 1 تكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق 2 ، إن هذه العملية أعقد مما نتصور بسبب تداخل عوامل أخرى لغوية وغير لغوية في التحديد الدقيق للدلالات...<sup>3</sup>"

إن "ديكرو" يُفرق بين معنيين للفظ الحجاج : المعنى العادي، والمعنى الفني أو الاصطلاحي :

- الحجاج بالمعنى العادي: يعني به طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع ، ويكون ذلك الخطاب ناجحاً فعلاً، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً، إذ يجب أن لا تُحمل طبيعة السامع (أو المستقبل) المستهدَف، فنجاح الخطاب يمكن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً على استثمار الناحية النفسية في المستقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.<sup>4</sup>

- الحجاج بالمعنى الفني: يدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون "درجة" "salaire" ، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واسطة بين سلام...<sup>5</sup>"

كما اهتم "ديكرو" وزميله بمسألة "مُرَاتِبُ الْحَجَاج" من خلال مقالتيه: "مُرَاتِبُ الْحَجَاج" ، "العوامل الحجاجية والقصد الحجاجي" ، كما اهتما ورَكَزا على "التداوِيليات المدجحة التي كانت تقوم على تصور حظي لعلاقة التركيب والدلالة والتداول ، هذا التصور الذي كان يعتمد على دراسة اللغة ، فكان الاهتمام كذلك بإبراز "نظام و تراتبية

<sup>1</sup> - أعراب حبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ص:103.

<sup>2</sup> - Ducrot , L argumentation dans la longue - p08 .

<sup>3</sup> - بلخير عمر ، تحليل الخطاب في ضوء النظرية التداولية ، ص: 121

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص:21

<sup>5</sup> - المرجع السابق ، ص:21

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

"الحجج" (حجج قوية، وحجج ضعيفة)، وحجج أخرى قد يعلو بعضها على بعض (حجج عليا، وحجج سفلية)، بالنسبة إلى نتيجة معه، بعدما لاحظ أنّ الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة، بل تنافوت في قوتها الحجاجية، وشكل العلاقة بين مراتب الحجاج ما يسمى "بالسلم الحجاجي".

ويقول "أبو بكر العزاوي": إن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلّم عامة بقصد التأثير، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية<sup>1</sup>، ومن المبادئ الأساسية التي تُلخص نظرية "ديكرو" في اللغة:

1- الطبيعة الأساسية للغة هي: الحجاج .

2- المكوّن الحجاجي في المعنى أساسى، والمكوّن الاختياري ثانوى. <sup>2</sup>

ج- **الحجاج عند ميشال ماير: michelle mayer** "نظرية المسائلة":

تُعدّ "نظرية المسائلة" إحدى النظريات المعاصرة، والتي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة، والخطاب الذي يتم خلال عملية التخاطب سواء كان تواصلاً عادياً، أم حجاجاً يهدف إلى الإقناع. وقد استطاع "ماير" اعتماداً على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أن يؤسس منهجاً تأسؤياً يقوم على مبدأين هما<sup>3</sup>:

. **المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال:** تقوم كلّ الأقوال في العمليات التخاطبية على مبدأ الافتراض المؤسّس على "الجواب والسؤال" المفترضين انطلاقاً من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية ، كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية الفكرية، والتأويلية والتخيلية، إذ يصبح كلّ قول ( خبراً، إنشاء ، سؤالاً ، تعجبًا ، نهياً ، أمراً...) افتراضاً لشيء ما داخل سياق تناطحي معين ، أي جواباً عن سؤال سابق، أو سؤالاً بجواب لاحق ، لهذا يُعبر الافتراض عن انتظارات متعددة و مختلفة تقتضيها العلاقة الإنسانية لتحقيق أهدافها و مراميها.

. **مبدأ الاختلاف الإشكالي:** يرتكز هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال، وبهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلاً أو إقناعاً، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقة في العمليات التخاطبية، ليس باعتبارها تنوعات قولية في الشكل والمضمون، بل باعتبارها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي يتتوفر عليها الذهن البشري، وأنّ الإنسان يتواصل ليحلّ الإشكالات المعلقة أو ليطرح أسئلته

<sup>1</sup>- الشهري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص: 459.

<sup>2</sup> خلية البحث التربوي ، الحجاج في درس الفلسفة ، منوبة تونس ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط1 / 2006 ، ص: 53

<sup>3</sup>- عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، ص: 196.

## الفصل الرابع..... الحجاج وألياته في الحديث النبوي الشريف

ومشكلاته ، إنّه يتواصل كي يبحث ويُوجّد القواسم المشتركة التي تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية ، فالتفكير الإنساني هو دوماً مسألة .... وبذلك استفاد "ماير" من جهود سابقيه ، واستخلص مفهوماً للحجاج، عرّفه به "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة من ظاهر الكلام وضمنيته"<sup>١</sup>.

إنّ هذا المفهوم للحجاج يُقدم وجهة نظر "ماير" للخطاب الحجاجي ، وهي أنّه يوجد في معنى الجملة الحرفية شارة أو سمة حجاجية تؤدي إلى ظهور "الضمني" وفق ما يمليه المقام ، ويلوّح بنتيجة ما ، تكون مقنعة أو غير مقنعة<sup>٢</sup> ، في وقت يقوم فيه الحجاج عند "ماير" على قسمين: صريح ،وضمني ، يجعل من الخطاب ذا صبغة حوارية ، أي مسرحاً تتحاور على ركحه الأطراف وتنتفاوض ، وآية ذلك أنّ الكلام بانقسامه عن التخاطب إلى "صريح وضمني" يكون نصفه للمتكلم (وهو النصف المقصّر به) ، ونصفه للسامع (وهو النصف الضمني...).

أما القسم الذي يكاد "ماير" يختص به في صياغته للحجاج ، فهو القسم الذي رصده في العملية الحجاجية حين ربط نظرية الحجاج "بنظرية المسألة" ، فما الحجة عنده إلّا جواب أو وجهة نظر يُجاب بها عن سؤالٍ مُقدّرٍ يستنتاجه المتلقى ضمنياً من ذلك الجواب ، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام ويوحي منه.<sup>٤</sup>.

فالسؤال عنده عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة ، تكون هذه المشكلة موجودة فيها ، فالمتلقى في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المقصّر به وهو "الحجّة" ، ولكن بمساعدة معطيات مقامية.<sup>٥</sup> ويمكن أن نمثل ذلك:



إنّ ما تناوله "ماير" في نظرية الحجاجية من مسائل كالعلاقات الحجاجية ، والبعد الحجاجي للغة ، الواضح والضمني في اللغة الحجاجية ، الحجاج والمجاز ، وغيرها من المسائل التي لا يسع المقام لذكرها ، يمكننا من أن نقول: "إنّ الخطاب الحجاجي عنده هو عبارة عن إثارة الأسئلة التي يكون بموجبها هذه الثنائية (سؤال وجواب)،

<sup>1</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص: 37 .

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 37.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، ص: 37.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ، ص: 38.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه ص : 39.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وثائقيات متقابلة أخرى يتشكل منها القول الحجاجي منها: "الحقيقة والمحاز" ، الافتراض واليقين الاستعمال والابتكار، السلطة المحاذية والسلطة المادية....<sup>1</sup>.

### ٤٠٤- الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:

إنّ موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غدا علما قائما بذاته، ومؤطّرا بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعمالاته في مجالات مختلفة ، وقد قادت اتجهادات الغربيين -في مجال الحجاج في منتصف القرن الماضي- المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذا الدرس الجديد بالنسبة إليهم ، والضارب في أعماق تراثهم في الوقت نفسه، كما منحthem الفرصة في إدراج مبحث الحجاج في منطق تفكيرهم ، لذلك تبلورت هذه الجهدود العربية في ثنايا أعمال مجموعة من الباحثين من أمثال (طه عبد الرحمن)، (أبو بكر العزاوي)، و(محمد العمري)، و(فريق البحث التونسي بجامعة ممّوحة) وغيرهم، ويمكن أن نلخص بوادر هذا الاهتمام من خلال: الحجاج في الدرس الفلسفـي (طه عبد الرحمن). الحجاج في الدرس البلاغـي (محمد العمري). الحجاج في الدرس اللساني (أبو بكر العزاوي).

الدكتور	أهم مصنفاته من الحجاج	نظره للحجاج
برهان الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن	لقد حدد مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته وقدّمها في مُصنفين "في أصول الحوار، وتحديد علم الكلام"اللسان والميزان أو التكثير العقلي" ، حاول من خلالها إيجاد رابط منطقـي لغوي، طوّعه في سبك نظرية حاجـية تأخذ بقوـة المنطق وسلامـة اللغة .	يُعرف الحجاج بقوله: "وَحْدُ الحجاج أَنَّهُ فعالـية تداولـية جدلـية ، فـهو تداولـي لأنـ طابـعـه الفـكري مقـامي اجـتمـاعـي ، وـهو أـيـضا جـديـلي لأنـ هـدـفـه إـقنـاعـي ، قـائـم بـلوـغـه عـلـى التـزـام صـورـاستـدلـالية...". <sup>2</sup>

<sup>1</sup>- المبحوت شكري ، أهم نظريات الحجاج في التقاليـد الغـربـية من أرسـطـو إـلـى الـيـوـم ، دـارـ المـعـارـفـ 2003 ، ص: 372.

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 65.

<p>يؤكد في مقدمة كتابه "اللغة والحجاج" (وهو دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية ) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية ، كما يروم من خلالها اكتشاف منطق اللغة، ثم قدّم تعريفا للحجاج: "إذ يعتبره النحّاز المتكلّم لخطابٍ يعتمد على آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع...".<sup>3</sup></p>	<p>هو الذي أكّد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية ،بقصد التأثير والإقناع ، فهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل.." .<sup>2</sup></p>
<p>في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" "يعرف البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي المادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا ، إيهاماً وتصديقا" <sup>1</sup> ... إلّا علم عتيق يهتم بالخطاب في كلّيته ، في بعديه التخييلي الأدبي والحجاجي المنطقي.</p>	<p>أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة، و الحجاجية خاصة، إذ يهدف في كتابه "في بلاغة الخطاب الاقناعي" إلى التنبيه إلى بعد الاقناعي للبلاغة العربية ... فطبق التصور البلاغي "لبيرمان" على الخطابة العربية مجتهدا في الكشف عن آلياتها الاقناعية التي تميزها على الشعر.. "</p>

### المبحث الثالث: الحجاج وآلياته المختلفة في الحديث النبوي الشريف :

<sup>1</sup>- محمد العمري - الخطابة الجديدة بين التمثيل والتداول ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ، ط 2-2005، ص :06.

<sup>2</sup>- العزاوي أبو بكر ، لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل ،بيان اليوم، المغرب 2006 ،ص :48

<sup>3</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص:08.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

تميّز النفس البشرية بأكّها كيّانٌ مُتألّفٌ من رؤى وأفكار مُتباعدة، إذ يختلف البشر في مستوى تفكيرهم وتعاملهم فيما بينهم، لذا يتطلّب الأمر أساليب متنوعة لمخاطبة النفس البشرية واستعمالتها إلى منهج حكيم يقضي بالتميّز بين الصائب والمقبول من الرأي والعمل ، وبين المخالف للصواب منهمما، واتخاذ هذا المنهج سبيلاً لإقناع المقابل والتأثير فيه لتجيّر ما هو مخالف لما هو صائب.

والتأثير في النفوس كثيراً ما ينبع من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة ، وقدرة مُبدعها على التأثير والإقناع ، ولا يتم كل هذا إلا بانتقاء أجمل الألفاظ والعبارات وأقدرها على التعبير، كما لا يخفى ما للغة وأسلوب المخاطب من أثر في نفوس متلقيه، باعتبار "أنّ وظيفة النظام اللغوي تبلغ أغراض المتكلم للسامع" وتبعاً لذلك تتبادر أساليب المخاطب في خطابه، فلكل موقف خطاب خاص به، ولكل مقام مقاً.

لقد تنوّعت أساليب الدعوة إلى الله والتي سلكها الرسول "ص" ، وهي أساليب فعالة أملّى بها حجّته الاقناعية والتّأثيرية ، ودعا من خلالها الفكر للتأمل والتدبر، واستعمال قلوب الناس، وغير مفاهيم خاطئةً اقتنعوا بها ، فكانت "الأساليب التوجيهية" أولاً من حوار كأدّة للتواصل وتبادل الأفكار والتعبير عنها بالحجج والبراهين، إلى أسلوب التلطّف في التعامل مع المخاطب ، والكلام معه بالرفق واللين، إلى أسلوب التدرج وتعامله بالحكمة مع الناس ... فبذلك أُسّسَ منهجاً متكاملاً ينتهي (يخلص) إلى الإقناع والتّأثير والتعبير بأسلوب آخر تجسد فيه مراعاة أحوال المتلقين أو المخاطبين، لأنّ شعاره "ص": مخاطبة العقول والقلوب فنّ لا يجيده إلا من يمتلك أدوات الإقناع، مع توافر الظروف المناسبة لإحداث التأثير، فمهارات الاتصال والحوار المقنع للآخر تعدّ وسائل تأثيرية بالغةً في تغيير المفاهيم، ولا يتّأثّر ذلك إلا من أحاط بمعرفة أغوار النفس البشرية، وفهم مستوى تفكيرها وأسلوب أدائها الفعلي الذي ينعكس في سلوكها وتصرفاًها، فيكمون على أساس ذلك قياس ومعرفة طريقة التعامل معها .

إنّ هذا النوع في "استراتيجيات التعامل" مع المخاطب من قبل الرسول "ص" مبعثه طبيعة المتلقي(المخاطب) من رفض وإذعان ، وعدم تصديق لما جاء به "ص" ، مما يعكس عدم تحقيق أهداف الخطاب ، في بدايات الدعوة إلى رسالته ، لذلك عمد الرسول "ص" إلى الاعتماد على "إستراتيجية جديدة" من شأنها أن تحدثَ تغييراً في الموقف الفكري والعاطفي لدى المرسل إليه(المتلقى)، لا وهي "الإقناع" بمختلف آلياته....

فما تعريف الإقناع في اللغة والاصطلاح؟ ، وما علاقة الحجاج بالإقناع؟ ، وما الآليات التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في تحقيق هذه الإستراتيجية؟

أ- الإقناع لغة:

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

جاء في معاجم اللغة أن الإقناع معناه: الرضا، وأصله مادة "قنع"، تقول العرب: قَنَعَ بِنَفْسِهِ قَنَعًا، وَقَنَاعَةً: أي : راضي ، ونقول أقنعني كذا: أي أرضاني،<sup>1</sup> وقنع بنفسه قَنَعًا وَقَنَاعَةً : راضي، قال الأزهري: رجال مقانع وقُنعان إذا كانوا مرضى..<sup>2</sup> ، وجاء في "القاموس المحيط" (لفيروزبادي) من معاني "قنع":

معنى السؤال والتذلل: القنوع بالضم: السؤال والتذلل والرضا بالقسم، ومن الدعاء " نسأل الله القناعة ونعود بالله من القنوع ".

معنى الرضا: رجل قانع وقبيع: والقناعة الرضا، رضًا يقنع به أو بحكمه أو بشهادته وأقنعه: أرضاه ، وقنعته تقنيعاً : يعني أرضيته ..<sup>3</sup>.

ونجد في (المعجم الوسيط) أنّ معنى الإقناع: القبول بالفكرة أو الرأي والاطمئنان إليه، اقتنع : قنع بالفكرة أو الرأي وَقِيلَهُ وَاطْمَئِنَ إِلَيْهِ.<sup>4</sup>

### 2. الإقناع اصطلاحا:

قد حدد مفهومه "حازم القرطاجي" في كتابه "منهاج البلاغة" بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء ما أو اعتقاده، أو التخلّي عن فعله واعتقاده...".<sup>5</sup> ، كما يعرّفه بعضهم أنه: "تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما...".<sup>6</sup>

فالإقناع هنا عملية طرح الحجج ومحاولة حمل المخاطب على الإذعان في قبول ما يطرحه المتكلم، وهو نفسه تقريباً عند "حازم القرطاجي"، وهناك مفهوم يرى أنّ الإقناع هو: "العملية التي يؤثر بها الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه دون إكراه أو قسر....".<sup>7</sup>

معنى هذا أنّ الإقناع نشاط لساني مشحون بأنشطة فكرية ، تنتج عنها آثار سلوكية تتجسد: في شكل مواقف مجاله الخطاب، يرتكز على المنطق والحجّة ، ويطلب درجة عالية من الثقافة والدراسة التقنية بالآخر .

<sup>1</sup>- ابن منظور - لسان العرب- مادة قنع.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، مادة قنع.

<sup>3</sup>- الفيروزبادي ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دمشق ، سوريا ، "مادة قنع" .

<sup>4</sup>- بجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، القاهرة، ط 1 ، 1998 ، "مادة قنع".

<sup>5</sup>- القرطاجي حازم أبو الحسن ، منهاج البلاغة، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1981 ، ص: 20.

<sup>6</sup>- محمد شمال حسن ، الصورة والإقناع ، دار الآفاق العربية ، بيروت ، ط 1 2006 ، ص: 30.

<sup>7</sup>- بن عيسى بالطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، الدار البيضاء، ط 1، 2000 ، ص: 21.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

\*\*أما "الاقناع" conviction: فهو يُعرف بما يليه .... والإقناع بالشيء هو الرضا به، ويُطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة الحجّة عليه، وهو على العموم إذعان نفسي لما يجده المراء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاشتمال كافٍ لتوجيهه عمله، إلا أنه دون اليقين في دقتها....<sup>1</sup>.

من خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنّ ارتباط الحجاج بالإقناع أمرٌ مفروغٌ منه، إذ أنه يعدّ الوجه الآخر للحجاج، فهدف استخدام الحجاج في الخطاب هو إقناع المتلقى بفحوى ذلك الخطاب، وجعله يُذعن لما يطلبه المتكلّم، فمفهوم الإقناع يقترن مع مفهوم الحجاج الذي هو طرح الحجّج والبراهين التي يجعل المتلقى يُذعن بدون قيد أو قسر.

فعلاقة الحجاج بالإقناع تتجلّس أساساً في أنّ أهمية الحجاج تكمن فيما يُولّدُه من إقناع لدى المرسل إليه وهذا الإقناع لا يتأتّي إلا باستعمال اللغة، مما يُؤكّد أنّ نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلّم عامة بقصد التأثير، وأنّ الحجاج وظيفة أساسية للغة، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية..<sup>2</sup>

وقد لخص "الشهري عبد الهادي" مسوغات استعمال الإقناع دون غيره من الاستراتيجيات الأخرى ما يلي: تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت، وديومتها أبقى، لأنّها تبع من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالباً، لا يشوبها فرض أو قوة.

تمايزها عن الاستراتيجيات الأخرى المتاحة، مثل الاستراتيجيات الإكراهية لغرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه، دون حصول الاندفاع الداخلي أو الإقناع الذاتي، فإنّها هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأنّ من شروط التداول اللغوي شرط الاقناعية فالمجلس: "عندما يطالب غيره بمشاركة اعتقاداته، فإنّ مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع ، وإنّما تتّبع في تحصيل غرضها سُبلاً استدلاليّة متّوّعة، تحرّك الغير جرّاً إلى الإقناع برأي المحاور، وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهيئها هذا الإقناع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنّه يراها رأي العين..<sup>3</sup>

1- طه عبد الرحمن ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2005 ، ص:15.

2- الشهري عبد الهادي بن ظافر - إستراتيجية الخطاب، ص 457.

3- طه عبد الرحمن - في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 2000 ، ص: 38

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

. الرغبة في تحصيل الإقناع: إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب .... ذلك أنّ المرسل إليه قد تغيرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، ولم يعد يتقبل بعض الاستراتيجيات ، كما أنّ دعاغة العواطف- كاستراتيجية - لم تعد تنطلي عليه.

. إيداع السلطة: فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تتحقق إستراتيجية الإقناع بمحاجتها إلا عند التسليم بمقتضاهما إما قولاً أو فعلاً، وما جعل الإقناع سلطةً مقبولةً هو كون الحجاج الأداة العامة من بين ما يتولّ به المرسل من أدوات أو آليات لغوية.

. ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي نظراً إلى كونه محمد المقام، والمحاطب، والإطار القولي أمّا أهمّ وظيفة حجاجية في هذا المجال بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع إلى العمل...<sup>1</sup>

. شمولية إستراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة في ممارستها الحكم ، والفلاح الصغير، وكبير القوم ، والطفل، والمرأة ... كل ذلك بوعي منهم، وهذا يعزز انتماء إستراتيجية الإقناع إلى الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفها دليلاً على مهارته الخطابية .

. ما تتحققه من نتائج تربوية :إذ تستعمل كثيراً في الدعوة، كما فعل رسول الله "ص" مثلاً عند إقناع الأعرابي الذي طلب الرخصة لارتكاب الزنا( كما سيتضح مستقبلاً في البحث) وكما فعله غيره من الأنبياء عند مواجهة أقوامهم بالدخول في الدين، ويتعدي الأمر من الدعوة إلى ميادين أخرى كالتنمية، والمدرسة والبيت .. .

### المبحث الثالث: تقنيات وآليات الحجاج في الحديث النبوى:

إنّ البحث في القواعد التخاطبية التي انتظمت بها مخاطبات النبي "ص" وحواراته يُعد من أجمل القواعد التي ثُوقنا على آيات الحكمة والرحمة في التواصل النبوى، فكانت أسبابَ نجاح رفقة الدعوة المباركة للرسول "ص"، ثم إن جانب التأسيي والاقتداء يدفعنا إلى وجوب تتبع هذا الجانب من شخصيته عليه الصلاة والسلام ، والوقوف عند الاعتبارات التي جاءت بها هذه المخاطبات، حتى يتمكّن المسلمون من تأسيس وبناء "فقه للتواصل النبوى" ، والذي تعززت استراتيجيات المحاطب والإقناع فيها من:

. إستراتيجية ثقافية: يحاول من خلالها المرسل أن يجسد بما درجة علاقته بالمرسل إليه. نوع هذه العلاقة "هي محاولة التقرب من المرسل إليه و تقريريه".

. إستراتيجية توجيهية: يرغب المرسل بها توجية وتقديم توجيهاتٍ ونصائحٍ وأوامرٍ ونواهٍ يفترض أنّها لصالح المحاطب أو المرسل إليه.

<sup>1</sup>- محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برمان .....ص: 67

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

. إستراتيجية تلميحية: يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة.

. إستراتيجية حجاجية: والتي يرمي من خلالها المرسل إلى إحداث التغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه: وهي الإستراتيجية التي يسعى من خلالها المرسل إقناع المرسل إليه بـمختلف الوسائل والآليات بـوجهة موقفه، ورجاحة فكرته ، ومن الوسائل والآليات التي تحسّدّها هذه الإستراتيجية لفائدة الإقناع هي :.

### 01- الآليات البلاغية في الحجاج :

إنّ الربط بين البلاغة والحجاج ربطٌ جدير بالتأني المعتمد على التحليل لكشف العلاقة بينهما، إذ لا شك في أنّ علاقة البلاغة بالحجاج إشكالٌ مُثيرٌ مُعَقَّدٌ<sup>1</sup>، اهتمّ به القدامي قبل المحدثين ، إذ تراهم لم يُخطئوا حين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر الفعلية للحجاج بمكوناته الوجданية والحملية. ومنه لا مفر من البلاغة لأيّ حجاج...<sup>2</sup>.

فيقوم الخطاب الحجاجي على إيصال المعنى المقصود إلى ذهن السامع، ويقوم على مراعاة حالة، ومخاطبته بقدر عقله، مُرتّباً كلامه وحجّجه على نظام إقناعي بما يستعمل السامع إلى قصده ويقوم على الإبانة والإظهار لتوضيح المعنى للسامع، وتحصل الفهم والإقناع ، وإذا كان الحجاج آلٌ المتكلّم في إقناع المتلقي وكسب تأييده وإفهامه ، فإنّ البلاغة "آلٌ وهي التّوسيع في معرفة العربية ، ووجوه الاستعمال لها ، والعلم بفاخر الألفاظ وساقيطها ، ومتخيّرها ، ودنيّتها ، وما يصلح في كل واحد من الكلام..."<sup>3</sup>.

وتكمّل أهمية الوسائل البلاغية "فيما توفره للقول من جماليّة قادرة على تحريك وجذب المتكلّم والفعل فيه، فإذا انصافت تلك الجمالية إلى حُجَّج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكّن للمتكلّم تحقيق غايته في الخطاب ، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأيٍ مُعين، ومن ثُمّة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها، أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يُرْفَد العملية الاقناعية وينسّر على المتكلّم ما يَرْوُمه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعرية .."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- دريدي سامية ، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 119.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص: 120.

<sup>3</sup>- ثوباني حميد أدم ، البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر عمان الأردن، ط1 ، 2007 ، ص: 12.

<sup>4</sup>- دريدي سامية ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص: 120.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ومن الفكرة ذاتها يؤكد "صابر الحباشة" أنّ الأساليب البلاغية قد يتم عرّفها عن سياقها البلاغي لتأديتها وظيفة لا جمالية إنشائية(كما هو مطلوب في سياق البلاغة) ، بل هي تؤدي إلى وظيفة اقناعية استدلالية(كما هو مطلوب في الحجاج) ، ومن هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفّر على خاصية التحوّل لأداء أغراضٍ تواصلية ، ولأنجاز مقاصد حجاجية، وإفاده أبعادٍ تداوليةٍ..<sup>1</sup>

فما حفلت به الأحاديث النبوية الشريفة من ضروب بلاغية مختلفة من شأنها أن تشكّل عاملًا مهمًا في عملية الحجاج، وينمي قدرة المخاطب على الإقناع من خلال علاقة مختلف الأساليب البلاغية ببعضها من جهة وبحجاجية الخطاب من أخرى، والتي كانت عاملًا قويًا في إثبات القدرة الاقناعية باعتبارها عاملًا مهمًا في التأثير والاستمالة والإقناع ، ومن هذه الوسائل :

### أ- المجاز اللغوي:

يُعدّ المجاز نمطًا من أنماط التعبير ، له القدرة الكبيرة والفعالية المؤثرة في إقناع المتلقى واستعماله، وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، وأنّ الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأنّ الكنایة أوقع من الإفصاح بالذكر ...<sup>2</sup>

وتعود هذه القوة التأثيرية للمجاز إلى أنّه لا يؤدي وظيفة حجاجية استدلالية خالصة، أي أنّه لا يخاطب في المخاطب عقله وذهنه فحسب، بل يخاطب النفس والانفعال أيضًا، ولا شكّ أنّ قوة المجاز أو قيمته تعود عند البلاغي إلى قدرته على التأثير - في الوقت نفسه - على عقل المخاطب ونفسيته، ولهذا نرى "الجرجاني" ثم "السکاكی" بقدر ما يتسعان فيربط المجاز بالادعاء والاستدلال بما يُفيد تعلق المجاز بالعقل ، يقدر ما يقدمان إشاراتٍ كثيرةً تفيد تعلق المجاز بالنفس، وتشدّد على وظيفته النفسية، وهذا ما يسمح لنا بالقول: "إنّ الوظيفة الحجاجية للمجاز لا تعني سعيه إلى إقناع المخاطب بدعوى ما فقط، بل هي تعني سعيه إلى بلوغ النفس أيضًا، وجعلها تقتنع بهذه الدعوى وتتبناها ، فالمجاز أبْنَح وسيلة للتأثير في النفس وتقفين المعنى في القلب...."<sup>3</sup>

ومعنى ذلك أنّ للمجاز دوراً كبيراً في الحجاج والإقناع، لأنّه من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية ويتجه بالأساس إلى عقل المخاطب، ولأنّه من جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية، ويستهدف التأثير في نفس المتلقى وتقع على نفسه وقعاً حسناً، إذ يجعله يقتنع....، وبذلك يضمن المتكلّم تحقيقاً لمقصده وغايته باستعمال ضروب

<sup>1</sup>- الحباشة صابر ، التداولية والحجاج ، دار صفحات للدراسة و النشر ، سوريا دمشق ، ط1/2008 ، ص :50.

<sup>2</sup>- السکاكی أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص :523.

<sup>3</sup>- القرزوبي الحطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص :221 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

المحاز أو بعده عن الحقيقة، مما يساهم في نجاح العملية الحاجية الاقناعية، ومنه تتحقق إمكانية المحاز في الحجاج من جهة التدعيم والتثبت ، التي تبثق من المحاز إلى الحجاج على شكل طاقة تزيد في إقناع واستتمالية المتلقي، ومن المحاز الحاجي:

### 1. الاستعارة:

تعدّ مركز الحجاج، وأهم آلياته البلاغية نظراً لما تحققه من نتائج ايجابية في تقرير المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبر عنه "طه عبد الرحمن": "العلاقة الاستعارية هي أدلة ضرورة المحاز على ماهية الحجاج"<sup>1</sup>، وهذا للطاقة الحاجية التي تتوفرها للمتكلم ليقنع المتلقي، بتركيب استعاري حجاجي ومنه نشير إلى: "جمالية الإرسال من أجل التأثير في المتلقي، وأسر انتباذه، فيتلذذ باستقبال الرسالة الكلامية المبثوثة إليه في أحسن صورة"<sup>2</sup>

فقد أولت الدراسات اللسانية المعاصرة "الاستعارة" مكانة خاصة في تحليل الخطاب، وخاصة في الخطاب الحجاجي، باعتبارها آلية تساهم كباقي الآليات في بناء القول الحاجي من مختلف النواحي الحاجية، وذلك بغية التأثير والإقناع، فانطلق علماء العربية في فهم المعاني والدلالات اللغوية من حقل تداوily يقوم على "الاستعمال" فنظروا إلى الظاهرة اللغوية من خلال حقيقين:

ـ حقيقة وضعية : هي اللفظ المستعمل أولاً فيما وضع له.

ـ حقيقة عرفية: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في عرف "الاستعمال" ، فأطلقوا عليه مصطلح "المحاز" وهو يعني كل انتقال من معنى إلى آخر لما بين المعنين من تعلق، وتكون المزية أثبات وجه الشبه ، وهذا ما عرف عند البلاغيين أيضا "بالمحاز": يقول "عبد القاهر الجرجاني" الكلام على ضربين؛ ضرب آنت تصل منه إلى الغرض بدالة اللفظ وحده، ولكن بذلك اللفظ الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم بحد لذلك المعنى دلالة تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر: الكناية، الاستعارة، والتلميح...<sup>3</sup>

فالاستعارة إذن: - باعتبارها محازا - تقوم على الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقاً من العلاقة الشبيهة، من أجل تقليم صورة جديدة أو متحركة تتدخل فيها عملية التخييل والإبداع، ذلك لأنّ الاستعارة عند علماء العرب ليست فقط رُحْرفاً أو نقشاً لتزيين الكلام، ولكنها فنٌ لغويٌ تداوily يعطي للقول قوّته الدلالية، وإصابته النفسية تأثيراً وانفعالاً واستحساناً ، وهي كما عرفها "الأزهر الزناد": "محاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص : 233

<sup>2</sup>- مرتاض عبد المالك ، مقدمة في نظرية البلاغة ، متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها ، مجلة جذور ع 25، يوليو 2009، ص . 227-226

<sup>3</sup>- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص: 173

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

المجازي، أو هي تشبيه سُكِّتَ عن أحد طرفيه، وذُكر فيها الطرف الآخر، فالمتكلم يستعيّر لفظ المشبه به لاستعماله للدلالة على المشبه، ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي...<sup>1</sup>.

فنقل المعنى من لفظ مشاركة بينهما في "الاستعارة" يلعب دوراً مهماً في توضيح الفكرة وتقريرها إلى المتلقى، ذلك أنّ الصفة التي تجمع بين اللفظين هي التي تُبَيِّنُ له ما أراد المتكلم أن يوصله إليه، فالاستعارة إذن تُسهم في فكِّ الغموض، وإظهار المعنى الخفي للقارئ، كما قال "الزركشي" في تعريفه "وحقيقتها أن تُستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يُعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، واتضاح الظاهر الذي ليس بجليٍّ، أو بحصول المبالغة،..."<sup>2</sup>، لاحظى بتعريف آخر عند "عبد القاهر الجرجاني" في "أسراره": "اعلم أن الاستعارة في الحملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهدُ على أنه اختصَّ به حين وُضع، ثم استعمله الشاعرُ أو غيرُ الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غيرَ لازم .."<sup>3</sup>

وإذا كان هذا هو شأن الاستعارة عند العرب فإنها عند الغرب: "تركيبٌ لسانيٌ سليمٌ، تتمثل خصوصيةً منطقيةً ليست دائمًا كاذبةً ، تتميز عن عمليات المشابهة أو المماثلة لكونها تتلزم بوجود خصوصيةً مشتركةً للقضايا المطروحة، كما تتميز بكونها متغيرةً تختلف من شخص إلى آخر، ولا يمكن الإتيان بمعادل لها، لأنَّها أصلًا تُستعمل في الحالات التي يستطيع قولُ آخر أن يؤدي نفسَ المعنى ، ونفس التأثير..."<sup>4</sup>.

أما الدراسات العربية الحديثة فقد ربطت في حديثها عن الاستعارة بين الاستعارة والحجاج أو ما يُسمُّونه "بحجاجية الاستعارة" كما نجده عند "العزاوي" الذي ربط بين الاستعارة والسلم الحجاجي، ويعتبر "أنَّ الأقوال الاستعارة أعلى وأقوى حجاجياً من الأقوال العادية.."<sup>5</sup>، كما بين "طه عبد الرحمن" أنَّ وظيفتها داخل الحجاج تكمنُ في إضافة شيءٍ جديدٍ، هو تكثيف القول انطلاقاً من بعض الصور المجازية، لكي يُشكّل قوَّةً في المعنى والبيان ، حتى يتسرّى للمتكلّم من خلال هذه القوَّة تمريرُ موافقته وأطروحته...<sup>6</sup>.

لذلك نجد الاستعارة الحجاجية عند "العزاوي" تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلّم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية... وهي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلّمين وسياستهم

<sup>1</sup>- الزناد الأزهر ، دروس في البلاغة العربية ، ص: 59.

<sup>2</sup>- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص: 433.

<sup>3</sup>- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة ، ص: 27.

<sup>4</sup>-Dictionnaire encyclopédique de pragmatique . ED :P60

<sup>5</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، ص: 102.

<sup>6</sup>- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، ص: 304

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الخاطبية والتوصيلية ... في مقابل الاستعارة الحجاجية بحد "الاستعارة البديعية" وهي التي تقصد لذاها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم، وإنما بحد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكّنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللغوي والفنون الأسلوبية وليس سياق التواصل والخطاب ..<sup>1</sup>.

وهو الدور الذي أثني عليه "الشهري عبد الهادي" مُبيينا أنَّ الاستعارة تعدّ وسيلةً هامةً من وسائل التأثير والحجاج، لما لها من قدرة في التصوير، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعدّ من أبلغ الصور وأقوى الآليات البلاغية تعبيراً عن الواقع، وهذا ما جعلها أداة بلاغية حجاجية قوية ... ووسيلة لغوية يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنَّها من الوسائل التي يعتمدتها بشكل كبير جداً ، مادمنا نسلِّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية...<sup>2</sup>

إنَّ أهمية الاستعارة في الحجاج كأهمية ووظيفة واحدة من أنواع البيان الثلاثة ، فالمهدف الأساس هو "المُسلَّل إليه" وليس تزيين الخطاب، فهو يبحث عن كل السبل الكفيلة له لتحقيق قوة التأثير في هذا العنصر المهم في العملية التواصلية ، وقوة التأثير نقصد بها أن يترك الأسلوبُ أثره في نفوس القارئين والسامعين ، وأن يدفع من يقرأه أو يستمعه إلى الإيمان بما آمن به البليغ فكرةً أو رأي أو عقيدةً ....<sup>3</sup> ، وهي الطريقة التي تحقق ذلك التكافل بين المرسل والمتلقي ، وبالتالي تنجح العملية التواصلية بين الطرفين .

هذا الطرح وجد ما يدعمه في الدراسة البلاغية القرآنية، ذلك أنَّ دراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستعمال كثيرة ما يؤدي إلى فهم "الصورة القرآنية" على أنَّها طريقة في الإقناع تتولى بنوع من الإبانة والتوضيح، وتعتمد على نوع من الجدل والحجاج ، وتحرص على إثارة واستعمال المثلقي ..<sup>4</sup> فهي "بذلك استعارة حجاجية لأنَّها من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه ..<sup>5</sup> ، ودعوة مخاطبيه إلى الإقناع والتصديق لما جاء فيه ، فالخطاب القرآني يعتمد إلى هذه الصورة التي رسماها فيعطيها أنواعها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة، فالحوار ، فإذا هي شاحنةٌ تسعى ...<sup>6</sup> .

<sup>1</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص: 108.

<sup>2</sup>- الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب ، ص: 496-497.

<sup>3</sup>- خفاجي محمد عبد المنعم ، نحو بلاغة جديدة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د، ت ، ص: 139

<sup>4</sup>- عصفور جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب - المركز الثقافي لبنان ، ط 3، 1992 ص: 332

<sup>5</sup>- عبد العزيز بن صالح ، التصوير البياني في حديث القرآن، المجلس الوطني للإعلام - الإمارات دبي ، 2007، ص: 67

<sup>6</sup>- قطب سيد ، التصوير الفني في القرآن - دار الشروق، بيروت لبنان ، د، ت ، ص: 197

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وليس بعيدا عن "البلاغة النبوية" إذ نجد ذلك التأثير الذي تُحدِثه الاستعارة بجماليها ، حين تؤثر في المتنّي بسحرها، ومراعاة لمقتضى الحال للمخاطب من جهة، وتفشي الغرض منها ومن استخدامها حين تُحقِّق المطمح الاقناعي "للاستعارة الحجاجية" في "الحديث النبوي الشريف" من جهة أخرى.

ومن أمثلة الاستعارة في الحديث النبوي الشريف ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَ "بِامْرَأٍ تَبْكِي عَنْ قَبْرِهِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ واصْبِرْيِ " ، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِعُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرُفْهُ ، فَقَيْلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْتَ بَابُ النَّبِيِّ "صَ" فَلَمْ تَجِدْ عَنْهُ بَوَابَيْنَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبَرُ عَنْ الصَّدْمَةِ الْأُولَى..<sup>1</sup> .

فالشاهد في قوله "ص": "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" استعارة لطيفة أراد بها الرسول "ص" أن يقنع المرأة بوجود الصبر عند المصائب، فإذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر ... والمراد بالصدمة الأولى: "قوة المصيبة وفحاؤها" وحقيقة الصدم: ضرب الشيء الصلب بهته، واستعير في الحديث لفجأة المصيبة ، حيث تكون أشدّ شيء على النفس فاستعير للإصابة الواردة على القلب .... بمعنى أنّ الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما كان بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو...<sup>2</sup> ، وقال الإمام النووي: "أصل الصدم الضرب في شيء صلب ، ثم استعمل مجازا في كل مكروه حصل نفيه...<sup>3</sup> .

وقد أعرب (شّبه) الرسول "ص" عن المصيبة بلفظة "الصدمة" لغرض بلاغي ، وهو الإشارة إلى قوتها وشدتها وأنّها جاءت على غرّة ، ودون موعد ، وهذا مقام قد لا يملّك الإنسان فيه نفسه ، ولا يستطيع أن يلجم فيه مشاعره لذلك كان "الصبر" في أعلى درجات الصبر بل هو الجدير بلطف الصبر دون غيره من المقامات التي تنزل فيها المصائب، وزاد في هذا المعنى وصف الكلمة بكلمة "الأولى" أي وقت وقوعها ، وهي مبالغة في إبراز الشدة بل هي وصف لساعة المصيبة ، والتي إذا امتلك الإنسان فيها نفسه وصبر كان بحق صابرا .

والاستعارة "تصريحيه" ذُكر فيها لفظُ المشبه به" (الصدمة) ليتلاعُم من حيث المخاطبة مع الصبر والثبات عند ورود المصيبة، ولعل النبي "ص" قد آثر الاستعارة لقوّة تعبيرها في حال المرأة المخاطبة التي اشتدت عليها المصيبة حتى أنّها لم تعرف النبي "ص" ، ولم تُبالي بموعظة الفعل الكلامي المتمثل في الأمر" اتقى" "اصبري" ، و"اسم الفعل"

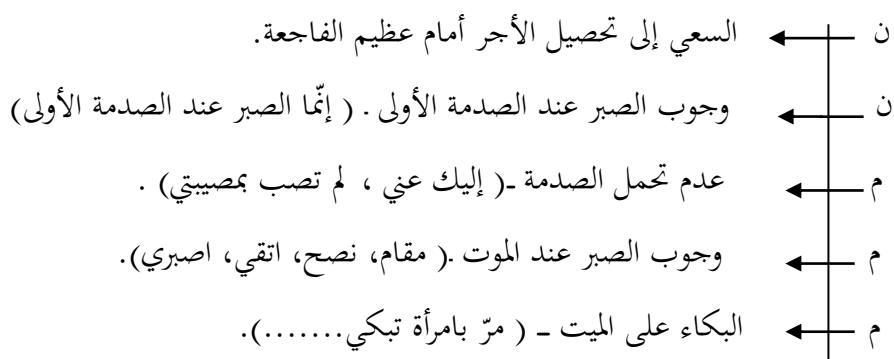
<sup>1</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم: 1223، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور، ج 1 ، ص: 431.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري ، ج 3 ، ص: 172.

<sup>3</sup>- الإمام النووي، شرح صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج 6 / ص: 227

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

"إليك عني" ، وتذكيره إياها بتقوى الله والصبر، يمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة باعتبارها الأقوى قوله وححة في السلم الحجاجي كما يلي:



فيعكس السلم الحجاجي مراحل الحجاج في الاستعارة؛ بدءاً من وصف الحالة عند البكاء وصولاً إلى ما أراده الرسول "ص" ، ألا تجتمع عليها مصيبة الهلاك وفقد الأجر، لأنّ المرء لا يؤجر على المصيبة لأنّها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن نيته وحمل صبره ، وقد تمكّن عليه الصلاة والسلام من إقناعها بأسلوب "النصح والإقناع" بعد أن مهدت (لم أعرفك) اعتذاراً عن قولها الصادر من الحزن .... فيبين لنا الرسول "ص" أنّ حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال الذي يترتب عليه الشواب ..<sup>1</sup> ، وهي النتيجة التي يقرّها السلم الحجاجي لما سبقها من "مقالات" كما تُسمى في العرف التداوily .

\*\*عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :**بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضَ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلٍ ، وَأَبْعَدُ اللَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَأَنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَه...<sup>2</sup>.**

فقد أورد البخاري هذا الحديث في باب ذكر فضائل الصحابة خاصة في باب الإمارة و الحرب ، وفيه إشارة لإمارة زيد بن حارثة في "غزوة مؤتة" رغم صغره ، كما جاء في رواية عائشة قالت : ما بعث رسول الله "ص" زيد بن حارثة في جيش قطّ إلا أمره عليهم ". وفيه إشارة إلى إمارة المولى و تولية الصغار على الكبار المفضول على الفاضل ، لأنّه كان في الجيش الذي كان عليه أسامة أبو بكر و عمر .. وهذا إشارة إلى "زيد" .

هنا الصيغ من قبل رسول الله لم يكن ليرضي بعض الصحابة المجاهدين تحت لواء أسامة كونه "مولى" ، مما حتم على رسول الله العمل على إقناعهم ، لاسيما حين استعار "الطعن" للإمارة ، و الطعن عادة الونز أو الضرب

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري ، ج3، ص: 172

<sup>2</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 3524، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة، ج 3 ، ص:1365.

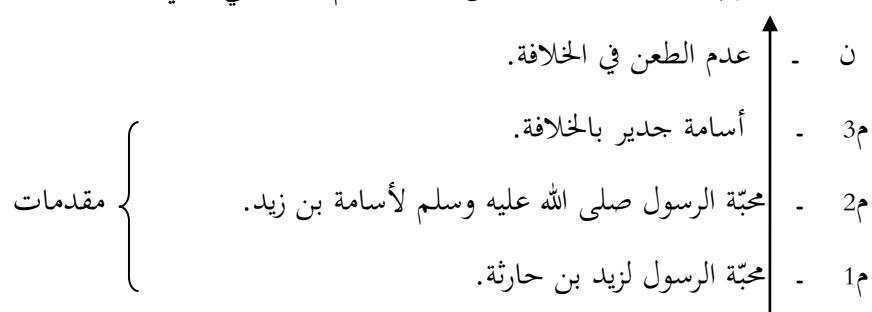
## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

أو القتل بالرمح و الحرية و نخوها.....<sup>1</sup> ، وجّه "المخشي" في "أساس البلاغة" على أنه من الجاز : طعنه بالرمح ... ومن الجاز : طعن فيه و عليه ، و طعن عليه في أمره ، و هو طغان في أعراض الناس ...، وهي صورة من صور إطلاق (الطعن) على "الإمارة" فيه تشبيه حذف أحد أركانه ، إذ شبّه "الإمارة" "بما يُطعن حقيقة كـ"الإنسان" ، و حذف المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو "الطعن" ، و لعلّ في ذكر هذا اللام المتراكك تخيلًا يصوّر بدقة عظيم المنكر ، و شناعة الجرم الذي وقع فيه المخاطب ، و كانَ الإمارة التي عقدها رسول الله "ص" لأساميَّة رضي الله عنه صارت عدُواً في ميدان القتال ، يستهدفه بعضُ الصحابة فيسدّدون إليه رماحهم ليطعنوه رغبةً في قتله .

و قد جاء التعبير بالفعل المضارع "تطعنوا" لتصوير دلالة المضارع على التجديد مرة بعد مرة ، مما يحتم وجوب إقناع المخاطب (الصحابة) بأحقية الولاية لأساميَّة ، و يعكس إنكار النبي "ص" لصنع أصحابه، فأشار إلى:

- إمارة الوالد من قبل (زيد بن حارثة) ، و الكل يعلم مكانة زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- تأكيده صلى الله عليه وسلم بأحقية أساميَّة للخلافة عن طريق القسم : "و أئمَّ الله....".
- بيان منزلة ابن بمنزلة الوالد قبله .

و كلُّها حجج استعملها رسول الله "ص" من وراء هذه الاستعارة لإثبات أحقية أساميَّة بن زيد بالخلافة على رأس هذا الجيش ، لأنَّ محبة الوالد تقتضي محبة الابن ، و محبتهما معًا ثُوجب تولِّ الخلافة بناءً على تسلسل الحجاج في الحديث النبوى الشريف ، كما يعكس ذلك السلم الحجاجي التالي:



فما جاء في آخر الحديث يُعدّ بمثابة "مقدمات" كلها تخدم نتيجة واحدة و هي أحقية أساميَّة بالإمارة ، و عدم الطعن فيها، فمحبُّ الرسول "ص" لأساميَّة من حِبِّه لزيد بن حارثة ، مما يُحول جدارته بالإمارة (أئمَّ الله إِنَّه كانَ خليقاً بالإمارة) ، إضافة إلى ما استعمله للتوكيد مع القسم : إنْ + اللام المزحلقة (إنْ هذا مِنْ أَحَبِّ...) . (وإنْ كانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْ...) من الضرب الإنكارى في ضروب الخبر .

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مادة طعن.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

\*\*عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ص" قال : "سبعة يُظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله": إمام عادل، وشاب نشا في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعوا عليه و تفرقوا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب و جمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شاهله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله حاليا ففاضت عيناه...<sup>1</sup>

في الحديث النبوي الشريف تقسيم لطيف بعد إجمال ، وبيان شافي مجید لأولئك السعداء الأبرار الذين نالوا الكرامة الإلهية و السعادة الأبدية في دار الخلود والنعيم ، بسبب ما قدّموا في الحياة الدنيا من صالح الأعمال و اتصفوا به من جميل الخصال ..<sup>2</sup> ، لذلك شملتهم العناية الإلهية و الرحمة الربانية تحت ظل عرش الله الكريم ، لكل من اتصف بواحدة من تلك الخصال الحميدة ، و من بينها ما صوره رسول الله "ص" في أجمل صورة لذلك الرجل المحسن الذي تصدق بصدقه خفية عن أعين الناس ابتغاء مرضاه الله ، فأخفى صدقته ، في شكل استعارة مكنية ، فقد شبّه اليـد الـيمـنى بـإنسـان و الـيد الـيـسرـى بـإنسـان آخر ، حـذـفـ المـشـبـهـ بـهـ (الـشـخـصـ الـأـوـلـ)ـ و رـمزـ إـلـيـهـ بـشـيءـ من لوازمهـ وـ هيـ "الـيـدـ"ـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاسـتعـارـةـ الـمـكـنـيـةـ .

وتكمـنـ حـجـاجـيـ هـذـهـ الـاسـتعـارـةـ فـيـ عـدـهـ "مـقـدـمـاتـ"ـ مـنـ مـثـلـ "مـقـدـمـاتـ أـخـرىـ"ـ تـؤـصـلـ إـلـىـ "نـتـيـجـةـ"ـ نـهـائـيـةـ وـ هيـ ظـلـ اللهـ يـوـمـ لـاـ ظـلـ إـلـاـ ظـلـ ،ـ خـاصـةـ أـنـ الرـسـوـلـ اللهـ "صـ"ـ جـسـدـهـ فـيـ صـوـرـةـ خـيـالـيـةـ فـيـ شـكـلـ "استـعـارـةـ مـكـنـيـةـ"ـ نـظـراـ لـاحـتـفـاءـ المـشـبـهـ بـهـ ،ـ وـ حلـولـ شـيـءـ مـنـ لـواـزـمـهـ ،ـ حـيـثـ يـجـدـ المـتـلـقـيـ فـيـ هـذـاـ اللـوـنـ مـنـ التـصـوـيرـ دـافـعـاـ إـيجـابـياـ يـعـملـ الـذـهـنـ ،ـ وـ يـمـدـ النـظـرـ لـتأـلـيفـ الـهـيـةـ الـحـامـلـ لـلـصـوـرـةـ الـفـنـيـةـ ،ـ ذـلـكـ أـنـ الـمـتـلـقـيـ فـيـ "الـاسـتعـارـةـ التـصـرـيـحـيـةـ"ـ يـتـلـقـيـ الـفـكـرـةـ جـاهـزـةـ مـكـتمـلـةـ الـعـاـنـصـرـ ،ـ أـمـاـ فـيـ الـاسـتعـارـةـ الـمـكـنـيـةـ فـإـنـهـ يـحـتـاجـ إـلـىـ أـنـ يـعـملـ ذـهـنـهـ لـيـكـمـلـ الـعـاـنـصـرـ الـنـاقـصـةـ مـنـ الـصـوـرـةـ ،ـ وـ كـأـنـهـ يـشـتـرـكـ مـعـ الـمـرـسـلـ (ـالـمـتـكـلـ)ـ فـيـ إـكـمـالـ أـجـزـاءـ الـصـوـرـةـ...ـ .

ويمـكـنـ تـجـسـيدـ هـذـهـ الـاسـتعـارـةـ كـواـحـدـةـ مـنـ مـجـمـوعـ "مـقـدـمـاتـ"ـ مـوـصـلـةـ إـلـىـ "نـتـيـجـةـ"ـ تـحـمـلـ معـنـيـ "الـتـشـوـيـقـ"ـ وـحـبـ الـفـوزـ بـمـاـ أـعـدـهـ اللهـ تـعـالـىـ لـلـمـتـصـفـيـنـ بـهـذـهـ "الـمـقـدـمـاتـ"ـ ،ـ خـاصـةـ وـأـنـ النـتـيـجـةـ ظـلـ عـرـشـ الـرـحـمـنـ يـوـمـ لـاـ ظـلـ إـلـاـ ظـلـهـ ،ـ مـنـ خـالـلـ السـلـمـ الـحـجـاجـيـ التـالـيـ:

<sup>1</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 629 كتاب الجمعة والإمام، باب من جلس في المسجد يتضرر الصلاة ج 1، ص: 235.

<sup>2</sup>- الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ، ص: 20

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

- |     |  |   |
|-----|--|---|
| ن   | - ظلَّ اللَّهُ يَوْمًا لَا ظَلَّ إِلَّا ظَلَّهُ۔ (النتيجة) | ↑ |
| م 7 | - رجُل ذَكَرَ اللَّهَ حَالِيًّا.                           |   |
| م 6 | - رجُل تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا.                  |   |
| م 5 | - رجُل دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ.        |   |
| م 4 | - رجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ.                           |   |
| م 3 | - رجُل قَلْبَهُ مَعْلَقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.                 |   |
| م 2 | - شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.                      |   |
| م 1 | - إِمَامٌ عَادِلٌ.   |   |
- "مقدمات"

\*\*عن معاذ رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة و يبعدني من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم، وإنَّه ليُسِيرُ على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تُشرك به شيئاً، و تُقيم الصَّلَاةَ، و تُؤْتِ الزَّكَاءَ، وَ تَصُومُ رَمَضَانَ وَ تَحْجُجَ الْبَيْتَ، ثم قال: أَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطَبَيْنَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ... ثُمَّ تَلَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "تَسْجَافَ جُنُوبُهُمْ... يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قال: أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَ عَمُودِهِ وَ ذَرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ بَلَى، يا رَسُولَ اللهِ، قال: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَ عَمُودُهُ الصَّوْمُ لَا لَهُ وَ ذَرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...".<sup>1</sup>

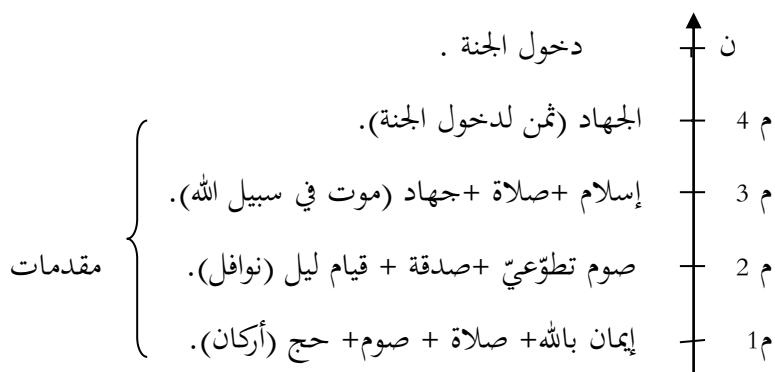
فالحديث يعكس صورة من صور حوار الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول "ص" في أمور دينهم ودنياهم ، تتجلى فيه رغبة الصحابي في معرفة أمور الدين ، و حرص الرسول "ص" على تعليمها و توصيلها، إذ عمد الرسول "ص" على الإقناع و التأثير ، حيث انطلق من المهم "صحة العقيدة"، ثم ثنى بالتوافق "قيام الليل ، الصدقة ، الصوم التطوعي" ، ثم تدرج به إلى بيان ما يقوم عليه هذا الدين في ضرب من الاستعارة ، حين شبهه الدين بالإنسان ، حذف "المشبه به" و أبقى لازمة تدل عليه "رأس" ، ثم "بالخيمة" التي لها عماد تقوم عليه ، في قوله : و "عموده الصلاة" ، فاستعار "عموده" من الخيمة ووظيفها للصلاة على سبيل الاستعارة ، ليشبه الإسلام بالرِّاحلة "الجمل" ، حذف المشبه به و ترك صفة من صفاتها "ذروة السنام" وذروة السنام بمعنى أعلى ، لأنَّه بارز و ظاهر كبروز الإسلام ، و تمييزه عن الأديان الأخرى .

ففي هذا الحديث تتجلى حاجاجية الاستعارة من خلال تدرج الرسول "ص" تدريجاً منطقياً من خلال حواره

<sup>1</sup>- النووي أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، تحقيق عبد العزيز رياح ، دار السلام الرياض ط13، 1991 ، ص:

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

- مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، ذلك ما تعكسه أدوات الحجاج من خالل:
- . اغتنام فرصة تواجده رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - . إجاباته صلى الله عليه وسلم عن أسئلة معاذ تهيئة للحج و تشويق للمعرفة و استدراجه للإقناع، و التأثير ومن ثم استجابة وتنفيذ.
  - . سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم معاداً: "ألا أخبرك" ، "ألا أذلك" تعكس استعداده الفطري من جهة ورغبته في الاستزادة ليتضح أمر مسأله من جهة أخرى.
  - . تدرج الرسول صلى الله عليه وسلم في الإجابة عن الأسئلة من العام إلى الخاص، أو "المهم إلى الأهم".
  - . اقتناع معاذ عن طريق سؤاله: "أو مؤاخذون بما نتكلّم به" بما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تبيينه له .
- هذه النقاط الحجاجية تعكس في صورة الاستعارة السابقة سلما حجاجيا يمكن تمثيله كما يلي :



فيعكس السلم الحجاجي أن "النتيجة منطقية" لما سبقها من "مقدمات" ، لا سيما وأن دخول الجنة" كنتيجة يُريدها معاذ بن جبل خاصة ، والمسلمون عامة ، والوصول إليها لا يتحقق إلا بـ :

- . إيمان صحيح وعقيدة سليمة "الإتيان بالأركان".

- . العمل الفعلي والترجمة للأركان من خلال الترغيب في الإتيان بالنوافل .
- . أعلى درجات الإيمان أن يُبرهن المسلم أنه قادر على بيع نفسه لله تعالى، وأن الله اشتراها منه "الجهاد". من أجل الحصول على الجنة مصداقا لقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْتَلُونَ وَيُفْتَلُونَ... " التوبة الآية 111.

ليواصل الرسول "ص" ميدان الإقناع حين يرى قابلية معاذ للاستزادة ، عن طريق سؤال استفهم: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله" ، وهي "الحجّة الدامغة" التي قدّمها الرسول "ص" لمعاذ ، سعيا منه لكي يتحقق ما يقوم به وذلك بحفظ حارحة اللسان ، "كف عليك هذا" ، وهو فعل "أمر" كفعل انجازي غرضه "التحذير" من عاقبة إطلاق العنان للسان ، جعلت من معاذ يستفهم متعجبا : "أو مؤاخذون بما نتكلّم به" ، فأجاب عليه الصلاة والسلام

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إجابةً مُقنعةً مُبينةً أنَّ إطلاق العنان قد يكون سبباً في دخول النار ، بسبب ما يقصده هذا اللسان من آثام كالغيبة والنميمة وشهادة الزور وغيرها، وهي صورة استعارية أخرى استعار من خلالها الرسول "ص" صفة الحصاد من آله ، ووظفها للسان تعبراً عن عظيم ما يقصده هذا اللسان من آثام، دون مراعاة لطيب الكلام من قبيحه أثناء إطلاق العنان له، وتكمِّن حجاجية هذه الاستعارة في أنَّ:

\* الكُبُّ على الوجه في النار سببه حصاد اللسان (نتيجة).

\* إطلاق العنان للسان هو الوقوع في المحْرَمات كالغيبة والنميمة (مقدمة).

\* الغيبة والنميمة وشهادة الزور تُذهب حسناتِ صاحبها (مقدمة).

\* ملاك الأمر كُلُّه: وجوب حفظ اللسان "كُفٌّ عليك هذا" (مقدمة).

هذه نماذج فقط من الاستعارات الحجاجية في كتب الحديث النبوي تعكس أهمية الاستعارة في الكلام وفضليتها في إبراز المعاني والكشف عنها وقيمتها وبلاغتها في اللسان، ولعلَّ هذه القيمة والأهمية للاستعارة جعلت من "عبد القاهر الجرجاني" يقرُّ بحقيقة "من الفضيلة الجامدة فيها أَهْمَّاً تُبَرِّزُ هذَا الْبَيَانَ أَبْدَأْ" في صورة مستمدَّةٍ تزيد قدرةً ثُبَّلاً، وُتُوجَّبُ لَهُ بَعْدِ الْفَضْلِ فَضْلًا .... ومن خصائصها التي تُذَكِّرُ بِهَا - وهي عنوان مناقبها - أنَّ تعطيلك الكثير من المعاني باليقين من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عَدَّة من الدرر، وتجني من العُصْنِ الواحد أنواعًا من الشمر ... فإنَّك ترى بها الجماد حيًّا ناطقاً، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس متينة ، والمعاني حقيقة بادية جلية.....<sup>1</sup>. لتبقى في الأخير حقيقة وجوب أن يقترن جمال الأسلوب بعامل الإقناع في الملتقي مع عدم الفصل بينهما ، لأنَّ المعنى كي يكون مُقنعاً قد يحتاج إلى أسلوب يُحْتَلِه ويحفظُ له رونقه ومحاءه، كما أنَّ جمال المعنى يزيد في قدرة التأثير في الملتقي والاستجابة له.

### ب . التشبيه وأثره في الحجاج:

يكاد يقع إجماعٌ من اللغويين والبلاغيين على أنَّ "التمثيل" و"التشبيه" لفظان مترادافان، فهما متّفقان ولا فرق بينهما، إذ التشبيه لغة: تشبيه الشيء بالشيء أي مثله به وقارنه<sup>2</sup> وفي ذلك يقول "ابن الأثير" في "المثل السائر" وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا باباً مُفرداً ، وهذا باباً مفرداً ، وهو شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يُقال أشبَهُ هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يُقال مثَّله به ..<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، باب الاستعارة المفيدة ،ص: 36. 37.

<sup>2</sup>- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، الدار التونسية للنشر ، تونس 1976 ، ج:13 ص: 41.

<sup>3</sup>- ابن الأثير ، المثل السائر ، ج2، ص: 123.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

فالتمثيل هو: "عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه.."<sup>1</sup>، ليلفت "الجرحاني" الانتباه إلى القوة التأثيرية التي تمثل في فنون القول وضروبه ، حين عقد فصلاً في موقع التمثيل وتأثيره : " لأنّه ما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو بزرت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبجّةً وكسبّها مُنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها وضاعف قوتها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلب إليها، واستثار لها من أقصاصي الأفندة صبابة وكَلْفًا ، وقسّر الطياع على أن تُعطيها محبةً وشعّفًا ... فان كان مدحًا كان أبجّه وأفْحَم ... وان كان حجاجاً كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر ...<sup>2</sup> وهذا ما يعمد إليه المرسل لبيان الحال والإقناع بما يذهب إليه، فهو من حيث القدرة البلاغية قادر على استعمال المخاطبين والتأثير فيهم.

أمّا التمثيل عند "الخطيب القرزويني" ، "ما وجهه وصف متتنوع من متعدد أمرین أو أمرور"<sup>3</sup> ، فيكون "هيئة حاصلة من عدة أمرور" ، سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين، أو كان أحدهما مفرداً والآخر مركباً، وهو بذلك مُحتاج إلى ضرب من التأمل والتأنويل ، فكـلـ تمثيل تشبـيـه . وليس كـلـ تشبـيـه تمثـيـلاً...<sup>4</sup> إماً في الدراسات الغربية الحديثة، فيرى "بيرمان" أنّ التمثيل طريقةٌ حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم "المشاجحة" المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشاجحة دائماً، وإنما يرتبط بتتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة...<sup>5</sup>.

ليظهر الدور الحجاجي للتشبـيـه من خلال فائدته: "أمّا فائدة التشبـيـه في الكلام فإنـك إذا مثـلت الشيء بالشيء ، فإـنـما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشـبـه به أو بـعـنـاه ، وذلك أوكـدـ في طـرـيـقـيـ التـرـغـيـبـ فيهـ أوـ التـنـفـيـرـ عنهـ ، أـلـاـ تـرـىـ أـنـكـ إـذـ أـشـبـهـتـ صـوـرـةـ بـصـوـرـةـ هـيـ أـحـسـنـ مـنـهـاـ ،ـ كـانـ ذـلـكـ مـثـيـراـ فيـ النـفـسـ خـيـالـاـ حـسـنـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ التـرـغـيـبـ فـيـهـ ،ـ وـكـذـلـكـ إـذـ أـشـبـهـتـهـ بـصـوـرـةـ شـيـءـ أـقـبـحـ مـنـهـاـ ،ـ كـانـ ذـلـكـ مـثـيـراـ فيـ النـفـسـ خـيـالـاـ قـبـيـحاـ يـدـعـوـ إـلـىـ التـنـفـيـرـ وـهـذـاـ لـاـ نـزـاعـ فـيـهـ...<sup>6</sup>".

فالتمثيل إذن تقنية خاصة في العملية الحجاجية عند البلاغيين القدامى والغرب المحدثين، وما يهـمـنـاـ هو محاولة

<sup>1</sup>- الشهري عبد المادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب ص: 497.

<sup>2</sup>- الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، باب موقع التمثيل وتأثيره، ص: 89.

<sup>3</sup>- القرزويني جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 142 .

<sup>4</sup>- بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط 1، 2008، ص: 227

<sup>5</sup>- عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، ص: 97 .

<sup>6</sup>- ابن الأثير، المثل السائر ، ج 2 ، ص : 130,131

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

دراسة التشبيه أو التمثيل "كتقنية حجاجية" لها فعاليتها في الإقناع، فما يُوفّره التشبيه من طاقة حجاجية قادر على إثارة المتلقي وشغل تفكيره بالبحث عن العلاقة التي تجمع بين صورة المشبه والمشبه به، وما تُحدثه هذه العلاقة التصويرية من أثر في نفس المتلقي ،تحمله على الإقناع والقبول بتلك التشبيهات.

و قبل ولوح نماذج التشبيه في البيان النبوى حري بنا أن نؤكد على بلاغة التشبيه وأثره في النفس من خلال ما قاله "الزمخنجرى" في "كشافه" ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والناظائر شيء ليس بالخفى في إبراز المعانى ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تُرى المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه شاهدٌ، وفيه تبكيتُ للخصم الألد ، وقمح لصورة الجامع الأبي ، ولأمرِ ما كثُر الله في كتابه المبين وفي سائر كتب أمثاله، وفشت في كلام رسول الله "ص" وكلام الأنبياء والحكماء قال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرُبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ" العنكبوت 43<sup>1</sup>.

### \*\* نماذج من "التشبيه" في الحديث النبوى الشريف:

كثيراً ما كان الرسول "ص" في دعوته يضرب المثل ، ويُشبّه الشيء بالشيء ترغيباً مرةً ، وترهيباً مرةً أخرى ، مُراعياً في ذلك مقتضى الحال عموماً ، ومنه تعددت "مقامات التشبيه" التي جاء فيها هذا النوع من البيان مُراعياً حال المخاطب من "ترغيبٍ و ثناءٍ و مدحٍ و ذمٍ و تنفيٍ و تعليمٍ و غيرها..." .

\* النموذج الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مَثُلُ مَا يَعْنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثُلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً ، قَبَلَتِ الْمَاءَ ، فَأَبْتَثَتِ الْكَلَأَ وَأَعْشَبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتِ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسُ فَشَرِبُوا وَسَقَوَا وَزَرَحُوا ، وَأَصَابَتِ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لَا تُمْسِكُ الْمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثُلٌ مَّنْ فَقَهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا يَعْتَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ ، وَمَثُلٌ مَّنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ .

21

نموذجٌ من التشبيهات النبوية في صورة "تشبيه تمثيلي" ، شبّه فيه الرسول "ص" الصورة الذهنية الحاصلة من بعثة بوحي الله، وانقسام الناس حول ما جاء به ، ما بين مؤمنٍ به ، عاملٍ بكلٍّ ما فيه حسب طاقته ، وعاملٍ بشرعه، وبين مؤمنٍ مُقصِّرٍ عالمٍ ، قليلٍ العمل ، وقسمٍ كافرٍ معرضٍ عن الحق لا يعلمُ ولا يعملُ، إذ شبّه الرسول "ص" هذه الأصناف الثلاثة بالصور الحسية الحاصلة من "نزول المطر" (الغيث) على الأرض ، بما جاء به من الدين مثلاً

<sup>1</sup>- الزمخنجرى، الكشاف ، ج 1 ، ص 79 .

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 79، كتاب العلم ،باب فضل من علم وعلم: ج 1 ،ص: 42.

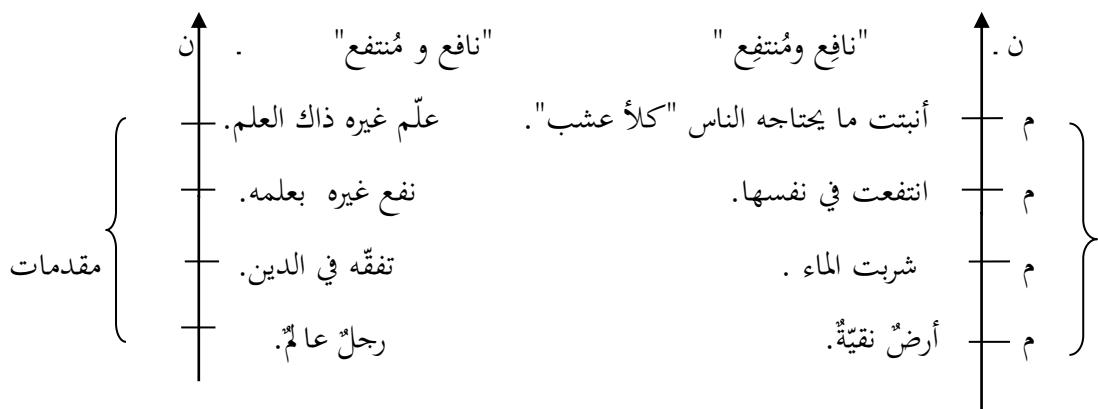
## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه... فكما أنّ الغيث يُحيي البلَّد الميتَ، فكذا "علوم الدين" تُحيي القلبَ الميتَ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فكان :

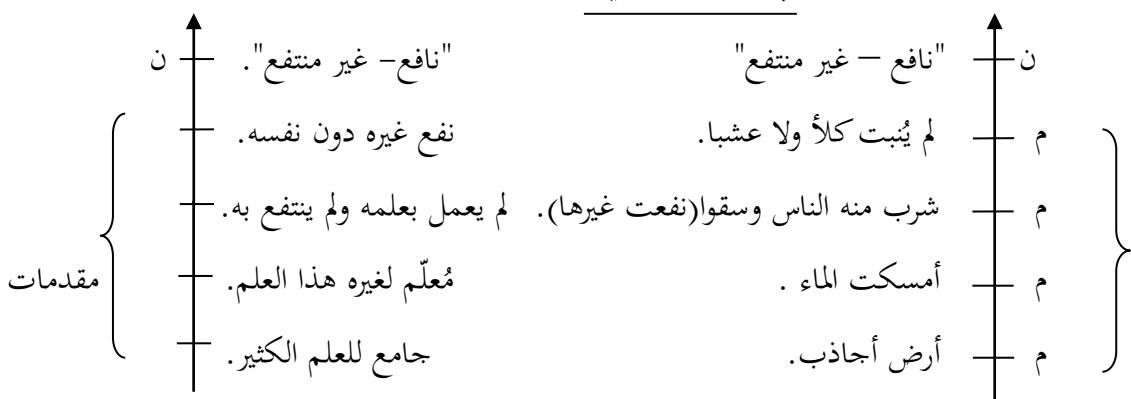
\* منهم العاُم العاملُ المعلمُ: فهو منزلة الأرض الطيبة شربت ، فانتفعت في نفسها ، وأنبتت ، فنفعت غيرها. \* منهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمَل بنوافله ، أو لم ينتفع بما جمع ، لكنه أداةٌ لغيره، فهو منزلة الأرض التي يستقرّ فيها الماء ، فينتفع الناس بها.

\* منهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ، ولا ينقله لغيره، فهو منزلة الأرض السبخة أو المتساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيره...<sup>1</sup>. ويمكن تمثيل ذلك حجاجياً وفق السلم الحجاجي التالي:

### أ/ الطائفة الأولى:



### ب/ الطائفة الثانية:



<sup>1</sup> - العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ، ج1، ص : 215

### ج/ الطائفة الثالثة:

ن	"غير نافع ، وغير منتفع "	ن	"غير نافع وغير منتفع"
م	لم يقبل هدى الله.	م	لم تمسك ولم تنبت.
م	تضييع للعلم.	م	تضييع الماء.
م	لا تمسك ماءً، ولا ثبت عشبا.	م	لا يعمل به، ولا يعلمه لغيره.
م	من يسمع العلم فلا يحفظه.	م	أرضٌ قيعان.

وجميع هذه الفئات - كما مثلنا - جاءت في "بناء تركيبي" فُسِّمت فيه الأقسام تقسيماً حسناً ، ثم أتبع كلُّ قسمٍ بما يخصّه، فذكر عليه الصلاة والسلام اختلاف الأرضي في تقبيل الماء، ثم اتبعها باختلاف الناس في قبول الهدایة، فهو "تشبيه تمثيلي" لأنَّ وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول الأرض لما يرد عليها من الخير مع ظهور أماراته وعلاماته على وجه عام وهو "الثمر" ، وهو وجه شبه متزع من أمور متعددة ( قبول الأرض للماء + الانتفاع به + إنبات الكلأ والعشب + انتفاع الناس به...).

لقد عمد الرسول "ص" إلى الإقناع العقلي ، وإيقاظ الشعور والعاطفة لدى المخاطبين ، فاستعان بالأساليب والوسائل الممكنة للوصول إليه، منها "المنهج التمثيلي القصصي" الذي جسم فيه المعنويات وعرضها بصورة محسوسة وملمومة ، يرتضيها العقل والمنطق ، ويأنس بها الشعور والوجدان ، فضلاً عما تركه في نفس المتلقى من آثار نفسية عميقة، قلما يصل إليها نوع آخر من أنواع البيان.

\*النموذج الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال النبي "ص": "مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: "يَا قَوْمَ إِنِّي رَأَيْتُ أَجْيَشَ بَعْيَنِي، وَأَنَا الْنَذِيرُ الْعَرِيَانُ" فَالْنَجَاءُ الْنَجَاءُ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ (أَطَاعَهُ) فَأَدْجَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْ، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحُهُمْ أَجْيَشُ فَاجْتَاحُهُمْ<sup>1</sup>" ، (طرف الحديث في البخاري : فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق...". رقم 6854 ، "باب الاعتصام بالكتاب والسنة".

الحديث صورة من صور التشبيه النبوى ، إذ يُجسّد صورة حيَّة لحاله عليه الصلاة والسلام في الإنذار ولأحوال السامعين لا نذاره، إذ شبه نفسه مع قومه بصورة "النذير العريان" (والنذير العريان الأصل فيه أنَّ رجلاً لقي جيشاً فسلَّبُوه وأسرُوه، فانفلت إلى قومه فقال : إني رأيت الجيش فسلَّبوني ، فرأوه عريانا ، فتحقّقُوا صدقه، لأنَّهم

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، حديث رقم 6117 ،كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ، ج 5 ،ص:2378.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

كانوا يعرفونه ولا يتهمنه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن<sup>1</sup> ، إذ ضرب النبي "ص" لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المحاطين بما يألفونه ويعرفونه، فجعل يهتف منهم بالجملة التي اعتادوها عند وقوع أمر جلل "النجاء النجاء" بجامع صورة أمرٍ، أكدّته الشواهد ، وصدقته الأدلة ، ففاز من صدق وهلك وخسر من كذب.

وانطلاقاً من الصفة الجامدة بين الرسول "ص" (المشبه)، والنذير العريان (المشبه به) يحمل معنى "العرى" دليلاً على صدق النذير القاطع باستعمال الرسول عليه الصلاة و السلام لمؤكّدات هي: (رؤية عينية "بعيني" إبني + أنا + العريان )، كلُّها "روابط حجاجية" تدفع إلى الهرب من الخطر المحدق به ، وهذه الصفات للنذير إشارات تصيء جوانب "المشبه" -الرسول - "ص" الذي رأى مواطن الخطر فأخبر بها ، ليبقى النذير العريان "حجّة عقلية جاء يحملها "ص" واضحة صادقة على أنه صادق أمين.

يعكس الحديث "حجج" الرسول "ص" مرة أخرى، حين يعلو صوت النذير مؤكداً أمر صدقه بشتى وسائل التأثير، بقوله "النجاء النجاء" منصوب على الإغراء، بغرض تأكيد الأمر والبالغة فيه، لا سيما "بتكرار" اللفظ تعجيلاً بالهروب قبل مُداهمة الجيش . و لظهور صورة التشبيه "نتيجته" من خلال طبائع النفوس في استجابتها للدعوي، إذ انقسم القوم إلى:

\*\*\* طائفة أطاعت . سارت أول الليل . و أدلجوا - فَنَجَوا.

\*\*\* طائفة كذّبت . تكذيب مع عصيان . فأصبحوا احتاجهم العدو.

**\*فالطائفة الأولى :** "صدقت فور إنذارها،... فأطاعته ،.... فأدلجوا" ، مما يعكس سرعة القوم في طلب النجاء فكان هرجمم ادلاجاً في جوف الليل، إذ شبه الرسول "ص" من أطاعه واتّبعه، واتّبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق....حاله كحال من صدق "النذير الذي حذر" ، فتحا وسلم ماله وعرضه ، و "وجه الشبه" بين الطرفين "طاعةٌ ترتب عليها نجاة وفوز" .

**\*اما الطائفة الثانية :** فهي طائفة "كذّبت ورفضت داعي التغيير" وتشبّتوا بما هم عليه، ووقفوا في مكانهم حتى هلكوا "كذّبت ... صبّحهم..." ، فانعكس ذلك في "وجه الشبه" المنتزع من متعدد ، والموجي بأنّ "العصيان وتكذيب ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب الهلاك الحتمي والخسران المبين" ، ويمكن تجسيد مثال الطائفتين في السلم الحجاجي التالي :

**الطائفة الأولى :**

<sup>1</sup>-العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري، ج 1 ص : 358

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

—————— —————— ——————	نجاة وفوز "وجه الشبه" نجاة وسلامة العرض والمال. إدلاج ومشي أول الطريق. تصدق فور الإنذار.
اختيار من الطريق أفضلها. طاعته و إتباع ما جاء به. تصديق الرسول "ص" .	مقدمات

### الطائفة الثانية :

هلاك وخسران. الثبات على الكفر و العناد. رفض لما جاء به الرسول . تكذيب مع عصيان .	وقفوا على مكاحم حتى هلكوا . التشبث بما هم عليه (صَبَّحُوهُمْ) . رفض داعي التغيير . تكذيب مع عصيان .
مقدمات	مقدمات

لتكون الفائدة من "التشبيه" الدعوة إلى حتمية الاستجابة للنذير في "المشبه به" طلباً للأمن من اجتياح الجيش، وفي "المشبه" بتوجيهه القوم إلى إتباع الرسول "ص" ، وإلا هلاك محتوم، وخسرانٌ مبينٌ ، إذ "النتيجة منطقية" لما سبقها من "مقدمات" تتحتم على أنه "كُلَّمَا وُجِدَ نذير يُنذر قومه، إِلَّا وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةُ تَحْقِيقًا لِلنَّجَاهِ" ولعل ارتباط "التشبيه بالحجاج" ليؤدي دور الإقناع والتأثير في السامع يحصل من إطلالتنا هذه في حديثنا عن التشبيه - ارتباطه بالجملة الطلبية - يجعلنا نقر أنّ الرسول "ص" استعمل الجمل "الإنسانية الطلبية" كالأمر و الاستفهام و النداء .... في أداء المعاني ، التي قد لم يُلْبِها الخبر، فكان تعبيره عن أفكاره ومعانيه بـ"الجمل الطلبية" "استجابة لما يتطلبه المقام، ورغبةً منه في نقل مشاعره إلى المخاطب ليشاركه بها، ويتعاون معه في أثناء قوله ، وقد استعمل الرسول "ص" هذه التراكيب للتعبير عن معاني حقيقة ، وأخرى مجازية مراعاة حال المخاطب منها :

### \*الترغيب:

"الترغيب" بما يُحمد فعله للمخاطب، هو الخطوة الأولى للإقناع، إذ يزيد المخاطب ترغيباً وتشويقاً ، ويعث فيه الهمة في تحصيله، ومثال ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين أراد التشديد على نفسه في العبادة، فأراد الرسول "ص" أن يرعبه في ترك التشديد فقال له: "آمرا": "صُمْ صُومْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاؤُودْ ... كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفْرُ إِذَا لَاقَى"<sup>1</sup>، فشبّه النبي "ص" الصوم الذي أراده، بصوم "داود" عليه السلام ترغيباً لعبد الله بالتحفيظ من تشديده على نفسه.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 1878 كتاب الصوم ،باب صوم داود عليه السلام ج 2 ص : 679 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

وما أسمهم في ذلك الترغيب "حذف أداة التشبيه" ، وحذفها يُشعر المخاطب بتحقق وصف "المشبه به" في "المشبه" وهو الذي يسميه البلاغيون: "التشبيه البليغ" ، أو "التشبيه المضمر الأداة" إذ فيه يكون التشبيه أبلغ وأوجز من التشبيه التي ظهرت أداته، أما كونه "أبلغ" فلأنك إذا قلت: "زيد أسد" فقد جعلته نفس هذه الحقيقة من غير واسطة ، بخلاف قولك "كالأسد": فليس يفيد إلا مطلق المشابهة لا غير، وأما كونه "أوجز" ، فلأن أداة التشبيه ممحوقة منه ، فلهذا كان أخصّ من حبه لفظه ...<sup>1</sup>.

وعكس الترغيب في القيام بالشيء ، بحد "التنفير منه" وذمه إن كان قبيحا ، وذلك ما حرص عليه الرسول "ص" في حديثه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: "حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاضْطَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرْدَثْتُ أَنْ أَشْتَرِيهُ، وَظَنَّتُ أَنَّهُ بِائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا تَشْتَرِهُ، وَلَا تَعْدُ فِي صَدَقَتِكَ وَإِنْ اعْطَاكُهُ بِدِرْهَمٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ"<sup>2</sup>.

فأراد الرسول "ص" من وراء هذا التشبيه أن يصرف "عمر" رضي الله عنه عن الرجوع عن صدقته بعد أن أخرجها ، فنهاه "لا تشره" عن شراء فرسه الذي تصدق به ، حتى لا يكون كمن عاد في صدقته، وقد كان الحامل لعمر على الشراء هو رُخْص الثمن ، ليصور الرسول صلى الله عليه وسلم صورة "المتصدق الذي يعود في صدقته" بصورة الكلب الذي يقيء ، ثم يعود فيه" ، وهي صورة شنيعة قبيحة تبعث على التنفير والذم وهذا ما أراده عليه الصلاة والسلام من تشبيهه، كما أن ذكر الكلب يزيد الصورة قبحا وبشاشة ، حيث جاء التشبيه بالكلب في مقام الذم والتنفير في القرآن الكريم والسنة ، كما في قوله تعالى : "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَعَنَاهُ إِنَّا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَنْهُ كَمِيلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَأْلَمُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَأْلَمُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا..." الأعراف 176 فضرب المثل بصورة الكلب تصويرا للتهجين ، وتنفيرا منه.

ليكون غرض آخر من وراء التشبيه بصيغة طلبية هي "النداء" ، لكن غرضها مجازي ، يهدف إلى الدعاء في قوله صلى الله عليه وسلم مجيبا عن سؤال وجّه له: "كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ ، فإن الله تعالى قد علمنا كيف

<sup>1</sup>- العلوى، الطراز المتضمن أسرار البلاغة، ص: 150.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري حديث رقم 1419 كتاب الزكاة، باب هل يشتري صدقته، ج 2 ص: 542.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

نُسِّلَمْ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ : قُولُوا : "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ حَمِيدٌ ." <sup>1</sup>

وهو حديث جمع فيه الرسول "ص" ألوان الطلب من "الاستفهام": "كيف الصلاة ثم النداء: "اللهم ثم الأمر": "صل" ، فالاستفهام للاستفسار، أمّا النداء والأمر في "طفي التشبيه" للدعاء، فـ"اللهم" يكثر استعمالها في الدعاء وهي بمعنى "يا الله" ، والميم للتعظيم عوض حرف النداء...<sup>2</sup> ، ومعنى "صل": "فمعنى صلاة الله على النبي شناؤه عليه عند ملائكته ، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له"<sup>3</sup> ، ورابط التشبيه ووجهه "اللهم استجب دعاء محمد في أمته ، كما استجبت دعاء إبراهيم في بنيه.." .<sup>4</sup>

وبهذا العرض يكون قد ألقى الضوء – بعض الضوء – على بлагة يكتنزها التشبيه النبوى الموجود في الأحاديث الشريفة ، على نحو يظهر أنّ الرسول الكريم تمكّن من إنتاج نصوص بلغة طريفة وجميلة ودالة ، حقق بها وظيفة رسالة "تربية إيمانية" ، مبعثها الإقناع والتأثير بما امتلك من قدرة تعكس فصاحة الرسول "ص" وبلامغته.<sup>5</sup>

كما يعكس البيان النبوى في أوجهه البلاغية بما فيها "التشبيه" حاجة الحجاج للبلاغة، إذ لا مفر للحجاج من البلاغة، ولا سبيل إلى "الإقناع" دون أساليب رائعة في البيان تفي بغرض الإقناع والتأثير ، والتي من شأنها أن تساعد في تأسيس الحجاج وتدعوه إلى الإقناع في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

### 2. الآليات اللغوية في الحجاج:

كثيراً ما يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة، لا تختص بمحال من الحالات دون غيره، فهي مطوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حُجّجه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحفل بخطابه، فيعمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة..<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري حديث رقم: 3190 كتاب الأنبياء، ج 3 ،ص، 1233 ،العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ،حديث رقم 6360 وزاد فيه: على محمد وأزواجه وذريته ... ج 11 ،ص : 192.

<sup>2</sup> - العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ج 11 ،ص: 175.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص : 176.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص : 183.

<sup>5</sup> - الفزويني الحطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة- ، ص: 163.

<sup>6</sup> - الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، ص: 477.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وباعتبار أنّ اللغة لا تزال الوسيلة الأفضل لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعتبر عنها، واقتناعهم بمصداقيتها ، تأتي الوسائل اللغوية ذات الصلة والارتباط بالإقناع لتشكل في كل خطاب العمدة أو الأساس بسبب تناسبها مع الموضوعات والأفكار التي جسمتها ، ناقلةً المتلقى من دور الاستماع إلى دور الإنصات ، فالإدراك ، فالاقتناع المؤدي إلى الفعل المحسّن للمعتقد، وهذا ما استخدمه الرسول "ص" في أساليبه اللغوية في خطابه مع الآخرين.

ويأتي أسلوب "التكرار" على رأس هذه الأساليب بصورة المتعددة ، وتوزيعاته المتعددة، انتقاماً من الرسول "ص" لئلا يحصد غرض الإقناع في المتلقى والسامع.

والتكرار أسلوب تعبيري معروف ، استعمله العرب في كلامهم لغایات متعددة ، فقد استعمله المصطفى "ص" وجعله وسيلة من وسائل الدعوة ، وطريقة من طرق تبليغ مبادئها ، فكرر الحرف الواحد في الكلمة محمل تكراره جزءاً من المعنى ، كما كرر اللفظة أو العبارة أو الصيغة الواحدة أحياناً ، وقد يكرر المعنى دون اللفظ ، كل ذلك كان لتحقيق يسعى إليها مُؤكداً تارة، مُرغباً، مُهدداً..... وغيرها من الأغراض تارة أخرى.<sup>1</sup>

وكثيراً ما ارتبط التكرار في اللغة العربية عامة ، وفي الحديث النبوي خاصة باختيار المتكلم لعنصر لغوي من عناصر الخطاب عنده ليكرره ، ويكون هذا الاختيار واعياً مقصوداً ، وقد يكون بغیر قصد أو إدراك عقلي لهذا الاختيار للمكرر ، من بين احتمالات لغوية متعددة وهذا ما عُرف بأقسام التكرار.

### أ - مصطلح التكرار بين اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب مادة "كرر" ، أنّ التكرار لغة من الكل: وهو الرجوع على الشيء ، فكر الشيء وكرره: أعاده مرة بعد أخرى ، والكرّة : المرأة ، والجمع كرات وبيان: كررت عليه الحديث ، وكررته: إذا ردّته عليه ، والكرّ: الرجوع على الشيء ، ومنه التكرار ..... وقال الجوهري ، كررت الشيء تكراراً وتكريراً ، والكركرة من الإدراة والتّردّيد ، وهو من كر وكرر ، وقال كركرة الرّحى: تردادها ، وألح على أعرابي بالسؤال فقال: لا تكررُوني ، أراد لا تكرروا عليَّ السؤال فأغلط....<sup>2</sup>.

أما في عرف "الاصطلاح" : فيعُدّ التكرار وسيلة من وسائل تدعيم المعنى ، والتكرار من "العلاقات الدلالية"

<sup>1</sup>- أميمة بدر الدين ، التكرار في الحديث النبوي الشريف ، مقال في مجلة جامعة دمشق ، ع 2+1 ، 2010 ، ص: 26

<sup>2</sup>- ابن منظور - لسان العرب - مادة كرر.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

التي تظهر من خلال قضايا كبرى، على أنّ تكرار قضية كبرى يؤكّد على أنّ الكاتب يُلْعِنُ على فكرة مُعينة ويحاول أن يوصلها إلى المتلقٍ عبر طرق مُعينة تتطابق، فيُنْتَجُ عنه تكرار....<sup>1</sup>.

ويعتبر أسلوب التكرار (التكريّر أو المعاودة) من أبرز الأساليب الحجاجية اللّغوية التي يُقدمها المتكلّم لفائدة أطروحة ما، ومن ذلك يقول "العزّاوي": "ليس هو ذلك التكرار المولّد للزّتابة والملل، أو التكرار المولّد للخلل والهلللة في البناء، ولكنّه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، إنّه التكرار الذي يسمح لنا بتوسيع بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النصّ وتوازنه وتناميه..."<sup>2</sup>.

في وقت تؤكّد فيه "دريدي سامية": أنّ أسلوب التكرار رغم التنوع في أشكاله وأنواعه، فإنّ أول هذه الأنواع "التكرار اللفظي" باعتباره قادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات محدّدة وتوفرت فيه شروط مُعينة....<sup>3</sup>.

في وقت يرى فيه "الزرّكشي": أنّ "التقرير" من أهم أغراض التكرار وقد قيل: الكلام إذا تكرّر...<sup>4</sup>.  
وُورد تعريف "التكرار" في البنية اللّغوية مع عرض الفائدة التداوilyة من الاهتمام به، فـ"أحمد مطلوب" مثلاً في معجم "المصطلحات البلاغية" يُورد تعريف ابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" للتكرار: الذي هو "إيراد المعنى مُرّدداً، فمنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغير فائدة ..... في وقت ينقسم فيه التكرار إلى:  
أ/ يوجد في اللّفظ والمعنى، مثل: أسرع أسرع.

ب/ قسم يوجد في المعنى دون اللّفظ مثل "أطعني ولا تعصني"، فإنّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية.  
وكلّ قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، فالمفيد هو الذي يأتي في الكلام توكيده وتسويدياً من أمره ، وإشعاراً بعظم شأنه ، أما القسم الذي هو غير مفيد فهو الذي في الكلام توكيده له فقط...<sup>5</sup>.

من خلال هذا التعريف نستنتج الفائدة التداوilyة للتكرار، وهي الاهتمام بالمخاطب الذي يُعدُّ الطرف المقصود في العملية التواصلية، والتوجّه إليه بتأكيد الأمر، أو التشديد من أمره، أو الإشعار بعظم شأن هذا

<sup>1</sup>- القิرواني بن رشيق، العمدة، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر بيروت ،ط1، 2003، ج 2 ص: 77

<sup>2</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص: 48.

<sup>3</sup>- دريدي سامية ، الحجاج في الشعر القديم ، مرجع سابق ، ص: 168.

<sup>4</sup>- الزركشي - البرهان في العلوم القرآن - ج 3 ص : 10.

<sup>5</sup>- مطلوب أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، المجمع العلمي العراقي ، 1983 ، ج 2 ص : 338.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الأمر، سواء بالنسبة للمتكلّم أو المتلقي ، وهذه أسباب تزيد في أواصر التواصل بينهما من خلال لفت انتباه المخاطب، وفيه يقول "ابن الأثير" مؤكدا على ارتباط بعض حالات التكرار بالتعبير في سلوك المخاطب: "إذا صدر الأمر من الأمر على المأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وضعه ، ولم يكن مؤقتا بوقت معين ، كان ذلك حثاً له على المبادرة إلى امتحال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمهله بالقيام: "قم قم قم" فإنما تزيد بهذا اللفظ المكرر أن يُبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة...".<sup>1</sup>

أمّا اللسانيات النصية فقد نظرت "للتكرار" من خلال معالجته من منظور دوره في السبك المعجمي" ، وذلك لأن تخيّل اللفظ المكرر إلى لفظ آخر سابق مُرادفٍ ، أو مرادف قريب يرتبط به بالإحالة المشتركة، فهما يُكُن من أمرٍ، فإنّ وظيفة التكرار التركيبية تخرج عن إطار غرضنا هنا، وإنما يعني بتحليل بنية التكرار من منظور الوظيفة الاتصالية الاقناعية، لا سيما وأنّ للقدماء إشاراتٍ مهمّة تفيد في إلقاء الضوء على تلك الوظيفة فهذا "أبو هلال العسكري" يقرُّ التكرار بتأكيد "الحجّة" ، وجعل التكرار مِدّاً للقول، ومن ثم يربط بين مدّ القول وبلوغ الشفاعة والإقناع ..<sup>2</sup>.

إنّ جلّ الدراسات الدائرة حول الحجاج تُجمع أو تكاد تُجمع على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة، وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضعها، واختلاف أحناسها ولكن لا يُدرس ضمن الحجج والبراهين، وإنما يُعدّ رافداً أساسياً يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يُقدمها المتكلّم لفائدة أطروحة ما، يعني أنّ التكرار يُوفّر لها طاقةً مُضافةً تُحدث أثراً جليلاً في المتلقي ، وتساعد على نحوٍ فعالٍ في إقناعه أو حمله على الإذعان، وترسيخ الفكرة في الأذهان، لأنّ التكرار لفكرةٍ ما يجعل المتلقي يدرك مراميها ، ويُبيّن مقصدها ، وإن ردّ رابطاً حجاجياً أقام تناعماً في أجزاء الخطاب بائنا، وأكّد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها.

### ب . التكرار في الحديث النبوي الشريف:

إنّ ظاهرة التكرار لم تكن بالغربية على العرب، وإنما يمكن عدّها سُنةً من سُنن القول عندهم، في هذا يقول "ابن قتيبة": "وللعرب الججازات في الكلام ومعناها طائق القول وما خذله، ففيها الاستعارة والتّمثيل والقلب

<sup>1</sup>- محمد العيد، النص والخطاب والاتصال ، ص: 231.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 232

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

والتقديم والتأخير والحدف والتكرار....<sup>1</sup>، وأقرّ هذه الحقيقة "ابن فارس" حين قال: "ومن سُنن العرب التكرير والإعادة و إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر...".<sup>2</sup>.

ولهذا كان استخدام الرسول "ص" لأسلوب "التكرار" كتقنية خطابية ينفيذ بها إلى عقل المتلقى وقلبه باعتباره واحدا من أساليب التوكيد لتبيّن الرسالة وتعليم الدين، وهو الحريص على أن تصل كلمته جليةً واضحةً إلى الأذهان كافة، مما يستدعي ضرورة الكشف عن الموضوعات التي تشَكّلت فيها الأبنية التكرارية لبيان ملائمة أسلوب التكرار للموضوعات التي تقولبت فيه، وما أنتجه هذا الذكاء في اختيار الأسلوب من دلالاتٍ مُتنوّعة الأبعاد ، لا سيما وهو الذي كان "ص" يدعو إلى تكرار عباراتٍ معينة، مُحدّداً عدداً معيناً ولعلّ لهذا التحديد دلالته وطاقته التأثيرية في نفس المتلقى الذي سيُلْنَمُ بتكرار العبارة.

مع الإشارة إلى أنّ التكرار في الحديث النبوي الشريف ضربان: تكرار بالمعنى فقط، وتكرار باللفظ والمعنى وهو ما أشار إليه علماء البلاغة، إذ جعلوا التكرار على قسمين تكرار بالمعنى، وتكرار باللفظ ، وقد ذكر "ابن جنّي" التكرار عند العرب، وقسمه إلى قسمين ، وجعله ضربا من التوكيد فقال: "اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكتنته واحتاطت له، فمن ذلك "التوكيد" و "التكرار" ، وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قوله: "قام زيد قام زيد" ، والثاني : تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين : أحدهما للإحاطة والعموم ، والآخر للتشبيت والتمكين ، الأول كقولنا : قام القوم كلُّهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني: قام زيد نفسه، ورأيته نفسه..".<sup>3</sup>.

ومحاولة منا لرصد هذه الظاهرة في "الأدب النبوي" حريٌّ بنا أن نتبع مظاهرها مع التركيز على نوع واحد من التكرار " تكرار الشكل" ، لأنّه النوع القادر على الاضطلاع بدور حجاجي هام ، متى اعتمد في سياقات مُتعدّدة، مُحدّدة، وتوفّرت فيه شروط معينة ، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعُدّ من أفنان القول الرافد للحجاج، المدعّمة للطاقة الحجاجية في الدليل أو البرهان، لما له من وقع في القلوب لاسيما في سياقاتٍ خاصة كالأمر والنهي والاستفهام وغيرها.....

ومن المواطن التي شَكّل فيها التكرار ظاهرة من ظواهر الخطاب النبوي الشريف قوله "ص" عن أبي شُرِّيْج أَنَّ النَّبِيَّ "ص" قَالَ: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ... قَيْلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ :

<sup>1</sup>- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر ، ط2- 1973 ص: 233

<sup>2</sup>- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ، ص:207 .

<sup>3</sup>- ابن جنّي ، الخصائص ، ج 3، ص:101.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

الذى لا يأْمَنْ جَارُه بِوَاقِفَةٍ<sup>1</sup>، فالحديث نموذج من نماذجه "ص" في "التكرار"؛ وهو تكرار صريح لعبارة "والله لا يؤْمَنْ" ثلاث مرات" ، إذ استهل عليه الصلاة والسلام خطابه استهلالا قويا لافتاً تغيمه الصاعد بفضل التكرار التام للعبارة ، وهو تكرار يحاصر المتكلقى منذ البدء ، مما يجعلنا نسمع "نبض الخوف" والفضول" في صيغة السؤال الطبّي "الاستفهام" من يا رسول الله؟... ففي هذا الحديث تأكيد لحق "الجار" لقسمه "ص" على ذلك ، وتكريره اليمين "ثلاث مرات" ، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذى جاره بالقول أو الفعل ، ومُراده الإيمان الكامل ، ولا شك أنّ العاصي غير كامل الإيمان...<sup>2</sup>.

ليكتمل الهدف من التكرار حين أجاب الرسول "ص" عن سؤال الصحابة ، ومن يا رسول الله؟ . وفي رواية قالوا : "يا رسول الله لقد خاب وخسر" ، من هو؟ ، مُتضمّنة في جوابه عليه الصلاة والسلام "الذى لا يأْمَنْ جَارُه بِوَاقِفَةٍ" : أي شرّه ، وفيه تأكيد على وجوب احترام الجار ، وحسن معاملته ، بأسلوب فيه تحويف وتشديد لبيان أهمية الجار في الإسلام ، وذلك بحفظه وإيصال الخير إليه ، وكفّ أسبابِ الضّرر عنه .

ولعل النّظرة الحجاجية لأسلوب التكرار في هذا الحديث تكمن في "النتيجة المنطقية" التي يمكن أن نستنتجها من معاني الحديث ، وتكمّن هذه المنطقية في : أنّ علامات الإيمان الكامل تتجلّى في حسن معاملة المرء لجاره أمّا عكس ذلك فيؤدي حتما إلى عدم الإيمان ، بدليل ما يؤذى به جاره ، فالنتيجة منطقية قدّمتها رسول الله "ص" في بداية الحديث ؛ ( عدم الإيمان = المترتبة عن إذابة الجار والناتجة عنه ) .

\*\*. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يُمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَإِنْتِظَارُ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ...<sup>3</sup>.

نموذج آخر من نماذج تكراره "ص" للعبارات ، تقوية للفكرة والمدف لتبقي في ذهن المخاطب تفاعلا مع عقله ومشاعره ، فليجاً الرسول "ص" إلى "تكرار" العبارة في موقف واحد لبيان أهمية ما ذكر ولفت الانتباه إليه . وقد عمّد الرسول "ص" إلى استعمال أسلوب التوكيد بأداة الاستفتاح "ألا" في صيغة استفهام بغرض "التشويق" ، رغبة منه في تهيئة الجو لحصر أمورٍ يمحو بها الله الخطايا ، ويرفع الدرجات ، بدأها من فضل إسبياغ الوضوء على المكاره ثم ثنى بكترة الخطأ إلى المساجد ، لتنتم بانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وهي "مقدمات"

<sup>1</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم 5670 كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأْمَنْ جَارُه بِوَاقِفَةٍ، ج 5، ص: 2240.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري ، ج 10، ص: 501.

<sup>3</sup>- صحيح مسلم ، حديث رقم 369 كتاب الطهارة ، باب إسبياغ الوضوء على المكاره، الإمام النووي ، رياض الصالحين حديث رقم: 131، ص: 72.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

جريدة بالوصول بصاحبها إلى "نتيجة" وهي الرفع من الدرجة والقيمة عند الله تعالى.

فجاء هذا التكرار ليُوسع هذا المعنى تحصيلا للأجر، "فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط " ، إذ الرباط معناه الجهاد ، ولا رباطاً إلّا ذلكم المشار إليه ، لكمال المعنى ، تحصيلا للأجر مثل ما للمجاهد في أرض المعركة، وهو تكرار من شأنه أن يؤكد أنّ الطريق الموصلة إلى النصر والفوز هو تعويذ النفس على ما ذكره الحديث ، لأنّ من لا يحافظ على ما ذُكر لا يمكن أن يكون مُستعداً لبذل النفس في سبيل الله.

لتظهر القيمة الحجاجية للتكرار في هذا الحديث من خلال تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية هذه الأعمال وبيان أثرها وفائدها ، حين شبهها بالجهاد "الرباط" ، بياناً لفضل الجهاد حين تُبذل النفس رخيصة في ساحة الوعى ، ومثلها مثل إخضاع النفس لأمور العبادة رغم كره النفس لها" ، "إسباغ الوضوء على المكاره" = "المشقة" ، "وكثرة الخطأ إلى المساجد" ، "انتظار الصلاة بعد الصلاة" فمعنى ذلك كله "المواظبة على الطهارة والصلاحة والعبادة والجهاد في سبيل الله.." <sup>1</sup>.

\*\* . عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي "ص" ألا أُنِسْكُم بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثلاثاً". قالوا: بلى يا رسول الله فقال: الإسرارُ بِاللهِ، وعُقوقُ الْوَالِدَيْنِ ..، -وجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَبِّراً :- فقال : أَلَا وَقَوْلَ الزُّورِ؛ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ...<sup>2</sup>.

يعكس النموذج الثالث من التكرار في البيان النبوى أن "رسول الله" ص" كان يُردّ عبارات تردادا غير محدد العدد، وكأنه يُلاحق المتلقى بدلالة العبارة المكررة ، بكل ما فيها من انفعالات ،قصد عليه الصلاة والسلام إيصالها إلى للمتلقي ، ليحضر أمراً ما من خلال حديثه هذا ، مُبيّناً عظيم الكبائر التي تُهلك صاحبها بدءاً من الشرك بالله ، ثم عقوق الوالدين ، وكان مُتَكَبِّراً فجلس: "ألا وقول الزور" ، "ألا وشهادة الزور" .

وقد جاء الحديث ببنية تركيبية استهلّها الرسول "ص" بأداة العرض "ألا" ، لتنبيه السامعين وإثارة رغبهم في معرفة أمور جديدة ، من شأنها أن تُجنبُهم الوقوع في أمور عظيمة "الكبائر" ، ليتم خطابه بتكرار لم يحدد الرواية عدده ، ووقع هذا التكرار في نفس ساميته ، بدليل "حتى قلنا ليته سكت" ، مما يعكس تفاعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع العبارة المكررة جسديا ، بدليل : "كان مُتَكَبِّراً ، فَجَلَسَ" ، مُظهرا خطورة الزور "قولا وشهادة" ، ومظهرا كذلك كلمة "الزور" مُسلطًا الضوء عليها ليتجنبها المتلقى بقوّة وعزم .

<sup>1</sup>- الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص : 72.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم: 2511، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ج 2 ، ص: 939.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ليأخذ هذا التكرار طريقه إلى قلوب الصحابة بدءاً من ذلك التغيير المفاجئ في جلساته عليه الصلاة والسلام والتي رافقها انفعالٌ وتأثرٌ بدا على وجهه عليه الصلاة والسلام ، ليكون هذا التغيير دليلاً على خطورة ما سيأتي ، فانخلعت نفوسهم شفقة على حبيبهم "ص" ، فلم ينتبهوا إلى عدد مرات التكرار، بل تاقت أنفسهم إلى راحته ، حتى تمنوا لو "أنه سكت" إشفاقاً عليه ورحمةً به وخوفاً على أنفسهم من غضبه، وهي كلامها دلائل توحى ب مدى بناح التكرار في دوره الحجاجي في عملية الإقناع والتأثير في المتلقى ، سعياً إلى تغيير رأيه أو موقفه أو وجهة نظره .\*\* . عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه "بِير حاء" ، وكانت مُستقبلة المسجد وكان رسول الله "ص" يدخلها ، ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس: فلما نزلت الآية: (لن تناعوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، قام أبو طلحة إلى النبي "ص" فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: (لن تناعوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأن أحبت أموالك إلى "بير حاء" ، وإنما صدقة الله، أرجو برها وذرها عند الله، فقضيتها يا رسول الله، حيث أراك الله، قال : قال الرسول "ص" "بَخْ، بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قلت ، وَإِنِّي أَرِي أَنْ تجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ....".<sup>1</sup>

في باب فضل أهمية "الصدقة الجارية" عند الله تعالى، يورد رسول الله "ص" هذا الحديث الشريف لبيان قيمة هذه الصدقة من خلال قصة بستان "أبي طلحة" رضي الله عنه الذي تصدق به امثلاً لأمره تعالى "لن تناعوا البر ...." ، ورغبةً منه في تحصيل ثواب وأجر هذه الصدقة يوم القيمة ، وقد جاء هذا الحديث في شكل حوار بين الرسول "ص" والصحابي أبي طلحة الذي أقرض بستانه لربه طمعاً في جنته، رغم حبه له ، راجياً من وراء صدقته برها وذرها عند الله.... فكان موقف الرسول "ص" موقف تكرار بغرض "الاطمئنان" وتقرير حقيقة التجارة الرابحة مع الله تعالى: عن طريق تكراره "ذلك مال رابح" ، "ذلك مال رابح" .

ولعل هذا التكرار هو الذي جعل نفسية "أبي طلحة" تطمئن لنجاح صدقته حين بشّره الرسول "ص" بذلك "رابح" ، مما يعكس دور التكرار في نفسية المخاطب والتأثير فيه، وهي الغاية التي يسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال توظيفه لهذا التكرار من جهة، ولتكون قصة أبي طلحة نموذجاً للاقتداء عند الصحابة ومن بعدهم من جهة أخرى.

<sup>1</sup>- صحيح البخاري -Hadith رقم: 1392 كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج 2 ص: 530-531 . وفتح الباري حديث رقم 1461 ج 3 ص: 369، رياض الصالحين حديث رقم: 320 ، ص: 136.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

هذا النوع من التكرار هو نوع ناتج عن حوارات الرسول "ص" مع صحابته في أمور دينهم ودنياهם، لأنّ هذا الباب يُؤثِّرنا إلى أن نقف مع نموذج آخر من التكرار، أورده المصطفى في باب إجاباته عن أسئلة تُوجَّه إليه، فيؤكد بتكرار الإجابة عن أسئلة مختلفة الفكرَة التي يريد: والمهدف الذي يبغي، ومثال ذلك ما جاء في إجاباته عن أسئلة الرجل المتعلقة بأحق الناس بحسن الصحبة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجُلٌ إلى رسول الله "ص" فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أُمك، قال: مَمْ مَنْ؟ قال: أُمك ، قال: مَمْ مَنْ؟ قال: أُمك، قال مَمْ مَنْ؟ قال : أبُوك...<sup>1</sup>.

جاء هذا الحديث في باب البر والصلة والأدب، ويعكس أولى الناس بالبر والمعروف، والمصاحبة المقرونة بين الجانب وطيب الخلق وحسن المعاشرة، من خلال أسئلة ذلك الصحابي للرسول "ص" والتي يهدف من خلالها إلى معرفة الإجابة عن سؤال كثيراً ما قَضَّ مَضْحِعَهُ: والمتَمثِّلُ في أحقٍ وأولى الناس بالصَّحْبَةِ؟! ، فكانت إجابته عليه الصلاة والسلام : "أُمك" ، ثالث مرات متتالية عن طريق التكرار.

إنَّه صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعِيدُ إجابتَهُ الأولى ، مع علْمِه أنَّ السَّائِلَ يَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَةِ إجابةٍ أُخْرَى لَا إِلَى الإِجَابَةِ الأولى ، لِذَلِكَ نَرَاهُ قد أَعْدَادَ السُّؤَالِ ، طَالَبًا بِسُؤَالِهِ الْمُكَرَّرِ تَحْدِيدَ هُوَيَّةِ شَخْصٍ آخَرَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَمْ لِيَكُونَ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصَّحْبَةِ ، فَإِذَا بِالإِجَابَةِ الْأُولَى تُلْاحِقَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً مُعَزَّزَةً وَمُؤَكِّدَةً عَظِيمًا هَذِهِ الصَّحْبَةُ وَأَحْقِيقِيَّتِهَا ، وَأَنَّهَا مُقْدَّمةٌ عَلَى أَيِّ عَلَاقَةٍ.

ليطرح السائل سؤاله للمرة الثانية: "مَمْ مَنْ؟" ، "استفهام" يُظْهِر شغفَ السائل وحبَّ تطلُّعِه، فتأتي الإجابة ذاتُها "أُمك" ، وقد قصدَها رسول الله "ص" عن طريق "التكرار" قصداً يؤكد دلالة البر والإحسان إلى الأُمّ وتقديمها على أيِّ إنسانٍ ، مهما كانت قيمُه.

ليأتي السؤال الرابع مشحوناً بطلب يختلف عن ذلك الكامن في الأسئلة السابقة ، حتى وإن اتفق معها في البنية السطحية "صيغة استفهام": "مَمْ مَنْ؟" . وذلك بفعل إجابتَه المتكررة عليه الصلاة والسلام الذي أجابَه بما يتفق مع مطلوب السائل في اختيار إنسان آخر غير الأُم ، ف تكون: "أبُوك".

ولعل هذا السبب في التكرار مقتضاه أن يكون للأُم ثلاثة أمثلٍ ما للأُبِّ من البر ، وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذا تنفرد به الأُمّ، وتشقى بها ، ثم تشارك بعدها الأُبُّ في التربية ، مما يتَرَجمُ قوله تعالى "وَوَصَّيْنَا إِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ" لِقَمَان١4 .

<sup>1</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 5626 كتاب الأدب، باب من أحق الناس بصحبتي، ج 5، ص 2227 .، العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري : حديث رقم: 5971، ج 10، ص : 452.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وغير بعيد عن "صور التكرار" في الحديث النبوي الشريف، نجد تكرارا آخر ،شمل الأدوات والتي كثيرة ما أدىت دور التفصيل ويزع كل مفردة اقتربت بالأداة، كتكراره "ص" لـ "النافية" ، في قوله: "ليس المؤمن بالطَّعَانِ وَلَا اللَّعْنِ، وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءٍ".<sup>1</sup>

تكراره لـ: "لا النافية" الدالة على الفعل المضارع الجزوم كظاهرة لافته في أحاديثه "ص" منها :... لا تقاطعوا ، لا تَدَابَّرُوا ، لا تَبَاغَضُوا ، لا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا..."<sup>2</sup> ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: لا تَحَاسَدُوا ، لا تَنَاجِشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَّرُوا ، وَلَا يَبْعِيْعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا...<sup>3</sup> . ، وقوله عن أبي هريرة رضي الله عنه : "...المسلم أخوه المسلم لا يظلمه، ولا يخقره، ولا يخذله، التقوى ها هنا - يُشير إلى صدره "ص" ثلاث مرات-، بحسب أمريء من الشر أن يخقر أخيه المسلم، كُلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، ماله، عرضه ...".<sup>4</sup>

هذه النماذج من الأحاديث الشريف حافلة بالتكرار، ولذا ادخلها المختصون في باب "التفصيل بعد الإجمال" ، ومن أمثلة ذلك قوله "ص" عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "مَثُلَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُبْنَأَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيشَةً...".<sup>5</sup>

فأورد علماء الحديث هذا النوع من الحديث في باب "التفصيل بعد الإجمال" لأنّ ما ذُكر مجملًا في الجملة الاستهلالية "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير" ، فجاء التفصيل بعدها في صورة تكرار يعكس الهدف من وراء التحذير من جهة (ترغيب) ، والتخييف من جهة أخرى (ترهيب) ، في ضرورة التمييز في اختيار القرين والصاحب، ليؤدي هذا التكرار بصورة التكرار اللغظي وظيفة الإنقاع إمّا ترغيبًا أو ترهيبًا ، وهو ما يسمى عند التداوليين "التماسك النّصي بين البُنى الافتتاحية، وصلب الخطاب..."

في الأخير أن التكرار في أحاديث المصطفى من حيث البنية التركيبية أخذ أشكالاً عدة منها:

1. تكرار للفظتين: تكون الأولى مثبتة والثانية منفية منها قوله "ص":

<sup>1</sup>- ينظر إلى الحديث في سنن الترمذى -كتاب البر والصلة - باب ما جاء في اللعن ، حديث رقم 1900 .

<sup>2</sup>- صحيح البخاري - حديث رقم 5717 كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحسد والتدارب، ج 5، ص: 2253

<sup>3</sup>- صحيح البخاري ، حديث رقم 5719 كتاب الأدب ، باب اجتنبوا كثيراً من الظن ، ج 05، ص: 2254.

<sup>4</sup>- الإمام النووي ، رياض الصالحين ، حديث رقم: 234 ، ص: 109

<sup>5</sup>- صحيح البخاري، حديث رقم: 5214 باب المسك، كتاب الذبائح والصيد، ج 5، ص: 2104

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

أ . "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملأ نفسه عند الغضب .."<sup>1</sup>.

ب . "ليس الواصل بالكافى، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها .."<sup>2</sup>.

ولعلّ المدف من وراء هذا التكرار هو ما عمد إليه الرسول "ص" في سياق تحديد المفاهيم أو المبادئ الجديدة، وسلب دلالات هذه المفاهيم السائدة في أذهان المتلقين ،سعيا منه لتبسيط صورة "الدال" أو "محور الخطاب" في الحديث النبوي .

2 . كثُر ارتباط التكرار بالتضاد: أو ما يعرف "بالطباق" ، حين يكون الجمع بين لفظتين أو أكثر ، ثم الإتيان بالأضداد في صورتين مُتناقضتين، من ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي "ص" قال: ما من يوم يصبح العباد فيه، إِلَّا مَلَكَان ينْزِلان، فيقول أحدهما : "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقا خَلْفًا، ويقول الآخر : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسِكًا تَلَفًا .."<sup>3</sup>. ، فالحديث يتضمن الوعد بالتيسير لمن ينفق في وجه البر ، والوعيد بالتعسir لعكسه، وقد جاء فيه التكرار بمقابلة أكثر من واحد ( منفق ≠ مسکا ) ، (خلفا ≠ تلفا )، وهو طباق من شأنه أن يُوضّح المعنى ويفكّده بذكر الشيء وضده ، كما يقول علماء البلاغة: "بضدها تتميز الأشياء"

\*\*\* إنَّ ما ذُكر في باب التكرار في الأحاديث النبوية الشريفة هو مجرد لمساتٍ لطائفة من النصوص النبوية التي حفلت بأسلوب التكرار بصورة المتعددة وتوزيعاته المتنوعة ، سعت كلُّها لإنشاء دلالاتٍ أو تأثيراتٍ ما كانت لتتوالَّ وتُفهم لولا وجود التكرار.

ليبقى دليل التكرار في الحديث النبوي هو إما "تكرار العنصر اللغوي" وفق ما يكشفه السياق، فـيُعيَّدُ اللُّفْظ المكرر إِمَّا حرفاً أو كلمة أو جملة، في وقت ترى فيه "راوي الحديث" يُركِّز على مضمون الخطاب وينسى "عدد عبارات التكرار" فـيُعلِّقُ على ذلك : "مراراً" ، "ثلاث مرات" ، "ما زال يكررها" ، "ليته يسكت" ....

والحقيقة كلَّ الحقيقة أنَّ التكرار في الحديث النبوي لم يكن ناجماً عن فقر لغوي ولا عن عجز في التعبير وإنما كان مقصوداً متعمداً، جاء ليحملَ جُزءاً من المعنى المراد، إذ عُدَّ وسيلةً من وسائل الدعوة ، وطريقة من طرائقها، يستعمله الرسول "ص" كلما وجد ضرورة لذلك، لأنَّ حضور المتلقي في ذهنه عليه الصلاة والسلام كان الدافع وراء اختيار أسلوب التكرار في عدد من أحاديثه، لاسيما وهو يخاطب الناس على قدر عقوتهم وموافقهم ، فمنهم المنكر ومنهم المتردّد، ومنهم الجاهل، و المسترشد، فهو يُصرُّ ب بصيرته وحكمته موقف

<sup>1</sup> - صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم 5763، ج 5، ص 2267.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب بين الواصل والمكافى، حديث رقم: 5646، ج 5، ص 2233.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، كتاب الركأة، باب أما من أعطى واتقى ..... حديث رقم 1374، ج 2، ص 522.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

المتلقى لخطابه ،فینتقمي الأسلوب الأمثل لإقناعه أو تحفيزه لتنفيذ فعل ما ،أو لتغيبه ،وربما لترهيبه . ولعل حرص الرسول "ص" وإدراكه كل الإدراك للأمور الضرورية التي يحتاج إلى توكيد وإقناع أو ترسیخ في الأذهان ،جعله ينتهي إلى أن التكرار دليل الوصول إلى الهدف والمبغى ،فاستعمله كوسيلة للتاكيد على أمور تهم الأمة جماء ،وتعظم العناية بها ،ويحاف المتكلم وقوع السامع في الخطأ حالة عدم تكراره لها ،وهو ما أشار إليه البلاغيون وتحدثوا عنه في قوله : (...إنما نحتاج إلى التكرار ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ،ويحاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها..)<sup>1</sup> ، وهي القضية التي أشار إليها "الخطيب عبد الكريم" بقوله : "إن داعية التكرار قائمة في المواقف التي يكون فيها الأمر ذا شأنٍ وخطرٍ في الحياة الروحية والنفسية ، فتقتضى الحال أن يقابل هذا الموقف بما ينبغي له الحضور النفسي و العقلي ، وهذا لا يكون إلا بالتنبيه على هذا الموقف و الدعوة له ، والمتألف به ، والتكرار أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه"<sup>2</sup>. لذلك لم يخرج البيان النبوى من منهج التكرار باعتباره "التكرار" أسلوباً له أهداف وفائدة ، جاء لتحقيق غايات وأهداف بلاغية لغوية حجاجية حين أكّد معنىًّ، أو حذر من عمل ،أو رغب فيه، أو تلذّذ واستعدب بذكر المكرّر، أو التنبيه على أهمية المكرّر، وغيرها من المعاني .

### 3. الآليات المنطقية في الحديث النبوى الشريف .

قد يكون من المفيد في إطار هذا التوضيح أن نُثني ثانيةً على جهود "ديكرو" في الحجاج من خلال نظريته كما سبق ، باعتباره تحدث عن مفاهيم "الحجّة" التي تمثّل بناءً استدلاليًا ،أو عنصراً دلائلاً يقدّمه المتكلّم لصالح عنصر دلالي آخر ، قد يرد في شكل قولٍ أو نصٍّ أو مشهده طبّعيٍّ أو سلوكٍ غير لفظيٍّ ، كما تكون ظاهرةً أو مضمرةً ، بحسب السياق ، و الشيء نفسه بالنسبة "للنتيجة" والربط الحجاجي الذي يربط بينهما .

وقد تتجلّى العلاقة الجاذبة بين الدعوى والحجّة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حدّ ما ، وذلك بالرغم من أنها تنجسـد بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللغوية ، فتمثـل صلب " فعل الحجاج" في تـدافع الحجـج وترتـيبـها حسب قـوـتها ، إذ لا يـثـبـت غالباً إـلـاـ الحـجـةـ التي تـفـرـضـ ذاتـهاـ عـلـىـ أـكـهـاـ أـقـوـىـ الحـجـجـ فيـ السـيـاقـ ، وبـذـلـكـ يـرـتـبـ المرـسـلـ الحـجـجـ التي يـرـىـ أـكـهـاـ تـتـمـتـعـ بـالـقـوـةـ الـلاـزـمـةـ التيـ تـدـعـمـ دـعـوـاهـ...<sup>3</sup>.

وهذا الترتيب هو ما سمّي "بالسلم الحجاجي" ، ومن أبسط تفاصيله ما يُكتب عن الإنسان عند عرض سيرته

<sup>1</sup>- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص : 11 وما بعدها .

<sup>2</sup>- الخطيب عبد الكريم ، إعجاز القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة - د-ت - ، ص : 406 .....

<sup>3</sup> الشهري عبد المادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب ، ص ، 499. 500 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الذاتية من الترتيبيات في حياته، منها نمّوه المعرفي ، وأعماله ، ويمكن تعريف السلم الحجاجي: بأنه: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ، مزودة بعلاقة ترتيبية وموفقة بالشروطين التاليين :  
 . كل قولٍ يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

. كل قولٍ كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه...".

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، يمكن أن نرمي لها كالتالي: "ن- نتيجة ، "ب، ج، د" حجج وأدلة



فعندهما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجاج تنتهي إذ ذاك إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة...".

تنطلق "نظيرية السلام الحجاجية" عند "ديكرو" من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول "الحجّة"(ق) و "نتيجة"(ن) ، ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجّة لا تكون حجّة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة أنّ النتيجة قد يُصرّح بها، وقد تبقى ضمنية..."<sup>3</sup>، فنظيرية السلام الحجاجية التي تدعم هذه النتيجة قد تكون إذن مُنفّاً عنها، إذ تُشكّل سلّماً ينطلق من أضعف حجّة حتى يصل إلى أقوالها، لذلك سميت

"بالسلام الحجاجية" ، أما بالنسبة "للنتيجة" فقد تكون ضمنية، وقد تكون صريحة كما في المثال الثاني:

س: ماذا تُريد أن تفعل اليوم؟ . ج: ألا ترى أن الطقس جميل؟ ، فالاستفهام في القول "ج" يمثل "حجّة" لفائدة نتنيحة ضمنية هي الخروج للنزهة ، وإن لم يقع التصريح بالنتيجة ..".

ويتّسم السلم الحجاجي بالسمتين التاليتين:

. كل قولٍ يرد في درجة ما من السلم ، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة "ن" .  
 . إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" يستلزم أن "ج" و "د" الذي يعلوه درجة ، يؤدي إليها والعكس

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص : 500.

<sup>2</sup>- العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، ص : 20-21.

<sup>3</sup>- المبخوت شكري ، الحجاج في اللغة-ص: 362

<sup>4</sup>- المرجع نفسه ص: 363.

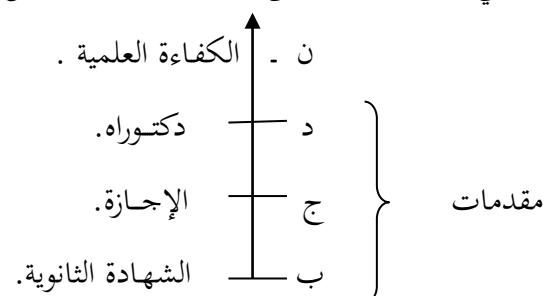
صحيح ، فإذا أخذنا الأقوال التالية:

✓ حصل زيد على الشهادة الثانوية.

✓ حصل زيد على شهادة الإجازة.

✓ حصل زيد على شهادة الدكتوراه

فهذه "الحجج" تتضمن حججاً تنتهي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وإلى حكم حجاجي واحدٍ ، فكلُّها تؤدي إلى نتيجة "مضمرة" من قبيل "كفاءة زيد" ، و "مكانته العلمية" ، ولكنَّ القول الأخير هو الذي سيُرِدُ في أعلى درجات السُّلْمِ الحجاجي ، فحصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على مكانته العلمية ، ويمكن تمييزها:



## 2. قوانين السُّلْمِ الحجاجي:

أورد "العزاوي" نقاًلاً عن "ديكرو" في كتابه "السلام الحجاجية" les échelles argumentative أنَّ أهمَّ هذه القوانين ثلاثة:

1. قانون النفي: إذا كان قولُ ما "أ" مستخدماً من قبل متكلِّم ما ، ليخدم نتيجة معنية ، فإنَّ نفيه ("أي ~ أ") سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة وبعبارة أخرى: فإذا كان "أ" ينتهي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن" ، فإنَّ "~ أ" ينتهي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لــن" ، ويمكن تمثيل ذلك بالمثلين التاليين:

1 - زيد مجتهد ، لقد نجح في الامتحان.

2 - زيد ليس مجتهداً ، إنَّه لم ينجح في الامتحان.

فإنَّ قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول ، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني .

2. قانون القلب: يرتبط هذا القانون كذلك بالنفي ، ويُعدُّ تتميماً للقانون ، ومفاده أنَّ السُّلْمِ الحجاجي للأقوال المنسنة هو عكس سُلْمِ الأقوال الإثباتية ، فإذا كانت إحدى الحججتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة ، فإنَّ نقىض الحجة الثانية أقوى من نقىض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ، ويمكن الترميز لها كما يلي:



ومثال ذلك : . حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه .

. لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير .

فحصول زيد على "الدكتوراه" أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على "الماجستير" ، في حين أن عدم حصوله على "الماجستير" هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة "الدكتوراه".

**3 . قانون الخفض:** يوضح الفكرة التي ترى أنّ النفي اللغوي الوصفي يكون مساوياً للعبارة "moins que" ، فعندما تستعمل جملة من قبيل:

. الجو ليس باردا.

. لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى "أن البرد شديد" ، أو "أن الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل" ، وسيؤول المثال الثاني كما يلي: "لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل" .

تنجلى صعوبة صياغة هذه الواقع في أنّ الخفض الذي يتوج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي ، فلا تدرج الأقوال الإثباتية ( من نمط الجو بارد) والأقوال المنافية من نمط( الجو ليس باردا) في الفئة الحجاجية نفسها ، ولا السلم الحجاجي نفسه...<sup>1</sup>.

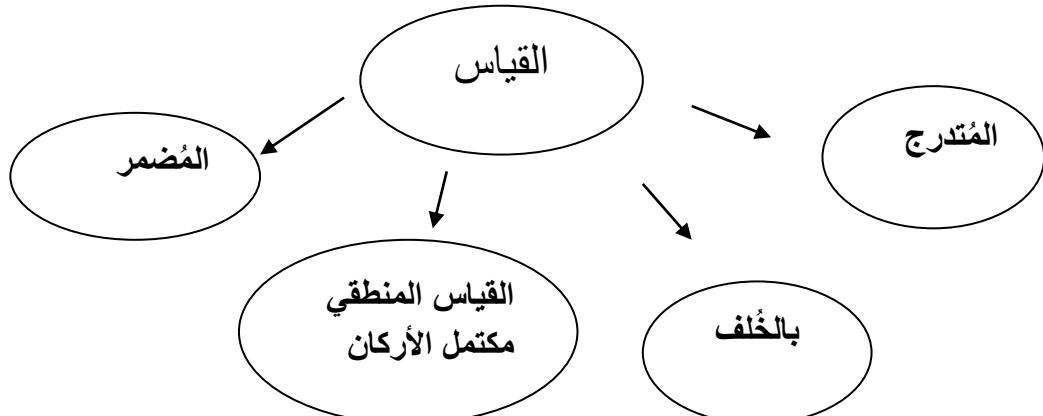
و ضمن هذا الطرح للحظة أنّ قواعد السلم الحجاجي تهدف في أساسها إلى تأكيد نتيجة مُعينة ، تسبقها بالأحرى "معطيات" أو بالأحرى "مقدمات" تُسهم بطريقة مضبوطة في التقديم في تحقيق القضية المطروحة أو دحضها ، ذلك أنّ العلاقات النصية التي يقيمها سياق النص "الاقناعي" هي علاقات "الدعوى أو النتيجة" لذلك كان من الضرورة أن يرتبط محتوى المقدمات بمحتوى المقدمة ، لذلك يُعدّ "القياس" أهم الوسائل المنطقية التي تبني على أساس هذا الشرط ، لأنّه كما يُعرفه (ابن سينا): "هو قولٌ مؤلفٌ من أقوالٍ ، إذا وضعَت لزم عنها لذاتها لا بالغرض قولٌ آخر غيرها اضطرارا..."<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- يراجع : العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص : 24.

<sup>2</sup>- عمار بن زيوش ، عدناني عبد القادر ، الفلسفة ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر ، 48/2.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ونظراً لأهمية القياس في العمل الحجاجي، فإنه قد يعتمد قياساتٍ ممتدّة بحيث تكون فيه "المقدمات والتائج" مثالية مع الأفكار التي نودُ بسطها ،والتي يقتضي بعضها بعضاً...،إذ يمكن أن نلخص أنواع القياس :



وقد تذكر جميع أركان القياس "المقدمة الكبيرة، المقدمة الصغرى، النتيجة" ،وبذلك يكون "قياساً منطقياً" كاملاً، وقد تضمر أحد العناصر الثلاث إما "المقدمة الكبيرة" أو "الصغرى" ويُسمى "القياس مضمراً" والتي يقصد بها "المقصود بالضمان الأقيسة المنطقية التي أضمننا بعض مقدماتها، ودعا إلى هذا الإضمار أسباب عديدة تتعلق بالتأثير الخطابي ..".<sup>1</sup>

ومن الأقيسة التي استعملها الرسول "ص" في الحديث النبوي الشريف معمداً على بسط الحجة وتبسيطها كي تكون مفهوميةً، والتنوع في أبنيتها، بعض النماذج الحجاجية القائمة على التمثيل الذي يسميه الفقهاء قياساً "قياس المثال" ، ففيه إشارة إلى فاعلية المثل ،والعملية الاستنتاجية التي تستوجب علمًا لفهم المثل والوصول إلى النتيجة، قوله "ص" عن جابر رضي الله عنه قال: قال الرّسُولُ "ص": مَثَلِي وَمِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ النَّارَ وَجَعَلَ الْجَنَادِبَ وَالْفَرَاشَ يَقْعُنُ فِيهَا ، وَهُوَ يَدْبُهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذُ بَحْجُزَكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفْلِتُونَ مِنْ يَدِي..."<sup>2</sup> ، فقد شبهه الرسول "ص" المخالفين له "بالفراش والجنادب" وتساقطهم في نار الآخرة ،تساقط الفراش في نار الدنيا ،مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما إتباع الهوى وضعف التمييز، وحرص كلٍّ من الطائفتين على هلاك نفسه...فالخلق لا يأتون ما يجرّهم إلى النار على قصد الصلة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة وإتباع الشهوة ،كما أنّ الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء....<sup>3</sup> ، فمثل ذلك كله تعبير الرسول "ص" عن عدم إفلاحه في إبعاد الفتنة المخاطبة

<sup>1</sup>- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن ، 462/1.

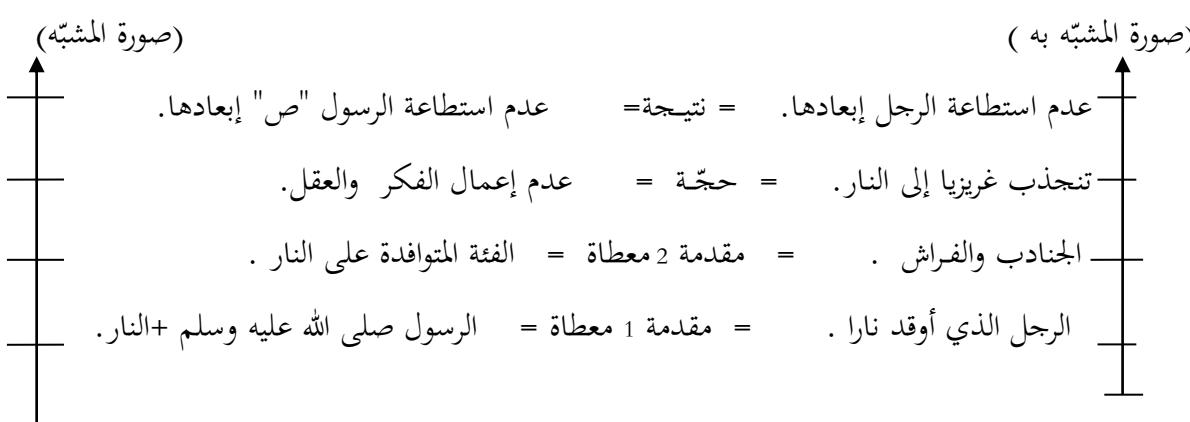
<sup>2</sup>- العسقلاني ابن مجر ،فتح الباري: ج 6/ص 520 ، الإمام النووي ،رياض الصالحين ، حديث رقم 163، ص:84.

<sup>3</sup>- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ، ج 6، ص: 521.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

من الها لاك ، فمثيل لهذه الفتنة ولنفسه برجل أودى ناراً وإذا بمحمومة من الحشرات(جناذب ، فراش) يقعن فيها وهو يحاول إبعادها ، لكنه لم يفلح تماماً كما هو حال الرسول "ص" الذي يحاول إبعاد هذه الفتنة عن النار لكنها تنفلت منه بسبب انغماسها في الجهل والمحرمات التي تقودها إلى النار.

و"فقرة الحجة" تكمن في أنّ إبعاد هذا النوع من الحشرات عن النار عملية قريبة من المستحيل ، لأنّ من فطرتها الانجداب إلى النار والموت فيها ، ومن ثم فرغبتها في الإنقاذ لا تفيده شيئاً ، ويمكن تمثيل ذلك التشبيه حجاجياً في نقطتين مختلفتين في "ركي التشبيه" هما المشبه ، والمشبه به" ، في سلسلة حجاجي مبني على "نتيجة معطاة" و "حجّة مدعّمة" و "نتيجة يُرغيّب" في تحصيلها ، وذلك :



فبالانطلاق من "مقدمات معطاة" مع "حجّة مقدمة" تكون النتيجة منطقيةً عن طريق التمثيل ، الذي وقع على صورة الإكباد على الشهوات من الإنسان ، بإكباب الفراش على التهافت في النار ، لكنّ جهل الآدمي أشدّ من جهل الفراش ، لأنّها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهت عذابها في الحال ، والآدمي يبقى في النار بسبب شهواته مدة طويلة أو أبداً...".<sup>1</sup>

فالدلالة المنطقية وراء هذا الحديث وهو "المسكوت عنه" المترابط باستنتاج المتخاطبين ، وهو ما يُسمى في الحجاج " فعل الاستنتاج" ، وهو مرتبط بقانون "الإفادة" ، إذ لا نتصور أنّ الرسول "ص" يريد أن يخbir هذه الفتنة أنّ الجناذب والفراش تنجذب غريزياً إلى النار ، ذلك أنّ الوضعية التبليغية تقضي "التلميح دون التصرّح" وهي الدعوة إلى الهدایة ، ومن الناحية التبليغية هي الأسبق إلى الذهن من الخبر القائم على التمثيل ، لأنّ "الإخبارية" هي "ثانوية" من حيث الوظيفة ، بالنسبة للعملية الحجاجية.

\*\* . كما صنف "البخاري" في "باب التوبّة" حديثاً حجاجياً قائماً على التشبيه هو الآخر ، دعامتـه "حجّة معطاة" بعد "مقدمات" سياقية ، حرصاً على تبيين "النتيجة" وأهميتها من خلال حديث عبد الله بن

<sup>1</sup>- المرجع السابق ، ج 6 ، ص: 522.

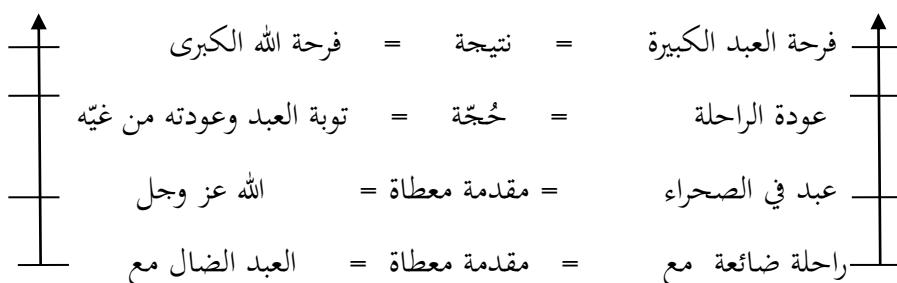
## الفصل الرابع..... الحجاج وألياته في الحديث النبوى الشريف

مسعود "... اللہ أشد فرحا بتبوء عبده حين يُوب إلیه من رجلي نَزَلَ مُنْلَا وَبِهِ مَهْلَكَةً وَمَعْهُ راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نوماً، فاستيقظَ وقد ذهبَ راحلته، ثم اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكانِي، فرجع فنام نوماً، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عندَه<sup>1</sup>... فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخذًا من شدة الفرح<sup>2</sup>.

فالحديث يعكس فرحة الله تعالى بتوبة عبده حين يعود إليه، إذ شبّه الرسول "ص" فرحة من أضعاع راحلته (حياته) في الصحراء (الفلة)، وعليها طعامه وشرابه، وشبّهها بفرحة الله بتوبة عبده حين يعود إليه، ويمكن تمثيل ذلك حجاجياً عن طريق:

(المتشبه به)

(المتشبه)



إن الإطار التداوily الحجاجي يتجاوز البحث عن "الإقناع" إلى محاولة بناء نمط حجاجي تمثيلي الغرض منه التأثير على السامع من خلال صيغ لغوية للقول بعيدة عن الإخبار، ارتبطت أساساً بين صيغة: ("شدة الفرح - واليأس من عودة الراحلة الخاصة بالعبد")، وأشد فرحاً التي تعتبر نداءً لفهم وتأويل علاقه الله بعباده ،عن طريق صيغة المبالغة "أشد" وهي "نتيجة كبرى" تحتوي "النتيجة الأولى" وهي "فرحة العبد بعودة راحلته" والتي تفضي بدورها إلى استنتاجات هي ضرورة العودة إلى الله .. ورحمة الله واسعة، وهي الأغراض المستفادة من الحديث (الترغيب) ، إذ يمكن عده "فعلاً كلامياً غير مباشر" استلزمـه منطق "التمثيل".

في وقت أورد فيه "بلق عز الدين" نموذجاً آخر من نماذج الحجاج عن طريق المنطق ، وهو حجاج قائم على الاستدلال "بالعام على الخاص" ، وذلك حين ينتقل الفكر بصدق قضيـتين إلى الحكم بصدق قضيـة ثلاثة لازمة عنها، ومعنى ذلك انتقال من كليٍ يقيني إلى جزئي ينطوي تحته ليعطي مقدمة كبرى، ثم تليها مقدمة صغرى تستلزم بالضرورة "نتيجة"، ومن ذلك قوله "ص": يا أيها الناس مروا بالمعروف واحكونوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف لا يقرب أجالاً، وأن الأخبار

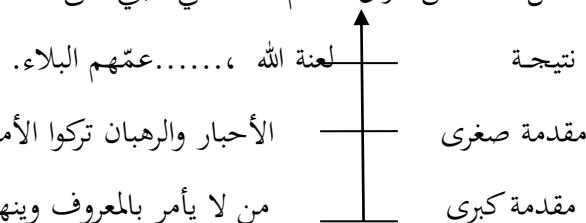
<sup>1</sup>- صحيح البخاري : حديث رقم: 5949 ، كتاب الدعوات ، باب التوبة، ج 5، ص: 2325 .

<sup>2</sup>- الإمام النووي ، رياض الصالحين ، حديث رقم: 15 ، ص: 26

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم وعمّهم البلاء...<sup>1</sup>.

فنلحظ في الحديث كيف تميزت المقدمة الكبرى بالعموم " يا أيها الناس مروا بالمعروف.... لأنّ من لا يفعل يعاقبه الله بعدم الاستجابة له" ، ثم أتبع بقضية جزئية تميز بالخصوص ، حين خصّ الرسول "ص" "الأحبار": (تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، ترتب عن ذلك نتيجة منطقية " سيعاقبهم الله ، لعنهم ، عمّهم البلاء " ، ويمكن أن نمثل ذلك عن طريق السلم الحاجي المبني على :



فبالتأمل في نصّ الحديث نلحظ ذلك الربط بين "المعطيات والنتيجة" ، لاسيما وهو مؤسّسٌ ضمنياً بواسطة سند أو دعامة، فأعطى الرسول "ص" معطياتٍ ظاهرةً، وأضمر السند "الحجّة": ليربط القضية المعطاة التي هي الأحبار ... بالنتيجة المتمثلة في لعنة الله عن طريق ضامن ظاهر يضمن صحة الاستدلال؛ وهو من لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يعاقبه الله، إلى جانب وجود "سند مُضمّن" يستمدّ منه صحته وشرعنته، يدلّ عليه السياق في قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.." آل عمران 104.

فقد كان بناء الحديث على أفعال كلام مباشرة وهي أفعال طلبية أمرية " مروا ، وانهوا" ، وهي أفعالٌ الغاية منها حمل السامع على فعل ما أمر به، فقدّم الرسول "ص" (أمره ، ونفيه) معتمدًا معطياتٍ إخباريةً عن اليهود والنصارى ، ليكون القيام بالفعل مرتبطاً بمدى قوّة القاعدة الاستدلالية من ضامن (عقاب الله) وسندٍ (الآلية) ليقيم بحثاً حجّةً بالغةً في الإقناع والتأثير معاً ، وحمل المحاطب على القيام بالفعل .

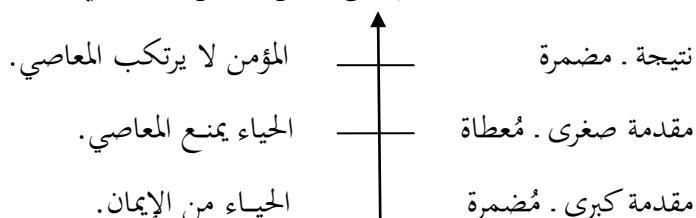
وفي دائرة القياس دائمًا، ونلحظ نوعاً آخر من القياس المنطقي وهو "القياس المضمر" معياره أنه "قياس مخدوف المقدمة" ، وهي عادة "المقدمة الكبرى" ، إذ يعرفه (ابن سينا) بقوله: "الضمير" المضمر هو قياس طويّت مقدمته الكبرى..<sup>2</sup> ، إذ يتضح أنّ معيار القياس المضمر هو قياس مخدوف "المقدمة" ، وهي عادة المقدمة

<sup>1</sup> - بليق عز الدين ، منهاج الصالحين من أحاديث سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، دار الفتح ، بيروت ، 1981 ، ص: 413

<sup>2</sup> - السبعاوي طه ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1-2001 ، ص: 226 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

الكبيري..<sup>1</sup>، ومن أمثلة هذا القياس في حديث رسول الله "ص" عن أبي مسعود عقبة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِيْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتُ.."<sup>2</sup> ، فجاء في حديث المصطفى "فعل الأمر" الواقع في جملة جواب الشرط "إذا" ، وهو أمر بمعنى "الخبر" ، أو هو "للتهديد" أي: "اصنع ما شئت فإن الله سيحرثك" ، أو ما معناه "أنظر إلى ما تزيد أن تفعله، فإن كان مما لا يستحب منه فافعله، وإن كان مما يستحب منه فدعه، أو المعنى "أنه إذا لم تستحي من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله ، ولا تبالي بالخلق" ، أو المراد الحث على "الحياة" والتنويه بفضلها، "أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحسان..."<sup>3</sup>، ويكون عرض القياس المضمر في الحديث النبوى على شاكلته:



في هذا القياس لا يمكن تجاهل دور "الاستنباط" الموصى إلى معرفة "المقدمة الكبرى" المذكورة أو المضمرة إذ لا يكون سبيلاً لتقدير المقدمة الكبرى سوى "الاستنباط" ، إذ عن طريق حذفها في هذا النوع من القياس في الكلام يعطيه حجّة في القياس النطقي ، فلابد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى، وإلا كان الحجاج عبشاً وفي القياس المضمر **تسلّم** جدلاً بتلك المقدمة...<sup>4</sup> ، ومنه نستنتج دور الاستنتاج أو الاستنباط في القياس المضمر إذ هو يستوجب حضوراً يقضاً للقارئ أو المستمع ، بحيث يربط - من سياق الحجاج - ما هو موجود(مذكور) بما هو مُضمر مقصود.

وقد يأتي هذا النوع من الحجاج "مضمراً" أو "محذوف النتيجة لمقدمتين مذكورتين" ، فيتوصل إلى النتيجة عن طريق السياق الذي وردت فيه المقدمتان من جهة ، ثم ضرورة الاعتماد على "سند" مخفى لتدعم حجّة الإقناع والتأثير من جهة أخرى ، ومثل ذلك حديث المقدم رضي الله عنه: عن الرسول "ص" قال: ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داؤود عليه السلام كان يأكل من عمل يده..<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- محمد العيد، النص والخطاب والاتصال ، مرجع سابق، ص: 222.

<sup>2</sup>- صحيح البخاري- حديث رقم 3296 كتاب الأنبياء، باب أم حسبت....، ج 3، ص: 1284.

<sup>3</sup>- العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري، ج 6، ص: 590.

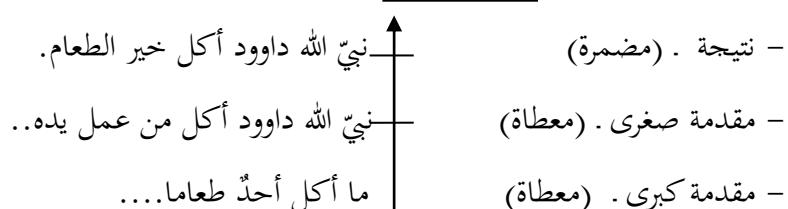
<sup>4</sup>- محمد العيد ، النص والخطاب والاتصال، ص: 224.

<sup>5</sup>- صحيح البخاري، حديث 1966، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، ج 2، ص: 730.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ففي الحديث فضل العمل باليد، وتقدم ما يباشره الشخص بنفسه ،على ما يباشره بغيره ،والحكمة في تخصيص "داود عليه السلام" بالذكر أنَّ اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة ، لأنَّه كان خليفة في الأرض، وإنما ابتغى الأكل عن طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي "ص" قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدّمه ؛من أنَّ خير الكسب عمل اليد، وهذا بعد تقرير أنَّ شرع من قبلنا شرع لنا ...".<sup>1</sup>

ففي هذا الحديث تظهر مقدمة كبرى:(ما أكل أحد طعاماً...) تُدعّمها مقدمة صغرى (إنَّ نبِيَ الله داود كان يأكل من عمل يده... )، لتبقى التبيّحة مضمرة نستخلصها من "السياق" وفق تحسيدها حجاجيا:



فتتوصل إلى استنطاق هذا الاستدلال (القياس) عن طريق قاعدة الاستدلال القائمة على ضامنٍ مُعطى يتمثل في مقدمة كبيرة " ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده" ، وسند مضمّن (حجّة) تتمثل في قوله تعالى : "لَيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرَهُ، وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" يس 25، ليبقى الهدف الاقناعي من هذا الحديث هو الحث على الكسب والعمل، مع الإقرار بقيمة العمل، حتى وإن خلت من فعل الطلب كالأمر والنهي، باعتباره يخص الإنسان في مجتمعه(العمل)، هذه القيمة لا تأتي إلا بالعمل حتى وإن كان المعنى ذا شأن كبير، وسلطة روحية مثل النبي "داود عليه السلام" ، ف بذلك كان "القانون الإيجاري" هو الضامن للحجّة من أجل التأثير في المتلقى.

وفي نوع آخر من أنواع القياس يسعى من خلاله المتكلّم إلى إثبات مطلوب معين ، وذلك عن طريق إبطال نقضه أو ضده، ويعرف هذا القياس بـ "القياس بالخلاف" وهو الذي يتبيّن فيه المطلوب من جهة تكذيب نقضه ، فيكون هو بالحقيقة مرتكباً من قياس اقتراني وقياس إنشائي<sup>2</sup> ، كما يمكن تعريفه: "بأنَّه إثبات المطلوب بإبطال النقض".<sup>3</sup> ، ومثال ذلك حديثه "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً أتى النبيَّ "ص" فقال: يا رسولَ اللهِ وُلِدَ لي غُلامٌ أَسْوَدُ ، فقال: هَلْ لَكَ مِنْ إِبْلٍ؟ قال: نَعَمْ ، قال: مَا أَلْوَانُهَا؟ ، قال: حُمُرٌ ، قال: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قال: نَعَمْ ، قال: فَأَنِّي ذَلِك؟ قال : لَعَلَّهُ نَرَعَهُ عِرْقٌ ، قال: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا

<sup>1</sup>- العسقلاني ابن مجر ،فتح الباري، ج 4، ص: 353.

<sup>2</sup>- السبعاوي طه ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، ص: 223.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه ، ص: 223.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

نَزَعَهُ...<sup>1</sup>

ففي الحديث ضرب للمثل، وتشبيه للمجهول بالمعالم تقريراً لفهم لدى السائل، واستدل به رسول الله "ص" لصحة العمل بالقياس، قال "ابن العربي": "فيه دليل على صحة القياس والاعتبار بالنظير ... وفيه أن الزوج لا يجوز له الانتفاء من ولده بمجرد الظن ، وأنّ الولد يلحق به ولو خالف لونه لون أمّه .."<sup>2</sup>، وقد جاء هذا القياس في شكل حوارٍ بين الرجل الذي أنكر على زوجته هذا المولود الأسم، تخللته أفعال طلبية في شكل نداء : (يا رسول الله) ... واستفهام: (هل لك من إبل(؟)، (ما لونها؟)، (هل فيها من أورق) استعمل فيه الرسول "ص" القياس عن طريق : أن حكم الشيء حكم نظيره ما دام الاتفاق حاصلاً في أنّ الحاقي والموجود واحد (هو الله)، إذ نقل عليه صلى الله عليه وسلم ذهن الرجل وقاد له حاليه على ما هو مشاهدٌ ومحسوسٌ فكما أنه يجوز أن تلد الإبل السوداء "الحمر" أن تلد (أورق)، (من أورق مؤنته ورقاء) وهو الذي فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى العبرة) ، بسبب عرق نزعه، كذلك يجوز للأب والأم الأبيضين أن يلدا طفلاً أسود اللون، ففي الحديث تشبيه منطقي أساسه العقل، يهدف إلى توضيح الصفات التي تؤثر في الحكم (الإقناع) .

ليضاف إلى هذه الأنواع النوع الآخر وهو "القياس المتدرج"، إذ هو واحدٌ من أنواع القياس المنطقي إذ يسعى هذا النوع من القياس إلى تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبّر عنه من قضايا، إذ يُعدُّ القياس المتدرج امتداداً معقداً للتعليل القائم على القياس المنطقي، وذلك بأن تتصل بعضُ مجموعات القياسات المنطقية بعضُ، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة....<sup>3</sup>.

مثال ذلك حديث الرسول "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ص": إن الله تعالى قال: من عادى لي ولئلا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلى عبدِي بشيءٍ أحبت إلى ممّا افترضته عليه، ولا يزال عبدِي يتقرّب إلى بالنّوافل حتّي أحبه، فإذا أحببته كُنْت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سأليني لأعطيه، ولكن استعاذه لأعيده...<sup>4</sup>.

فولي الله هو العالم بالله والمواضيع على طاعته والخلاص في عبادته ... فمن ولـى أولياء الله أكرمه الله... ولـما كان ولـي الله من توـلى الله بالطاعة والتقوى توـلـاه بالحفظ والنصرة.... فمن عادـاه كانـ كـمن حـارـبه ... ومن حـارـبه

<sup>1</sup>- صحيح البخاري - حديث رقم 4999 ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد ، ج 5 ، ص: 2032.

<sup>2</sup>- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري- ج 09- ص: 507.

<sup>3</sup>- محمد العبد -النص والخطاب والاتصال: ص: 225.

<sup>4</sup>- صحيح البخاري حديث رقم: 6137، كتاب الرفاق ،باب التواضع، ج 05 ،ص: 2384 ،وكذلك ابن رجب الحنبلي- جامع العلوم والحكم، تحقيق صلاح عويضة، دار المنار ،القاهرة ،ط 1 ، 1999 ،ص: 362 .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

كان كمن حارب الله ... وفي الحديث عظم قدر الصلاة والنواfal وما ينذر من الأقوال والأفعال والتي ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها ... وذلك لأنها عمل للمناجاة والقربة ... فمن أتى بما وجب عليه وتقارب بالنوافال لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكّد .. "ولئن سألني لأعطيته" فشرح الحديث يقتضي الوقوف عند "قياس متدرج" كان الانطلاق فيه من :

- "مقدمتين" تقودان إلى "نتيجة صالحة" وهي أن العبادة وسيلة للقرب والمحبة.
- لفظة "ولي" تشكل "مقدمة صغرى" تقود مع ما سبقها من مقدمات إلى نتيجة أخرى جديدة.
- "النتيجة الجديدة" : القرب والمحبة مجلبة للحفظ من الله تعالى.
- "مقدمة كبيرة" : العبادة وسيلة للقرب من الله، من يعاد أولياء الله يحاربه الله .
- "مقدمة صغرى" : عباد الله وأولياؤه يتقربون إليه بالعبادة، والعبادة وسيلة للمحبة .
- "نتيجة" : العبادة وسيلة للمحبة والقربة، والقرب والمحبة مجلبة للحفظ من الله.

وحيثا عن القياس والسلام الحجاجية في الحديث النبوى الشريف، يقودنا حتما إلى الوقوف عند نماذج مختارة تخلل فيها الخطاب بصورة ظاهرة وهو مجال "الخطابة"، وهو مجال التحليل الحجاجي للنصوص ويظل الدكتور أبو بكر العزاوى "من أوائل الذين حاولوا القيام بتحليلات حجاجية لنصوص لغوية كاملة، كما حاول ربط التحليل الحجاجي بانسجام النص القائم على الروابط الحجاجية ، سواء توافرت النصوص على كثير من هذه الروابط أو حتى في غيابها.."<sup>1</sup> ، ومن خطبه عليه الصلاة والسلام:<sup>2</sup>

"الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ الدِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةٌ، وَاللَّهُ لَتَمُوتُونَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّهَا جَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ النَّارُ أَبَدًا.." .

تعُد هذه الخطبة أول خطبة خطبها الرسول "ص" بدأها "مقدمة جديدة" تعلّى صراحة خطابا جديدا وانتقالا جديدا، إذ يمكن أن ننظر إليها حجاجيا من خلال:

- مقدمة : الحمد لله تعالى والاستعانة به، والإيمان والتوكّل عليه، والشهادة بأنه الإله الواحد لا شريك له.
- حجّة (مقدمة 2) : بناء على المقدمة الأولى هناك خطابة جديدة، ودين جديد وقيمٌ جديدة.
- نتيجة : وجوب الاستماع والاقتناع بنص الخطبة وحجّتها .

<sup>1</sup> - العزاوى أبو بكر ، الخطاب والحجاج ،ص : 29.

<sup>2</sup> - الشهاوى محمد مجدى ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتبة التوفيقية ، د ، ت ، ص: 05.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

لتنقل الخطبة لإثبات حجتها الأساسية وهي إثبات الرسالة للرسول "ص"، وكان ذلك من خلال ثلاث خطوات حجاجية متضاعدة بدأت "الاحتجاج بالاستشهاد بالمثل العربي" الرائد لا يكذب أهله" إذ يمكن صياغتها

حجاجيا:

- أنا مثل "الرائد لا يكذب أهله" ← معطى (مقدمة).
- تعلمون أني صادق، وأني أحُبكم لأنكم أهلي . ← حجّة(سند) م 2.
- تصديقي فيما أقول ، وما جئت به إليكم . ← نتيجة.

ثم انتقلت الخطبة إلى التصریح بالحجّة الرئيسية وهي: "والله الذي لا اله إلا هو إني رسول الله إليکم خاصة وإلى الناس عامة" ، وهي حجّة رئيسية حتى تُربط بالمقام وهو مقام إقناع وتأثير، إذ هي مدار الخطبة بأكملها (إذا تم التصديق بها فسيتم التصديق بكل شيء يرتبط بها) ، وفي المعتقد أنّ القسم في بداية الحجّة إضافة إلى وظيفته التأكيدية التوجيهية الإثباتية يحمل وظيفة "نصية" أخرى وهي وظيفة الربط الحجاجي النصي، بما يؤكّد الحجّة السابقة التمهيدية، خاصة حين تضمنت صيغة القسم بالقسم "الله تعالى" ، ليجري ربط كل ذلك بالمعطى (المقدمة) للحجّة التي هي جواب القسم، فيمكن هيكلتها حجاجيا:

- معطى(مقدمة1): إني رسول الله إليکم خاصة ، وإلى الناس عامة.
- حجّة (مقدمة2): صدقوا أني رسول الله إليکم.
- نتيجة: في حالة تصديقكم أو في حالة عدم تصديقكم يجب الاستماع لما سيحدث لكم.

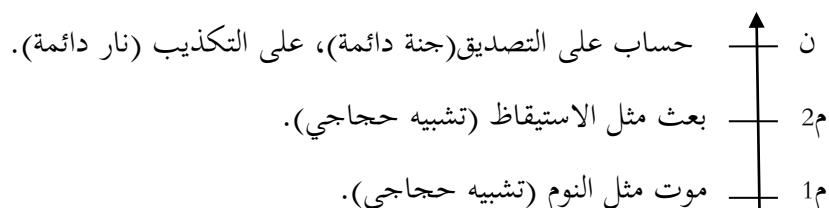
تضاعد بعدها الحجّة في هيئة اقناعية هائلة ، تمثل إثباتا للبعث بعد الموت، والحساب، وللحجّة الدائمة للمُصدقين، وللنار الدائمة للمُكذّبين، وقد ربطت هذه الحجّة بالرابط الحجاجي الإثباتي (القسم) لفظ القسم (الله) ، لتشتمل الحجّة -إضافة إلى كونها حجّة سُلمية متضاعدة على سلم حجاجي في داخّلها مما يذهب بالحجّة إلى أقوى حالاتها من خلال السلم الحجاجي التالي:

- |     |  |
|-----|--|
| ن   | نتيجة التصديق أو عدمه تكون بالموت ، ثم البعث ، ثم جنة، أو نار. |
| م 3 | أنا رسول الله إليکم عامة.                                      |
| م 2 | أنا رسول الله إليکم خاصة.                                      |
| م 1 | أنا مثل الرائد الذي لا يكذب أهله.                              |

لتأتي الحجّة الثالثة في السلم الحجاجي السابق على شكل سلم حجاجي تصاعدي ، هو الآخر من شأنه أن يثبت "حجّة الموت" بتشبّيّهه بالنوم ، و"حجّة البعث" وتشبيهه بالاستيقاظ ، وبناء على الحجّتين المركبتين يكون

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

هناك حساب بعد الموت ، ثم دخول أبدي إلى الجنة ، أو دخول أبدي إلى النار. ويمكن رسم السلم الحجاجي:



ولعل هذا التصاعد في السلم الحجاجي الأول الذي أتبع بتصاعد حجاجي في السلم الحجاجي الثاني جعل من الحجاج في أعلى ذروته ....إذ لا يترك إلا مجالا واحدا وهو "التصديق" كما جاء به الرسول "ص" إذ لا قدرة على دحض الحجاج النبوى أو ردّه بحجاج آخر في مستواه ، هذا إضافة إلى ما حفل به النص من مؤكّدات: "إن، والله، إني، والله، اللام+ن، اللام + النون (لتموتن ، لتبعشن)، إثنا، أبداً، أبداً..).

كما احتوى النص على الحجاج "بالاستشهاد بالمثل" الذي يمثل قوّة حجاجية، إذ هو مرتبط بالبيئة الصحراوية التي تعتمد على صدق الرائد حينما ترسّله للبحث عن الماء والكلأ لينقذها من الهلاك، لذلك يُمثل "المثل" من حيث القيمة أنَّه مبدأ حجاجي يُشير إلى الأفكار المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة .

كما نجد قوّة حجاجية أخرى باستعمال علامة التشبيه أو ما يسمى "بالحجاج بالتشبيه" لإثبات البعث بعد الموت بتشبيه الموت بالنوم، وتشبيه البعث بالاستيقاظ، إذ ساعد التشبيه على فهم المشبه واستيعاب أحواله وعلى هذا فاستعمال التشبيه هنا ذو وظيفة حجاجية تؤدي إلى الاقتناع ، بما يتعلق بالمشبه من أحكام ، فهي من المنظور النبوى خلود أبدي في إحدى الدارين بناءً على موقف السامع من دعوته عليه الصلاة والسلام ، إمّا بالتصديق فجنة أو بالتكذيب فالنار..

أمّا من حيث "الروابط الحجاجية" فتتمثل في استعمال القسم "والله الذي لا اله إلا هو" كرابط نصي حجاجي يقوم بعملية الربط والتأكيد في الوقت نفسه، كما يتضمن إثبات حجة الإلوهية، واستعمال العاطف بالواو: "ولتبعشن ... ولتحاسبن" ، وإنما "، هذه الواو العاطفة المكررة ساهمت في ربط نتيجة الحجاج في النص كاملا لتوضيح أنَّ بعد الموت يكون هناك حساب للمصدق ، وعقاب للمكذب، وبذلك يمكن صياغة نص الخطبة في عبارة: "صدقوا أني رسول الله إليكم، فمن صدقني فله الخلود في الجنة، ومن كذبني فسيخلد في النار" ، التي تمثل البنية الدلالية الكبرى للنص، وهي تمثل انسجام النص حجاجيا ودلاليا في اللحظة ذاتها، إذ الحجاج يمكن صياغته في قضية إثبات صدق رسالة النبي "ص" يكاد يتماثل المحتوى الحجاجي مع المحتوى الدلالي مما يجعل التماسك الحجاجي يزيد في قوّة انسجام النص.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

ومن المواطن لتي تخلّى فيها الحجاج ما أرسسته الخطابة الدينية من بنية جديدة مفتوحة تتبع الحوار في أثناء نص الخطبة، والذي من شأنه أن يقوى جانب الإقناع عند المتكلمين ، مثل ذلك ما أورده الرسول "ص" في سياق التحذير من التنافس على الحياة الدنيا ، وأن البَعْدَ قد تكون سبباً في جلب النّقمة،... وذلك في خطبة كان الحجاج فيها حول قيام رجل من الصحابة بسؤال مفاده: هل يمكن أن تؤدي برّكاث الأرض والمال وزهرة الدنيا التي هي خيرٌ ونعمٌ إلى الشر؟.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله "ص" قام على المنبر، فقال: إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُم مِّنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، ثم ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا فَبَدَا يَأْخُذُهُمَا ثُمَّ ثَمَّ بِالْأُخْرَى، فقام رجلاً فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَّتَ عَنْهُ النَّبِيُّ "ص" (قلنا : يُوحَى إِلَيْهِ)، وَسَكَّتَ النَّاسُ كَانُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ الرُّحْضَاءَ، فقال: أَيْنَ السَّائِلُ آنِفًا، أوْ خَيْرٌ هُوَ - ثَلَاثًا - إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَإِنَّهُ كُلُّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أوْ يُلْمُ، إِلَّا آكَلَةُ الْخَضِيرِ كَلَمَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَاتَهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَشَلَطَتْ وَبَالْتُ ثُمَّ رَتَعَتْ، وَأَنَّ هَذَا اهْلَ خَضِيرٍ حُلْوَةٌ ، وَنَعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لَمْنَ أَخْدَهُ بِحَقِيقَهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِيقَهِ فَهُوَ كَالْأَكْلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...<sup>1</sup>، وقد كان ردّ رسول الله "ص" بعد أن سكت فترة لزيادة تشويق الناس إلى الاستماع باستفهام استنكاري حجاجي ، كـ"ره ثلاثة مرات نتيجته "أنه ليس خيرا" ، لأنّ الخير لا يأتي إلا بالخير .

ويُعْكِن تناول النص النبوى حجاجياً على نحو "مقدمة" حذر من خلاها من زهرة الدنيا والأموال لأنها شرّ إذا أدت إلى شرّ، ثم "حجّة" في شكل "سد مضمر" قائم على وجوب الحذر منها، ثم "نتيجة" متربة عن ذلك وهي النجاۃ ، في الوقت نفسه يمكن أن نستخلص حجّة من الحجّة الأولى؛ إذ أن الترغيب في الدنيا واكتساب المال قد يكون خيراً إذا أدى إلى خير، بحجة وجوب أن يأخذ من الدنيا و Zhaoqها بقدرٍ، إذا أدت إلى خير، تكون النتيجة كذلك: النجاۃ والفالح في الدارين.

وعملاً على تقوية نتيجة الحجّتين الظاهرة والمضمرة، ضرب الرسول "ص" مثلاً محسوساً من الحياة الدنيوية التي يعرفها كل المتكلمين للخطبة، فشيئه المال بالعشب الأخضر الذي تأكله البهائم في الربيع، وأن بعضه قد يقتل الحيوان أو يُقرّبه من القتل ، إلّا الناقة التي تأكل أكلاً خفيفاً، فتنتفخ ثم تختزل وتتخلص من الزائد من الطعام حتى

<sup>1</sup> - صحيح البخاري ، حديث رقم 2687 ، كتاب الجهاد، باب النفقة في سبيل الله، ج 3 ،ص:1045. ، الشهاوي محمد مجدي ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص: 19.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

تستريح ، ثم تواصل طعامها ، وهو تشبيه كان يُحمله "مقدمة" و "معطى" حجاجيا استمر مبدأ حجاجيا هو الخبرة الرعوية المشتركة للسامعين ، إذ عزّزه الرسول "ص" بحجة أنه لا ضير في كسب المال الخير ، لأنّه يكون نعم صاحب المسلم بشرط أحده بحقه والإنفاق منه في سبيل الله واليتامى والمساكين وبذلك تكون "النتيجة" حتمية وهي الاستمتاع به في الدنيا ، والنجاة به في الآخرة .

فلقد وضع الرسول "ص" السؤال المشكل على الصحابي ، وأعلمه أنّ الخير لا يأتي إلا بالخير ، وأنّ الشرّ لا يأتي إلا بالشرّ ، فالربيع وإن كان خيرا - كما يعرف الناس - إلا أنه قد يقتل أو يقرب من القتل ولأجل ذلك فإنّ الناقة التي تأكل منه قدر حاجتها ثم تنخلص من الرائد فلن يؤذيها ، لكن الشّرة في الأكل قد يؤدي بالبهيمة إلى الموت ، كذلك المال الذي أُسند إليه الخضراء والحلوة "إن هذا المال حضرة حلوة" فكأنّه هو العشب ، وأنّ الذي يَشْرَهُ في جمعه وينفعه عن المستحقين قد حَوَّله بعمله إلى شرّ ، فسيؤدي به إلى الشر والعكس صحيح ، فمدار تحويل الأشياء إلى خير أو شر هو طريقة استعمالها ، وقد وصل الإقناع غايتها الكبرى وذلك من خلال : - فتح المجال لإمكانية الحوار في الخطبة النبوية ، .... بل سؤال الرسول "ص" عن الرجل السائل أمام الناس ليجيبه .

- ضرب "المثل" التقريري المؤدي إلى الإقناع الشديد ، من خلال صورة التشبيه التمثيلي بين جامع المال ومنفقه في سبيل الخير ، والأكل من نبات الأرض بشرابة ومبالغة ، وهو السبيل الذي انتهجه الرسول "ص" مما يعكس قدرته على اكتساب وسائل الإقناع الحجاجي واستعمالها المميز في الخطبة النبوية .

\*\*\* . وفي موقف سياسي يعكس حنكة رسول الله "ص" في التعامل مع قومه في الحرب وبعد الحرب خاصة مع وفد الأنصار الذين حُرموا جميعاً أُعطيَةً وأنفَالاً "خَنِينَ" ، وهم الذين نُودوا وقت الشّدة فشاروا يقاتلون مع الرسول "ص" حتى تبدَّل الفرَازُ انتصاراً ، ... فروى ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: لما أُعطى الرَّسُول "ص" ما أُعطي من تلك العطایا في قريش وفي قبائل العرب، لم يكن في الأنصار منها شيءٌ حتى كثرت فيهم القالة...<sup>1</sup> فدعاهُم.... فجمعوا ... فخطب فيهم بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله "ص": يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَدْ بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَغَانِمِ الَّتِي أَثْرَتْ بِهَا أَنَاسًا أَتَأْلَفُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَشْهُدُوا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِسْلَامُ، ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَمَّ مَيْنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالإِيمَانِ، وَخَصَّكُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، أَنْصَارَ اللَّهِ، وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ... وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أُمْرِئًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَّا وَسَلَكْتُمْ وَادِيَّكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْعِيرِ وَتَرْجُعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ

<sup>1</sup> - المباركفوري صفي الدين ، الرحيق المختوم ، ص: 361.

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

"ص" إلى رحالكم .... ثم قال: أجيئوني فيما قلت؟ فقال الأنصار: يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فاخربنا الله بك إلى النور، وجدتنا على شفاعة حفرة من النار فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضلالاً فهدانا الله بك، وقد رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبياً، فاصنعوا يا رسول الله ما شئتم .... فقال رسول الله "ص": والله لو أجبتوني بغير هذا القول لقلت صدقتكم؛ لو قلتم: ألم تأتنا طریداً فآويناك، ومکذباً فصدقاك، ومخذلاً فنصرناك، وقلنا ما رد الناس عليك...، لو قلتم هذا صدقتهم ، فقالت الأنصار: بل الله ورسوله المأن، ولرسوله المأن والفضل علينا وعلى غيرنا، ثم بكوا فكثرا بكاؤهم، وبكي النبي صلى الله عليه وسلم معهم....<sup>1</sup>

يعكس النص مقدرة الرسول "ص" في إيجاد الحلول أمام الأنصار، موضحاً أنه قد بلغه حديثهم... مبيناً أن السبب هو تأليف قلوب بعض الناس على الإسلام ... فحتم الموقف عدم ذكر السبب فحسب، بل لابد من توضيح العلاقة مع الأنصار بكمالها ،رغبة منه في زيادة فاعلية عملية الإقناع الحجاجي ، وفق المعطيات التالية:

- مقدمة: تأليف قلوب بعض الناس ،ثم العطاء لهم .

- الحججة 1: تقوية لإسلامهم.

- النتيجة1: الأنصار إسلامهم قوي ،بل أنتم مؤمنون.

- نتيجة2: لا تحتاجون أن يعطى لكم ما يتائفكم على الإسلام .

- النتيجة :الرضا بعد العطاء.

إلا أن "قانون الاستدلال" من خلال الخطبة يعكس أن الرضا بعدم العطاء يكون صعباً، لذلك عهد الرسول "ص" إلى تحويل "النتيجة" إلى "مقدمة أخرى" ليتم إقناعهم عن طريق شرح علاقة الرسول "ص" بهم ، وذلك حين تدرج بالحججة ،ليصل إلى الرضا ،وذلك من خلال رسم معلم سالم حاجية . تعكس منذ الوهلة الأولى علاقة الرسول عليه الصلاة والسلام بالأنصار ،وهي:

ن الرضا و الاقناع .

<sup>1</sup> - صحيح البخاري ،Hadith رقم 4075-4079 ،كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ، ج 4 ، ص: 1574- 1576

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

- سأذهب أنا معكم وينهض الناس بالشاة والبعير.
- ه لو سلك الناس واديا سلكت واديكم.
- د لولا الهجرة لكنت واحدا منكم.
- ح خصّكم الله بأحسن الأسماء (أنصار الله ورسوله).
- ب منَ الله عليكم بالإسلام.
- أ علاقة الأنصار بالرسول صلى الله عليه وسلم.
- " مقدمات "

فبناء على هذه الحجج التي قدمها الرسول "ص" كان رد الأنصار هو "الرضا"، إذ يمكن أن نتصور "الصورة البصرية" لمقارنة عودة الرسول معهم وعوده بقية الناس بالشاة والبعير ... وهي صور من شأنها أن تزيد في إقناعهم واقناعهم، فليس هناك إلا الرضا والقبول بخاتم الأنبياء والمرسلين العائد مع الأنصار إلى ديارهم. بيد أنّ رسول الله "ص" لم يقنع منهم بالإجابة (رُدُّهم)، فكان يريد منهم إجابةً تشرح موقفهم بجلاء ليزيدهم إقناعا، فكان الرد من الأنصار ما يؤكد رضاهما.

مقدمة اقتناع الأنصار بحكم الرسول "ص" (معطى).

الحجّة المقدمة من خلال :

↑ ضلاّلا فهدانا الله بك .

↑ على شفا حفرة فأنقذنا الله بك .

↓ وجدتنا في ظلمة ، فأخرجنا الله بك إلى النور .

النتيجة : — اصنع ما شئت في أوسع حل.

في وقت أكدّ الرسول "ص" إذا أتوا بحجج أخرى تؤيد عدم رضاهما، فسوف يصدقّهم أيضا ، مما يعكس إدراكه لموقفهم، فقصد ذلك بمعطى(مقدمة) "عدم الرضا بإعطاء الناس من قريش وغيرهم، وحرمان الأنصار" فتكون الحجّة المقدمة هي الغاية في الإقناع في حالة هي "الأهم" (تبليغ الرسالة والحرص على إسلام العرب جميعا )، فقدّم حججا في شكل سلم حجاجي، (ألم تأتنا طريدا فآويناك، ومكذبنا فصدقناك، ومخذلنا فنصرناك) هذا السلم الحجاجي استعمله الرسول بنفسه(افتراضيا) ليوضح أنه مقتنع بموقفهم، لكن الشأن شأن آخر يتعلق برسالة السماء بما عليكم إلا الاقتناع بحكمه "ص" لتكون "النتيجة": بل لله المنّ ولرسوله ، والمنّ والفضل علينا

وعلى غيرنا، ثم بكوا وبكي الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أبتلت لحالم .. إنّه اقتناع تام  
فالأمر أمر رسالة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيها دور المبلغ، وله دور النصرة والفوز برضاء الله .

## الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف

إنّ الناظر في حجاج الرسول "ص" مع أصحابه الأنصار بمنتهى قد استعمل ما يُسمى "بالحجاج المضاد"؛ لكن ليس من منظور تبّيّن وجهة الطرف الآخر المحاجج مؤقتاً ثم نقضها ، وإنما حجاج من نوع خاص يهدف إلى تبني وجهة النظر الأولى وتصديقها تماماً، مما يجعل الطرف الآخر يكتفى إذا علم الصدق والإدراك الحقيقي لشعوره ووجهة نظره ( وهذا هو موقف الأنصار) ، فالتمسوا أسباب القبول لوجهة نظر أخرى( رسالة الإسلام) وهو حجاج يسميه "طه عبد الرحمن" حجاجاً تقويمياً ، وهو يأتي في أعلى درجة من الحجاج التوجيهي الذي يتضمن إيصال المستدلّ لحجته إلى غيره...<sup>1</sup>.

وفي الأخير نستخلص أنّ الحجاج في الحديث النبوى أدى دور الإقناع من خلال التنوع في آلياته، والتي وظفها الرسول صلى الله عليه وسلم مراعاة لمقتضى حال المخاطب من جهة ،وسعيا إلى تحقيق هدف واجب تبليغ الدعوة تحت قوله تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمواعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..". كما يعكس الحجاج القدرة الخطابية والحجاجية لدى الرسول صلى الله عليه وسلم مبعثرها معرفته ودرايته بأبعاد "السياق الحجاجي" والنفسي للمخاطبين" ، مما جعله يتمكّن من إقناع مخاطبه والتأثير فيه.

- تعدّ الآليات المنطقية وسيلة ناجحة لتحقيق الفائدة الاقناعية، خاصة حين اعتمدت على "مقدمات" قدمت بطريقة منطقية ،مع براعة استخدام الحجج والاستنتاجات ، مما يعكس اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة والعرب عامة بأهمية المخاطب في العملية الاقناعية، فبذلك تنوّعت الآليات وتعددت أنواع الحجاج بالاعتماد على السالم الحجاجية وأدوات الربط بأنواعها المختلفة.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان (التكوين العقلي) ص: 228، وينظر (أنواع الحجاج) ،الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص : 470 – 471.

# خاتمة

في خلاصهٍ لهذه الإطلالة في الحديث النبوي الشريف ، نورد جملة من النتائج تشكل خاتمة البحث في بعديه النظري و التطبيقي على حد سواء منها:

01- اللغة العربية لها من الخصائص ما يجعلها لغةً نابضةً بالحياة ، فلقد أودع الله عزّ وجلّ فيها من بديع نظمها وصنعته ما جعلها أهلاً أن تكون لغة النّص التشريعي للبشرية جماء من كلام "الحكيم الخبير" ، إلى كلام "البشير النذير" "ص" ، فهي لغةٌ ممتدةٌ عبر الزمان والمكان ، خالدةٌ بخلود كتابه العزيز عزّ وجلّ.

02- إنَّ خصوص هذه اللغة بنسقٍ بلاغيٍّ خاصٍ ، جعل من أبنائها يسعون إلى تقسيمها إلى أقسام ثلاثة ؛ منها علم المعانِي "الأساليب" ، باعتباره "القسم الذي يُعرف به أحوال اللفظ ومطابقته لمقتضى الحال" ، ولن يتأتى ذلك إلَّا بالوقوف عند الدلالات السياقية لتلك الأحوال على وفق ما يقتضيه كُلُّ حَالٍ منها ، وذلك بالاعتماد على الوقوف عند اللفظ ذاته .

03- اهتدى البلاغيون القدماء في تصوّرهم لهذه القضية على أساس أنَّ التركيب يخْبئ في خصائصه وأحواله إشاراتٍ ودلالاتٍ مختلفةٌ ، وأنَّ السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياتِها ، وكأنَّ التركيب أشبه بقطعةٍ من معدنٍ نفيسٍ تُعطي ألواناً كثيرةً كلما أدرتها إدارة جديدة ، والسياق هو القوة التي تحرّك هذه القطعة لتشعّ من ألوانه ما يراد إشعاعه .

04- إنَّ الكلام العربي على نوعين: "خبر و إنشاء" وعبر خروج كُلٌّ من الخبر و الإنشاء لغير ما وضع له في الأصل تتحقق البلاغة ، أي بمعنى آخر مراعاة القصد أو الغرض لخروج الخبر و الإنشاء إلى معانٍ ثانيةً مجازية تعرف من السياق ، وتحدُّد بواسطة مقتضى الحال ، واختلاف تراكيب النصوص ، يحمل بين طياته سماتٍ تعدل بالأساليب وصيغها عن الوجه المعتمد إلى معانٍ أخرى تفهم من خلال دلالة السياق عليها .

05- يعتبر السياق من أهم الأساسيات التي يقوم عليها التداولية وسيمائيات التواصل لأنَّ أيَّ فهمٍ لخطابٍ لغوِيٍّ معينٍ ، لا يمكن تحقيقه إلَّا إذا قمنا بتقصيِّ الأوضاع الاجتماعية ، خاصة التي ولدت خطاباً محاطاً بمختلف التجارب الإنسانية ، هذه الظروف و الأوضاع الاجتماعية هي التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة .

06- كثيراً ما يؤدي السياق دوراً مهماً في تحديد طبيعة ونوع الإستراتيجية التي يعمد إليها المتكلم مع مخاطبه وكذا في فهم الخطاب ، لذلك اختلف السياق في الخطاب النبوِيِّ من صورة إلى أخرى ، مما جعل أساليب التحاطب تختلف من سياق لآخر ، ساهمت فيه مجموعة من العوامل منها: "الدين ، العمر ، الجنس ، المنزلة الاجتماعية وغيرها".

إنّ السياق هو تلك الأجزاء التي تسقى النص و تليه وتصاحبه مباشرة ، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود لا سيما وأنّ نجاح الفعل اللغوي لا يتحقق إلا بوجود عوامل لها دور هام في اللسانيات التداولية منها المتكلم والمستمع ، القصد و السياق و المقام و الزمان و المكان ، وكل الظروف المحيطة بالفعل .

08- إنّ تنوع أساليب الحوار في مخاطبات النبي "ص" والتي فرضها السياق أكثر من مرة ، يشير إلى الفكر الموسوعي للرسول "ص" ، وتمكنه البلاغي وقدرته الذهنية لاختيار الأسلوب الذي يناسب المخاطب و حاله ، كما يعكس قدرته "ص" الخطابية و استعمالاته لأساليب اللغة وتوظيفها في توجيه الدعوة إلى تعالى .

09- في تعامل الرسول "ص" مع النفس البشرية كثيرا ما كان يدعو إلى تكريم العقل ، واستلهام المعرفة العلمية بالاستدلال المنطقي للأدلة و البراهين قصد الإقناع و التأثير ، لأنّ شعار الخطاب في سياق الحال "إنه بالخطاب العقلي يتميّز الصواب و الخطأ وهي أمور تحتاج إلى إعمال العقل و تحكيمه .

10- في تعامل الرسول "ص" في أسلوب خطابه مع مخاطبه بصفة عامة وعلمه بحاله و مقامه ، نال الرسول "ص" الأسبقية في فن الإقناع و التواصل اللغوي في خطابه مع الآخر ، والتي تتطلب في الوقت الحاضر المران و الخبرة العلمية .

11- تنوعت أساليب الرسول "ص" من الخطاب الجدي أو الاحتجاجي إلى الخطاب العقلي إلى الخطاب العاطفي ، إلى أسلوب الحكم ، كلّه كان له الأثر الواضح في توجيه الدعوة إلى الله تعالى ، بأسلوب يتناسب ومع أفكار المخاطب ومستوى تفكيره العقلي وقناعته الشخصية ، وأنّ أسلوب الحوار عامّة يتناسب مع أحوال المخاطبين مراعيا الفروق الفردية بينهم .

12- إنّ حظّ السياق من الدرس اللغوي الحديث عريبيه وغريبيه يحزم في القول: إنّ السياق بأنواعه المختلفة اللغوية وغير اللغوية وبعناصره ومستوياته قد لاقى القبول والاستحسان لدى الدارسين ، وذلك حين عُدّ وسيلةً إجرائيةً لتصييد المعنى وتفقيّي مواطن الدلالة ، وهذا الأمر تجلّت معالمه عند كثير من الغربيين وحتى العرب الذين عاصروا أو تلذموا على يد مؤسس الاتجاه السياقي اللساني "فيرث" ، والذي جسد من خلال "نظريته السياقية" ما يُعرف بالنظرية المقاماتية "لكل مقام مقال" وهي عبارة شاعت في الدرس البلاغي منذ نشأته.

13- إنّ اهتمام البلاغيين والأدباء وكذا النقاد العرب بالسياق ودوره في كيفية دليلاً عبارتان طلما حضرتا في كتبهم "لكل مقام مقال" ، " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " فالعبارات من حومات الكلم وتوضعن في الإطار العام للدراسة عندهم ، فكان الحال التطبيقي لذلك في أحکامهم البلاغية على النصوص ، كما تناولوا البيئة وأثرها بما له صلة بالسياق الاجتماعي مما يعين على الفهم السليم لهذه النصوص.

- 14- لقد ثُوّجت الدراسة السياقية عند القدامي القدماء بنظرية "عبد القاهر الجرجاني" ، حيث ربط الكلام بمقتضى مقام استعماله وسياقه اللغوي ، وتلقّى العلماء بعده هذه النظرية بالشرح واعتمدوا عليها في التحليل ، وهي النظرية القائمة على مراعاة السياق الذي يرد فيه الكلام، وإدراك العلاقات القائمة بين الألفاظ في التركيب الواحد ، لدليل قاطع على أسبقية علماء العربية في معرفة دور السياق و العمل به في فهم النصوص مما يولّد الفهم العميق للغة ، ودورها في التواصل ، ليدعوا من جهة أخرى إلى وجوب سير أغواره وعدم تركه غفلاً مسهوا عنه ، ويستجدي بنظريات من الغرب تمجيداً و انبهاراً !!!.
- 15- جاءت التداولية فيما بعد كمنهج يحمل آفاقاً واعدة في التحليل ، لخصوصية الحالات التي تجتاحها ، والتي تتعلق بالتحاطب وآليات الأهمية للظروف التي يتمّ فيها التحاطب ، وكذا اعتبار التحاطب والتّكلم فعلاً انجazياً وذلك بعد أن أهملت الدراسات القبلية دور المجتمع في اللغة والخطاب عامة .
- 16- جاءت التداولية لتعنى بالكيفية التي تستعملها اللغة عند الحديث وتحتم بالسياق الكلامي و الموقفي ، وتعنى بالمتكلمين وطرائق حديثهم ، وبكل ما من شأنه أن يزيد عملية الاتصال وضوحاً ، فاهتمت بالمتكلم والسامع مشاركاً في فعل الكلام و الحدث التواصلي ، وكل ماله صلة بالكلام من عوامل خارجية أو تناسب حال من الأحوال ، أو تنازره للحدث الكلامي ، فبحثت في الكيفية الخطابية عامة ، واستنجدت مقاصد المحاطب ؛ " فهي دراسة اللغة في الاستعمال " .
- 17- حتى وإن وقعت التداولية في مفترق طرق البحث الفلسفية واللسانية والذي جعل منها ذات تحديد مفهومي صعب ، سببه اختلاف المذاهب ووجهات النظر الفكرية، فإنّ اهتمامها منصبٌ على دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، ف تكون بذلك قد نشأت من رحم الفلسفة التحليلية حين رفعت شعار الاهتمام باللغة، فاللتقت مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة باللغة كعلم الاجتماع وعلم النفس و البلاغة وغيرها .
- 18- التداولية في الدرس العربي القديم - وإن كان العرب لم يصطلحوا على دراستهم بالتحليل التداولي أو الدراسة التداولية - فإنّ طريقة تحليلهم للنصوص و دراستهم لها بمنهج تحليليٍ تداوليٍّ يعكس أسبقية العرب لممارسة هذا التحليل على النصوص الدينية و الشعرية ، وهي المبادئ التي تحدّث عنها زعماء التداولية المعاصرة مثل "أوستن و سيرل" .
- 19- تعتبر الأفعال الكلامية لبّ الدراسة التداولية ، ويعتبر الفعل الانجازي جوهر أفعال اللغة ، وذلك من خلال الترابط القائم بين بنية اللغة و بين وظيفتها التواصيلية ، لاستنتاج ذلك التفاعل الحاصل بين الشكل اللغوي و المقام .

20- إن جهود أوستن في مجال الأفعال الكلامية له أهمية في اللسانيات التداولية ، كون وظيفة اللغة هي التأثير في مستعملتها ، ولم يقتصر أداؤها على نقل الأخبار أو وصفها فحسب ؛ بل إذا نطق بها المتكلم ينجز فعلًا كلاميا من هذا المنطلق ميّز بين نوعين من الأفعال : أفعال إخبارية "الخبري" وأفعال أدائية "إنشائية" .

21- جهود أوستن لم تكن لتعجب تلميذه سيرل فتوصل بعد محاضراته التي ألقاها إلى وضع تصنيف جديد خالف فيه تصنيفات أستاده ، ونادي بضرورة أنه لا يكون للفعل قوّة انجازية إلاّ إذا توفر فيه المحتوى القصوي واتجاه المطابقة ، وشرط الإخلاص.... .

22- أوصى سيرل بأنّ"الفعل الكلامي المباشر" هو الفعل الذي يطابق قوته الانجازية مراد المتكلم ؛ أي يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة ، فالدلالة الانجازية للأفعال المباشرة تظل ملزمة لها ، أما "الأفعال الانجازية غير المباشرة" فدلالتها الانجازية تظهر في السياق ، وعادة ما يتوصل إليها بما يحيط بالسياق من ظروف اجتماعية ونفسية وغيرها .

23- في الحمولة الدلالية يكون الغرض من الفعل الانجازي هو التزام المتكلم تجاه المستمع بأداء عملٍ ما، أمّا اتجاه المطابقة هو أن يطابق السلوك لاحقاً ما تم التعبير عنه سابقاً، فإن كنت وعدت أن أخرج في رحلة معك فلا بد أن يتحقق الفعل وهو "الخروج في سفر" ليطابق لفظ الوعد ، و المسؤول في ذلك هو "المتكلم" .

24 - درس العلماء العرب الأفعال الكلامية ضمن مباحث الخبر و الإنماء وكان البعض منهم تداوليين في طروحاتهم ، بحيث راعوا الاستعمال والسياق اللغوي و المقامي و مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين ، كما كان اهتمامهم منصبا على مبدأ " مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، فدرسوا الحمولة الدلالية للأساليب الخبرية والإنشائية ومعانيها الأصلية و الفرعية .

25- تجلّت ملامح الأفعال الانجازية بنوعيها في الأساليب الطلبية بأنواعها المطروفة في النص النبويّ، فكان المقام فارضا ضرورة التلازم بين القوتين الانجازية الحرافية و المستلزمة مقاميا، وفيها كان الأسلوب الإنسائي حقيقياً بغضبه الأصلي؛ كالاستفسار للاستفهام ، و التحرير للنهي ، و الوجوب للأمر ... وخرج في مواطن أخرى ليدلّ على أغراض ساهمت فيها ظروف المقام وسيقه فأفاد قوى مستلزمة مقاميا تراوحت بين " الدعاء ، الإنكار ، التوبيخ ، التأنيس .... وغيرها .

26- في تصنيف سيرل وما يتعلق "بالإخباريات" خُصر الأمر في "الأساليب الخبرية" ، ويعينا عن الغرض المتوجى من وراء الخبر "فائدة الخبر لازم الفائدة" راعى الرسول "ص" حال المخاطب ، وعمل على توكيد الخبر

لسامعه بعرض التأثير و الإقناع ، فتراوحت الإخباريات بين الخبر الابتدائي و الخبر الظلي و الإنكارى ، وتفاوتت درجة التأكيد حسب قوة الحالة التي يكون عليها المتلقى مصدقاً أو مُتردداً أو ناكراً عنيداً .

27- خروج القوة الانجazية الحرفية عن معناها الحقيقي للاستفهام و الأمر و النهي و النداء ترتب عنها قوة انجازية مستلزمة مقامية ، وما يترب عنها من آثار يقصد بها مرسلاً الخطاب "الرسول" ص" ليحدث تغييراً في المشاعر و الأفكار تتجلى في: الإقناع و الإرشاد و النصح و المدаяة و التعليم و غيرها... وهي التي سماها أوستن " الفعل الناتج عن القول" *acte perlocutoire* ، فالتداول إذا : تواصلٌ وتفاعلٌ وقولٌ موصولٌ بالفعل .

28- في أسلوب النداء - كواحد من الأساليب الطلبية- كانت مقاربته تداولياً بالنظر إلى جملة جواب النداء ، وطبيعة المنادى ، فأدى النداء وظيفة التنبيه والنداء ، بينما جواب النداء أو مضمونه فقد تراوح بين الأمر والنهي و الخبر ، وقد يخرج إلى دلالات غير مباشرة مستلزمة مقاماً : كالدعاء و التأنيس وغيرها .

29- بسبب ارتباط الأفعال الكلامية بغض الإقناع و التأثير ازدوجت المقاربة بأية أخرى لها دورها في عملية الإقناع و هي "الحجاج" خاصة حين ارتبطت بالأساليب الإنسانية وتخاذلها وسيلة للتعبير عن الأفكار الصادرة عن قصد ونية ، نظراً لما تتمتع هذه الأساليب من قوة في التأثير على المتلقى وقدرتها على الإبلاغ وتحقيق الفهم .

30- مصطلح "الحجاج" مفهوم عائم وشائك ، يتحرك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفية وارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له : كالجدل و الحوار و البرهان و المناظرة ... وكلها مفاهيم تخدم غاية واحدة هي محاولة التأثير ووصول المتكلم إلى هدفه المبتغى .

31- إنّ مفهوم الحجاج قد أُصلّى تأصيلاً من قبل مدرستين ألا وهم "المدرسة البلجيكية" التي كان الاستئناس فيها بآراء "بيرمان" و"كذا ماير" ، و"المدرسة الفرنسية" والتي كان الاكتفاء منها بآراء "ديكرو" والذي حصر الحجاج في بنية اللغة .

32- إن الغربيين في نظرهم للحجاج قد تمسّكوا بالإرث الأرسطي تمسكاً واضحاً ، إلى درجة يمكن نعتهم بأصحاب "نظريات تجديدية لما كان موجوداً أو بالأحرى" بعث للقديم في ثوب جديد" ، لذلك اختلفت مسألة الحجاج عند الغربيين في حقيقة خصائصها عند العرب، لأنّ للعرب فكرهم الحجاجي الخالص و المميز لثقافتهم ودينهم وعاداتهم .

33- ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل و ظهر مرادفاً له، وتجلى مبادئه في الدرس البلاغي ، فاهتمت البلاغة بإستراتيجية التأثير و الإقناع وتوفّرت على جانب تداولي هام مرتب بنظرية الحجاج، وسبق معرفتي إلى

بعض الإشارات التي تعدّ اليوم محور الدرسرين اللساني والبلاغي الغربيين ؛ حين تناولت أهم الوسائل اللغوية وغير اللغوية المؤدية إلى الاستعمالة والتغيير "فكرة البيان و المقام "عند الجاحظ، و "المحاز" عند الجرجاني .

34- إنّ افتتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي على النظريات و المناهج الغربية سمح لهم بإثراء الدرس الحجاجي العربي المعاصر الفلسفى و البلاغي وكذا اللساني، بوعي علمي دقيق واهتمام بمبحث الحاجاج و الكشف عما يحويه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية منهم " طه عبد الرحمن ""محمد العمري" و "أبو بكر العزاوي " .

35- انطلقت نظرية الحاجاج في اللغة من فكرة مفادها أننا نتكلّم عامة بقصد التأثير ،لذلك ارتبط الفعل اللغوي في الحديث النبوي بخصائص: كالوضوح في تبسيط التعبير ،و بعد عن التكلف الذي يفسد نية المرسل في الإبلاغ ،مع وضوح الفكرة المحددة ،لأنّ فهم المعاني هو السبيل إلى الإقناع و الاستجابة .

36- لتحقيق هذه الأفكار ورغم وضوحها مال الخطاب النبوي بناء على ما تناولناه من شواهد إلى اعتماد الأساليب الإنسانية التي تمنح المتكلم حريةً و مجالاً واسعاً للتعبير و الإقناع و التأثير ،فكان اللجوء إلى الأمر والنهي و الاستفهام وغيرها .

37- حرص الرسول "ص" على توجيه خطابه إلى الناس كافة لا إلى مخاطب معين ،حتى و إن كان سبيلا فيه جعلت منه يتوّع في وسائل الإقناع و المخصوصة حجاجيا في وسائل لغوية و بلاغية وأخرى منطقية ،استخدم فيها "القياس" المنطقي بمختلف أنواعه؛ سعيا منه لتحقيق الفائدة الاقناعية لما تفرضه من اطمئنان في النتائج خاصة حين تشكل طرقاً منطقية سليماً من "مقدمات واستنتاجات" تقديمها وتأخيرها ،ذكراً و حذفاً .

38- عمل الرسول "ص" على استغلال الإمكانيات التي تمنحها الآليات اللغوية "كالتكرار" مثلا ، و الروابط الحجاجية كظواهر لغوية ذات دلالة من حيث التركيب ، واستعماله المتلقى و التأثير فيه ، لتساعد الآليات البلاغية في إثبات ما أراده الرسول ص لأمته ناصحاً، و آمراً، مستفهماً، وناهياً ، خاصة حين تتبع الطاقة الحجاجية التي تحملها مختلف الصور البيانية مع مختلف المتلقين .

39- يمثل كلّ من المحاجز المرسل و الكناية نمطاً من التعبير يُنمّي القدرة الكبيرة على الإقناع من خلال الفعل بحمله و التأثير في المتلقى بسحره ، خاصة حين توفر المهارة في تمييز العلاقة بين المعنى الأصلي و المعنى المحاجزي لتكون هذه العلاقات المحاجزية وسيلة حجاجية تستميل المتلقى و تأثر فيه ، وهذا ما لاحظناه في شواهد التحليل.

40- التشبيه النبوى من أهم طرق الاستدلال و المحاجة في سبيل الوصول إلى الإقناع ، فيسوق صلى الله عليه وسلم الخبر أو الطلب مقرونا بالحججة ، ليلقى قبولا لدى المتلقي الذي ينتقل من صورة غير مرئية إلى صورة مرئية مجسدة فتكتمل في عقله حين يكون وقعها على النفس أشدّ، ويحصل الإقناع .

41- الاستعارة في الخطاب النبوى حجاجية تنقل المتلقي من المجرد إلى المحسوس ، وتكسب الحجج قوة من أجل تحقيق الإقناع ، كون الاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا ... ليعمل الاستدلال و القياس على تحقيق الإقناع ، وهذا ما سلكه الرسول "ص" للوصول إلى نتيجة منطقية مُقنعة ، و هذا ما عكسته السلام الحجاجية في الجانب التطبيقي .

وفي نهاية هذا البحث و الذي أضعه بين يدي كل من خاض ميدان التداولية والذي لا يمكن فيه الإلمام والإحاطة بكل الجوانب المتعلقة سواء بالمدونة "الحديث النبوى الشريف" أو منهاج الدراسة " التداولية أفعال الكلام ، الحجاج " فلربما وجد في هذا العمل اعوجاجا فقوّمه، أو نقصا فتّمّه .

كما لا يسعني إلا أن أقف وقفه إجلال واحترام لأنّوقف بالشکر الجزيل و الخالص للدكتور" محمد بوادي" لتحمله مشاق الإشراف على هذا العمل المتواضع ، وفائق الشکر و الامتنان للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة ، على تفضيلهم بقراءة البحث و العمل على تصويب ما فيه من أخطاء سعيا إلى تقييمه وتقويمه .

والله أسأل التوفيق و السداد ، وله الحمد من قبل و من بعد .

## 01- فهرس الآيات القرآنية حسب ورودها في البحث :

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
5	98	الأنعام	"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ..."
5	47	النجم	"وَلَقَدْ عِلِّمْنَا النَّاسَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ"
6	35	الواقعة	"إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا عُزُّبًا أَتْرَابًا..."
6	44/43	طه	"اَذْهَبُوا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ مَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ"
7	46/45	طه	"فَالَّا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُمْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعُمَنَا فَقَالَ لَا تَخَافَا..."
7	47	طه	"فَقَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدًى
9	135	النساء	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..."
9	01	الاحزاب	"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّمَا تَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الْمُحَاجَةِ"
11	12	الاذريات	"أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ"
11	60	الرحمن	"هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ"
12	01	الشرح	"أَمْ لَمْ نَسْرِخْ لَكَ صَدْرَكَ"
12	44	البقرة	"أَفَلَا تَعْقِلُونَ"
12	09	الروم	"أَوْ أَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ"
12	051	يونس	"أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْتُمْ بِهِ"
13	62	الأنبياء	"أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ
13	16	الرعد	"هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظَّلَّمَاتُ وَالنُّورُ"
13	60	الرحمن	"هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ"
13	01	الإنسان	"هَلْ أَتَىٰ عَلَىِ الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ"
13	39	الطور	"أَمْ لَهُ الْبَنَاثُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ"
13	78	يس	"مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ"
14	69/68	البقرة	"فَالْأُولَاءِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا؟ ... مَا هِيَ؟"
14	41	النساء	"فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ"
15	10	القيامة	"يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ"
15	37	آل عمران	"يَا مَرْيَمَ أَنِّي لَكَ هَذَا"
15	259	البقرة	"أَلَّيْ يُحِيِّي كَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ"
16	124	التوبة	"أَيْكُمْ زادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا
16	13	الرحمن	"فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا ثُكَّلَّبَانِ"

16	38	النمل	" أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا "
17	171	البقرة	" وَمَئَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَلَ الَّذِي يَنْعِقُ إِمَّا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ "
19	27	مريم	" يَا مَرِيمُ لَقَدْ جَهْتِ شَيْئًا فَرِيَا "
22	12	مريم	" يَا يَحْيَى حُذْنِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا "
22	145	الأعراف	" وَأَمْرُ قَوْمَكَ يَا حَذِنُوا يَا حَسِنُها "
22	43	البقرة	" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الزَّكَوةَ وَارْكُمُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ "
22	07	الطلاق	" لِيُنْفَقْ دُونَ سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ "
22	12	العنكبوت	" وَلَنْحَمِلْ خَطَايَاكُمْ "
22	43	آل عمران	" يَا مَرِيمُ افْتُنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدْيَ وَارْكُعْيَ مَعَ الرَّاكِعِينَ "
23	23	الإسراء	" وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا "
23	18	يوسف	" ... فَصِيرْ جَيْلِ... "
25	105	المائدة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضْرِبُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ "
26	10/09	العلق	" أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَا عَنِّدًا إِذَا صَلَى... "
26	27	النور	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا "
27	01	المتحنة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أَوْلَيَاءِ... "
27	28	آل عمران	" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِيْنَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ "
27	23	النساء	" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ."
27	161	آل عمران	" مَنْ يَعْلَمْ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَمْنَى بِوْمَ الْقِيَامَةِ "
27	83	البقرة	" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيقَاتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ "
27	84	البقرة	" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيقَاتَكُمْ لَا تَسْتَهِنُوكُنَّ دِمَاءَكُمْ "
28	90	المائدة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِمَّا الْحُمْرُ وَالْمُبِيسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِحْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِيُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "
31	44	النحل	" وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْدِكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ "
31	09	طه	" وَهَلَّ أَنَّكَ حَدِيثُ مُوسَى "
33	03	النجم	" وَمَا يَطِقُ عَنِ الْمُؤْمِنِ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "
37	44	النحل	" وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْدِكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "
37	03	ال الجمعة	" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ بِرَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَيِّنَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ "

			الكتاب والحكمة
49	140	آل عمران	" وَتُلْكَ الْأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "
50	07	الحشر	" مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْنَى لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَعْبَيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُنْدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "
50	140	آل عمران	" وَتُلْكَ الْأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "
57	52	إبراهيم	" هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ "
66	21	ق	" وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . "
71	73	الزمر	" وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا . "
71	86	مريم	" وَنَسُوقُ الْمُخْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا . "
83	96	آل عمران	" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَنْكِهُ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ... "
87	07	الفرقان	" وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامِ... "
87	13	يوسف	" وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الدَّيْبُ... "
88	73	الأعراف	" هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوْهَا تَأْكُلُنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ "
88	12	الحجرات	" أَتَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ حَمَّ أَخِيهِ مِيَّنًا ... "
88	10	النساء	" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبَيْتَمَى طَلْمَمًا... "
88	183	آل عمران	" حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِفُرْقَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ "
94	2	البقرة	ذلك الكتاب لا ريب فيه
98	135	البقرة	" بَلْ مِلََّ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا "
102	73	الزمر	" حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتُحْتَ أَبْوَابُهَا "
102	27	الأنعام	" وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقْفُوا عَلَى النَّارِ "
108	143	البقرة	لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا
109	20	القصص	وحاج رجل من أقصى المدينة يسعى
108	20	يس	" وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعِيَ
			" أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "
110	20-17	الغاشية	" وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا "
112	04	مريم	" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... "
118	125	النحل	" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْهُوْدَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْا وَلَتَجِدَنَّ أَفْرَهُمْ مَوْدَةً
122	82	المائدة	

			<p>لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى</p>
122	83-82	آل عمران	<p>"فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْ إِلَيْ كَلْمَةٍ سَوَاءٌ"</p>
122	31	التوبة	<p>"اَتَخْدُلُوْ اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ " وَمَا اُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوْ اِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ "</p>
125	63	النور	<p>"لَا يَجْعَلُوْ دُعَاء الرَّسُولِ بِيَنْكُمْ كَدُعَاء بَعْضُكُمْ بَعْضًا :</p>
125	44	طه	<p>"اَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى "</p>
125	44	طه	<p>"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتَنَا "</p>
131	10	الحجرات	<p>"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْرَجُوْنَ "</p>
144	16-14	يس	<p>: "... إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِيَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُوْنَ ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِنْنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْلِبُوْنَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُوْنَ</p>
171	92	آل عمران	<p>"لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُفْقِدُوْ مَا تَحْبُّوْنَ "</p>
188	28	هود	<p>"أَنْزَلْنَا مُكْتُمُوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُوْنَ "</p>
196	19	النحل	<p>"رَبِّ أَوْزِعُي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...":</p>
196	201	البقرة	<p>"رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ التَّارِ "</p>
196	88	يونس	<p>"رَبَّنَا اطْمِسْنَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ</p>
199	101	يوسف	<p>"رَبِّ فَدِ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفِيَ مُسْلِمًا وَلَحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ...":</p>
199	187	البقرة	<p>كلوا واشربوا</p>
230	149	الانعام	<p>"فُلْ يَلِلِهِ الْحَجَّاجُ الْبَالِغُوْهُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَكُمْ اَجْمَعِيْنَ "</p>
230	66-65	آل عمران	<p>يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِجُوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلَتِ التَّوْرَاهُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ هَذَا نَتَّمْ هُؤُلَاءِ حَاجِحُوْنَ فِي مَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجِجُوْنَ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ"</p>
230	16	الشوري	<p>وَالَّذِينَ يُحَاجِجُوْنَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَعْجِلَبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاهِيْهَةً عِنْدَ رَجَّهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبَتْ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ"</p>
230	258	البقرة	<p>"أَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"</p>
230	107	النساء	<p>"وَلَا تُحَاجِدُ عَنِ الَّذِي يَكْتَنُونَ أَنْفُسُهُمْ"</p>
236	149	الانعام	<p>"فُلْ يَلِلِهِ الْحَجَّاجُ الْبَالِغُوْهُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَكُمْ اَجْمَعِيْنَ "</p>
236	111	النحل	<p>يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بُحَادِلٍ عَنْ تَقْسِيْهَا وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُنْ لَا</p>

			يُظْلَمُونَ"
264	111	التوبة	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُعَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُعَذَّلُونَ وَيُفْتَلُونَ...."
267	43	العنكبوت	" وَتَلْكَ الْأَمْثَالُ نَصْرِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ "
272	175	الأعراف	وَأَقْلَلَ عَيْنَهُمْ نَبَأً الَّذِي آتَيْنَا آيَاتِنَا فَانسَلَحَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَيْهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَهُ هَوَاهُ فَمَنْهُ كَمَلَ الْكَلْبُ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَشْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَنْكِلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

## 2/ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة موضوع البحث :

صفحة وروده	راوي الحديث	الحديث النبوي الشريف
34	الرسول ص	"أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قَرْيَشٍ وَنَسَاثٌ فِي بَنِي سَعْدٍ مِنْ بَكْرٍ
35	انس بن مالك	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَائَةَ مَنْ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرْيَشًا مِنْ كِنَائَةَ، وَاصْطَفَى مَنْ

		قُرْيَشٌ بْنَى هَاشِمٍ، واصطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ...
35	أنس بن مالك	عن أنس رضي الله عنه: أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلٌ وهو يلعب مع الغلمانِ فأخذَهُ، فصرَعَهُ، فشقَّ عن قَلْبِهِ، فاستخرجَ القلبَ واستخرجَ منه علقةً، فقال: "هذا حظُّ الشيطانِ منك" ثم عَسَلَهُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ بماءِ زَمْرَدٍ، ثم لَأَمَّهُ، ثم أعادَهُ إلى مَكَانِهِ...
36	جابر بن عبد الله	عن جابر بن عبد الله قال: "ما بنيت الكعبة، ذهب الرسول ص وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ص "اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال"إزارِي، إزارِي، فشدّ عليه إزارِه...." وفي رواية: "فما رُؤيَتْ له عورَةٌ بعد ذلك
39	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بُعثت بِحِوامِ الْكَلْمِ، وَنُصِرتَ بِالرُّعْبِ ...".
119	أسامة بن زيد	عن أسامة رضي الله عنه قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقَةِ، فصَبَحَنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحْقَتْ أَنَا وَرَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِّنْهُمْ، فَلَمَّا عَشَيْنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرَمْحٍ حَتَّى قُتِلَتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلْغَ النَّبِيِّ صَ "ذَلِكَ قَالَ: يَا أَسَامِةً أُقْتِلَتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟؟؟، قَالَتْ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، وَفِي رَوَايَةِ قَالَ النَّبِيِّ صَ "أَفَلَا أَشْفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقْلَاهَا أَمْ لَا؟ قَالَ أَسَامِةً: فَمَا زَالَ يَكْرَهُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ".
119	جابر بن عبد الله	عن جابر رضي الله عنه: أنّ معاذًا كان يُصَلِّي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي قومه فيصلِي بهم الصلاة، فصلَّى ليلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهُمْ، فافتتح بسورة البقرة، فانحرفَ رجل مسلم، ثم صلَّى وحدَه صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك معاذًا فقال: "إنه منافق"، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: "أَنَا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنْ مُعاذًا صَلَّى بَنًا الْبَارِحةَ فَقَرَا "الْبَقْرَةَ"..." فجَوَّرَتْ فَرَعُومٌ "أَنِّي مُنَافِقٌ"، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعَاذٍ، يَا مَعَاذُ أَفَتَأْنُ أَنْتَ؟ أَوْ "أَفَاتَنْ"؟ ثَلَاثَ مَرَازٍ، فَلَوْلَا صَلَيْتَ: "بَسِحْبِ اسْمِ رِبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضَحاها، وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشِي
120	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ما دخل "خير" غازياً، وَكَانَ أَهْلُهَا يَهُودًا، فَقَالَ لَمَا رَأَاهُمْ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرَبَتْ خَيْرٌ

120	أبو هريرة	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما فتحت حيبر أهديت للرسول صلى الله عليه و سلم شاة فيها سُمٌّ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "اجمعوا إلى من كان هنا من يهود" فجمعوا له، فقال: "إني لسائلكم عن شيء فهل أنتم صادقين؟" فقلوا: "نعم" قال النبي صلى الله عليه و سلم: "من أبوكم؟" قيلوا: "فلان" قال: "كذبتم، بل أبوكم فلان" قيلوا: "صدقتم" قال: "فهل أنتم صادقين؟" عن شيء إن سألكم عنه" قيلوا: "نعم يا أبا قاسم، إن كذبنا عرفنا كذبنا كما عرفتكم في أبينا. فقال لهم: "من أهل النار؟" قيلوا: "نكون فيها يسيراً، ثم تخلصونا فيها" فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "اخْسَئُوا فيها و الله لا تخلفكم فيها أبداً" ثم قال: "هل أنتم صادقين؟" عن شيء إن سألكم عنه؟" قيلوا: "نعم يا أبا قاسم" قال: "هل جعلتم في هذه الشاة سُمًا؟" قيلوا: "نعم" قال: "ما حملكم على ذلك؟" قيلوا: "أردنا إن كنتم كاذبة نستريح، وإن كنتم نَيِّساً لم يضرُّكُمْ"</p>
121	عائشة رضي الله عنها	<p>عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهودا أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا: "السام عليكم". قالت عائشة ففهمتُها، فقالت: "عليكم السام و لعنكم الله، و غضب الله عليكم"، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: "مهلا يا عائشة عليك بالرفق، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، و إياك و العنف و الفحش" فقالت: "أو لم تسمع ما قالوا؟" قال: "أولم تسمعي ما قلت؟" قد قلت: "عليكم، ردت عليهم، فيستجاح لهم في...".</p>
121	عن أنس بن مالك	<p>عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مرّ يهودي برسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: السلام عليك، فقال رسول الله ص: "و عليك" فقال رسول الله ص: "أتدرؤن ما يقول؟" قال: "السام عليك" قالوا: "يا رسول الله ألا نقتله؟" قال: "لا، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: و عليكم..."</p>
122	الرسول ص	<p>بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فاني أدعوك بدعاية الإسلام أسلِّمْ تسلِّمْ، واسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين، "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبدوا إلا الله و لا تشرکوا به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون....."</p>
123	عبد الله بن مسعود	<p>عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يُصلّي عند البيت، و أبو جهل و أصحابه له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض: "إِيُّكُمْ</p>

		<p>يحيى ء سَلَى جَرْوَرَ بْنِ فَلَانْ فِي صَبَّعِهِ عَلَى ظَهَرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ...؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَهُ عَلَى ظَهَرِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظَرَ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنْعَةً، قَالَ: فَجَعَلُوكُمْ يَضْحِكُونَ وَيَحْبِلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهِ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهَرِهِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَقْرِيشٌ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: "وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدُّعَوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلْدَ مُسْتَحْجَابَةً، ثُمَّ سَمِّيَّ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَأْيِّ جَهَلٍ، وَعَلَيْكَ بَعْتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتَبَةَ، وَأُمَّيَّةَ بْنَ خَلْفَ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ وَعَدَ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتَ الَّذِينَ عَدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ، قَلِيبٌ بَدْرٌ..."</p>
123	عائشة رضي الله عنها	<p>عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحسان بن ثابت الأنصاري: "أهْجَ قَرِيشًا ،فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رُشْقٍ بِالْبَلْلِ" ،فَقَالَ لَهُ حَسَنٌ بْنُ ثَابِتٍ مُبْدِيًّا رَغْبَتَهُ الشَّدِيدَةَ فِي ذَلِكَ: "وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لِأَفْرِيَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدَمِ..." ،لَذِلِكَ قَالَتْ عائشةٌ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَنٍ "إِنَّ رُوحَ الْقَدْسِ لَا يَزَالْ يَؤْيِدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالَتْ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَانٌ، فَشَفَقَى وَاشْتَفَقَى"</p>
124	الرسول ص	<p>إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا شَبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمِنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبَرَ لِدِينِهِ وَعَرَضَهُ، وَمِنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعِي حَوْلَ الْحَمَى يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لَكُلَّ مَلَكَ حَمَى، أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ</p>
124	الرسول ص	<p>مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حَدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعُ فِيهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ اسْتَهْمَوْا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُؤُوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: "لَوْ أَتَّا خَرْقَنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذَ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنَّ يَسْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخْدُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا</p>
125	الرسول ص	<p>بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هَرقلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدِيَّ أَمَا بَعْدَ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِي إِلَيْهِ إِلَيْ إِسْلَامِي، أَسْلِمْ تَسْلِمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَسَّيْنِ..."</p>
126	أبو هريرة رضي	<p>عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ</p>

	الله عنه	بحد، فجاءت برجل من بنى حنيفة، يقال له "ثَمَامَةُ بْنُ أَثَّالَ سِيدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرُبِطَ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِيِّ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَاذَا عَنْدَكَ يَا ثَمَامَةً؟" ، فَقَالَ: "عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمِ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلَّنْ تُعْطِي مِنْهُ مَا شَئْتَ" ، فَتَرَكَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدَوِ كَرَرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَطْلَقُوكُمْ ثَمَامَةً، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ... " ثُمَّ اعْتَمَرَ وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: "أَصْبَوْتَ؟" ، فَقَالَ: "لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمَتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهُ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حَنْطَةٌ حَتَّى يَأْذِنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .
126	الرسول ص	إِنْكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَكَ كِتَابٍ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُمْ فَادِعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهُدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ... .
127	الرسول ص	يَا مَعْشِرَ النِّسَاءِ... . تَصَدَّقُنَّ ، إِنَّمَا أَرِيَتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ
127	الرسول ص	مَا مِنْ كُنْ مِنْ اُمْرَأٍ تُقْدِمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا لَمْ يَلْعُوْهَا حَتَّى إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ: فَقَالَتْ اُمْرَأٌ مِنْهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَأَثْنَيْنِ؟ فَأَعْوَدَهَا مَرْتَيْنِ: ثُمَّ قَالَ: " وَأَثْنَيْنِ "
127	عائشة رضي الله عنها	عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ حَرَجْنَا لَا نَرِيُّ إِلَّا الْحَجَّ..... .
129	عبد الله بن مسعود	عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " كَنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مِنْ أَسْطَاعَكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَرْوَجْ ، فَإِنَّهُ أَعَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْسَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءُ
130	البراء بن عازب	عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ ، فَتَوَضَّأْ وَضْوِيَّكَ لِلصَّلَاةِ . ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شَقْكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَجْهَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأً وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكَتَابَكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ... . " فَلَمَّا رَدَدَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا ، وَنَبِيُّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَقُلْتَ: " اللَّهُمَّ... آمَنْتُ... . قَلْتَ: " وَرَسُولُكَ " ، قَالَ: " لَا ، وَنَبِيُّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ... . " قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَقُولُونَ أَحَدَكُمْ خَبَيْتَ نَفْسِي وَلَكِنْ يَقُلُّ: " أَقِسَّتُ نَفْسِي... . " .
130	الرسول ص	..... .

131	الرسول ص	<p>..... فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين ، و إني قد رأيت أن أردد إليهم سببيهم فمن أحبت منكم أن يطير بذلك فليفعل، و من أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل" فقال الناس: قد طيينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ...</p>
131	أبو هريرة	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بلالاً، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام"، فقال: "أصابعه السماء يا رسول الله"، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشٍّ فليس مني؟"</p>
165	أبي هريرة	<p>جبريل عليه السلام حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما على هيئة رجل، و كان النبي "ص" بارزا للناس، فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و بلقائه و رسالته و تؤمن بالغيب؟ ثم قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله و لا تشرك به شيئاً، و تقيم الصلاة و تؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان.. ثم قال ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك... ثم أدبر فقال الرسول "ص": "ردوه" فلم يروا شيئاً، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .</p>
166	أنس بن ملك	<p>عن أنس بن ملك رضي الله عنه، فقال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين" و كان ضئرا لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم و قبّله و شمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، و إبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدفران، فقال له "عبد الرحمن بن عوف": "و أنت يا رسول الله؟" فقال صلى الله عليه وسلم: "يا ابن عوف إنها رحمة" ، ثم اتبعها بأخرى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العين تدمع، و القلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، و إننا بفارقك يا إبراهيم لحزنون.....</p>
167	عبد الله بن عمر	<p>عن عبد الله بن عمر قال: أشتكي سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي "ص" يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه وَجَدَهُ في غاشية أهليه، فقال صلى الله عليه وسلم: "قد قضى" ، فقالوا: "لا يا رسول الله" ، فبكى النبي "ص" فلما رأى القوم بُكاءَ النبي "ص" بكوا، فقال صلى الله عليه وسلم: "ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدموع العين و لا يحزن القلب" ، و لكن يعذب بحداً، و أشار إلى لسانه، أو يرحم، و إن</p>

		الميّت يُعذَّب بِكَاءٌ أَهْلِه عَلَيْهِ... .
168	عبد الله ابن عباس	حين خرج الرسول "ص" حتى صعد الصفا فهتف: "يا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: "مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟" قَالُوا "مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ... " فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفَحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: "مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ كَذِبَنا، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
169	الرسول ص	قوله صلى الله عليه وسلم لليهود: "يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيُلْكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ، فَأَسْلِمُوا... قَالُوهُمْ ثَلَاثَ مِرَارًا
169	عبد الله بن عمر	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "بعث النبي "ص" بعثا ، و أمره عليه" أسامة بن زيد" ، فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال النبي "ص" "إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَنَّمَا اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّهَ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهِ
171	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك: "أَنَّ أُمَّ الرِّبِيعِ بُنْتَ الْبَرَاءِ، وَهُمْ أُمَّ حَارِثَةَ بْنِ سَرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ "ص" ، فَقَالَتْ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تَحْدِثُنِي عَنْ حَارِثَةِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرَتْ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدَتْ عَلَيْهِ فِي الْبَكَاءِ؟" فَقَالَ الرَّسُولُ "ص": "يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّمَا جِئْنَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَفِي الْجَنَّةِ الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى... ."
171	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، و كان أحب أمواله إليه "بَيْرُحَاءَ" و كانت مُستقبلة المسجد، و كان رسول الله يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية: "لَن تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحْبُّونَ" آل عمران: 92، قام أبو طلحة إلى رسول الله "ص" فقال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: (الآية)... وَإِنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ أَمْوَالِيَ الَّتِي "بَيْرُحَاءَ" وَإِنَّمَا صَدَقَةُ اللَّهِ أَرْجُو بِرِّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حِيثُ أَرَاكَ اللَّهُ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص": "بَخِ بَخِ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ... وَقَدْ سِمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ"
172	أنس بن مالك	أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى امرأة من الأنصار أتت النبي "ص" مع أولاد لها، فقال النبي "ص" و الذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إلي، قالها ثلات مرات

172	أنس بن مالك	عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي "ص" النساء و الصبيان مُقبلين، قال: حسبت أنه قال من عرس، فقام النبي "ص" متَّناً أو قال مُمْشِلاً فقال: "اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَدٍ النَّاسِ إِلَيْهِ فَالْهَا ثَلَاثٌ مِرَارًا"
177	أبو حمزة	عن أبي حمزة قال: كنت أقعد مع ابن عباس: يجلسني على سريه، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إِنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَا أَتَوْا النَّبِيَّ "ص" قَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟ قَالُوا: رِبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ عَيْرَ خَرَابًا وَ لَا نَدَامَى....
178	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنهمَا: أن رسول الله "ص" لقي رَكَبًا "بِالرَّوْحَاءِ" "مَكَانَ قَرْبَ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ" فَقَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ؟" قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: "مَنِ أَنْتَ؟" قَالَ: "رَسُولُ اللَّهِ". فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيَّاً فَقَالَتْ: أَهِلْهَا حَجَّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَ لِكِ أَجْزَرْ".
181	عبد الله بن زيد	يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: أَمَّا أَحَدُكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاهُمُ اللَّهُ بِي، وَ كُنْتُمْ مُنْتَقَرِّبِينَ فَأَنْكَفُكُمُ اللَّهُ بِي، وَ كُنْتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاهُمُ اللَّهُ بِي...، كُلُّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْنٌ
182	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنه: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرِبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدِقًا، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"
183	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِيَابِ أَحَدُكُمْ يَعْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسَ مَرَاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنَهِ شَيْءٌ؟" قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنَهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".
184	سالم بن عبد الله بن أبيه	عن سالم بن عبد الله بن أبيه أنه أخبره: أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "إِنَّمَا بَقَاءُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمْمَ، كَمَا بَيْنَ صَلَةِ الْعَصِيرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوْتَيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوْا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوْتَيَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ إِنْجِيلَهُ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَةِ الْعَصِيرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوْا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوْتَيَ أَهْلُ الْقُرْآنِ، فَعَمِلُنا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطِيْنَا قِيرَاطِيْنِ قِيرَاطِيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبِّنَا، أَعْطِيْتَ هُؤُلَاءِ قِيرَاطِيْنِ وَ أَعْطَيْنَا قِيرَاطِيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبِّنَا، أَعْطِيْتَ هُؤُلَاءِ قِيرَاطِيْنِ وَ أَعْطَيْنَا قِيرَاطِيْنِ قِيرَاطِيْاً، وَ نَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَجَالًا؟" قَالَ: "فَاللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ" هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "هُوَ فَضْلِيُّ أُوْتِيْهِ مِنْ أَشَاءُ".
186	يحيى بن سعيد	عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن ملك يقول: قال رسول الله "ص"

	الأنصاري	: "ألا أخبركم بخير دُور الأنصار" ، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "بَئُو التَّحَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنَ الْخَرْجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالْرَّامِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: وَ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ ."
187	أبو هريرة	عن أبي هريرة، قال: ..... قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدُّثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: كيف ذلك؟ قالوا: صَلَّوا كما صَلَّينا، وَ جاهدوا كما جاهدنا، وَ أنفقوا من فضول أموالهم، وَ ليست لنا أموال، قال: أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ تَسْبِقُونَ مِنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ، وَ لَا يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جَعْنَتُمْ بِهِ إِلَّا مِنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ " تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَ تُحْمِدُونَ عَشْرًا وَ تُكَبِّرُونَ عَشْرًا
189	أسامة بن زيد	عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله "ص" إلى الحبرقة، فصَبَّحُنا القومَ فَهَزَّنَاهُمْ، وَ لَحْقْتُ أَنَا وَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِّنْهُمْ، فَلَمَّا عَشَيْنَاهُ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، فَطَعَتْتُهُ بِرُخْيِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بِلَغَ النَّبِيَّ "ص" ، قَالَ: بِأَسَامِةَ: "أَفَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ؟" قَلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا... فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ....
190	عاشرة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ قريشاً أَهْمَمُهُمْ شَأْنَ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله "ص" فقالوا: وَ مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامِةُ بْنُ زَيْدٍ " حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ "ص" فَكَلَمَهُ أَسَامِةً، فقال رسول الله "ص": أَتَسْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرْكُوهُ، وَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْمُضَعِّفُ أَقْامُوا عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَ أَئِمَّةُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا..."
193	ابن شهاب	عن ابن شهاب قال: أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ طَلَقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ، فَدَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ "ص" فَتَعَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ "ص" ثُمَّ قَالَ: لِيُرَاجِعُهَا، ثُمَّ يُسِكِّنُهَا حَتَّى تَطْهَرْ، ثُمَّ تَحِيقُضُ حَتَّى تَطْهَرْ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطْلَقُهَا فَلْيُطْلَقُهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسِهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ...
193	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله "ص" حين جاءه أصحابه يعودونه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ هُمْ قِيَامٌ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَ بِهِ، فَإِذَا كَبَرَ فَكَبَرُوا، وَ إِذَا رَكِعُوا، وَ إِذَا سَجَدُوا، وَ إِنْ صَلَّى فَأَئِمَّا فَصَلَّوَا قِيَامًا
195	أبو هريرة	عن أبي هريرة أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَسْلَمِ "ص" أَتَى النَّبِيَّ "ص" وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: بِأَنَّهُ

		رسول الله إن الآخر قد زنى، يعني نفسه، فأعرض عنه، فتنحى لشقيق وجهه الذي أعرض قبله، فقال يا رسول الله إن الآخر قد زنى، فأعرض عنه... فتنحى له الرابعة، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه، فقال: هل بك جنون؟ قال: لا، فقال "ص": "إذ هبوا به فارجموه..." و كان قد أحصن
195	أبو هريرة	فرجناه بصلى المدينة، فلما أذلتني الحجارة جمزاً أسرع هارباً، حتى أدركناه بالحربة، فرجناه حتى مات" ، وفي حديث آخر: "... فامر به أن يرجم في المصلى، فلما أذلتني الحجارة جمزاً ، حتى أدرك بالحربة فقتل"
196	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله "ص" كان إذا أتى مريضاً ، أو أُويت به عنده يمسح بيده اليمين و يقول: اللهم رب الناس اذْهِبْ الْبَأْسَ، اشْفِهِ وَ أَنْتَ الشَّافي، لَا شِقَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرْ سَقَمًا..."
197	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي "ص" دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً، فقال "ص": من وضع هذا؟ فأخبر به، فقال: "اللهم فقهه في الدين"
198	ابن عباس رضي الله عنهم	عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: كان النبي "ص" يدعو من الليل: "اللهم لك الحمد أنت رب السموات... اللهم لك أسلمت، و بك أمنت، و عليك توكلت و إلينك أتيت، و بك خاصمت، و إلينك حاكمنت، فاغفر لي ما قدمت وما أخزرت
199	شداد بن أوس	عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي "ص" قوله: "سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتني و أنا عبدك، و أنا على عهدي و عدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ و أبوء لك بذنبي....."
200	أبو هريرة	"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت....."
200	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها و عندها حاريتان في أيام "مني" تدققان و تضربان، و الرسول "ص" متعشّ في ثوبه، فانتهراها أبو بكر، فكشف النبي "ص" عن وجهه و قال: "دعهما يا أبا بكر، فإنهما أيام العيد، و تلك الأيام أيام مني.."
201	عبد الله بن عباس	عن عبد الله بن عباس و انفرد بروايته الترمذى، قال: كنت خلف النبي "ص" يوماً، فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، احفظ الله تحدّه تجاهاك، إذا سألت فاسأّل الله، و إذا استمعت فاستمع باليه، و أعلم لو أنَّ الأمة...، و في رواية أخرى: أحظ الله تحدّه أمّاك، تعرّف إلى الله في الرّحاء

		يُعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ ، وَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَ اعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبَرِ ، وَ أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا..".
203	أبو شريح العدوي	أبي شريح العدوي قال: سمعت أذنائي وأبصرت عينائي، حين تكلم النبي "ص" فقال: "من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرم حارمه، ومن كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته؟" قال: "و ما جائزته يا رسول الله" قال: "يوم وليلة الضيافة ثلاثة أيام" ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه... .
204	عبد الله بن عمر	عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله "ص" قال: "إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَخْيُوْا مَا حَلَقْتُمْ
205	أبو زرعة	عن أبي زرعة" قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوّراً يُصوّر، قال: سمعت رسول الله "ص" يقول: "وَ مَنْ أَظْلَمَ مَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخْلُقَ فَلِيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَ لِيَخْلُقُوا دَرَّةً"
206	عمرو بن أبي سلمة	عن عمرو بن أبي سلمة إذ يقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله "ص" ، وكانت يدي تطيش في الصّحّفة، فقال لي رسول الله "ص": يا غلام، سُمِّ الله وَ كُلُّهُ بِيَمِينِكَ، وَ كُلُّهُ مَا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تَنْكِبُ طَعْمَتِي بَعْدِهِ .." . و قال أنس: قال النبي "ص": "اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَ لِيَا كُلُّ كُلُّ رَجُلٍ مَا يَلِيهِ ..".
208	أبو هريرة رضي الله عنه	عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله "ص" قال: "لَا تَأْكُلُوا الرَّبَّانَ وَ لَا يَبْغُ بعضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَ لَا تَنْجِشُوا، وَ لَا يَبْغُ حَاضِرٌ لَبَادٍ، وَ لَا تُصْرُوا الْغَنَمَ ، وَ مَنْ ابْتَاعَهَا فَهُوَ بَخِيرُ النَّظَرِينَ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِيهَا: إِنْ رَضِيَّهَا أَمْسَكَهَا ، وَ إِنْ سَخِطَّهَا رَدَّهَا وَ صَاعَاً مِنْ تَمَرٍ ..."
209	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه"أن رجلاً قال للنبي "ص" أَوْ صِنِيْ "، قال: "لَا تَعْضَبْ، فَرَدَّ مِراراً، قال: "لَا تَعْضَبْ"
210	عبد الرحمن بن سمّرة	عن عبد الرحمن بن سمرة، الذي قال: قال رسول الله "ص" "لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَ إِنْ أُعْطَيْتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَ إِلَيْهَا، وَ إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأَفْتَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَ كَفِرْتَ عَنْ يَمِينِكَ"
211	أبو قتادة	عن أبي قتادة رضي الله عنه. قال: بينما نحن نصلّي مع النبي "ص" إذ سمع جلبة رِجَالٍ ، فلما صلّى، قال: "ما شَاءُوكُمْ؟" قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: "فَلَا تَفْعَلُوا" ، إذا أتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلَلُوا وَ مَا فَاتَكُمْ فَأَتَوْا

212	أبو بكر الصديق	قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله "ص" لما رأى سُرقةً بن مالك يَتَّبِعُهُمْ ، و هم في طريق الهجرة ، فقال للرسول: أتَيْنَا يا رسول الله، فقال الرسول "ص" لا تحرّنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
213	أبو هريرة	لا تخيروني في موسى فان ..... لا تفضلوا بين أنبياء الله .
214	المعور	عن المعور قال : لقيت أبا ذرٍ "بالرَّبْدَة" ، عليه حُلَّة وعلى عَلَامِهِ حُلَّة ، فَسَأَلْتُهُ عن ذلك فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ "ص" : يَا أَبَا ذَرٍ أَعْيَرْتَهُ بِأُمِّهِ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِي كَعَالِيَّةٍ ، إِخْوَانُكُمْ خُوَلَكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيهِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ فَإِطْعَمْهُ مَمَّا يَأْكُلُ ، وَلَيُلِيسِنَهُ مَمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلُبُهُمْ
215	أسامة بن زيد	عن أسامة بن زيد حين بُعثَت إلى "الحرقة" ، وما وقع منه حين قتل الأنباري برمجه ، فقال الرسول ص : يَا أُسَامَةً أَفْتَلْتُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
216	معاذ بن جبل	عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، الذي قال : كنت ردد رسول الله على حمار يقال له "عُفُّير" ، فقال الرسول ص : "يَا مَعَاذُ ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعَبَادِ عَلَى اللَّهِ ، مَا حَقُّ الْعَبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ ، قَلْتَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعَبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعَبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ..
217	عائشة رضي الله عنها	<u>اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَلْحَقِّنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى</u>
217	قتادة رضي الله عنه	عن قتادة رضي الله عنه ، قال : سمعت أنسا ، قال : قالت أم سليم للنبي "ص" : أَنْسُ خَادِمُكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ "ص" : "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ .
219	أبو بكر رضي الله عنه	عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للرسول "ص" وأنا في الغار ، لو أَنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأَبْصَرَنَا ، فقال الرَّسُولُ "ص" : ما ظُنِّكَ يا أَبَا بَكْرٍ باشِنَنَ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا
219	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها... قالت بعد أن كان الناس يتحرّنون بهدایاهم يوم عائشة ، قالت عائشة : فاجتمع صواحي إلى "أم سلمة" فقلن : يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَّهِنُونَ بِهِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ ، وَأَنَا نَرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تَرِيدُهُ عَائِشَةَ ، فَمَرِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يَهْدُوَا إِلَيْهِ حِيثِمَا مَا كَانَ أَوْ حِيثِمَا مَادَارَ ، قَالَتْ : فَذَكَرْتَ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ "ص" قَالَتْ : فَأَعْرَضْ عَنِي ، فَلَمَّا

		<p>عاد إلى ذكرت له ذلك فأعرض عني ، ولا عاد في الثالثة ذكرت له ، فقال : " يا أم سلمة لا تؤذني في عائشة ، فانه و الله ما نزل الوحي على وأنا في حِجَافٍ امرأة مِنْكُنْ غَيْرَهَا</p>
220	أبو موسى الأشعري	<p>عن أبي موسى الأشعري بعد عرض الجدل الذي كان قائماً بين عمر و أسماء بنت عميس رضي الله عنهما ... فلما جاء النبي "ص" قال : يا نبئ الله إنّ عمراً قال كذا وكذا ، قال : "فما قُلْتَ له ؟ قال : قلت له كذا وكذا ، قال ليس بأحق بي منكم ، فله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكنكم أنتم - أهل السفينة - هجرتـان</p>
220	أبو طلحة رضي الله عنه	<p>يرويه أبو طلحة رضي الله عنه في شأن قذف أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طوي من أطواء بدر ، خبيث مُخَبَّث ... حتى قام على شفَّة "الرَّكَّي" فجعل يناديهم بأسمائهم : "يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ..." وقال ابن حجر : "فنادى يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام .....". ، أَيَسْرُوكُمْ أَنْكُمْ أطعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبِّنَا حَقًا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْكُمْ رَبُّكُمْ حَقًا ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيده لَأَتُمْ أَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ( ردًا على عمر حين استغرب حديث رسول الله إلى الموتى ) ... قال قتادة : أَخْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ (الرسول) توبينًا وتتصغيرًا ونِفْمَةً و حَسْرَةً وَنَدَمًا</p>
259	أنس بن مالك رضي الله عنه	<p>عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرَّ النبي "ص" بامرأةٍ تبكي عند قبره ، فقال : "اتقي الله واصبرِي" ، قالت : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، ولم تعرفه ، فقيل لها : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ "ص" فلم تجدْ عنده بَوَّابِينَ ، فقالت : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فقال : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .</p>
260	عبد الله بن عمر	<p>عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بَعَثَ النَّبِيِّ "ص" بعثاً ، وأمَرَّ عليهم أساميَّة بن زيدٍ فَطَعَنَ بعضاً من الناس في إمارته ، فقال النبي "ص" : إِنْ تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إماراة أبيه من قبل ، وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيقاً لِلإِمَارَةِ ، وَأَنْ كَانَ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ هَذَا مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ</p>
262	أبو هريرة	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ص" قال : "سبعة يُظلّهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله : إمامٌ عادل ، وشافعٌ نشأ في عبادة الله ، و رجلٌ قلبُه مُعلِّقٌ في المساجد ، و رجلان تحابا في الله اجتَمَعاً عليه و تفرقاً عليه ، و رجلٌ دعَّنهُ امرأة ذات منصب و جمال فقال : إني أحافُّ الله ، و رجلٌ تصدق بصدقٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمائله ما تُتفق يمينه ، و رجلٌ ذَكَرَ الله حالياً</p>

ففاضت عيناه

263	معاذ بن جبل	عن معاذ رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدني من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم، و إنَّه لِيسِيرٌ على من يسِّرَ الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، و تقيم الصلاة، و تُؤْتِي الزكَاة، و تصوم رمضان و تحجَّجُ البيت، ثم قال: ألا أذْلُك على أبوابِ الخير؟ الصَّومُ حُجَّةٌ، و الصَّدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئ الماءُ النَّارَ، و صلاةُ الرَّاحلَ في جوفِ الليل... ثم تلا قوله تعالى: "تجافي حنوهم... يعلمون"، ثم قال: ألا أُخْبِرُك برأِيِّ الأمرِ، و عموده و ذروة سنَامِه؟ قلتُ بلى، يا رسول الله، قال: رأسُ الأمرِ الإسلامُ، و عمودُه الصلاةُ و ذروة سنَامِه الجهادُ
267	أبو موسى الأشعري	عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مثُلٌ مُّبَعَّثِي الله بِهِ مِنَ الْمُدَى وَالْعِلْمُ، كَمَثِيلِ الْعَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبَّلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشَبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتِ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوَا وَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ الْمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثُلٌ مِّنْ فَقِيهٍ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَعْمَةٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعْلِمَ وَعْلَمَ، وَمَثُلٌ مِّنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذِلِّكَ رَأْسًا، وَمَمْ يَقْبَلَ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ
269	أبو موسى الأشعري	مَثُلِي وَمَثُلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثِيلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: "يَا قَوْمَ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنِيْشَ بِعَيْنِي، وَأَنَا الْأَنْذِيرُ الْعَرَبِيُّ" فَالْجَنَّاءُ الْجَنَّاءُ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ (أَطَاعَهُ) فَأَدْبَجُوا عَلَى مَهْلِكِهِمْ فَنَجَّوْ، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحُوكُمْ الْجَنِيْشُ فَاجْتَاحُوكُمْ" (طرف الحديث في البخاري: فذلك مثل من أطاعني فاتَّبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذبَ ما جئتُ به من الحق).
271	عبد الله بن عمر	"صُمْ صُومْ نَبِيُّ اللَّهِ ذَاوُود ... كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفْرُ إِذَا لَاقَى"
272	لعم بن الخطاب	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: "حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَيِّلِ اللَّهِ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرْدَثُ أَنْ أَشْرِيْهُ، وَظَنَّتُ أَنَّهُ بِأَعْيُهُ بِرُّخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "لَا تَشْرِرِهِ، وَلَا تَعْدُ فِي صَدَقَتِكَ" وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَبَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ يَعْوُدُ فِي قَبَيْهِ"
273	الرسول ص	اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُحِيدٌ

277	أبو شریح	قوله "ص" عن أبي شریح أنَّ النَّبِيَّ "ص" قال: "وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ... قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قال : الذي لا يؤمن حاره بواقيه
278	أبو هريرة	. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا أَذْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُوا اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمِكَارِيَةِ وَكَثْرَةُ الْخُطَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَإِنْتَظَارُ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ
279	عبد الرحمن بن أبي بكر	عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي "ص" ألا أَتُشْكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا". قالوا: بلى يا رسول الله فقال: الإشراك بالله، وعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ..، - وجلس وكان متوكلاً - : فقال : أَلَا وَقُولَ الزُّورِ؛ فما زال يُكَرِّرُهَا حتى قُلَّا: لَيْتَهُ سَكَّ
280	إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة	. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارَ بِالْمَدِينَةِ مَالًّا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ "بَيْرُحَاءَ" ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةُ الْمَسْجَدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ "ص" يَدْخُلُهَا، وَيُشَرِّبُ مِنْ مَاءِ فِيهَا طِيبٌ، قَالَ أَنَسُ: فَلَمَّا نَزَّلَتِ الْآيَةَ: (لَنْ تَنالُوا الْبَرَ حَتَّى تَنفَقُوا مَا تَحْبَونَ) ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَيْهِ النَّبِيَّ "ص" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: (لَنْ تَنالُوا الْبَرَ حَتَّى تَنفَقُوا مَا تَحْبَونَ) وَأَنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ "بَيْرُحَاءُ" ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَبِّهَا وَذُخْرَهَا عَنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ أَرَأَكَ اللَّهُ، قَالَ : قَالَ الرَّسُولُ "ص" "بَنِخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِّخٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِّخٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلُهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ
281	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رَجُلٌ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ "ص" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْحُسْنَى صَحَابَتِي ؟ قَالَ: أُمِّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ ، قَالَ: أُمِّكَ ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: أُمِّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ . قَالَ: أَبُوكَ..
282	الرسول ص	:..... لا تقاطعوا ، لا تدابروا ، لا تبغضوا ، لا تحسدوا وكونوا عباد الله إخواننا
282	الرسول ص	لا تحسدوا ، لا تناجشو ولا تبغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يسع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواننا
282	أبو هريرة	المسلم أخو المسلم لا يضله ، ولا يمحقره ، ولا يخذله ، التقوى ها هنا – يُشير إلى صدره "ص" ثلاثة مرات –، بحسب أمريء من الشر أن يمحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، ماله ، عرضه ....

282	أبو موسى الأشعري	عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، ، وَإِمَّا أَنْ تَبْنَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا حَبِيشَةً.".
283	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ "ص" قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعَبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكًا يَنْزِلُهُ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : "اللَّهُمَّ اعْطِهِمْ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ اعْطِهِمْ مُمْسِكًا تَلَقَّا
288	جابر بن عبد الله	عن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ الرَّسُولُ "ص": مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ النَّارَ وَجَعَلَ الْجَنَادِبَ وَالْفَرَاشَ يَقْعُنُ فِيهَا ، وَهُوَ يَدْبُهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذُ بَحْجِزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفْلِتُونَ مِنْ يَدِي
290	عبد الله بن مسعود	عن عبد الله بن مسعود "...لَهُ أَشَدُ فَرَحًا بِتَبَوَّةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مِنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعْنَى رَاحْلَتِهِ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَهُ، فَاسْتَيْعَطَ وَقْدٌ ذَهَبَتْ رَاحْلَتُهُ، ثُمَّ اشْتَدَ عَلَيْهِ الْحُرُّ وَالْعَطْشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، إِذَا رَاحْلَتُهُ عَنْهُ... فَأَخَذَ بِحُطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ
290	الرسول ص	يا أَيُّهَا النَّاسُ مُرَاوِيْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَحِيْبُ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَعْفُرُ لَكُمْ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَا يَقْرِبُ أَجَالًا، وَإِنَّ الْأَخْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى لَمَا تَرْكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لِعَنْهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ وَعَمَّهُمُ الْبَلَاءُ
292	أبو مسعود عقبة	عن أبي مسعود عقبة قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ مَمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِيْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"
292	المقدم بن عمر	عن المقدم رضي الله عنه: عن الرَّسُولِ "ص" قَالَ: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلْ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاؤُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ
293	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ "ص" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلْدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبْلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟، قَالَ: حُمُرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنِّي ذَلِك؟ قَالَ: لَعْلَهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعْلَهُ أَبْنَكَ هَذَا نَرْعَةً

294	أبو هريرة رضي الله عنه	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ص" :إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَرَبَّ إِلَيَّ بِالْتَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْسِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَادَنِي لِأَعِيَّدَنَّهُ</p>
295	الرسول ص	<p>الحمد لله أَحَمَّهُ وَأَسْتَعِينَهُ، وَأَوْمَنَ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللَّهُ لَتَمُوْذُنَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتَبْعَثُنَ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسِبُنَ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّهَا الْجَنَّةُ أَبَدًا أَوِ النَّارُ أَبَدًا.</p>
298	أبو سعيد الخذري	<p>عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أَنَّ رسول الله "ص" قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا فَبَدَأَ بِإِحْدَاهُمَا ثُمَّ ثَنَى بِالْأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِيَ الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَّتَ عَنْهُ النَّبِيُّ "ص" (قَلَّنَا: يُوحَى إِلَيْهِ)، وَسَكَّتَ النَّاسُ كَانُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، ثُمَّ أَسْأَلَهُ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ الرُّحْضَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ أَنِّي، أَوْ نَحْيُرُ هُوَ - ثَلَاثَةً - إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَأَنَّهُ كُلُّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكْلَهُ الْحَاضِرُ كَلَّمَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَنَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ، وَأَنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةُ حُلْوَةٍ، وَرَغْمَ صَاحِبِ الْمُسْلِمِ لَمْ أَخْدُهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْأَكْلِ الَّذِي لَا يَشْبُعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ</p>
299	أبو سعيد الخذري	<p>عن أبي سعيد الخذري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ قَائِلًا: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَدْ بَلَغْنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَعَانِيمِ الَّتِي أَتَرْتُ بِهَا أَنَّا سَا أَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَمَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالإِيمَانِ، وَحَصَّكُمْ بِالْحَسَنِ الْأَسْمَاءِ، أَنْصَارَ اللَّهِ، وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ... وَلَوْلَا الْمِحْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرَعًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًّا وَسَلَكْتُمْ وَادِيًّا لَسَلَكْتُ وَادِيًّا كُمْ، أَفَلَا تَرَضَوْنَ أَنْ يَدْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ "ص" إِلَى رِحَالِكُمْ .... ثُمَّ قَالَ: أَجِيَّوْنِي فِيمَا قُلْتُ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَدْنَا فِي ظُلْمَةٍ فَأَنْجَرْخَنَا اللَّهُ بِكَ إِلَى النُّورِ، وَجَدْنَا عَلَى شَفَاعَةِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَدَنَا اللَّهُ بِكَ، وَجَدْنَا ضُلَّالًا فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ، وَقَدْ رَضِيَّنَا بِاللَّهِ رَبِّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَاصْنَعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا</p>

		<p>شِئْتَ .... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص" : وَاللَّهِ لَوْ أَجْبَثْتُمُونِي بِعَيْرٍ هَذَا الْقَوْلِ لَقُلْتُ صَدَقْتُمْ؛ لَوْ قُلْتُمْ : أَمْ تَأْتِنَا طَرِيدًا فَأَوْتِنَاكَ، وَمُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْدُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَقَبِلْنَا مَا رَدَ النَّاسُ عَلَيْكَ...، لَوْ قُلْتُمْ هَذَا صَدَقْتُمْ ، فَقَالَتِ الْأَصْاصُرُ: بَلْ لَهُ وَرَسُولُهُ الْمُنْ، وَلِرَسُولِهِ الْمُنْ وَالْقَضْلُ عَلَيْنَا وَعَلَى عَيْرِنَا ، ثُمَّ بَكَوْا فَكَثُرَ بُكَاؤُهُمْ، وَبَكَى النَّبِيٌّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ.</p>
--	--	---

## 3/ فهرس الآيات الشعرية الواردة في البحث :

صفحة وروده	صاحبها	البيت الشعري
12	عمر بن أبي ربيعة	بِسْبَعِ رَمِينَ الْحَجَرِ أَمْ يَتَمَانِ؟
12	الكميت الأسدية	طَرِبْتُ وَمَا شَوَّقًا إِلَيِّي أَطْرُبُ
12	عدي بن زيد	أَنْتَ الْمَبْرُرُ الْمُفْوَرُ؟
13	/	لَا هُمْ هُمْ وَلَا التَّسْهِيدُ تَسْهِيدُ
13	حافظ إبراهيم	خَلَمْ عَلَى جَبَابِاتِ الشَّامِ أَمْ عِيدٌ مَنِ الدَّوَاعِي إِذَا مَا عَلَةُ عَرَضَتْ؟
14	الفرزدق	إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
15	حافظ إبراهيم	مَتَّنِي نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ خَرَائِثُهُ كَنْزًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَنْزًا مِنَ الذَّهَبِ؟
15	/	أَنَا ابْنُ جَلَّ وَ طَلَاعِ التَّنَابِيَا
16	الفرزدق	تَنَظَّرْتُ نَصْرًا وَالسُّمَاكِينَ أَيُّهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْعَيْتِ اسْتَهَلَتْ مَوَاطِرُهُ
18	امرئ القيس	أَفَاطُمْ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِيلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي
18	امرئ القيس	تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْعَيْبِطُ بِنَا مَعًا عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَئَ الْقِيسِ فَأَنْزِلِ
19	/	أَمْ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدَ فِي رَوْقَقِ الضَّحْكِ بُكَاءَ حَمَامَاتِ هَنَّ هَدِيرُ
19	ابن مالك	وَلِلْمَنَادِي النَّاءُ أَوْ كَالنَّاءُ "يَا" وَأَيْ "أَيْ" وَ "أَيْ" ، كَذَا "أَيَا" "ثُمَّ هِيَا". أَوْ "يَا" وَغَيْرُ "وَا" لَدِي الْلِّبَسِ اجْتَنَبَ
20	ابن مالك	وَابِنِ "الْمَعْرَفَ" الْمَنَادِي "الْمَفْرَد"
20	ابن مالك	عَلَى الْذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عَهِدَا انْصَبْ ، عَادِمًا خَلْفًا
22	مروان بن الحكم	وَالْمَفْرَدُ الْمَنَادِي "الْمَفْرَدُ" وَدَعَ "الْمَدِينَةَ إِنَّهَا مَرْهُوبَةَ نَكْرَاءُ مُثْلِ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمِسِ "الْقِيقِ" الصَّحِيفَةِ يَا فَرِزْدَقْ إِنَّهَا

23	أبو تمام	فَلَيْسَ لِعَنِّيْمٍ لَمْ يَقْضِ مَا وَهَا عَذْرٌ	كذا فَلِيَحْلِ الْحَطْبُ وَلِيَقْدَحِ الْأَمْرُ
23	قطري بن الفجاءة	فَمَا نَيْلُ الْخَلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ.	فَصَبَرًا فِي بَحَالِ الْمَوْتِ صَبَرًا
23	/	صَبَرْ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلٍ.	يَشْكُو إِلَى جَمِيلٍ طُولَ السُّرَى
24	/	زَمَامَهُ النَّفْسُ عَاشَ الدَّهْرَ مَذْمُومًا	عَلَيْكَ نَفْسَكَ هَذِبْهَا فَمِنْ مَلَكَ
27	جرير	لَا يَلْقَيْنَكُمْ فِي سَوَّاًهُ عُمَرٍ	يَا تِيمُ، تِيمُ عُدَى لَا أَبَا لَكُمْ
36	أبو طالب	ثَمَالُ الْيَتَامَى عَصْمَةً لِلأَرَاملِ	وَابِضُّ يُسْتَسْقِي الْعَمَامُ بِوْجَهِهِ
98	/	وَنَارٌ تُوقَدُ بِاللَّيلِ نَارًا	أَكَلَ امْرَئٌ تَحْسَبِينَ أَمْرًا
101	/	وَلَوْ تَعَرِّبْتُ عَنْهَا أَمْ عَمَارٍ	إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوَرْقُ هَيْخَبِي
103	/	أَبَعَلَيِ هَذَا بِالرَّجْحِي الْمَتَقَاعِسِ	تَقُولُ - وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا -
113	/	بِسَقْطِ الْلَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ	فِقَا نَبَكٍ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
125	/	كَالْنَوْمِ لِيَسَ لَهُ مَأْوَى سَوَى الْمَقْلِ	لَا يَنْزَلُ الْمَحْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا
143	/	وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوَكُورِ الْمَطَاعِمُ	تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلَ الْوَكُورَ عَلَى الْذَرِي
144	المتنبي	وَكَلَّ مَكَانٍ يُبَيِّنُ الْعَزِّ طَبِ	وَكَلَّ امْرَئٌ يُبُولِي الْحَمِيلَ مُحَبِّبٌ
		حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ	لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
144	أبو العلاء المعرى	مَثَلُ الذِّي يَبْقِيْنَ الْحَقَّ يُكَيِّنِي فَمَا تَرَكُوا مَدِيَ الدَّهْرِ الْفَرُوعُ حَذَارًا مِنْ أَحَادِيثِ الرَّفَاقِ	إِنَّ الَّذِي يَمْقَالُ الزَّورَ يُضْحِكُنِي إِذَا مَا أَأْصَلَ أَلْفَ غَيْرَ زَالِكَ وَقَدْ يَغْشَى الْفَقِيْلُ لُجْنَ الْمَنَيا
179	/	وَلَا تَصْدَقَنَا وَلَا صَلَّيْنَا وَثَبَتَ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَنَا	اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدِينَا فَاغْفِرْ فَدَاءَ لَكَ مَا اتَقَبَّلْنَا
196	المتنبي	فَأَنْتَ الَّذِي صَبَرْتُمْ لِي حُسَنَدًا	أَزِلْ حَسَدَ الْحَسَنَادَ عَيْ بِكَتِّهِمْ
204	/	وَهَاتُوا كَمِيًّا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ	أَرَوْنِي بِخِيَالًا طَالَ عُمَرًا بِيُخْلِهِ

#### 4/ قائمة المصادر و المراجع المعتمدة في البحث :

01 . **القرآن الكريم** ،برواية حفص بن سليمان عن عاصم بن أبي النجود،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .

02 . **المصادر** : صحيح البخاري :أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ضبطه ورقمه ،وذكر تكرار مواضعه ،وشرح ألفاظه وحمله ، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه الدكتور مصطفى ديب البغا ،موفم للنشر ،دار المدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة الجزائر 1992.

#### 03 . المراجع :

1. إبراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية ،دار شرقيات للنشر و التوزيع ،القاهرة ط1/2000.
2. إبراهيم مصطفى ،إحياء النحو ،مطبعة النهضة ،مصر ط1، 1955.
3. الإبراهيمي خولة طالب ،مبادئ في اللسانيات ،دار القصبة للنشر الجزائر ط1/2000.
4. ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ،تحقيق: أحمد الحوفي مصر 1960.
5. أحمد محمد قدور ،مبادئ اللسانيات ،دار الفكر دمشق 1419هـ.
6. أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ،عالم الكتب القاهرة ط4/1993.
7. الأصفهاني الراغب ،المفردات في غريب القرآن ، منشورات دار الفكر العربي د ت
8. أعراب حبيب ،الحجاج و الاستدلال الحجاجي ،عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب الحجاج مضمونه و مجالاته إعداد حافظ إسماعيل علوى عالم الكتب الحديث الأردن 2001.
9. الآمدي علي بن محمد ،الإحكام في أصول الأحكام ،دار الحديث القاهرة ط1/1404هـ.

## الفهارس العامة :

10. آن روبيول، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس ، دار الطليعة بيروت ط 1/2003.
11. الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحوين و البلاغيين ، بيت الحكمة بغداد، 1988.
12. آيت أوشان علي ، السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ط 1/2000.
13. الباجي أبوالوليد ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تتح: عبد الحميد تركي دار المغرب الإسلامي لبنان ط 3/2000.
14. الباقياني أبو بكر ، إعجاز القرآن ، تحقيق: السيد صقر ، دار المعارف ط 5 د.ت.
15. بالطاهر عيسى ، أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، الدار البيضاء ط 1/2000.
16. بحيري سعيد حسن ، علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية العالمية للنشر ط 1/1997.
17. بركة بسام ، علم الأصوات العام (أصوات العربية) ، مركز الإنماء القومي ، بيروت د.ط.
18. بسيوني عبد الفتاح ، بلاغة تطبيقية ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ط 1/2010.
19. بشر كمال ، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف ، مصر ط 2/1971.  
- علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط 3/1997.
20. أبوبكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، دار الفكر ، ط 2/1976.
21. بلخير عمر ، التناول التداولي للخطاب الأدبي ، مجلة القصة ، ع 2/1999.  
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التوليدية منشورات الاختلاف ، ط 1/2003.
22. بليق عز الدين ، منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء و المرسلين ، دار الفتح بيروت 1981.
23. بوحادي خليفة ، في اللسانيات التداولية ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ط 1/2009.
24. بوقة نعمان ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ط 1/2009.
25. بيار آشار ، سوسيولوجيا اللغة ، تحقيق: عبد الوهاب تزو ، منشورات عويدات بيروت لبنان 1955.
26. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ط 1/1999.
27. التفتازاني سعد الدين ، المختصر على تلخيص المفتاح ، البافاني الحلبي ، مصر د.ت ، د، ط.
28. قمام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي ، عالم الكتب القاهرة ، ط 1/2000.  
- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، ط 2/2000.  
- اللغة بين المعيارية و الوصفية ، عالم الكتب ، القاهرة ط 1/2001.

- مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة د.ط. 1959.
- اللغة العربية معناها و مبناتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 2 / 1972
- .29. التويجي محمد ، راجي الأسم ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 / 1993.
- .30. ثوبني حيد ادم ، البلاغة العربية المفهوم و التطبيق ، دار المناهج للنشر ، عمان الأردن ط 1 / 2007.
- .31. الجاحظ أبو عثمان ، البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجليل 1990.
- .32. جحفة عبد المجيد ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر ، المغرب 1999.
- .33. الجرجاني الشريف علي بن محمد ، الإشارات و التنبيهات في علم البلاغة تعليق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 / 2000.
- .34. الجرجاني الشريف علي بن محمد ، كتاب التعريفات تح عبد الرحمن عميرة عالم الكتب بيروت ط 1 .1987
- .35. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر مكتبة الخانفي القاهرة ط 5 .2004/
- أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدى جداً د.ت.
- .36. جميل عبد الحميد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط 1 / 2000.
- .37. ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ط 4 / 1999.
- .38. جون أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف نجز الأشياء بالكلمات ترجمة: عبد القادر قنيري ، إفريقيا الشرق د.ط. 1991.
- .39. جون ليوتر ، اللغة و المعنى و السياق ، ترجمة: عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط 1 / 87.
- .40. الجويبي ، البرهان في أصول الفقه ، تحقيق عبد العظيم محمود ، دار الوفاء مصر ، ط 4 / 1418 هـ.
- .41. جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة: محمد يحياتن دم ج 1992.
- .42. الحباشة صابر ، التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ، دمشق سوريا ط 1 / 2008.
- .43. حبلص محمد يوسف ، البحث الدلالي عند الأصوليين ، مكتبة عالم الكتب ، القاهرة ط 1 / 1991.
- .44. حسن جمعة ، جماليات الخبر و الإنشاء دراسة جمالية نقدية منشورات اتحاد العرب دمشق 2005.
- .45. الحسيني أبو البقاء أيوب بن موسى الكليات ، مكتبة البولاق ط 1 1281 هـ.
- .46. حلمي خليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية ط 2 / 1998.

## الفهارس العامة : .....

47. الحمازوي محمد أبو العلا ، الخصائص البلاغية للبيان النبوى ، مكتبة الرشد 2007.
48. الحنبلي ابن رجب ، جامع العلوم ، تصحيف صلاح عريضة دار المنار القاهرة .
49. حيدر فريد عوض ، سياق الحال في الدرس الدلالي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1998.
50. ابن الحشاب ، المدخل ، تحقيق: علي حيدر دمشق 1972.
51. خطابي محمد ، لسانيات النص مدخل الى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، المركز الثقافي العربي المغرب ط 1/1991.
52. الخطيب عبد الكريم ، إعجاز القرآن ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط 1/د،ت.
53. الخطيب محمد عجاج ، أصول الحديث علومه و مصطلحاته ، دار الفكر للطباعة و النشر ط 4 1981 -الوجيز في علوم الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، رغایة الجزائر 1984.
54. خفاجي محمد عبد المنعم ، عبد العزيز شرف الدين ، نحو بلاغة جديدة ، مكتبة غريب القاهرة .
55. خلاف عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، ط 3 د،ت.
56. ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ، تحقيق محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي بيروت 2005.
57. خلية البحث التربوي ، الحاج في درس الفلسفة ، إفريقيا الشرق المغرب ط 1/2006.
58. خليل عبد المنعم ، السياق بين القدامي و المحدثين ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية 2007.
59. الخولي محمد علي ، معجم اللغة النظري ، مكتبة لبنان بيروت ط 1/1982.
60. درويش الجندي ، علم المعانى ، مطبعة نهضة مصر د.ت.
61. ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مؤسسة الحلبي للنشر و التوزيع ، د.ط..
62. دريدي سامية ، الحاج في الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديث ، اربد لبنان ط 1/2008.
63. دفة بلقاسم بنية الجملة الطلبية ودلائلها في السور المدنية ، دار المدى للطباعة و النشر ، الجزائر ط 1/2008.
64. الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 2009. -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، 2008
65. الزجاجي أبو القاسم ، حروف المعانى ، تحقيق: علي الحمد ، مؤسسة الرسالة 1984.
66. الزركشي برهان الدين ، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة بيروت ، ط 2 1972.
67. الزمخشري جار الله ، أساس البلاغة ، تصحيف محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت 1998. -الكشف عن حقائق التنزيل ، مطبعة البولاق مصر 1281 هجرية .

68. الزناد الأزهري ، دروس في البلاغة العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت ط 1/1992.
69. الزنكي نجم الدين كريم ، نظرية السياق ، دراسة أصولية ، دار الكتب العلمية 2006.
70. زوين علي ، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986.
71. ساسي عمار ، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، عالم الكتب الأردن د ط / 2007.
72. السبعاوي طه أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1/2001.
73. ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : كمال بشر مكتب الشهاب ط 1/1986.
74. ابن السراج أبو بكر محمد ، الأصول في النحو ، تتح : الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان النجف 1973.
75. السعراي محمد ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي القاهرة ط 2/1997.
76. سعودي التواري أبو زيد) ، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراءات ، بيت الحكمة ط 1/2009.
77. السّكاكِي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، تح عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 2/2011.
78. سيبويه)، الكتاب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت ط 1. / 1988 .
79. السيوطى جلال الدين ، هموم الهوامع ، تح : عبد العال سالم مكرم ، بيروت ط 2/1987.
80. شاهر الحسن ، علم الدلالة السماتيكية و البراغماتية في اللغة العربية ، دار الفكر ، عمان ط 1/2001.
81. الشاوش محمد ، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة الوطنية للتوزيع ، بيروت ط 1/2001.
82. ابن الشجري ضياء الدين ، الأمالي الشجرية ، دار المعرفة بيروت دت.
83. الشهاوى محمد مجدى ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتبة التوفيقية ، د،ت.
84. الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد بيروت 2004.
85. الشوكاني محمد بن علي ، إرشاد الفحول الى تحقيق علم الأصول ، تحقيق محمد سعيد البدرى ، دار الفكر بيروت ط 1/1992.
86. الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ، مكتبة رحاب الجزائر ط 2/1986.

87. الصبان محمد بن علي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، دار إحياء التراث العربي القاهرة.د.ت.
88. صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة للطباعة و النشر ط1/2005.
89. الصراف علي محمد ، الأفعال الانجazية في العربية المعاصرة ، دراسة دلالية ومعجم سياقي ، مكتبة الآداب القاهرة ط1/2010.
90. صلاح إسماعيل ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة لبنان ، ط1/1993.
91. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، دار الكتاب المصري القاهرة ط 1 / 2004.
92. صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي بيروت ط2/2007.  
- الحجاج أطروه ومنطلقاته من خلال تصنيف في الحجاج (الخطابة الجديدة) د.ت.
93. طاهر سليمان بن حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة الإسكندرية 1983.
94. طروس محمد ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، دار النشر للثقافة ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، المغرب ط 1 / 2005
95. طه سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة الإسكندرية 1983.
96. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط2/2000.  
- تبديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، المغرب 1993.
97. العامر نجيب ، من أساليب الرسول في التربية ، مكتبة البشرى الإسلامية ، ط1/1410هـ.
98. عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف مصر ط3 د.ت .
99. عبد الفتاح أحمد يوسف ، قراءة النص وسؤال الثقافة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع عمان 1999.
100. عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان ط1/2002.
101. عتيق عبد العزيز ، علم المعاني البيان البديع ، دار النهضة للطباعة والنشر 1970 .
102. عرفه عبد العزيز عبد المعطي ، من بلاغة النظم العربي ، عالم الكتب ، بيروت ط2/1984.
103. العزاوي أبو بكر ، اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ط 1 / 2006.  
- لا تواصل من غير حجاج ، ولا حجاج من غير تواصل ، بيان اليوم ، المغرب 2006.

104. عزت علي ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، القاهرة ، د.ط. 1996.
105. العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري على شرح صحيح البخاري ، دار الحديث القاهرة 1998.
106. العسكري أبو هلال ،كتاب الصناعتين ، تحقيق علي محمد البحاوي ،المكتبة العصرية 1986.
107. الفروق في اللغة ،مكتبة القدس ،القاهرة . د. ت . عشير عبد السلام ،عندما نتواصل نغير،مقاربة تداولية لآليات التواصل و الحجاج ،إفريقيا الشرق المغرب 2007
108. العشيري محمد بن مسلم ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ط 1 1989.
109. عصفور جابر ،الصورة الفنية في التراث النصدي و البلاغي عند العرب ،المركز الثقافي لبنان ط 3/1993.
110. العقاد عباس محمود ،عقربة محمد ص ،دار الكتاب العربي ط 1 1971.
111. ابن عقيل بهاء الدين ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،دار إحياء التراث ،القاهرة ط 2. / 1980.
112. العلوي يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، مراجعة: محمد عبد السلام هارون ،دار الكتب العلمية بيروت ط 1415 هـ .
113. عمairyia خليل أحمد ، في نحو اللغة و تراكيبيها ، دار المعرفة جدة ط 1/ 1984.
114. عوض حيدر فريد ، سياق الحال في الدرس الدلالي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1998.
115. عون نسيم ، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي بيروت ط 1/ 2005.
116. ابن فارس، الصتاحي في فقه اللغة، تح: مصطفى الشويعي، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت 1964.
117. فان ديك ، علم النص ،مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحري ، القاهرة ، مصر ط 1/ 2001 - معجم مقاييس اللغة ،تحقيق: عبد السلام هارون ،دار الجيل ،بيروت ط 1/ 1991 .
118. أبوالفتوح محمد أحمد ،المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ،دار النهضة العربية ط 1/ 1996.
119. فرانسوا مورو ،البلاغة مدخل الصور البيانية ،إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 2003.
120. أبو الفرج محمد أحمد ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ،دار النهضة العربية ط 1/ 1996.

121. فرديناند دو سوسير، علم اللغة العام ،ترجمة بونيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة و النشر العراق 1988.
122. فرنسواز ارمينيكو ،المقاربة التداولية ، ترجمة سعد علوش ،مركز الانماء القومي ،الرباط 1986.
123. الفقي صبحي إبراهيم ،علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دار الحكمة .د.ت.
124. فندرائيس ، اللغة ،ترجمة عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص ، القاهرة 1950.
125. الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ،مؤسسة الرسالة دمشق سوريا د ت .
126. فيود بسيوني عبد الفتاح،بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،القاهرة ط1/2010.
127. الفيومي أحمد بن محمد علي،المصباح المنير ،تح يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت ط1 1999
128. القاسمي محمد جمال الدين ، قواعد التحديد من فنون مصطلح الحديث ،دار الكتب العلمية 1332هـ.
129. ابن قتيبة ،تأويل مشكل القرآن ،شرح احمد صقر ط2/1973.
130. القرضاوي يوسف ،خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ط1/2004.
131. القرطاجني حازم أبو الحسن ،منهاج البلغاء ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ط2/1981.
132. القرطي أبو العباس ،المفہم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ،تحقيق محمد محی الدین ،دار ابن کثیر دمشق ط2/1420هـ
133. القزوینی ،الإيضاح في علوم البلاغة تح محمد محی الدین عبد الحمید مطبعة السنة المحمدیة ،
134. قطی الطاھر،بحوث في اللغة(الاستفهام النحوی)، د،م،ج،ابن عکنون الجزائر جویلیة 1994.
135. قطی سید ،التصویر الفنی في القرآن ،دار الشروق ،بيروت لبنان د ت .
136. القيرواني أبو علي بن رشيق ،العمدة ،شرح وضبط عفیف نایف فاطوم ، دار صادر بيروت ط1 2003/
137. الكاتبی نجم الدین ،الرسالة الشمسية مطبعة الحلبي القاهرة ،ط2/1957.
138. ابن کثیر ،تفسیر ابن کثیر،ضبطه،وخرج آیاته: محمود عبد الكريم الدمشقی ،دار صبح بيروت ط4 2007/
139. کریم زکی حسام الدین ،أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ،القاهرة ،ط3/2001.

140. لاشين عبد الفتاح ، المعاني في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف مصر ط 1/1976.
141. لالاند اندرية ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعریب خلیل احمد خلیل ، منشورات عویدات بيروت ط 2/2001.
142. ابن مالک بن محمد بن عبد الله الأندلسی ، ألفیة بن مالک ، المكتبة الشعبیة بيروت 2011.
143. المبارکفوری صفي الرحمن ، الرحیق المختوم ، دار الكتاب الحدیث .
144. المتوكل احمد ، اللسانیات الوظیفیة مدخل نظری ، منشورات عکاظ الرباط 1987.
- الوظائف التداولیة في اللغة العربیة ، دار الثقافة للنشر و التوزیع المغرب ط 1/1985.
145. مجمع اللغة العربیة ، المعجم الوسيط ، القاهرة ط 1 / 1998.
146. محمد أبو موسى ، دلالة التراکیب ، مکتبة وهبة القاهرة ط 2 / 1408 هجریة .
147. محمد الطاهر بن عاشور ، التحریر و التنویر ، الدار التونسیة للنشر و التوزیع د ط 1989.
148. محمد العمري ، الخطابة الجدیدة بین التمثیل و التداول إفريقيا الشرک الدار البيضاء ط 1/2005.
- البلاغة العربیة أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرک المغرب د،ت .
- الخطابة الجدیدة بین التمثیل و التداول ، إفريقيا الشرک الدار البيضاء ط 2/2005 .
- في بلاغة الخطاب الاقناعی ، مدخل نظری لدراسة البلاغة العربیة ، دار الثقافة للنشر و التوزیع الدار البيضاء 1998.
149. محمد العید ، اللغة و الإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات القاهرة ط 1 1989.
150. محمد حماسة عبد اللطیف ، النحو و الدلالة ، القاهرة ط 1/1983.
151. محمد سعید أ瑟یر ، بلال جنیدی ، الشامل في علوم اللغة ، دار العودة ، بيروت ط 2 / 1975.
152. محمد شماں حسان ، الصورة و الإقناع ، دار الآفاق العربیة بيروت
153. محمد کمال حسن ، الصورة و الإقناع ، دار الآفاق العربیة بيروت ، ط 1/2006.
154. محمد أحمد يوسف ، معجم التشبيهات النبویة في صحيح البخاری ، دار البيان القاهرة ، 1995.
155. محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتب الجدید بيروت لبنان 2004.
156. المخزومی مهدی ، في النحو العربي نقد و توجیه ، بيروت ط 1/1964.
157. مذکور عاطف ، علم اللغة بين التراث و المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزیع القاهرة 1987.
158. المراغی احمد مصطفی ، علوم البلاغة ، دار الكتب العلمیة ، بيروت لبنان ، ط 4/2007.
159. مرتضی عبد المالک ، نظریة البلاغة ، دار القدس العربي الجزائر ، ط 2/2010.

## الفهارس العامة : .....

160. مسلم بن الحاج ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، 1989.
161. مطلوب أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، المجمع العلمي العراقي 1983.
162. منذر عياش ، اللسانيات و الدلالة(الكلمة) ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ط 1/1996.
163. ابن منظور أحمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنان
164. الموسى نجاد ، نظرية النحو العربي التنظير اللغوي الحديث المؤسسة العربية للدراسات بيروت 1980.
165. مومن أحمد ، اللسانيات ، النشأة و التطور ، دم ج الجزائر ط 1/2008.
166. نخلة أحمد محمود ، أفاق جديدة في البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية مصر 2002.
167. النووي أبو زكريا يحيى ، رياض الصالحين ، تحقيق: عبد العزيز رياح ، دار السلام الرياض ، 1991.
  - صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1 د ت.
168. هارون محمد عبد السلام ، الأساليب الإنسانية في النحو العربي ، مكتبة الخافقى ، مصر ط 2 / 1979.
169. الماشي أحمد ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان تح محمد التونجي مؤسسة المعارف بيروت ط 2006/4.
170. ابن هشام الأنباري ، السيرة النبوية ، دار الحلبي ، ط 2 / 1955.
  - قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار رحاب ، الجزائر.
  - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، د ط ، د ت
  - مغني الليب عن كتب الأغاريب ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا 2007
171. ياسين عبد العزيز ، الأساليب الإنسانية في البلاغة العربية ، مطبعة السعادة ط 1 / 1989.
172. ياقوت أحمد سليمان ، علم اللغة التقابلية ، دراسة تطبيقية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط 1 / 2002.
173. ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت لبنان .

## 5/ فهرس المجلات و الدوريات و الأطارات الجامعية و المصادر الأجنبية :

## أولا : المجلات و الدوريات و الأطارات الجامعية :

1. أميمة بدر الدين ، التكرار في الأحاديث النبوية ، مقال في مجلة جامعة دمشق ، ع 1 / 2010
2. بعيطيش يحيى ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب قسنطينة 2006.
3. بو قرومة حكيمة دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية مجلة الخطاب جامعة تizi وزو ع 3/2003
4. بوبكري راضية خفيف ، التداولية و تحليل الخطاب ، مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب العدد 399 .
5. بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 44 / 2010.
6. بوقرة نعمان ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب جامعة الجزائر، عدد 2006/17
7. ثابتى يمينة ، الحجاج في رسائل ابن عباد ، مجلة الخطاب دار الأمل الجزائر ع 2.2006
8. الجبر خالد عبد الرؤوف ، معالجة المعنى في التراث الفكري ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية الكويت 2000.
9. حشانى عباس ، مصطلح الحجاج بوعاته و تقنياته ، مجلة المخبر جامعة بسكرة(اللغة و الأدب الجزائري ) ع 9/2013
10. حفناوى بعلی ، التداولية البراغماتية الجديدة ، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ع 19 / 2006.
11. الريفي هشام ، الحجاج عند أرسطو ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس، 1992.
12. زرزور عدنان ، البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعی و العقاد ، مجلة مركز البحوث و السيرة ع 5 / 1991.
13. لهوبل باديس ، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة الأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، 2013 .
14. المبخوت شكري، الحجاج في اللغة ، جامعة الآداب و العلوم ، تونس كلية الآداب منوبة .
15. محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، مجلة فصول، الهيئة العربية للكتاب ، العدد 60 / 2002
16. محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند "بيرمان" و تطوره ، بحث في مجلة عالم الفكر، 1998.

17. مرتاض عبد المالك ، مقدمة في نظرية البلاغة ، مجلة جذور ، ع 25 / 2009
18. مسعودي الحواس ، البنية الحجاجية في القرآن الكريم صورة النمل أنموذجًا ، مجلة اللغة و الأدب ، الجزائر ع 14 / 1999.
19. مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيبويه ، مجلة عالم الفكر ، ع 1 / 2005.

. ثانياً : المراجع و القواميس الأجنبية :

٦ - Ahmed elmoutawakel reflexion sur Théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe- faculté de lettres et des sciences humaines de rabat ,these et mémoire n 08,1982,

-Bakhtine : esthetique de la creation verbale : Galinard – paris .1988

-Combridge Advanced learners :Dictionary ,combridge un-press. 2<sup>nd</sup> 2004--

-D. Mang uneau : les termes clés de l'analyse du discours, France, 1996. -

-Ducrot-/jéan claude amxandre, L argumentation dans la longue , Piere - mardaga, editeur 2 ; Bruxelle,

G Mounin, Dictionnaire de la linguistique, 4ème Edition- PUF France, 2004,

-J Grimas, J Courts : sémiotique, Dictionnaire saisonné de la théorie du language,

-J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1993

-Longuan : Dictionary of contemporay english longuen 1989-

-Le grand Robert , Dictionnaire de la longue française: Paris 1989-

Micro Robert : imprime en France par prod and graphique, Ed, paris 1982,

-O. Ducrot. T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique de sciences du langage,

-Petit Larousse : en couleurs, édition paris, 1984,

-Wittgenstein : semantics : theories of meaning in generative grammar . 1988

## 6 / فهرس الموضوعات :

الإهداء ..
شكر وعرفان.
المقدمة..... من أ - ط
الفصل الأول: تمهيدي مفاهيمي..... من 1 - 59
المبحث الأول : جملة الطلب في الدرس النحوى..... 3
1-مفهوم الإنشاء الطلبي..... 4
أ/ الإنشاء في اللغة..... 5
ب/ الإنشاء في الاصطلاح..... 6
2-أنماط الجملة الطلبية..... 10
1-أسلوب الاستفهام بين اللغة و الاصطلاح..... 10
1-القسم الأول : الاستفهام الحقيقى..... 11
أ/ أدوات الاستفهام..... 11
ب/ حروف الاستفهام..... 12
ج/ أسماء الاستفهام..... 13
2-القسم الثاني الاستفهام المجازي..... 16
2-أسلوب النداء..... 17
1-النداء بين اللغة و الاصطلاح..... 17
2-أدوات النداء..... 17
3-أحكام المنادى..... 19
أ/ المنادى المفرد..... 19
ب/ المنادى المضاف..... 20
ج/ المنادى الشبيه بالمضاد..... 20
2-أسلوب الأمر..... 21

21.....	1-الأمر بين اللغة و الاصطلاح.....
21.....	2-صيغ الأمر.....
21.....	أ/ الأمر بصيغة افعل.....
22 .....	ب/ المضارع المقوون بلام الأمر.....
23.....	ج/ الأمر بصيغة المصدر النائب عن فعله.....
24 .....	د/ الأمر بصيغة أسماء الأفعال.....
25 .....	<b>4-أسلوب النهي.....</b>
25.....	1-النهي بين اللغة و الاصطلاح.....
26.....	2-صيغة النهي : لا تفعل.....
27.....	3-النهي بلفظ الخبر.....
28.....	4-النهي بأسلوب بعض أفعال الأمر.....
28.....	5-صيغة النهي بين الحقيقة و المجاز.....
31.....	<b>المبحث الثاني: البلاغة النبوية بين أسباب التكوين وبلاغة التمكين.....</b>
31.....	<b>1-الحادي ث النبوى بين المفهوم و الأهمية.....</b>
31 .....	أ/ تعريف الحديث لغة.....
32.....	ب/ تعريف الحديث اصطلاحا.....
33.....	2-أسباب بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم.....
35.....	أ/ الشأة و البيئة.....
35.....	ب/ الفطرة النقية و الإعداد الرباني.....
37.....	ج/ نور القرآن و هديه.....
39.....	<b>3-سمات البلاغة النبوية.....</b>
39 .....	أ/ عند المحافظ.....
40.....	ب/ عند مصطفى الصادق الرافعي.....
42.....	ج/ عند عباس محمود العقاد.....
45.....	<b>المبحث الثالث: التداولية بين الشأة و المفهوم.....</b>
45.....	توطئة.....

48.....	<b>1- التداولية بين اللغة و الاصطلاح</b>
49.....	أ/ المفهوم المعجمي للتداولية.....
51.....	ب/ المفهوم الاصطلاحي للتداولية.....
53.....	<b>2- التداولية بين النشأة و التطور.....</b>
55.....	<b>3- التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.....</b>
55.....	أ/ التداولية وعلاقتها بالبنيوية.....
57.....	ب/ التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة.....
56.....	ج/ التداولية وعلاقتها بالأسلوبية.....
57.....	د/ التداولية وعلاقتها بالبلاغة.....
57.....	ه/ التداولية وعلاقتها بال نحو الوظيفي.....
58.....	و/ التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب.....
59.....	ز/ التداولية وعلاقتها باللسانيات النفسية و الاجتماعية.....
<b>الفصل الثاني : السياق التداولي وأثره في عملية التواصل ..... من 60 إلى 132.</b>	
62.....	توطئة.....
64.....	<b>1- السياق بين اللغة و الاصطلاح .....</b>
65.....	أ/ السياق في المعاجم العربية و الغربية.....
67.....	ب/ السياق في المعاجم الغربية.....
68.....	<b>1- قاموس السيميائيات لقرنعاں و کورتیس.....</b>
68.....	<b>2- قاموس لسانیات جون دی بو.....</b>
69.....	<b>3- القاموس اللساني جورج مولان.....</b>
69.....	<b>4- القاموس الموسوعي دیکرو و ترودوروف .....</b>
70.....	<b>5- قاموس المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب مانقو نو .....</b>
71.....	ج/ التعريف الاصطلاحي للسياق.....
73.....	د/ السياق عند الغربيين المحدثين.....

73.....	1- جون فيرث و النظرية السياقية.....
79.....	2-السياق عند أولمان ستيفن.....
82.....	ه/ السياق عند المحدثين العرب.....
85.....	2- أنواع السياق .....
86.....	أ/السياق اللغوي.....
95.....	ب/السياق غير اللغوي.....
95.....	3 - ملامح السياق في التراث العربي القديم.....
95.....	أ/ ملامح السياق عند اللغويين.....
96.....	ب / ملامح السياق عند النحاة .....
105.....	ج / ملامح السياق عند البلاغيين.....
113.....	4-السياق التداولي من خلال الحديث النبوى الشريف.....
113.....	توطئة.....
118.....	1/ تداولية السياق من خلال الحديث النبوى.....
119.....	أ/ السياق و مراعاة التدين.....
122.....	ب/ السياق ومراعاة البيئة.....
125.....	ج/ السياق ومراعاة المكانة و المنزلة.....
127.....	د/ السياق و مراعاة الجنس و العمر.....
132.....	الخلاصة.....
222 – 133.....	الفصل الثالث : الأفعال الكلامية في الحديث النبوى الشريف.....
135.....	مدخل.....
137.....	1-الأفعال الكلامية في التراث اللسانى العربى.....
138.....	2-أقسام الكلام عند القدماء (التمييز بين الخبر و الإنشاء).....
139.....	أ/ المعيار الأول : الصدق و الكذب.....

140	ب/المعيار الثاني: مطابقة نسبة الكلام النسبة الخارجية .....
142	3-تعريف الخبر وأغراضه.....
143	أ/ الخبر الابتدائي.....
144	ب/ الخبر الطابي.....
144	ج/ الخبر الانكاري.....
145	4-الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي.....
146	1-مراحل التأصيل لنظرية أفعال الكلام.....
147	أ/ مرحلة التأسيس و النشأة.....
150	ب/ مرحلة النضج و الضبط المنهجي.....
153	5-البعد التداولي لأفعال الكلام في الحديث النبوى الشريف.....
154	1-الأفعال اللغوية المباشرة الأفعال اللغوية غير المباشرة.....
155	2- دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة.....
156	أ/ جهود العرب القدامى / السكاكي.....
157	ب/ جهود العرب المحدثين / أحمد المتوكل.....
160	3-دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة.....
161	خلاصة.....
163	6-الأفعال الكلامية في الحديث النبوى حسب تصور سيرل.....
163	1-الاخباريات أو التقريريات.....
164	أ/ الخبر الابتدائي.....
166	ب/ الخبر الطابي.....
168	ج/ الخبر الانكاري.....
173	2-الطلبيات أو التوجيهيات.....
173	أ/ الحمولة الانجازية.....

## الفهارس العامة :

174.....	ب/ القوة الانجazية الحرفية.....
174.....	ج/ القوة الانجazية المستلزمة.....
175.....	أولاً: أسلوب الاستفهام.....
177.....	1- الفعل الكلامي المباشر الاستفهام الحقيقى.....
180.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر الاستفهام المجازي.....
183.....	أ/ التقرير.....
183.....	ب/ النفي.....
185.....	ج/ التشویق.....
188.....	د/ الإنكار.....
191.....	ثانياً: أسلوب الأمر.....
192.....	1- الفعل الكلامي المباشر الأمر الحقيقى.....
195.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر الأمر المجازي.....
196.....	أ/ الدعاء.....
199.....	ب/ الإباحة و التخيير.....
201.....	ج/ النصح و الارشاد.....
203.....	د/ التعجيز.....
	/ ه
205.....	التأديب.....
207.....	ثالثاً: أسلوب النهي.....
207.....	1- الفعل الكلامي المباشر النهي الحقيقى.....
209.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر النهي المجازي.....
209.....	أ/ النصح و الارشاد.....
211.....	ب/ الكراهة.....

212	ج/التأنيس.....
213	د/ الإنكار.....
214	رابعاً: أسلوب النداء.....
215	أ / صورة أداء النداء+ المنادي + مضمون النداء.....
215	ب / أداء النداء+ منادي مفرد مبني+مضمون النداء.....
217	ج / أداء نداء مخدوفة+منادي(الله) +مضمون النداء.....
218	1 فعل كلامي غير مباشر.....
218	أ/ التأنيس.....
219	ب/ الانكار.....
220	ج / المدح و الثناء.....
220	د/ التوبيخ و التحسير.....
302 – 223	الفصل الرابع: الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف.....
225	توطئة.....
228	المبحث الأول: الدلالة المعجمية للفظ الحجاج.....
228	أ/ مفهوم الحجاج لغتا.....
232	ب/ الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج.....
236	المبحث الثاني: الحجاج دراسة نظرية.....
236	1 الحجاج في الفكر اليوناني القديم.....
237	2 الحجاج في الدراسات العربية القديمة.....
241	3 تجليات الحجاج في الفكر الغربي الحديث.....
242	أ/ الحجاج عند بيرمان.....
246	ب/الحجاج عند ديكرو.....
246	ج/ الحجاج عند ميشال ماير.....

248	4 الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة.....
248	1 الحجاج الفلسي طه عبد الرحمن .....
249	2 الحجاج البلاغي محمد العمري.....
249	3 الحجاج اللسانى أبو وكر العزاوى.....
250	المبحث الثالث الحجاج وآلياته في الحديث النبوى الشريف.....
251	أ/ تعريف الإقناع لغة.....
251	ب/ تعريف الإقناع اصطلاحا.....
253	1 تقنيات و آليات الحجاج في الحديث النبوى الشريف.....
254	1 الآليات البلاغية في الحجاج .....
255	أ/ المحاز اللغوي.....
256	ب/ الاستعارة.....
265	ج / التشبيه.....
265	بين التشبيه و التمثيل.....
267	نماذج من التشبيه في الحديث النبوى الشريف .....
273	2 الآليات اللغوية في الحجاج.....
274	أ/ التكرار بين اللغة و الاصطلاح.....
276	ب/ التكرار في الحديث النبوى الشريف.....
284	3 الآليات المنطقية في الحديث النبوى.....
285	1 تعريف السلم الحجاجي.....
286	2 قوانين السلم الحجاجي.....
287	3 القياس وأنواعه.....
289	القياس المنطقي مكتمل الأركان .....
291	أ/ القياس المضمر.....

293.....	ب/القياس بالخلف
294.....	ج/القياس المدرج
302.....	الخلاصة
310-303.....	الخاتمة
357- 311 من.....	الفهرس العامة
316 -313 .....	١-فهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث
334-317 .....	٢-فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
336-335.....	٣- فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث
346-337.....	٤-قائمة المصادر و المراجع
348-347.....	٥-قائمة الجلات و الدوريات و الأطارات الجامعية ، و المصادر الأجنبية
357-349.....	٦-فهرس الموضوعات